العدد الحادي عشر - الجزء الاول - ابريل -2022- السنة الثانية مجلة علمية فصلية محكمة

المجلة الأمريكية الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

American International Journal of Humanities and Social Sciences

ISSN - 2710 - 4834 / رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقي : 2460

تصدر عن الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب

ISSUED BY AMERICAN INTERNATIONAL ACADEMY OF HIGHER EDUCATION AND TRAINING

عدد خاص بوقائع □

المؤتمر العلمي الدولي الثامن□

للعلوم الانسانية والاجتماعية

الموقع الرسمي للمجلة / www.aijhssa.us

عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثامن
للعلوم الانسانية والاجتماعية

رئيس التحرير- أ.د. حاتم جاسم الحسون، رئيس الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.

مدير التحرير- أ.د. هند عباس على الحمادي-أستاذ بقسم اللغة العربية وعلومها-كلية التربية للبنات-جامعة بغداد، جمهورية العراق (مدقق اللغة العربية).

سكرتارية التحرير

1. أ .م.د. محمد حسن أبو رحمة . وزارة التربية – فلسطين .
2. أ.سكينة إبراهيم الصبري . الشؤون الإدارية . الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.

أعضاء هيئة التحرير

1. أ.م.د.حقي إسماعيل إبراهيم ، كلية التربية ،الجامعة المستنصرية ،. جمهورية العراق . المدقق العام.
2. أ.م.د. خالد ستار القيسي ،عميد كلية الإعلام ، الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.
3. د.نسمة عبد التواب سالم المدرس . مدرس الادب الانكليزي – جامعة 6 أكتوبر – جمهورية مصر العربية. (مدقق اللغة الإنكليزية).
4. أ. خالد الأنصاري، كلية علوم التربية،جامعة محمد الخامس ،الرباط، المملكة المغربي. (التنضيد)
5. أ.محمد تايه محمد . بك إدارة أعمال . كلية الإدارة والاقتصاد . جامعة الكوفة. (تصميم).

أعضاء الهيئة العلمية

1. أ.د. أبكر عبد البنات آدم . مدير جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم . جمهورية السودان.
2. أ.د. إلهام شهرزاد روابح . كلية الحقوق والعلوم السياسية . جامعة البليدة 2 . الجمهورية الجزائرية.
3. أ.د. آمال العرباوي مهدي - رئيس قسم التربية المقارنة بكلية التربية - جامعة بورسعيد، جمهورية مصر العربية.

4. أ.د. أمل مهدي جبر- رئيس قسم العلوم التربوية والنفسية. كلية التربية للبنات. جامعة البصرة، جمهورية العراق.
5. أ.م.د.آوان عبد الله محمود الفيضي. دكتوراه قانون خاص. كلية الحقوق. جامعة الموصل. جمهورية العراق.
6. أ.د. إيمان عباس على حسن الخفاف- عميد كلية التربية الأساسية. الجامعة المستنصرية ، جمهورية العراق.
7. أ.د. برزان ميسر حامد أحمد الحميد . كلية التربية للعلوم الإنسانية. جامعة الموصل. جمهورية العراق
8. أ.م.د. تارا عمر أحمد- كلية العلوم السياسية. جامعة السليمانية. جمهورية العراق .
9. أ.م.د.تحرير علي حسين علوان – كلية الفنون الجميلة – جامعة البصرة – جمهورية العراق.
10. أ.د. حسين عبد الكريم أبو ليله. وزارة التربية والتعليم. فلسطين .
11. أ.د. خليفة صحراوي. رئيس قسم اللغة العربية وآدابها. كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة باجي مختار عنابة. الجمهورية الجزائرية.
12. أ.د. داود مراد حسين الداودي. دكتوراه العلوم السياسية. مدير وحدة البحوث والدراسات. جامعة القادسية. كلية القانون. جمهورية العراق.
13. أ.د. راشد صبري محمود القصبي- أستاذ التخطيط التربوي واقتصاديات التعليم بكلية التربية. جامعة بورسعيد. جمهورية مصر العربية.
14. أ.د. سندس عزيز فارس الفارس- خبير تربوي- عميد كلية الدراسات العليا والبحث العلمي في الاكاديمية الأمريكية. جمهورية العراق .
15. أ.د.عدنان فرحان الجوراني. أستاذ الاقتصاد. جامعة البصرة. جمهورية العراق.
16. أ.د. غادة غازي عبد المجيد- أستاذ في كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى. جمهورية العراق.
17. أ.د. ماجدولين محمد النهيبي- كلية علوم التربية. جامعة محمد الخامس. الرباط، المملكة المغربية.
18. أ.د. ماهر مبدر عبد الكريم العباسي. نائب عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية. جامعة ديالى. جمهورية العراق.
19. أ.م.د. محمد ماهر محمود الحنفي. رئيس قسم أصول التربية. كلية التربية. جامعة بور سعيد. جمهورية مصر العربية.
20. أ.م.د.عبد الباقي سالم – تدريسي في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة – جامعة بابل- جمهورية العراق

21. أ.د. ناهض فالح سليمان- كلية التربية للعلوم الإنسانية. قسم اللغة الإنجليزية. جامعة ديالى. جمهورية العراق.
22. أ.د. نبيل محمد صالح العبيدي. عميد كلية الدراسات العليا. الجامعة اليمنية. الجمهورية اليمنية.
23. .أ.د.نزهة إبراهيم الصبري نائب رئيس الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب- المملكة المغربية.
24. أ.د. نصيف جاسم أسود سالم الأحبابي. كلية التربية للعلوم الإنسانية. قسم الجغرافية. جامعة تكريت. جمهورية العراق.
25. أ.د. نورة محمد مستغفر. أستاذ التعليم العالي مؤهل، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، المملكة المغربية.
26. أ.د. هاله خالد نجم- رئيس قسم الترجمة. كلية الآداب- جامعة الموصل – جمهورية العراق.
27. أ.د. وسن عبد المنعم ياسين- أستاذ الأدب العربي – كلية التربية للعلوم الإنسانية. جامعة ديالى. جمهورية العراق

أعضاء الهيئة الاستشارية

1- أ.م.د.آرام نامق توفيق. كلية العلوم. جامعة السليمانية. جمهورية العراق.
2- أ.د. خالد عبد القادر التومي- باحث في المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية. ليبيا.
3- أ.د. رائد بني ياسين- عميد كلية الأعمال. قسم نظم المعلومات. الجامعة الأردنية- فرع العقبة. المملكة الأردنية الهاشمية.
4- أ.د. جميلة غريّب. قسم اللّغة العربيّة و آدابها. جامعة باجي مختار. عنابة. الجمهورية الجزائرية.
5- أ.م.د. رشيدة علي الزاوي- أستاذ التعليم العالي. المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين. الرباط. المملكة المغربية.
6- أ. م.د. رضا قجة. علم الاجتماع – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة محمد بوضياف – المسيلة – الجمهورية الجزائرية.
7- -أ.د. كامل علي الويبة- رئيس جامعة بنغازي الحديثة – ليبيا.
8- أ.د. علي سموم الفرطوسي. كلية التربية الأساسية. الجامعة المستنتصرية. جمهورية العراق.

9- أ.د. حدة قرقور . كلية الحقوق . جامعة محمد بوضياف . المسيلة . الجمهورية الجزائرية.
10-أ.د. مازن خلف ناصر. كلية القانون . الجامعة المستنصرية . جمهورية العراق.
11-أ.م.د. محمد عبدالفتاح زهرى- رئيس قسم الدراسات الفندقية- كلية السياحة والفنادق – جامعة المنصورة- جمهورية مصر العربية.
12- أ.م.د.مروة إبراهيم زيد التميمي . كلية الكنوز . الجامعة الأهلية . جمهورية العراق.
13- أ.م.د. هلال قاسم أحمد المريسي . عميد الشؤون الاكاديمية . جامعة العلوم الحديثة . الجمهورية اليمنية.

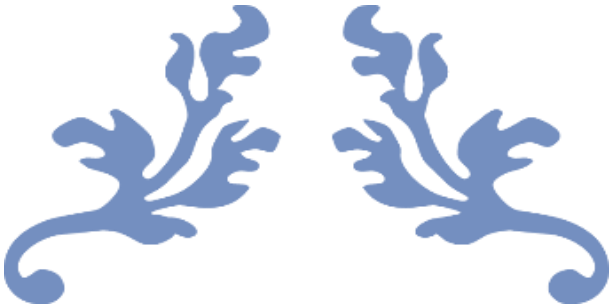

مقال العدد

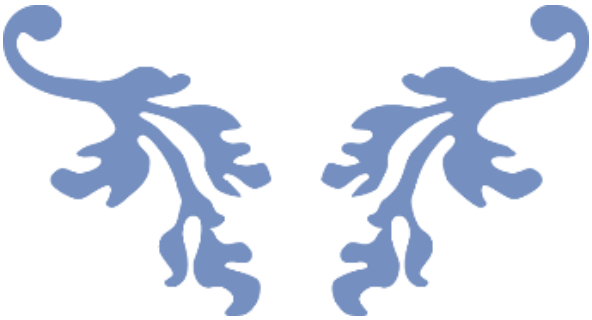

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمدّ لله على فضله ونعمته ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وآله ، أمّا بعد

في العدد الحادي عشر من المجلة الأمريكية الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، مخصص لوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثامن للعلوم الانسانية والاحتماعية الذي اقامته الاكاديمية الامريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب والذي شارك فيه العديد من الباحثين في تخصصات علمية مختلفة من شتى الدول العربية ، وقد ضّم عددا من البحوث القيمة ذات المعيار العلمي العالي بما تحمله من قدرات معرفية وعلمية أسفرت عن أقلام باحثين لهم منزلتهم العلمية والعملية في حقول تخصصهم ؛ لذا سعت المجلة على أن تضّم في عدد هذا العدد النوعي من البحوث ، وليس الكمي ، فالغاية هو طرح الأفكار العلمية المتميزة للعالم القارئ.

لذ دأبت هيئة التحرير على تطبيق معايير التقييم العلمية شأنها بذلك شأن المجلات الرصينة المثيلة في حقل التخصص والنشر العالمي ، فعرضت البحوث على محكمين لهم مكانتهم العلمية في فضائهم العلمي ، ويعودون لجنسيات مختلفة ، ومن جامعات متباينة ، منها الجامعات الحكومية التي ترجع بمرجعيتها إلى بلدان العالم المختلفة ، فضلا عن الاستعانة بخبراء من جامعات خاصة اثبتوا بشكل علمي أنهم أهل للتحكيم واطلاق الحكم على علمية البحث المقدم للمجلة ، وصلاحيته للنشر.

حرصت هيئة التحرير على عرض البحث المقدم من لدن كاتب البحث على محكمين اثنين ، وتقديمه لهما ، بتوقيتات زمنية محددة ، فأن اتفق المحكمان على صلاحية البحث ، تم تحويله إلى مرحلة التنضيد والنشر ، بعد التأكد من دقة تطبيق تعليمات النشر الخاصة بالمجلة . وإن اختلف المحكمان في التقييم المطلق على البحث المقدم ، حول البحث لمحكم ثالث ، فأن قبله ، تم تحويله للمرحلة الثانية التنضيد والنشر ، وإن رفضه ، عندئذ يرفع البحث من قائمة البحوث المعدة للنشر.

لم يختلف منهج هيئة التحرير في آلية قبول البحوث ، وعدّها للنشر عن غيرها من المجلات العلمية ؛ لأن الرصانة العلمية هو هدفها الذي تسعى للوصول إليه ، واعتمدت نظاما دقيقا في استقبال البحوث ، وتقديمها للمقومين ، واشعار الباحثين بقبول النشر ، وفقا لأمر إداري يصدر عن المجلة ، يعد مستندا في صحة نشر البحث في المجلة ، مع تثبيت العدد الذي نشر فيه مذيلا بإمضاء رئيس التحرير.

احتوى هذا العدد في طياته مجموعة من البحوث تحمل موضوعات متنوعة ، ذات الطابع الإنساني والاجتماعي ، ضمن تخصصات محاور المؤتمر ، وكل الأفكار التي طرحت تحمل الرؤى العلمية وأبعادها ، والنظرية التي يؤمن بها أصحاب تلك الأفكار ، لذلك كانت المجلة دقيقة ؛ لأجل عرض تلك الأفكار من دون التدخل فيها ، مع متابعة كونها لا تؤدي إلى خلق الفوضى العلمية ، أو تحريض للعنف ، أو للتطرف العلمي والمجتمعي.

وأخيرا .. نتقدم بكل العرفان المزدان بأريج الورد للكل الجهود العلمية والفنية والإدارية التي ساعدت ، وتضافرت لأجل أن يصدر هذا العدد ... الاحترام الممتد بالشكر .

3/04/2022 المغرب

هيئة تحرير المجلة

الملاحظة القانونية

البحوث المنشورة في المجلة لا تعبر عن وجهة نظر المجلة ، بل عن رأي كاتبها.

فهرس الموضوعات

البوست الخاص اعلان المؤتمر.....11
فولدر المؤتمر 12
منهاج المؤتمر 14
البيان الختامي وتوصيات المؤتمر.....23
البحوث المشاركة في المؤتمر
الاستغلال الجنسي للنساء – دراسة في التشريعات العراقية
أ.د.حسين عبدعلي عيسى 28
الحبُّ العُذري عند أبن حزم الأندلسي
أ.د. برزان مُيّسر حامد الحميد / أ.د.عبد الرحمن ابراهيم حمد الغنطوسي.....53
إعادة تأهيل نزلاء المؤسسات العقابية – بين الواقع والتحديات — العراق إنموذجا
أ.د. مازن خلف ناصر / م. نور سعد مُحَمَّد.....72
الانزياح الدّلالي للفعل (أتى) في القرآن الكريم – دراسة لسانية إدراكيّة
د. مُحَمَّد سعيد مُحَمَّد سالم.....95
القواعد الأصولية المستنبطة من القصص القرآنية(نماذج مختارة)
م.د. ورقاء عبد السلام عبد الوهاب.....109
التوافقية وجدلية تقاسم السلطة عند توماس باين :الادوار والمسارات الوظيفية للتجربة العراقية بعد العام 2003 انموذجا
أ.د.صباح نعاس شنافه المنتفكي/ أ.م.د.مُحَمَّدعزيز عبدالحسن البياتي 121
قاعدة الكفارات إذا اجتمعت تداخلت وتطبيقاتها الفقهية
د.شيرين أكرم سعيد.....129
نظريات التكامل في ضوء تجربة الاتحاد الاوربي (دراسة تحليلية)
م.د. أنور إسماعيل خليل.....147
الدلالات الإجتماعية في طبعات الأختام الإسطوانية الرافدينيّة
أ. م. د. بركات عباس سعيد / م. د. سوسن هاشم غضبان.....165
النوع الاجتماعي والتنمية السياسية
دة.جليلة مراوحي.....189
مستثنيات القواعد الفقهية الكلية ومقاصدها في الشريعة الإسلامية
د.مُحَمَّد براز.....207
أثر العمل عن بعد على مستوى البطالة بين الخريجين في الوطن العربي (قطاع غزة ودولة ليبيا) نموذجاً
د.كامل احمد ابو ماضي / د. عز الدين عبد الله سويد.....222

ظاهرة التنبُّؤ بالغيب وتجلّياتها في الشعر الأندلسي
م.د. مُحَمَّد كاظم عجيل.....244
آليات مكافحة الفساد المالي والإداري في الاردن
أحمد ارشيد نصير.....264
Artistic frameworks for metaphorical images in the poetry of the Islamic and Umayyad era – An analytical study
Assist. Prof. Dr.Entiha Abbas Aliwi.....274
The Archetypal Symbolism in Modern English Poetry:
A Psychological Approach of Imagism
Dr. Nessma Abdel Tawab Salim.....294
The Role Of Governance In Improving Efficiency Performance
In Jordanian Government Institutions
Ahmad Ershaid Nusair/ Dr.Nur Hidayah.....310

البوست الخاص اعلان المؤتمر:

فولدر المؤتمر :

الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب

المؤتمر العلمي الدولي الثامن الموسوم دراسات وقضايا معاصرة في العلوم الانسانية والاجتماعية تحت شعار

المجتمع وعاء الإنسان والعلوم

بتاريخ 27-2022/01/29

ديباجة المؤتمر

إن المؤتمر العلمي الدولي الثامن للعلوم الإنسانية والاجتماعية الذي تنظمه الاكاديمية الامريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب ، ديلاوير - امريكا ، تحت حقل العلوم الانسانية والاجتماعية جاء نتيجة لإستحضار أهميتها في معالجة القضايا الراهنة وتناولها وفق الرؤية الانسانية،حيث تتميز هذه العلوم بالثراء والارتباط بينها وبين معظم المعارف الاخرى وذلك من خلال طرح الاشكاليات التي تبحث في تطوير هذه العلوم.

وبهدف تمتين اواصر التواصل والتعارف بين الباحثين وتشكيل مجتمع معرفي وعلمي في هذه المجالات العلمية المهمة يسعدنا ان نقدم الدعوة الى جميع المهتمين من الباحثين والخبراء للمشاركة في هذا المؤتمر العلمي الدولي الثامن الموسوم:

دراسات وقضايا معاصرة في العلوم الانسانية والاجتماعية، تحت شعار المجتمع وعاء الإنسان والعلوم

مواعيد المؤتمر

تاريخ انعقاد المؤتمر 25-27 / 01 / 2022

آخر موعد الاستلام الملخصات

2022/01/10

آخر موعد لاستلام البحوث

2022/02/27

محاور المؤتمر

- التاريخ والحضارة.
- الإنسانيات والفنون.
- الأنثروبولوجيا.
- التربية والتعليم والتربية الخاصة.
- الجغرافيا البشرية.
- العلوم الشرعية.
- العلوم القانونية.
- علم الاجتماع.
- علم النفس .
- علوم الإعلام.
- العلوم الادارية والمالية والاقتصادية.
- اللغة والادب .
- التنمية المستدامة.
- العلاقات العامة والدولية.
- قضايا المرأة المعاصرة.
- العلوم الصحية والمجتمع.
- المجتمع وإستخدامات الحاسوب والمعلومات.

اهداف المؤتمر

1. تحديد الإشكاليات التي تعاني منها العلوم الإنسانية والاجتماعية.
2. معالجة لرؤى استشرافية مستقبلية تطويرية للعلوم الإنسانية والاجتماعية.
3. التعرف على أهم البحوث التي تعالج العلوم الانسانية والاجتماعية، والتي تعالج الاشكاليات المعاصرة.
4. تقديم المقترحات والبدائل والحلول للتعامل مع مختلف المشكلات الإنسانية والاجتماعية .

ترسل الملخصات والبحوث على الأيميل

academy@aiahet.com

رسوم الاشتراك

من اجل تشجيع البحث العلمي في الوطن العربي تقرر ان تكون المشاركة مجانية للجميع .

نشر البحوث

سيتم نشر البحوث المشاركة في المجلة الأمريكية الدولية للعلوم الانسانية والاجتماعية وهي مجلة دولية محكمة (issn 2710-4834) رقم الايداع في دار الكتب والوثائق بغداد 2460.

www.aijhssa.us

برسوم نشر مشجعة قدرها 50 دولار أمريكي

شروط المشاركة

1. أن يكون البحث المشارك ضمن احد محاور المؤتمر المعلن عنها.
2. ان لا يكون البحث مستلا من رسالة ماجستير او اطروحة دكتوراه أو أي مؤلف اخر .
3. أن لا يكون قد سبق نشر البحث او قبل للنشر او شارك في مؤتمر اخر او في غيره من الانشطة العلمية .
4. التزام الباحث بالمنهج العلمي الرصين، وذلك من خلال استخدام أدوات البحث القائمة على النقد والتحليل.
5. يكتب الباحث : اسمه مصحوبا بلقبه العلمي ،مكان عمله ، عنوانه الوظيفي، بريده الالكتروني ، الهاتف.
6. الالتزام بشروط النشر الخاصة بالمجلة والتي سترسل للراغبين بالمشاركة.
7. عدد كلمات كتابة الملخص بحدود 500 كلمة.
8. ترسل الملخصات والبحوث بصيغة ملف word .

لغات المؤتمر

العربية - الانكليزية

للتواصل والاستعلام

00212637209399

00212767232994

ادارة المؤتمر

رئيس المؤتمر

أ.د.حاتم جاسم الحسون - رئيس الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب

اللجنة العلمية

رئيس اللجنة

أ.د.سندس عزيز فارس - عميد الدراسات العليا والبحث العلمي الاكاديمية الامريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب

أعضاء اللجنة

1. أ.د. ابراهيم محمد علي مرجونة - كلية الاداب / جامعة دمنهور - جمهورية مصرالعربية.
2. أ.د. داود مراد حسين - جامعة القادسيه - كليه القانون - جمهورية العراق.
3. أ.د. طه حميد حسن العنبكي - الجامعة المستنصرية - جمهورية العراق.
4. أ.د. برزان ميسر حامد الحميد - استاذ التأريخ الاسلامي الاندلسي - جامعة الموصل - العراق.
5. أ.د. عدنان فرحان عبد الحسين الجوراني / كلية الادارة والاقتصاد جامعة البصرة.
6. أ.د. وردة بالقاسم العياشي / جامعة الامير سلطان / المملكة العربية السعودية.
7. د.زهير ابعيزة - وزارة التربية الوطنية - المغرب.
8. أ.د. سعاد هادي حسن الطائي - كلية التربية بن رشد للعلوم الانسانية - قسم التأريخ - العراق.
9. أ.د.رانيا الصاوي عبده عبد القوي - قسم علم نفس تربوي - كلية التربية - جامعة 6 اكتوبر
10. د.نورة مستقفر - استاذة التعليم العالي مؤهلة بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين - الرباط - المملكة المغربية.
11. أ.م.د. ربيع عبد الرؤوف محمد عامر - كلية التربية - جامعة الملك خالد - السعودية.
12. أ.م.د. مصطفى جابر قياض -كلية القانون والعلوم السياسية- الجامعة الانبار / جمهورية العراق
13. د.كامل ابو ماضي - محاضر غير متفرغ - الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية - غزة - فلسطين.
14. م.د. حسين عبدالكريم أبو ليلة - وزارة التربية والتعليم - دولة فلسطين.
15. د.حورية المرضي- استاذة التعليم العالي مؤهلة بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين - الرباط - المغرب.
16. د.عبد القادر أمحمد صالح - قسم التخطيط والادارة - كلية التربية - ليبيا.
17. د.التجنية خليد - الادارة التربوية - القنيطرة - المغرب.
18. د.فاطمة يوسف النجار - جامعة جدارا - الاردن.
19. د.الهام محمد عليوي - ادارة الموارد البشرية - كلية دجلة الجامعة - العراق.

اللجنة التنظيمية

رئيس اللجنة

أ.د. نزهة الصيري - نائب رئيس الاكاديمية الامريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.

اعضاء اللجنة

1. أ.د. هند عباس علي الحمادي - أستاذ بقسم اللغة العربية وعلومها - كلية التربية للبنات - جامعة بغداد، الجمهورية العراقية.
2. م.د. تارا عمر محمد - كلية العلوم السياسية، جامعة السليمانية - الجمهورية العراقية.
3. د.الهام شهرزاد روابح - كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة البليدة 2 - الجزائر.
4. أ.م.د. خليل القيسي / مدير مكتب الاكاديمية في بغداد.
5. د.اجي النجار - قسم التصميم - جامعة طنطا.
6. د.نسمة عبد الثواب سالم الدرس - مدرس الادب الانكليزي - جامعة 6 أكتوبر - مصر.
7. د.اماني احمد اسكندراني -كلية التربية -جامعة دمشق - سوريا.
8. د.فاتن البوعيشي الكيلاني - كلية القانون - جامعة طرابلس - ليبيا.
9. أ.محمد تايه محمد خلف - وزارة التربية العراقية - المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الاشرف - العراق.

اللجنة الاعلامية

رئيس اللجنة

أ.م.د. خالد ستار القيسي / عميد كلية الاعلام / الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب/ رئيسا.

اعضاء اللجنة

1. د.شريف عبد الحميد الحسيني / مدير مكتب الأكاديمية في مصر.
2. أ.م.د.مصطفى أحمد الغميقي /كلية العلوم لادارية والمالية والتطبيقية / طرابلس/ ليبيا.
3. د.سماح عبده علي زيد قمحان - جامعات اهلية - اليمن.
4. فريدون حسين احمد / مدير مكتب الاكاديمية في أربيل - الجمهورية العراقية.
5. د. دلسوز علي عارف / مدير مكتب الاكاديمية في السليمانية/ جمهورية العراق.
6. د.فلك حسن صبيرة/ كلية الاعلام / جامعة دمشق.
7. أ.لوريت ساسين- رئيس تحرير صحيفة الحقيقة نيوز - لبنان.

منهاج المؤتمر

من 25/ 02 / 2022 الى 06/ 03/ 2022م

اولاً- الافتتاحية :

الجمعة المصادف 2022/02/25

تبدا من الساعة الخامسة حتى الساعة الثامنة مساءا بتوقيت المغرب

(4:00 – 7:00 توقيت غرينتش) .

وتشمل الآتي :

اولاً ــ فقرات الإفتتاح :

آيات من القرآن الكريم,,,,,,,,,

النشيد الوطني المغربي ,,,,,,,,

1ـ كلمة افتتاح المؤتمر يلقيها السيد رئيس الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب أ. د. حاتم الحسون المحترم .

2- كلمة سعادة سفير سلطنة عمان في المغرب – د. سعيد بن محمد البرعمي - المحترم

3- كلمة أكاديمية المعرفة للتعليم العالي والتكوين – تلقيها د.نورة مستغفر المحترمة

4ـ كلمة اللجنة التحضيرية تلقيها أ.د. نزهة الصبري - رئيس اللجنة التحضيرية المحترمة

5- كلمة اللجنة الاعلامية يلقيها أ.د.خالد ستار القيسي – رئيس اللجنة الاعلامية المحترم.

6 ـ الاعلان عن بدء اعمال الجلسات الخاصة بالمؤتمر

ثانيا ــ الجلسات :

1. تعقد يوميا جلسة مسائية / تبدا من الساعة الرابعة عصرا حتى الساعة السادسة مساءا بتوقيت غرينتش.
2. ستوزع اعمال المؤتمر على (6) جلسات،موزعة تأريخ انعقادها كالتالي:

- الجلسة الاولى بتأريخ 2022/02/25.
- الجلسة الثانية بتأريخ 2022 /02/26.
- الجلسة الثالثة بتأريخ 2022/02/27.
- الجلسة الرابعة بتأريخ 2022/03/04.
- الجلسة الخامسة بتاريخ 2022/03/05.
- الجلسة السادسة بتأريخ 2022/03/06.

ثالثا . اعمال اختتام المؤتمر

يختم المؤتمر جلساته وجدول أعماله بتلاوة توصيات المؤتمر المستخلصة من رؤى الباحثين المشاركين في المؤتمر. ويلقيها د. كامل ابو ماضي – عضو اللجنة العلمية للمؤتمر.

ملاحظات :

1 ـ تخصص الثلاثين دقيقة الاخيرة من نهاية كل جلسة لعرض اسئلة الباحثين ومناقشاتهم .

2 ـ يعطى لكل باحث عشرة دقائق لعرض ملخصه .

3- عدم مغادة الباحث منصة المؤتمر عند الانتهاء من القاء ملخصه من اجل الرد على اسئلة الحضور ان وجدت.

4- لجنة البيان الختامي والتوصيات تتألف من :

- د.كامل ابو ماضي – محاضر غير متفرغ - الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية – غزة – فاسطين. - رئيس اللجنة.

- م.د. حسين عبدالكريم أبو ليلة – وزارة التربية والتعليم – دولة فلسطين. عضوا
- د.فاطمة يوسف النجار – جامعة جدارا – الاردن – عضوا.
- د.الهام محمد عليوي – ادارة الموارد البشرية – كلية دجلة الجامعة – العراق.- عضوا.
- د.نسمة عبد التواب سالم الدرس – مدرس الادب الانكليزي – جامعة 6 أكتوبر- مصر- عضوا.
- د.حورية المرضي- استاذة التعليم العالي مؤهلة بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين – الرباط – المغرب- عضوا.

رابعا ـ كشوفات الجلسات :

اليوم الاول / الجمعة / 25 / فبراير / 2022/

الوقت : من الساعة : (4:00 – 6:00 مساء بتوقيت غرينتش)

ـ رئيس الجلسة : أ.د. عدنان فرحان عبد الحسين الجوراني / كلية الادارة والاقتصاد جامعة البصرة /العراق.

ـ معاون رئيس الجلسة : د.اماني احمد اسكندراني / كلية التربية –جامعة دمشق – سوريا.

ت	اسم الباحث	عنوان البحث	مكان العمل
1	أ.د.حسين عبدعلي عيسى	الاستغلال الجنسي للنساء دراسة في التشريعات العراقية	كلية القانون / جامعة السليمانية- العراق
2	أ.د. الهام محمود الجادر	معاهدة لاتران 1929 الأسباب والنتائج	جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات/ قسم التاريخ - العراق
3	د. كامل أحمد أبو ماضي د. عز الدين عبد الله سويد	أثر العمل عن بعد بمستوى البطالة في قطاع غزة	محاضر غير متفرغ - الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية – غزة – فلسطين ليبيا
4	أ.م.د. ساجد صبري نعمان	أثر العقيدة الإسلامية في البناء الحضاري للإنسان المعاصر	الجامعة العراقية / كلية العلوم الإسلامية قسم / مقارنة الأديان –العراق
5	د. فريحه مفتاح الجنزوري أ. فاطمة عبدالله الطيرة	الشعور بالسعادة وعلاقته ببعض المتغيرات الديموغرافية لدي عينة من أعضاء هيئة التدريس بجامعات الليبية (جامعة بنغازي نموذجا)	كلية التربية / جامعة بنغازي - ليبيا
6	أ.م.د. ليلى حنتوش ناجي الخالدي	معوقات تعديل دستور جمهورية العراق لعام 2005 والآثار المترتبة عليها	كلية القانون /جامعة بابل - العراق
7	أ.م.د.بلسم صالح مهدي	الصحافة الإسرائيلية : نشأتها وتطورها	جامعة بغداد / كلية اللغات قسم اللغة العبرية - العراق
8	د. رانيا الصاوي عبده عبد القوي	المعوقات التي تواجه تفعيل دور مؤسسات ومنظمات المجتمع المدني في دعم حقوق ذوي الإعاقة وآليات	كلية التربية – جامعة 6 أكتوبر / مصر

		مواجهتها	
9	د. هبة توفيق أبو عيادة	تصور مقترح لتفعيل دور الجـــــامعات في خدمة المجتمع المحلي	الجـــــامعة الأردنية - الاردن
10	م.م. مرتضى حسين البدري	مظاهر التجرؤ الديني في الشعر الإسلامي والأموي	جامعة سومر - كلية التربية الأساسية العراق
11	الباحثة مروة هادي عبدالله	الأساليب البيانية عند الجاحظ(ت/255هـ) وأثرها في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري(ت/395هـ)	جامعة واسط - كلية التربية للعلوم الإنسانية - العراق
12	م. سَرمد مُحمّد داوَد الخفاجيّ	درجة استخدام مدرسيّ اللغة العربية للمنصات التعليمية الإلكترونية في ظل جائحة كورونا واتجاهاتهم نحوها	مديرية تربية بابل - العراق
13	أ. لطيفة يوسفي	الترجيح بين المصالح الشرعية	جامعة السلطان مولاي سليمان كلية الآداب والعلوم الإنسانية- بني ملال - المغرب
14	الباحثة مرام تركي ربابعة	الحاكمية المؤسسية ودورها في تحسين الأداء المؤسسي	مدرسة في جامعة جدارا- الاردن

اليوم الثاني / السبت / 26 / فبراير / 2022/

الوقت : من الساعة 4:00 مساءً - 6:00 مساءً (حسب توقيت غرينتش)

- رئيس الجلسة : 3. أ.د. طه حميد حسن العنبكي - الجامعة المستنصرية –العراق.
- معاون رئيس الجلسة : م.د. حسين عبد الكريم أبو ليله وزارة التربية والتعليم / فلسطين.

ت	اسم الباحث	عنوان البحث	مكان العمل
1	أ.د. برزان مُيسر حامد الحميد أ.د.عبد الرحمن ابراهيم حمد الغنطوسي	الحبُّ العُذري عند أبن حزم الأندلسي	جامعة الموصل- العراق / الجامعة العراقية- العراق
2	ا.د حنان عبدالخضر الموسوي ا.م.د حسين علي عويش	تحليل واقع التنمية البشرية المستدامة في العراق / قطاع التعليم انموذجا	جامعة الكوفة / كلية الإدارة والاقتصاد جامعة ذي قار/ كلية الإدارة والاقتصاد
3	أ.د. أبكر عبد البنات آدم د.خديجة يونس عبد المولى	المدينة العربية المعاصرة وإشكاليات الثقافة والاندماج والاغتراب "مدينة أم درمان أنموذجاً"	جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم- السودان. جامعة بحري-السودان
4	أ.م.د. محمد علي محمد علي الضو أ.م.د. محمد علي عباس	مستوى العنف الطلابي لدى طلبة الجامعة (دراسة مقارنة)	جامعة بخت الرضا – كلية التربية /السودان. جامعة الحمدانية /كلية التربية /العراق.
5	أ.م.د. بركات عباس سعيد م.د. سوسن هاشم غضبان	الدلالات الاجتماعية في طبعات الأختام الإسطوانية الرافدينيّة	قسم التصميم - كلية الفنون الجميلة - المديرية العامة لتربية النجف لأشرف. جامعة بابل - العراق
6	أ.م.د.كامران أورحمن مجيد	صفات خاتم الأنبياء(ﷺ) في القرآن الكريم وأثرها في الحياة (صفة الرحمة نموذجا)	جامعة السليمانية/ كلية العلوم الإسلامية العراق
7	د. رمـــضـــان بن جـــعـــفـــر أ. عـــائـــشة بـــورزق	المحافظة على القيم الاجتماعية للشباب الجزائري في ظل الاستخدام الأمثل للوسائل التكنولوجية الحديثة { الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي نمـــوذجـــان }	كلية العلوم الانسانية والاجتماعية - جامعة المسيلة - دولة الجزائر جمعية الإبداع والابتكار العلمي - ولاية المسيلة - دولة الجزائر

8	د. عدنان حسن موسى سلمان العبيدي	القيم الإنسانية في الديانات السماوية الثلاث .. من أجل العيش المشترك	جامعة ديالى - كلية العلوم الإسلامية قسم العقيدة والفكر الإسلامي - العراق
9	د. أسماء سعد عبدالرحمن العوامي	معوقات مشاركة المرأة الليبية في العمل التطوعي - دراسة ميدانية لبعض الجمعيات الخيرية في مدينة المرج	كلية الآداب والعلوم المرج - جامعة بنغازي - ليبيا
10	د.شيرين أكرم سعيد	قاعدة الكفارات إذا اجتمعت تداخلت وتطبيقاتها الفقهية	قسم الدراسات الإسلامية/ كلية الحكمة الجامعة/ بغداد – العراق
11	د. رمضان أحمد العمر	إشكالية الديموغرافية والهجرة بين العالمين الغربي والعربي خلال العقدين الأول والثاني من القرن الحادي والعشرين	عضو في الاتحاد الدولي للمؤرخين للتنمية والثقافة والعلوم الاجتماعية سوريا
12	د. مولاي هشام المراني	المجتمع المدني في المغرب: النشأة والتطور والأدوار	باحث في القانون العام والعلوم السياسية- المغرب
13	م.م. إسراء عبد الصاحب جاسم الياسري	الإهمال العائلي وأثره في تكوين السلوك الإجرامي للمـــرأة - دراســة في القانــون العراقـــي -	رئاســـة جامعة بغـــداد - قسم الشـــؤون القانونـــية - العراق
14	م.م. ديانا حسين علي	أسس التربية الديمقراطية عند جون ديوي	جامعة كركوك- كلية القانون والعلوم السياسية - العراق

اليوم الثالث / الاحد / 27 / فبراير / 2022

الوقت : من الساعة / 4:00 – 7:00 توقيت غرينتش

- رئيس الجلسة : .د.زهير ابعيزة – وزارة التربية الوطنية – المملكة المغربية.

- معاون رئيس اللجنة : د.عبد القادر أمحمد صالح- قسم التخطيط والادارة – كلية التربية ليبيا

ت	اسم الباحث	عنوان البحث	مكان العمل
1	أ.د. ضياء غني العبودي	العنف في رواية دع القنفذ ينقلب على ظهره لخضير فليح الزيدي	جامعة ذي قار - العراق
2	أ.د. براء منذر كمال عبداللطيف د. نورس رشيد طه	دور القانون الجنائي في حماية المرأة من العنف الأسري	كلية الحقوق – جامعة تكريت كلية الحقوق –جامعة النهرين
3	د. صليحة لطرش	المنهج الاجتماعي في تعليم اللغة العربية، مقاربة بنيوية	جامعة العقيد آكلي محند أولحاج بالبويرة، قسم اللغة العربية - الجزائر
4	أ.د.ابتسام صاحب الزويني الباحث / عبد الكاظم عزيز مرجون الجبوري	فاعلية برنامج تعليمي مقترح وفق نظرية التعلم الموقفي في تحصيل التربية العملية لدى طلبة كليات التربية	جامعة بابل / كلية التربية الأساسية العراق
5	م.د. ورقاء عبد السلام عبد الوهاب	القواعد الأصولية المستنبطة من القصص القرآنية (نماذج مختارة)	كلية الحكمة الجامعة- قسم الدراسات الإسلامية - العراق
6	م.د. محمد كاظم عجيل	ظاهرة التنبُّؤ بالغيب وتجلِّياتها في الشعر الأندلسي	وزارة التربية / المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار - العراق
7	د. وسن مرشد محمود	النقد السياسي في شعر احمد مطر	كلية الحكمة الجامعة/ بغداد - العراق
8	أ.مجدولين العابد د. رويده العابد	تصورات معلمي المدارس الأردنية لأهمية تفعيل إستراتجية تفريد التعليم في العملية التعليمية	الجامعة الأردنية الاردن

9	د. سميحة منصور عبد الله المغربي أ. حواء علي عبد الله زوبي	الأمية النفسية وعلاقتها بجودة الحياة لدى طالبات قسم الدراسات النفسية والتربوية بجامعة بنغازي	جامعة بنغازي ، كلية الآداب العلوم قمينس. بجامعة بنغازي، كلية التربية - المرج. ليبيا
10	ط.د. فضية بوديوجة	تمثيل السرد الجزائري المعاصر للمتخيل الاستشراقي، جدل الأنا والآخر، رواية " نساء الجزائر في شقتهن " لآسيا جبار"	جامعة عبد الرحمن ميرة، ولاية بجاية / الجزائر.
11	د. سميرة وعزيب	استراتيجيات تنمية الذكاء اللغوي لدى متعلمي المرحلة الابتدائية - مقترح لأنشطة تعليمية	المجمع الجزائري للغة العربية الجزائر
12	الباحث محمد الرياحي	عصر الصورة من فجاجة الإدراك إلى عمق التفكير؛ "السينما " الوجه المكتمل	وزارة التربية الوطنية - المغرب-
13	أ. عبدالكريم حسين الشرعة	اسهامات الدكتور محمد زرمان في الفكر الإنساني - اللغة العربية انموذجاً	جامعة آل البيت – الاردن
14	أ. مجيد عبود رحيمه	أهمية القدس لليهود وانعكاساتها في القصة العبرية القصيرة "نماذج مختارة"	كلية اللغات – قسم اللغة العبرية -العراق
15	م.م. سيف ظاهر جبر م.م. دنيا شكر النجار	التقييم الجغرافي لخدمات التعليم الابتدائي في مركز ناحية المدحتية في محافظة بابل لعام 2019م	وزارة التربية - مديرية تربية بابل. جامعة بابل- العراق كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم الجغرافية - العراق

الجلسة الرابعة :

اليوم : الجمعة/ 4 مارس /2022

الوقت : من الساعة 4:00 ـ 6:00 مساءً حسب توقيت غرينتش

ـرئيس الجلسة : أ.م.د.أوان عبد اللّه محمود الفيضي / كلية الحقوق – جامعة الموصل .

– معاون رئيس اللجنة : أ.م.د. مصطفى جابر فياض – كلية القانون والعلوم السياسية الجامعة الانبار / جمهورية العراق

ت	اسم الباحث	عنوان البحث	مكان العمل
1	أ.د. مازن خلف ناصر م.نور سعد محمد	عادة تأهيل نزلاء المؤسسات العقابية بين الواقع والطموح - العراق إنموذجا	كلية القانون – الجامعة المستنصرية كلية القانون والسياسة – الجامعة العراقية
2	أ.د. حسن علي عبدالله السماك	دور المؤهلات الشخصية والعلاقات السياسية في تسنم المناصب الوزارية للدولة العراقية حتى عام 1968 دراسة مقارنة " وزارة الداخلية انموذجا "	جامعة القادسية - العراق
3	أ.د. داود مراد حسين أ.سالمة ميلاد دعباج	الدين وأثره في الحياة السياسية الامريكيه (انتخابات الرئاسة انموذجا)	كليه القانون - جامعه القادسية - العراق. ليبيا
4	أ.م.د. عبدالله محمد عائض الباحث طارق سميح هناندة	باب التهرب الضريبي والفساد الإداري والمالي وطرق مكافحته في الأردن	كلية الاقتصاد والمعاملات / جامعة العلوم الإسلامية - الماليزية
5	أ.م.د. جابر حسين علي التميمي	حقوق الإنسان السياسية في ظل الشريعة السمحاء	كلية القانون/ جامعة واسط - العراق
6	أ.م.د. ايناس مكي عبد نصار	التنظيم القانوني للتأمين من الحوادث الرياضية- دراسة مقارنة	جامعة بابل - كلية القانون- العراق
7	أ.د. عبد المهدي كاظم ناصر أ.د. سماح حسين الركابي	مكاتب التشغيل الخاصة في العراق (قراءة في تعليمات انشاء مكاتب التشغيل الخاصة رقم (1) لسنة 2018)	كلية القانون/ جامعة القادسية كلية القانون – جامعة بابل
8	الباحث احمد ارشيد سامي نصير د. نور هداية ليلي	آليات مكافحة الفساد المالي والإداري في الأردن	كلية الاقتصاد والمعاملات / جامعة العلوم الإسلامية الماليزية ماليزيا

9	د. أحمد حمدي أبوضيف زيد	مدونة قانون الراهبات نموذجا للأدب الإنجليزي التعليمي والسياسي بإنجلترا العصور الوسطى	وزارة التربية والتعليم الفني / مصر
10	أ.م.د. هيفاء مزهر فلحي	موقف التشريع العراقي والتشريعات المقارنة من الطاقة المتجددة (علاقتها بالتنمية المستدامة، استثمارها، العقود الخاصة بها)	كلية القانون/جامعة بغداد العراق
11	م.د.صابرين يوسف عبدالله م.م.أوج عماد صبري	المسؤولية الناشئة عن التنقيب غير المشروع للآثار الحضارية	كلية القانون - جامعة البيان- بغداد- العراق
12	م.م. زينب صبري محمد الخزاعي	النظام القانوني لتأديب أعضاء النقابات المهنية في العراق	جامعة القادسية- كلية القانون – العراق
13	الباحثة هند الضاوي مصباح	السياسة الجنائية للمشرع الليبي في مكافحة جريمة تعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية	كلية القانون جامعة الزيتونة / ترهونة ليبيا
14	الباحثة بغاوي ملوكة	عصرنة الإدارة المحلية في الجزائر واقع وأفاق	جامعة د/ مولاي الطاهر سعيدة / كلية الحقوق والعلوم السياسية - الجزائر

اليوم الخامس / السبت / 5 / مارس /2022

الوقت : من الساعة 4:00 – 6:00 توقيت غرينتش

- رئيس الجلسة : أ.د.نزهة الصبري – نائب رئيس الاكاديمية الامريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب.

- معاون رئيس اللجنة : د. نورة مستغفر – استاذة التعليم العالي مؤهلة بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين – الرباط – المملكة المغربية.

ت	اسم الباحث	عنوان البحث	مكان العمل
1	أ.د. صباح نعاس أ.م.د.محمد عزيز عبد الحسن البياتي	التوافقية وجدلية تقاسم السلطة عند توماس باين : الادوار والمسارات الوظيفية للتجربة العراقية بعد العام 2003 إنموذجا	كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد العراق
2	د.زهير ابعيزة	استراتيجية الخرائط الذهنية في تدريس اللغة العربية مكون المؤلفات أنموذجا	وزارة التربية الوطنية - المغرب
3	الباحث أحمد ارشيد نصير د. نور الهداية ليلي	دور الحوكمة في تحسين كفاءة الأداء في المؤسسات الحكومية الأردنية	جامعة العلوم الإسلامية الماليزية كلية الاقتصاد والمعاملات/ ماليزيا
4	د. أسامة حسين فرج شكشك	الإدارة الالكترونية وأثرها في تبسيط الإجراءات دراسة ميدانية على قطاع التعليم زليتن	بكلية الاقتصاد والتجارة زليتن- الجامعة الأسمرية الإسلامية- ليبيا
5	دة. جليلة مراوحي	النوع الاجتماعي والتنمية السياسية	المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالرباط - المغرب
6	د.عماد فاضل فيصل	دور الحكومات المحلية في العراق بتعزيز التنمية المستدامة في قطاع التعليم المهني.....محافظة الديوانية نموذجاً	المديرية العامة لتربية الديوانية/ إعدادية الشامية المهنية المختلطة العراق
7	د. نصير صبار لفته	نطاق حماية السرية المصرفية في التشريع العراقي	العراق - كلية القانون – جامعة الكوفة
8	د.عبدالهادي الخياطي	الديمقراطية التشاركية في تدبير الجماعات الترابية بالمغرب: بين آليات وحدود التنزيل وبدائل التطوير	جامعة الحسن الأول بسطات المغرب

9	م.م. نور كاطع عباس	التعرف على مستوى المرونة النفسية وعلاقته بالضغوط المهنية لدى معلمي الصم والبكم	جامعة البصرة/ مركز الإرشاد التربوي والرعاية النفسية - العراق
10	م.م. مالك خالد سلمان	العاطفة في القصة العبرية القصيرة قصص يهودا بورلا انموذجا	جامعة بغداد – كلية اللغات – قسم اللغة العبرية
11	م. علي محمد رشيد	فلسطين وتجلياتها في نتاجات سيد قشوع الادبية	جامعة بغداد /كلية اللغات / قسم اللغة - العراق
12	الباحثة محجوبة بوشيت	التطور المشترك للغة والمخ من منظور اللسانيات المعرفية العصبية لتيرنس دبليو.ديكون	المديرية الإقليمية لوزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة، تمارة - المغرب
13	م.م. حوراء شهيد حسين	جمالية التفاعل في ديوان عمره الماء لـ" عارف الساعدي " قراءة في تقنية الفراغ الباني	وزارة التربية - مديرية تربية ذي قار العراق
14	الباحثة رغداء حقي اسماعيل	مبادئ إدارة الجودة الشاملة وتأثيرها في برامج الدراسات العليا	العراق
15	أ.م. علاء عبد الدائم زوبع	الساميون وجدلية التسمية بين المستشرقين والباحثين العرب	جامعة بابل / مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية - العراق

اليوم السادس :

الاحد/ 6 / مارس /2022

الوقت : من الساعة 4:00 ـ 7:00 مساءً حسب توقيت غرينتش

ـ رئيس الجلسة : أ.د.رانيا الصاوي عبده عبد القوي- قسم علم نفس تربوي – كلية التربية – جامعة 6 اكتوبر - مصر

ـ معاون رئيس الجلسة : د.نسمة عبد التواب سالم الدرس / مدرس الادب الانكليزي – جامعة 6 أكتوبر- مصر.

ت	اسم الباحث	عنوان البحث	مكان العمل
1	أ.م. د يحيى حسن خضير	جماليات التشكيل الأسلوبي في شعر أبي بكر الخوارزمي (ت 383هـ)	جامعة ذي قار – كلية الآداب العراق
2	د. حسام الدين السيد محمد ابراهيم الباحث تركي بن خالد بن سعيد النافعي	مستوى توافر الكفاءة الذاتية لدى مُديري مدارس التعليم الأساسي بمحافظة شمال الشرقية بسلطنة عمان في ضوء النموذج النرويجي (Norwegian Model) المطور	كلية العلوم والآداب – جامعة نزوى سلطنة عُمان جامعة صفاقس ، وزارة التربية والتعليم سلطنة عمان
3	أ.م.د. اسراء موفق رجب حسن	الجغرافية التطبيقية والسياحة	الجامعة المستنصرية/ كلية التربية / قسم الجغرافية - العراق
4	د. محمد براز	مستثنيات القواعد الفقهية الكلية ومقاصدها في الشريعة الإسلامية	ثانوية عبد الكريم الخطابي التأهيلية مدينة تيفلت/ المغرب
5	د.عبدالله محمد العائض أ.طارق سميح هنانده	دور تطبيق مبادئ الحوكمة الضريبية في الحد من التهرب الضريبي في الأردن	كلية الاقتصاد والمعاملات جامعة العلوم الإسلامية الماليزية - الاردن
6	د. أوان عبد الله محمود الفيضي	المحكم في عملية التحكيم دراسة قانونية مقارنة	كلية الحقوق- جامعة الموصل- العراق

7	م.د.أنـــور إسماعيل خليل	نظريات التكامل في ضوء تجربة الاتحاد الاوربي (دراسة تحليلية)	جامعة بغداد/ كلية العلوم العراق
8	د. يوسف محمد فالح بني يونس د. هند فخري سعيد	الاتحاد العربي الهاشمي 1958	الاردن العراق
9	أ.عزيز أوسو	أهمية دراسة الأدب في حياة الفرد والمجتمع من الأدبية إلى الأنطولوجية	جامعة محمد الخامس الرباط- المغرب
10	أ. لطيفة يوسفي	منهج ابن العربي في نقد الاجتهادات الفقهية اختيارا وإبطالا	جامعة السلطان مولاي سليمان كلية الآداب والعلوم الإنسانية - بني ملال - المغرب
11	م. هناء جبوري محمد	المـسؤولية القانونية لمُـهَـرب الأشخاص	جامعة كربلاء – مركز الدراسات الإستراتيجية - العراق
12	Prof. Dr. Hala Khalid Najim	The Realization of Arabic Relational Processes in English	University of Mosul/College of Arts Iraq
13	Dr. Amal Ismail Mohammed AbouRezk	Effect of Using Computer–Mediated Corrective Feedback in Developing EFL Learners' Grammar Performance	College of Education. October 6 University – Egypt
14	Dr. Elgaili Mhajoub Ahmed Fadl ELmula Dr. Aisha Fadl Almola Mohmmed Al Emam	The Importance of English as a Foreign Language in Arab Culture	University of Gezira, Faculty of Education, English Department, Sudan. Northern Border University-Saudi Arabia
15	Dr. Nessma Abdel Tawab Salim	The Archetypal Symbolism in Modern English Poetry: A Psychological Approach of Imagism	the Faculty of Education, October 6 University, Egypt
16	Rasha Tareq Awad Al-Zubaidi	Turkmens' Ideologies of their Identity in the South of Iraq after Displacement: Language Rights in Education and Social Interaction	University of Mustansiriyah /College of Arts / English Department Iraq

خامسا. قراءة التوصيات.

سادسا: مراسيم اختتام اعمال المؤتمر .

البيان الختامي وتوصيات المؤتمر:

بسم الله الرحمن الرحيم

البيان الختامي للمؤتمر الثامن

تعمل الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب – ولاية ديلاوير في الولايات المتحدة الأمريكية دوما على الارتقاء بالفهم والوعي لدى الباحثين وقد دأبت على عقد المؤتمرات والمحاضرات لمعالجة قضايا الساعة بطريقة علمية سليمة، وكان من بينها المؤتمر العلمي الدولي الثامن الذي عقد بين 25 فبراير و6 مارس 2022م (أون لاين) بعنوان "دراسات وقضايا معاصرة في العلوم الإنسانية والاجتماعية" تحت شعار "المجتمع وعاء الإنسان والعلوم" الذي نظمته الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب بالتعاون مع أكاديمية المعرفة للتعليم العالي والتكوين في المملكة المغربية.

حضر حفل افتتاح المؤتمر عدة شخصيات أكاديمية وسياسية وثقافية واجتماعية من العديد من الدول والجنسيات، وقد بدأت أعمال المؤتمر بتلاوة القرآن الكريم والنشيد الوطني المغربي ثم تلى ذلك كلمة رئيس الأكاديمية الأمريكية الدولية للتعليم العالي والتدريب سعادة الاستاذ الدكتور/ حاتم جاسم الحسون، وبعد ذلك تلت الدكتورة نورة مستغفر كلمة أكاديمية المعرفة للتعليم العالي والتكوين، كما قدّمت الأستاذ الدكتورة/ نزهة الصبري كلمة اللجنة التحضيرية وتبع ذلك كلمة اللجنة الإعلامية القاها سعادة الأستاذ الدكتور/ خالد ستار القيسي رئيس اللجنة الاعلامية للمؤتمر، وبعد ذلك القى ضيوف الشرف بعض الكلمات، ثم تم الاعلان عن بدء أعمال الجلسات الخاصة بالمؤتمر.

هدف المؤتمر إلى تحديد المشكلات التي تعاني منها العلوم الإنسانية والاجتماعية والتعرف على أهم البحوث التي تعالجها، وتعالج المشكلات المعاصرة، كما هدف المؤتمر إلى تقديم المقترحات والبدائل والحلول للتعامل مع مختلف المشكلات الإنسانية والاجتماعية.

وقد شارك في هذا المؤتمر عدد كبير من الباحثين من دول مختلفة بتخصصات متعددة، وبحضور العديد من الشخصيات الأكاديمية الوازنة.

وأثناء فترة انعقاد جلسات المؤتمر نوقشت أبحاث الأساتذة المشاركين، والتي أسهمت في إثراء مجال البحث العلمي المشترك بين الجامعات والمراكز البحثية المختلفة، إضافة إلى توثيق عرى التواصل بين الباحثين، والافادة والاستفادة من كل التجارب لتطوير وتفعيل التعاون العلمي بين الباحثين وبين المؤسسات العلمية من جامعات ومراكز بحث علمي.

وحرص المشاركون في هذا المؤتمر على أهمية العمل البحثي في مجالات الحياة المتعددة، كما أكدوا على أهمية تعاون الباحثين فيما بينهم للارتقاء بالبحث العلمي في العالم العربي، ومناقشة المشكلات التي

تواجه العالم العربي بطريقة علمية، وفي النهاية نتمنى المزيد من العطاء وعقد المؤتمرات العلمية التي يجب أن تركز على مشاكل المجتمعات العربية والتأكيد على الاستفادة من البحوث التي يتم اجراؤها وألا تبقى حبيسة الأدراج، وأن ينظر لكل توصية تصدر عن المؤتمر بأهمية كبيرة، وتوجه التوجيه الصحيح للاستفادة منها.

توصيات المؤتمر العلمي الثامن للأكاديمية الأمريكية الدولية للتدريب والتعليم العالي:

بناء على ما أفرزته محاور المؤتمر من توصيات تقترح لجنة صياغة البيان الختامي للمؤتمر التوصيات التالية وذلك بناء على التخصصات الدقيقة:

1- تشجيع البحث العلمي ودعم التكوين المستمر سواء في مجال التكنولوجيا أو الاتصالات، والاهتمام بالتطور المهني لأعضاء هيئة التدريس خاصة في المجالات التقنية والتربوية وتطوير المناهج وفقاً لمتطلبات التعليم الالكتروني.

2- تعيين مختصين في علم النفس في كافة قطاعات العمل الحكومي في العراق، وعقد الدورات التدريبية لرفع مستوى الحصانة النفسية لدى أفراد المجتمع.

3- الاستفادة من تجارب الدول المتقدمة في محاربة الفساد المالي والإداري، ونشر الوعي بين أفراد المجتمع حول الآثار السلبية للفساد المالي والإداري، والاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي حول نشر هذه الثقافة، واصدار عقوبات حازمة ضد من يقوم بالتهرب الضريبي.

4- ضرورة قيام الجهات الرقابية (دائرة ضريبة الدخل والمبيعات، وهيئة النزاهة ومكافحة الفساد، وديوان المحاسبة ، ووحدات الرقابة) بالقيام بالمزيد من الدراسات والبحوث حول أسباب التهرب الضريبي والفساد الإداري.

5- تبني مبادئ الحوكمة الضريبية وتطبيقاتها في دائرة ضريبة الدخل والمبيعات الأردنية لما له من أثر في تحسين أداء الدائرة من جميع الضرائب وبناء الثقة والشفافية بين المكلفين والدائرة مما ينعكس إيجاباً على إيرادات الدولة.

6- تعزيز الدراسات والبحوث المتعلقة بالسياحة من خلال التوسع في فتح العديد من المعاهد والكليات الجامعية المتخصصة في المجال السياحي.

7- عقد المؤتمرات العلمية المتخصصة التي تدرس مشاكل العالم العربي مثل هجرة الأدمغة، ومشاكل التنمية التي يجب أن تتم على أسس علمية سليمة، وفي ذات الوقت تحقق التقدم للعالم العربي.

8- الاستفادة من الحوكمة في إطار المؤسسات سواء في القطاع العام أو القطاع الخاص، وتدريب العاملين على كيفية تطبيقها، واجراء الدراسات التي تهتم بمبادئ ومعايير الحوكمة من أجل المساهمة في رفع مستوى أداء المؤسسات مما ينعكس إيجاباً على الحياة العامة في الدولة.

9- استثمار نتائج البحث العلمي في اللسانيات العصبية للتدريب وتطوير آليات انتاج اللغة وامتلاكها من أجل تجاوز صعوبات التعلم الشفهية والقرانة والكتابة.

10- توحيد المصطلحات التقنية والأدبية واللغوية والاستعانة بمجامع اللغة العربية من أجل تحقيق هذا الهدف.

11- تحديد مفهوم الاستغلال الجنسي بصفة عامة، والاستغلال الجنسي للنساء بصفة خاصة في قانون العقوبات العراقي، وتفعيل دور القضاء العراقي في مراقبة ما يتم تنفيذه من عقوبات سالبة للحرية داخل المؤسسات العقابية، واستقبال ما يتم التظلم منه من قبل النزلاء المودعين في مراكز التوقيف.

12- توعية المرأة بحقوقها وزرع الثقة لديها وعدم الخوف لتقوم بالإبلاغ عن جرائم العنف الأسري التي ترتكب بحقها أو بحق غيرها من النساء.

13- دراسة اتجاهات الرأي في مواقع التواصل الاجتماعي للتعرف على الرأي العام حول القضايا الحيوية المختلفة.

14- اعتماد البرامج التعليمية المعدة وفق نظرية التعلم الموقفي حيث تزيد من كفاءة العملية التعليمية وتعطي نتائج بشكل أفضل، وذلك بسبب أنها توجه التدريس نحو أهدافة وتبعده عن هدر الوقت.

15- تشكيل جداول خاصة بأسماء المحكمين المعروفين بالثقافة القانونية والكفاءة والخبرة العالية في علمهم والمعروفين بحسن السيرة والسلوك، وتكون هذه الجداول لدى اللجان المشكلة في وزارة العدل لتساعد أطراف النزاع في اختيار المحكمين ومساعدة المحكمة عندما يطلب منها اختيار محكمين.

16- تبني نظرية الذكاءات المتعددة في التعليم وبناء برامج التعليم الابتدائي مع الأخذ بعين الاعتبار مبادئ هذه النظرية وكذلك تنويع المعلّم لاستراتيجيات التدريس التي تستهدف تنمية الذكاء اللغوي.

17- الاهتمام بتدريس اللغات المتعددة مثل الفرنسية، والانجليزية، والعبرية ودراسة آدابها والاطلاع على تفاصيلها عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم "من تعلّم لغة قوم أمن مكرهم"، وقد كلّف النبي صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل أسامة بن زيد تعلّم لغة اليهود في المدينة المنورة.

18- التركيز على الاستدامة في التعليم خاصة قطاع التنمية البشرية لرفع مستوى مؤشراتها عالمياً ومحلياً والاهتمام بقطاع الخدمات الاجتماعية ومكافحة الفساد المالي والإداري.

19- Using English culture to reinforce and strengthen the political and cultural relationships among countries.

20- Change the grammar activities to avoid the boring atmosphere of grammar lessons in the classroom.

والله وفي التوفيق

لجنة إعداد البيان الختامي

البحوث المشاركة في المؤتمر

الاستغلال الجنسي للنساء
دراسة في التشريعات العراقية

أ.د.حسين عبدعلي عيسى
كلية القانون/ جامعة السليمانية
husseinissa@hotmail.com
009647702100958 .

الملخص

يعدّ الاستغلال الجنسي للنساء في ضوء الصكوك الدولية من أبرز أنواع الإتجار بالبشر بصفة عامة، والإتجار بالنساء بصفة خاصة، كما يشكل إحدى صور العنف الممارس ضدهن. وغالباً ما يتم ارتكابه من خلال الإكراه المادي أو المعنوي أو الخداع أو استغلال المنصب أو النفوذ أو ما شابه، وذلك لإجبار النساء الضحايا على القيام بأعمال جنسية من دون رضاهن.

وقد تصدى المشرع في العراق لصور من الاستغلال الجنسي للنساء في قانون العقوبات رقم (111) لعام 1969، وقانون مكافحة البغاء رقم (88) لعام 1988، وقانون مكافحة الإتجار بالبشر رقم (28) لعام 2012، وغيرها. كما تصدى له المشرع في إقليم كردستان – العراق في قانون مناهضة العنف الأسري رقم (8) لعام 2011.

ويسلط البحث الضوء على مفهوم الاستغلال الجنسي للنساء، ومواجهته على أساس المواثيق الدولية والإقليمية، ويكرس لدراسة التشريعات النافذة في العراق عامة، واقليم كردستان خاصة، ذات الصلة بالتصدي لعدد من صور هذه الجريمة وردعها.

وتوصل البحث إلى أن الاستغلال الجنسي للنساء يعدّ من الانتهاكات الجسيمة لحقوق النساء. كما أنه يشكل أبرز صور العنف ضدهن. وقد تصدت له المواثيق الدولية وكذلك التشريعات العقابية. الا أن التشريعات الجنائية في العراق المتعلقة بذلك تتضمن عدداً من الثغرات التشريعية. ومن ثم يوصى بإجراء التعديلات الضرورية في ضوء الملاحظات الواردة فيه.

الكلمات المفتاحية: الاستغلال الجنسي للنساء، قانون العقوبات، مكافحة البغاء، الإتجار بالبشر، العنف ضد النساء.

Sexualexploitation of women

A study in Iraqilegislation

Prof. Dr. Hussein A.Issa
Collage of law, University of Sulaimani
husseinissa@hotmail.com
Tel.: 00964 7702100958

Abstract
The sexualexploitation of women in light of internationalinstruments is oneof the most prominent types of human trafficking in general, andtrafficking in women in particular, and is alsoone of theforms of violencepractice dagainstthem. It is oftencommittedthroughmaterial or moralcoercion, deception, abuse of position, influence, or the like, to force femalevictimstoperformsexual acts without their consent.

The legislator in Iraq has addressedtypes of sexualexploitation of women in Penal Code No. 111 of 1969, Anti-ProstitutionLaw No. 88 of 1988, and Anti-Human TraffickingLaw No. 28 of 2012, amongothers. The legislator in theKurdistanregion - Iraq alsoaddressedit in the Anti-DomesticViolenceLaw No. (8) of 2011.

The research sheds light on the concept of sexualexploitation of women, and confrontingitbased on internationalandregionalconventions, and is devotedto study in glegislation in force in Iraq in general, and the Kurdistanregion in particular, related to addressinganddeterringsomeforms of this crime.

The research concludedthatsexualexploitation of women is a grave violation of women'srights. It alsoconstitutesthe most prominent form of violenceagainstthemand has been addressedbyinternationalcovenantsandpunitivelegislation. However, the criminallegislation in Iraq relatedtothisincludessomelegislative loopholes, whichrequirenecessaryamendments.It recommended making thenecessaryadjustments in light of thenotescontainedtherein.

key-woords:sexualexploitation of women, thepenal code, combatingprostitution, human trafficking, violenceagainstwomen

المقدمة

أولاً: مشكلة البحث:تتعرض النساء في دول العالم كافة إلى صور شتى من العنف ، مسببة لهن أضراراً بدنية ونفسية، إضافة إلى ما تخلفه من آثار اجتماعيةمتعددة. ويتجلى أبرز صور هذا العنف في الاستغلال الجنسي، الذي تعددت أشكالهووسائله، الا أنه ينحصر من حيث الأساس في الإكراه على تعاطي البغاء، وممارسة أشكال أخرى من الممارسات ذات الطبيعة الجنسية. وغالباً ما يكون النساءفي ظل ذلك ضحايا للإكراه المادي أو المعنوي، إلىجانب استخدام الجناة لوسائل أخرى، مثل الخداع أو استغلال الثقة أو السلطة أو رباط التبعية أو حالة الاستضعاف، أو ما شابه.

وقد تصدى المجتمع الدولي لظاهرة الإتجار بالنساء بصفة عامة، واستغلالهن الجنسي بصفة خاصة، وذلك بالنظر لآثارهما الجسيمة على النساء في المقام الأول. وألزمت المادة السادسة من إتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة لعام 1979 الدول الأطراف فيها بإتخاذ التدابير المناسبة، بما في ذلك التشريعية منها، لمكافحة جميع أشكال الإتجار بالنساء، واستغلال بغاء المرأة (**الإتفاقية**).وصدر بهذا الخصوص عدد من المواثيق الدولية والإقليمية، هذا إضافة إلى التشريعات الداخلية على صعيد الدول لغرض مواجهته.

كما عمل المشرع العراقي على مواجهة ظاهرة البغاء وصور الاستغلال الجنسي الأخرى للنساء، في قانون العقوبات رقم (111) لعام 1969، وقانون مكافحة البغاء رقم (88) لعام 1988، وقانون مكافحة الإتجار بالبشر رقم (28) لعام 2012، وحذا حذوه المشرع الكردستاني في قانون مناهضة العنف الأسري لإقليم كُردستان– العراق رقم (8) لعام 2011.

ولكن هل حقق المشرعان العراقي والكُردستاني بذلك غاية التصدي للاستغلال الجنسي للنساء في العراق؟ وهل تنطوي القوانين الصادرة على ثغرات تعوق تحقيقها لأهدافها؟ وهل هناك تنازع بين هذه القوانين؟ وكيف يمكن تطويرها بما يفعّل عملية التصدي للاستغلال الجنسي للنساء في المجتمع؟

ثانياً: أهمية البحث:تكتسب دراسة موضوع البحث أهمية نظرية كبيرة على صعيد الدراسات القانونية، كونها تلقي الضوء على ظاهرة إجرامية خطيرة، الا وهي الاستغلال الجنسي للنساء، كما وتوضح الموقف من الاستغلال الجنسي للأشخاص عامة، وللنساء خاصة، في المواثيق الدولية والإقليمية ذاتالصلة، وتركز على بيانجهود المشرعين العراقي والكُردستاني في التصدي لهذه الظاهرة، وذلك من خلال دراسة التشريعات ذات الصلة بمواجهة الاستغلال الجنسي للنساء على صعيدي العراق وإقليم كردستان العراق، ولا سيما قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969، وقانون مكافحة البغاء العراقي رقم (8) لعام 1988، وقانون مناهضة العنف الأسري لإقليم كُردستان رقم (8) لعام 2011، وقانون مكافحةالإتجار بالبشر العراقي رقم (28) لعام 2012. وتبرز أهمية هذا البحث على الصعيد التطبيقي في أن الاستنتاجات والتوصيات المستخلصة منه يمكن أن تعتمد في تطوير القوانين المذكورة، وبما يسهم في تعزيز الحماية الجزائية للنساء في المجتمع العراقي من الانتهاكات المرتكبة ضدهن، وخاصة الاستغلال الجنسي.

ثالثاً: أهداف البحث:من خلال بيانمشكلة البحث وأهميتها، تنحصر الأهداف الرئيسة للبحث فيما يأتي:

1) تسليط الضوء على مفهوم الاستغلال الجنسي للنساء ومواجهته في المواثيق والوثائق الدولية.
2) دراسة أحكام قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969 بخصوص التصدي للاستغلال الجنسي للمرأة.
3) تحليل قانون مكافحة البغاء العراقي رقم (8) لعام 1988 بهذا الخصوص.
4) دراسة أحكام قانون مناهضة العنف الأسري لإقليم كردستان– العراق رقم (8) لعام 2011.
5) دراسة قانون مكافحةالإتجار بالبشر العراقي رقم (28) لعام 2012.

6) طرح التوصيات اللازمة لتطوير التشريعات العراقية والكُردستانية فيما يتعلق بتعزيز دورها في التصدي للاستغلال الجنسي للنساء.

رابعاً: مناهج البحث: تعتمد الدراسةعلى عدد من مناهج البحث، إذ تستند إلى المنهج الوصفي في تسليطها الضوء على مفهوم الاستغلال الجنسي للنساء في المواثيق الدولية والإقليمية والفقه القانوني،كما تعتمد المنهج التحليلي في دراسة أحكام القوانين العراقية ذات الصلة بموضوع البحث، مع الاستناد إلى المنهج المقارن، من خلال الإشارة إلى قواعد المواثيق الدوليةوالتشريعات المقارنة، فيما يتعلق بمواجهة جريمة الاستغلال الجنسي للأشخاص بصفة عامة، وللنساء بصفة خاصة.

خامساً: خطة البحث: يقسم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة. يبيّن المبحث الأول مفهوم الاستغلال الجنسي ومواجهته في القانون الدولي، ويكرس المبحث الثانيلمواجهة الاستغلال الجنسي التقليدي للنساءفي التشريعات العراقية، ويخصص المبحث الثالثلمواجهة الاستغلال الجنسي المستحدث للنساء في التشريعات العراقية. وتشتمل خاتمة البحث على أبرز الاستنتاجات والتوصيات المتوصل إليها.

المبحث الأول

مفهوم الاستغلال الجنسي ومواجهته في القانون الدولي

أولاً: مفهوم الاستغلال الجنسي: يعد الاستغلال الجنسي من الصور الحديثة والمعاصرة للعبودية والاسترقاق، التي تنتهك حقوق الانسان وحرياته الأساسية، ويشكل أكثر صورها انتشاراً على المستوى العالمي، وذلك بالنظر لما يحققه من أرباح، مما أدى إلى استبدال تجارة السلاح والمخدرات بممارسة الاستغلال الجنسي، كونه أقل خطورة وعقوبة مقارنة بهما، مع وجود ضمان استمرارية الأرباح الناتجة عنه(علوان، 2015، ص 39).

وعلى الصعيد التشريعي تعاقب القوانين العقابية لعدد من الدول على جريمة الاستغلال الجنسي، ومنها:الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا والدنمارك وهولندا وبولندا والسويد واليابان،وقبرص، وغيرها. كما يتضمن عدد من هذه القوانين تعريفاً للاستغلال الجنسي، ومن ذلك نصت مجموعة قوانين الولايات المتحدة الأمريكية في الفصل (18) الخاص بـ (الجرائم والإجراءات الجنائية) في الباب (110) المعنون (الاستغلال الجنسي والإساءات الأخرى إزاء الأطفال)، وفي المادة (2251) على تعريف الاستغلال الجنسي للأطفال بأنه أي إعتداء جنسي يرتكب بوساطة العنف أو الإكراه أو التهديد أو الخداع(مجموعة القوانين).

كما تضمن قانون العقوبات الهولندي لعام 1881 تعريفاً للاستغلال عموماً في نص المادة (273) الخاصة بالعقاب عن جريمة الإتجاربالأشخاص بأن "الاستغلال يتضمن، بحد أدنى، الاستغلال في الدعارة، وأي شكل آخر من الاستغلال الجنسي، والإجبار على العمل القسري أو الخدمة القسرية، ولاسيما التسول أو الرق، أو بأية صورة مماثلة للرق، والخدمة،والاستغلال في الأنشطة الإجرامية"(قانون العقوبات الهولندي، 1881).

ويعاقب على الاستغلال الجنسي قانون مكافحة الإتجار بالأشخاص والاستغلال الجنسي للأطفال القبرصي رقم 3 (1) لعام 2000، وبموجبه يحظرالاستغلال الجنسي للأشخاص البالغين من أجل الحصول على الربح في حالة ارتكابهبصورة قسرية باستخدام القوة أو التهديد أو الخداعأو بوساطة استغلال السلطة أو تحت الضغط بأية صورة أخرى. كما يحظر الإتجار بالأشخاص البالغين بنية الاستغلال الجنسي في ظل توافر الظروف المذكورة سابقاً من أجل الحصول على الربح. وبموجبه يحظر أيضاً الاستغلال الجنسي للأطفال أو التعامل القاسي معهم، والإتجار بهم بنية استغلالهم جنسياً أو التعامل القاسي معهم(القانون القبرصي، 2000).

وفي نطاق القواعد المنظمة لتطبيق أحكام المادة (127-1) من قانون العقوبات الروسي لعام 1996، المتعلقة بجريمة الإتجار بالأشخاص، تنص القاعدة الثانية منها على مفهوم الاستغلال بنصها:"الاستغلال في هذه المادة العقابية هو استغلال شخص آخر خلافاً لإرادته في البغاء أو أشكال الاستغلال الجنسي الأخرى، وكذلك في عبودية العمل (الخدمة)"(**قانون العقوبات الروسي، 1996**).

كما تنص المادة (3) من القانون الأنموذجي بشأن مواجهة الإتجار بالأشخاص الصادر عن رابطة الدول المستقلة في 3 أبريل 2008،على أن "الاستغلال الجنسي للإنسان هو الحصول على منفعة مالية او أية منفعة أخرى بوساطة إجبار شخص آخر، بما في ذلك عن طريق استغلال حالة الاستضعاف، لممارسة خدمات ذات طبيعة جنسية أو لارتكاب أية أفعال أخرى ذات طبيعة جنسية، ومنها استخدامه في ممارسة البغاء، أو تقديم العروض ذات الطبيعة الجنسية، أو صنع المواد والأشياء الإباحية أو استخدامه أو إبقاؤه في حالة العبودية الجنسية"(**القانون الأنموذجي، 2008**).

وتوجد على الصعيد الفقهي كثير من التعريفات للاستغلال الجنسي، إذ يُعرف بأنه "أي استغلال لموقف ضعف، أو لفروق السلطة أوالثقة، بغية تحقيق أغراض جنسية، بما يشمل الاستفادة المالية أو الاجتماعية أو السياسية المتحصل عليهانتيجة استغلال شخص آخر"(**يوسف، 2014، ص 25**).كما أن هناك من يعرفه بأنه "أي استغلال فعلي أو شروع في استغلال لحالة ضعف أو تفاوت في النفوذ أو ثقة من أجل تحقيق مآرب جنسية، بما في ذلك،على سبيل المثال لا الحصر، تحقيق مكسب مالي أو اجتماعي أو سياسي من الاستغلال الجنسي لطرف آخر"(**مجيد، 2017، ص 240**).

ويعرفه س.ب. شاماكوف بأنه "استغلال صفات الإنسان الفردية في تلبية حاجات ما بوساطة الإكراه المفضي إلى انتهاك حقوقه"(**شاماكوف، 2003**).وفي رأي الباحثين أ.ك. بكرياشوف، و إ.ب. بيلازوروف أنه "ممارسة في ظلها يحصل شخص محدد على إشباع رغبته الجنسية،وعلى منفعة مالية أو تحسناً مالياً عن طريق استخدام أو استغلال بغاء شخص آخر بانتهاك حقوق الإنسان، مثل الحق في الكرامة والمساواة والاستقلالية والصحة البدنية والنفسية(**بكرياشوف، بيلازوروف**). ويرى م. يو. بورياكوف، ول.د. إيبوخينا بأنه "العنف الجنسي الممارس ضد كرامة الإنسان والمساواة والسلامة العقلية والبدنية، وتطبيقاته، التي في مسارها يفرض بعض الأفراد (لاسيما الرجال) سلطتهم وأفضليتهم على الأفراد الآخرين (النساء خاصة)، بهدف إشباع الرغبات الجنسية والحصول على المنفعةالمالية أو أية منافع أخرى"(**بورياك، إيبوخينا، 2003، ص 201**). في حين تعرفه غ.ت. بوجوليا بأنه "إساءة استعمال أو محاولة إساءة استعمال حالة استضعافالضحية، أو السلطة أو الثقة لمآرب جنسية، وكذلك الحصول على المنافع بوساطة إكراه شخص آخر على تقديم خدمات ذات طبيعة جنسية أو لارتكاب أية أفعال جنسية، وبضمنها ممارسة الدعارة"(**بوجوليا، 2016، ص 166**). ويعرفه م.يو. بورياك بأنه "استخدام الصفات الجنسية للإنسان، الممارس من أجل تلبية الحاجات الجنسية والسايكولوجية والحصول على المنفعة المالية أو أية منفعة أخرى"(**بورياك، 2005، ص 6**).

ومما تقدم يتبيّن عدم الإتفاق بين الباحثين على تعريف موحد لمفهوم الاستغلال الجنسي، وكذلك عدم الاعتماد في تعريفاتهم على عناصر أومعايير موحدة، الا أن تعريفاتهم تتمحور عموماً حول عدد من الخصائص التي تميزه عن غيره من صور الإتجار بالأشخاص، وعلى رأسها: أن الاستغلال الجنسي يعد صورة من صور الإتجار بالأشخاص الذي يتصف بطبيعة جنسية، وذلك من خلال استخدام الصفات الجنسية للضحايا، وهو يتمثل في ارتكاب أنشطة ذات طبيعة جنسية،من قبيل البغاء أو الأنشطة الإباحية المختلفة، كما أنه من صور العنف الجنسي الذي يتحقق بوساطة الإكراه المادي أو المعنوي أو باستغلال حالة

استضعاف الضحايا أو استغلال السلطة أو الثقة أو التبعية، وهو يرتكب بنية تلبية مآرب جنسية أو لتحقيق منفعة مالية أو أية منافع أخرى للجاني أو لغيره.

وفي ضوء ما تقدم يمكن تعريف الاستغلال الجنسي بأنه (إتجار بالأشخاص، يتصف بطبيعة جنسية، وينطوي على استغلالهم في البغاء أو أية أنشطة أخرى ذات طبيعة جنسية، بوساطة الإكراه المادي أو المعنوي أو باستغلال حالة استضعاف الضحايا أو استغلال السلطة أو الثقة أو التبعية، وذلك بنية تلبية مآرب جنسية أو لتحقيق منفعة مالية أو أية منافع أخرى للجاني أو لغيره).

إضافة إلى هذا، يتحقق الاستغلال الجنسي إذا إنطوى السلوك الإجرامي للجاني على استخدام المجنى عليه ذكراً كان أو أنثى في إشباع الشهوات الجنسية للغير مقابل مبالغ مالية يحصل عليها، ويستوي في ذلك تخصيص جزء منه للمجنى عليه أو عدم تخصيصه، ويتصور استخدام النساء فيالبغاء، واستخدام الأطفال ذكوراً وإناثاً جنسياً في أمور جنسية(القوراري، 2009، ص212-213).

ثانياً: مواجهة الاستغلال الجنسي في القانون الدولي :تصدت منظمة الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية لجريمة الاستغلال الجنسي، وتكللت جهودها بوضع منظومة من الصكوك والوثائق، التي تحظر الاستغلال الجنسي للأشخاص عموماً، وتحدد الآليات المعتمدة في التصدي له، ومن أبرزها:

(أ)إتفاقية حظر الإتجار بالأشخاص واستغلال دعارة الغير لعام 1949:على وفق المادة الأولى من هذه الإتفاقية تتفق الدول الأطراف على عقاب أي شخص يقوم، إرضاءً لأهواء شخص آخر "بقوادة شخص آخر أو غوايته أو تضليله، على قصد الدعارة، حتى برضاء هذا الشخص، أو باستغلال دعارة شخص آخر، حتى برضاء هذا الشخص". وبموجب المادتين (2) و(4/هـ) من هذه الإتفاقية تلتزم الدول الأطراف بمكافحة الدعارة من خلال العمل على تجريم الدعارة والقوادة وتمويلهما، والعقاب عن إمتلاك أو إدارة أو تأجير أو استئجار مكان لاستغلال دعارة الغير، وتمويل ذلك أو المشاركة في التمويل عن علم، مع تحميل المسؤولية الجزائية عن الأعمال التحضيرية والمساهمة الجزائية عن ذلك (الإتفاقية، 1949).

كما تتعهد الدول الأطراف بموجب الإتفاقية "بإتخاذ التدابير اللازمة لممارسة الرقابة على مكاتب الاستخدام بغية تفادي تعرض الأشخاص الباحثين عن عمل، ولا سيما النساء والأطفال، لخطر الدعارة (المادة 20). وقضت الإتفاقية بأن تتخذ الدول الأطراف، من خلال أجهزتها المختلفة، التدابير لتفادي الدعارة وإعادة تأهيل ضحاياها وضحايا الجرائم التي تناولتها الإتفاقية وإعادتهم إلى مكانهم في المجتمع (المادة 16)، وكذلك أن تتخذ التدابير الكفيلة بمكافحة الإتجار بالأشخاص بين الجنسين لأغراض الدعارة في أوساط المهاجرين (المادتان 17، 18). كما تتعهد هذه الدول بموجبالمادة (19)بالتعامل المناسب مع ضحايا الإتجار الدولي بدعارة الغير، من خلال إعالتهم بشكل مؤقت وتسهيل إعادتهم إلى أوطانهم (الإتفاقية، 1949).

ويلاحظ أن مضمون هذه الإتفاقية لا يتفق تماماً مع عنوانها، فهي تتعلق، من حيث عنوانها، بمكافحة الإتجار بالأشخاص واستغلال دعارة الغير، في حين أن مضمونها يتركز على طرح عدد من التوصيات الخاصة بمكافحة استغلال الغير في الدعارة. وعلى الرغم من أن الإتفاقية في فاتحة ديباجتها تشير إلى أن الإتجار بالأشخاص لغرض الدعارة يعد (آفة)، الا أنها لا تتضمن أي أحكام بالعقاب علىالإتجار بالنساء لغرض الدعارة، كما أن الإتفاقية جعلت الدعارة من صور الإتجار بالأشخاص من دون التأكيد على الطبيعة القسرية لذلك، مما يتعارض مع المفهوم المعاصر للإتجار بالأشخاص.

إضافة إلى هذا، لا تتضمن الإتفاقية أية تعريفات للمصطلحات الواردة فيها، ومنها: الإتجار بالأشخاص أو الدعارة، أو بيان صور الإتجارالأخرى بالأشخاص ، كما أنها تعدّ السمسرة (القوادة) صورة مستقلة عن (استغلال دعارة الغير)، وتفتقر

أحكامها إلى الدقة لدى استخدام مصطلحي (الإتجار بالأشخاص) و (الدعارة) كما تقدم ذكره، مما يستبعد النظر إلى هذه الإتفاقية بوصفها إستراتيجية عمل دولية لمواجهة الاستغلال الجنسي على وجه العموم.

(ب)إعلان وبرنامج عمل ستوكهولم (27-31 أغسطس 1996): تحت رعاية منظمة الأمم المتحدة، شهدت العاصمة السويدية(ستوكهولم) عام 1996، انعقاد المؤتمر الأول لمناهضة الاستغلال الجنسيالتجاري للأطفال، بوصفه إحدى صور العنف ضد الأطفال. وعلى وفق الإعلان الصادر عنه يعدّ الاستغلال الجنسي للأطفال انتهاكاً جسيماً لحقوق الطفل. ويتضمن الاستغلال الجنسي بموجبه العنف الجنسي واستغلال الأشخاص البالغين جنسياً للأطفال، لقاء مقابل نقدي أو عيني. كما وصفه بأنه صورة من صور الإكراه والعنف الممارس ضد الأطفال وهو يقارن بالإكراه على العمل والعبودية المعاصرة. كما حدد الإعلان صور الاستغلال الجنسي للأطفال بأنها: الدعارة، والمواد الإباحية، والتجارة لأغراض جنسية(**إعلان وبرنامج عمل ستوكهولم، 1996**).

(ت)البروتوكول الاختياري لإتفاقية حقوق الطفل بشأن بيع الأطفال واستغلال الأطفال في البغاء والمواد الإباحية لعام 2000: على وفق المادة الأولى من البروتوكول "تحظر الدول الأطراف بيع الأطفال واستغلالهم في البغاء وفي المواد الإباحية". وقضت المادة الثالثة في فقرتها الرابعة منه بأن تكفل تجريمهما والعقاب عنهما في قوانينها العقابية، سواءً أكانت هذه الجرائم ترتكب محلياً أو دولياً، أمأكانت على أساس فردي أو منظم، مع إتخاذ "كل دولة طرف التدابير اللازمة التي تجعل هذه الجرائم موجبة للعقوبات المناسبة والتي تضع في الاعتبار خطورة طابعها" (**البروتوكول الاختياري لإتفاقية حقوق الطفل، 2000**).

وقد قسم هذا البروتوكول الاستغلال الجنسي إلى صورتين، إحداهما استغلال الأطفال في البغاء، وعرفه بأنه "استخدام طفل لغرض أنشطة جنسية لقاء مكافأة أو أي شكل من أشكال العوض" (المادة الثانية فقرة ب)، وثانيتهما استغلال الأطفال في المواد الإباحية، وعرفه بأنه: "تصوير أي طفل، بأي وسيلة كانت، يمارس ممارسة حقيقية أو بالمحاكاة أنشطة جنسية صريحة أو أي تصوير للأعضاء الجنسية للطفل لإشباع الرغبة الجنسية أساساً" (المادة الثانية فقرة ج).

ويلاحظ أن البروتوكول، جاء مماثلاًلإتفاقية حظر الإتجار بالأشخاص واستغلال دعارة الغير لعام 1949 في عدّه الاستغلال الجنسي إحدى صور الإتجار بالأشخاص، هذا على الرغم من أن الاستغلال الجنسي يعدّ اعتداءً جسيماً يتصف باستقلاليته وذاتيته، كما يتصف بشموليته وتعدد جوانبه،ويمكن أن ينطبق على (التحريض على البغاء، تنظيم ممارسة البغاء، الحصول على الخدمات الجنسية المختلفة للأطفال، وغيرها)، ولا يتوجب من ثم ربطه بالإتجار بالأشخاصبوصفه من صوره. الا أن الإتجاربالأشخاص بالمقابل قد يستهدف تحقيق أهداف متنوعة، ومنها الاستغلال الجنسي. وإلى ذلك أشار تقرير السيدة أوفيليا كالسيتاس-سانتوس المقررة الخاصة للجنة حقوق الإنسان بخصوص (بيع الأطفال واستغلالهم في البغاء وفي انتاج المواد الإباحية) بأنه "يجب التفريق بين البيع لأغراض البغاء من جهة، وفعل البغاء بحد ذاته، أو فعل الاستجلاب أو السمسرة، من جهة ثانية"، فكلاهما لا يندرجان ضمن مفهوم البيع (الفقرة 44).

(ث)البروتوكول الإضافي لإتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية لمنع وقمع ومعاقبة الإتجار بالأشخاص، وبخاصة النساء والأطفال لعام 2000:يعدّ هذا البروتوكول الوثيقة الدولية الأولى والأبرز التي أثارت الانتباه إلى مسألة التصدي لاستغلال النساء والأطفال لأغراض جنسية (المادة 9). وقد حددت المادة الثالثة فقرة (أ)منه مفهوم الإتجار بالأشخاص بأنه:"تجنيد أشخاص أو نقلهم أو تنقيلهم أو إيواؤهم أو استقبالهم بواسطة التهديد بالقوة أو استعمالها أو غير ذلك من أشكال القسر أو الاختطاف أو الاحتيال أو الخداع أو استغلال السلطة أو استغلال حالة استضعاف، أو بإعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو مزايا لنيل موافقة شخص له سيطرة على شخص آخر لغرض الاستغلال. ويشمل الاستغلال، كحد أدنى، استغلال دعارة الغير أو

سائر أشكال الاستغلال الجنسي، أو السخرة أو الخدمة قسراً، أو الاسترقاق أو الممارسات الشبيهة بالرق، أو الاستعباد أو نزع الأعضاء" (البروتوكول الإضافي، 2000).

ويلاحظ أن الاستغلال الجنسي في هذا التعريف يعد غرضاً للإتجار بالأشخاص، كما أنه تضمن وصف استغلال دعارة الغير بأنه من صور الاستغلال الجنسي للنساء والأطفال. وعلى وفق الفقرة (ب) من المادة الثالثة من البروتوكول لا يعتد بموافقة ضحايا الإتجار بالأشخاص على الاستغلال الوارد ذكره في الفقرة (أ) من المادة نفسها، ولا يكون محل اعتبار في الحالات المتضمنة استخدام أي من الوسائل المذكورة (التهديد بالقوة أو استعمالها أو غير ذلك).

كما عدّت الفقرة (ج) من المادة نفسها "تجنيد طفل أو نقله أو تنقيله أو إيواؤه أو استقباله لغرض الاستغلال (إتجاراً بالأشخاص)، حتى إذا لم ينطوِ على استعمال أي من هذه الوسائل، وذلك لعدم الاعتداد برضا (الطفل)، الذي عرفته الفقرة (د) من المادة ذاتها بأنه "أي شخص دون الثامنة عشرة من العمر".

وعلىالرغم من إحتواء البروتوكول على مصطلحات من قبيل (البغاء)، و(استغلال دعارة الغير)، و(الاستغلال الجنسي) الا أنه لا يتضمن تعريفات لها، وربما يعود السبب في ذلك إلى الاختلاف في النظرة إليها في النظم القانونية المختلفة، فما يعدّ في دولة بغاءً قد لا يعدّ كذلك في دولة أخرى.

إن البروتوكول في نطاق تحديده لصور الاستغلال يعتمد عبارة (كحد أدنى)، ثم يشير إلى "استغلال دعارة الغير أو سائر أشكال الاستغلال الجنسي، أو السخرة أو الخدمة قسراً، أو الاسترقاق أو الممارسات الشبيهة بالرق، أو الاستعباد أو نزع الأعضاء"، مما يعني أن صور الاستغلال المذكورة أُدرجت فيه على سبيل المثال لا الحصر. وفي الوقت نفسه، لا يفهم منه ما المقصود بـ "سائر أشكال الاستغلال الجنسي" إلى جانب استغلال دعارة الغير؟ إذ أنه لا يحددها، وبخلاف ذلك، يلاحظ أن عدداً منالوثائق الدولية التي لا تمت بصلة مباشرة لموضوع الاستغلال الجنسي للنساء والأطفال تضمنت توضيحاً لصوره (أشكاله)، ومن ذلك على سبيل المثال: النظام الأساس للمحكمة الجنائية الدولية، إذ نصت المادة السابعة، فقرة (1- ز) منه على أشكال الاستغلال الجنسي بأنها:"الاغتصاب أو الاستعباد الجنسي أو الإكراه على البغاء، أو الحمل القسري، أو التعقيم القسري أو أي شكل آخر من أشكال العنف الجنسي على مثل هذه الدرجة من الخطورة"(النظام الأساس للمحكمة الجنائية الدولية)، كما ورد النص على صور الاستغلال الجنسي للأطفال في إتفاقية حقوق الطفل لعام 1989في المادة (34) منها. وعلى الرغم من أن هذه المادة لم تنص على صور الاستغلال الجنسي للأطفال كافة، الا أنها أشارت إلى عدد منها، وهي: أي نشاط جنسي غير مشروع، والاستخدام الاستغلالي للأطفال في الدعارة أو غيرها من الممارسات الجنسية غير المشروعة، والاستخدام الاستغلالي للأطفال في العروض والمواد الداعرة(إتفاقية حقوق الطفل، 1989). وحددت لجنة حقوق الطفل في تقريرها (حق الطفل في التحرر من جميع أشكال العنف) الصادر في 18 أبريل 2011 صور الاعتداء الجنسي والاستغلال الجنسي للأطفال بأنها :"كافة أشكال العنف أو الضرر أو الإساءة البدنية أو العقلية، والإهمال أو المعاملة المنطوية على إهمال، وإساءة المعاملة أو الاستغلال، بما في ذلك الإساءة الجنسية" (التعليق العام، لجنة حقوق الطفل، 2011).

كما حدد قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في 18 ديسمبر 2019 في نطاق مكافحة الاستغلال الجنسي للأطفال وانتهاكهم جنسياً على الأنترنيت، صور الاستغلال الجنسي، إذ أشار إلى عدد منها على سبيل المثال: الجرائم المرتكبة بالاتصال المباشر أو غير المباشر، الجرائم المرتكبة بالأنترنيت، والإتجار بالأطفال لغرض استغلالهم جنسياً، واستمالتهم لأغراض جنسية، واستخدام المواد التي تصور الاعتداءات الجنسية في الابتزاز أو سلب المال بالتهديد وإنتاج مواد تسجل اعتداءات جنسية

على الأطفال واحتيازها وتوزيعها وإتاحتها وبيعها ونسخها وحيازتها والنفاذ إليها والبث الألكتروني المباشر لمثل هذه الاعتداءات(قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ،2019، ص 2)

وعلى الرغم من أن الأمثلة المضروبة في هذه الوثائق الدولية تتعلق في الغالب بالأطفال على وجه التحديد، الا أن مصطلح الأطفال من البديهي أن ينطبق كذلك على الإناث، اللواتي لم يبلغن سن الثامنة عشرة من العمر، كما أن أشكال الاستغلال الجنسي للأطفال يمكن أن تنطبق على الرجال وعلى النساء أيضاً.

(ج)إتفاقية مجلس أوربا الخاصة بحماية الأطفال من الاستغلال الجنسي والإساءة الجنسية الصادرة في 25 أكتوبر 2007: على الرغم من أن هذه الإتفاقية تختص بالاستغلال الجنسي، كما هو وارد في عنوانها، الا أنها لا تتضمن تعريفاً له، لكنها بيّنت عدداً من صوره، وهي: الإساءة الجنسية، الصور الإباحية، ومشاركة الأطفال في العروض الإباحية، وإغواء الأطفال، والتحرش بالأطفال لأغراض جنسية (المواد 18، 20-23). كما نصت المادة (19) منها على الجرائم المرتبطة ببغاء الأطفال، وهي تتمثل في تجنيد الأطفال للبغاء أو تحريضهم على ذلك، وإكراه الأطفال على ممارسة البغاء أو للحصول على فوائد من ذلك أو أي شكل من أشكال استغلال الأطفال لتحقيق ذلك، وكذلك الحصول على خدمات بغاء الأطفال. وعلى وفق هذه المادة يعرف بغاء الأطفال بأنه استخدام الأطفال في النشاط الجنسي مقابل مكافأة أو وعد بذلك او أي مقابل آخر، سواءً أكان للطفل نفسه أم لغيره (إتفاقية مجلس أوربا، 2007).

(ح)استراتيجية الأمم المتحدة لمساعدة ودعم ضحايا الاستغلال والانتهاك الجنسيين من جانب موظفي الأمم المتحدة والأفراد المرتبطين بها، التي أقرتها جمعيتها العامة في 21 ديسمبر 2007: على وفق هذه الوثيقة يعرف الانتهاك الجنسي بأنه "التعدي البدني ذو الطابع الجنسي، بالفعل أو التهديد، سواءً باستعمال القوة أو في ظل ظروف غير متكافئة أو قسرية". ويعرف الاستغلال الجنسي بأنه:"كل استغلال فعلي أو محاولة استغلال لحالة ضعف أو لتفاوت في النفوذ أو للثقة من أجل تحقيق مآرب جنسية، بما في ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، تحقيق كسب مالي أو اجتماعي أو سياسي من الاستغلال الجنسي لطرف آخر". كما تضمنت الوثيقة تعريفاً لضحايا الاستغلال الجنسي بأنهم "الأشخاص الذين تثبت ادعاءاتهم أنهم تعرضوا للاستغلال الجنسي أو الانتهاك الجنسي من جانب موظفي الأمم المتحدة أو الأفراد المرتبطين بها، وذلك عن طريق إجراء إداري تتخذه الأمم المتحدة أو إجراءات تتخذها الدول الأعضاء، حسب الاقتضاء" (البند 5)(استراتيجية الأمم المتحدة، 2007).

وقد استند تعريفا الانتهاك الجنسي والاستغلال الجنسي في هذه الوثيقة إلى نشرة السكرتير العام للأمم المتحدة الصادرة في 9 أكتوبر 2003 تحت عنوان (تدابير خاصة للحماية من الاستغلال الجنسي والانتهاك الجنسي)، وقد نقلا حرفيا من الفرع الأول منها. وقد قضت هذه النشرة بحظرهما كونهما يشكلان "انتهاكاً للقواعد والمعايير القانونية الدولية المعترف بها عالمياً"، كما أنهما يمثلان "أشكالاً خطيرة من سوء السلوك"، وعلى وفقها "تحظر ممارسة أي نشاط جنسي مع الأطفال بغض النظر عن سن الرشد أو سن الرضا المقررة محلياً، ولا يعتد بالتعلل بإساءة تقدير عمر الطفل"، وبموجبها "تحظر مبادلة الجنس بالمال أو العمل أو السلع أو الخدمات، بما في ذلك طلب خدمات جنسية أو غير ذلك من أشكال السلوك المهين أو المحط للكرامة أو المنطوي على الاستغلال، ويشمل ذلك أي مبادلة بمساعدات واجبة لمستحقيها" (الفرع الثالث، 3-2)(نشرة السكرتير العام للأمم المتحدة، 2003).

ويستخلص مما تقدم أن المجتمع الدولي أولى مواجهة الاستغلال الجنسي للنساء أهمية كبيرة من خلال إصدار عدد كبير من المواثيق الدولية والإقليمية التي تضمنت التعريف به، وبصوره، وإلزام الدول الأطراف فيها بإتخاذ التدابير الملاءمة للتصدي له، بما في ذلك تجريمه والعقاب عليه في التشريعات الوطنية.

المبحث الثاني

مواجهة الاستغلال الجنسي التقليدي للنساء في التشريعات العراقية

نظراً لخطورة الإتجار بالنساء والأطفال على وجه العموم ولأضراره الاجتماعية المتعددة، ولغرض التصدي له، فقد حظر الدستور العراقي لعام 2005 في المادة (37) فقرة 3 منه:"...الإتجار بالنساء والأطفال وتجارة الجنس"(**دستور جمهورية العراق، 2005**).وقد تصدى المشرع في العراقلجريمة الاستغلال الجنسي التقليدي للنساء في عدد من القوانين، وعلى الوجه الآتي:

أولاً: قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969:يعاقب هذه القانون على جريمة (التحريض على الفسق والفجور) في نص المادة (399) منه، التي تنص على أن "يعاقب بالحبس كل من حرض ذكراً أو أنثى لم يبلغ عمر أحدهما ثماني عشرة سنة كاملة على الفجور أو إتخاذ الفسق حرفة أو سهل سبيل ذلك.

وإذا كان الجاني ممن نُص عليه في الفقرة (2) في المادة (393) أو قصد الربح من فعله أو تقاضى أجراً عليه فيعاقب بالسجن مدة لا تزيد على عشر سنوات أو بالحبس"(**قانون العقوبات العراقي، 1969**).

فاستناداً إلى الشق الأول من هذه المادة العقابية يتحقق الركن المادي للجريمة بارتكاب أحد فعلين، أولهما التحريض على الفجور أو إتخاذ الفسق حرفة، وثانيهما تسهيل سبيل ذلك.

ويعني التحريض "خلق فكرة الجريمة لدى شخص ثم تدعيمها كي تتحول إلى تصميم على ارتكاب الجريمة"، بمعنى أن نشاط المحرض ذو طبيعة نفسية، فهو يتجه إلى نفسية الإنسان كي يؤثر فيه فيدفعه إلى الجريمة(**حسني، 1962، ص 501**). كما يعرف التحريض بأنه "خلق فكرة الجريمة لدى شخص والإلحاح عليها كي تتحول إلى تصميم على ارتكابها، ومن ثم ارتكابها فعلاً"(**ثروت، 1999، ص 322**).

أما التحريض على الفسق والفجور فيعرف بأنه التأثير في نفس من يوجه إليه وإقناعه بارتكاب أفعال الفسق والفجور، بحيث لا يجد أمامه مفراً من ذلك، فيذعن لإرادة من حرضه، ويسير في ركابه(**الذهبي، 2006، ص 256، البغال، 1973، ص 302**).

ويمكن أن يقع التحريض على الفسق والفجور عن طريق الأقوال، مشافهة أو باستخدام وسائل الإتصال المعاصرة، مثل الهاتف، أو عن طريق الأفعال، بعرض صور إباحية على الضحية أو اصطحابها إلى أماكن الدعارة أو ما شابه، أو عن طريق الإشارات، التي تعني دعوة الضحية لارتكاب الفسق أو الفجور(**سلمان، 2018، ص 273**).

والتحريض في هذه الجريمة يعد استثناءً من القاعدة العامة المرتبطة بالمساهمة الجزائية المنصوص عليها في المادة (48) فقرة (1) من قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969، التي تنص على أن يعد شريكاً في الجريمة "من حرض على ارتكابها فوقعت بناءً على هذا التحريض"، فالتحريض على وفق المادة (399) من القانون يخالف هذه القاعدة إذ لا يشترط لتحققه وقوع الجريمة، بمعنى أنه يعدّ كافياً لتحميل المسؤولية الجزائية، فهو يشكل جريمة تامة قائمة بذاتها حال ارتكابه.

أما بالنسبة لتسهيل سبيل الفسق أو الفجور، فعلى الرغم من أن هذه الجريمة وردت تحت عنوان (التحريض على الفسق والفجور)، فأن (تسهيل) سبيل الفسق أو الفجور لا يعد تحريضاً، بل هو من قبيل المساعدة، التي يقدمها الجاني قبل الشروع بالفسق أو الفجور، إذ أن المساعدة في ارتكاب الجريمة على وفق المادة (48) فقرة (3) من قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969 يمكن أن تتحقق بإعطاء الفاعل سلاحاً أو آلات أو أي شيء آخر مما استعمل في ارتكاب الجريمة مع علمه بها أو تقديم المساعدة له"عمداً بأية طريقة أخرى في الأعمال المجهزة أو المسهلة أو المتممة لارتكابها". ومن ثم فأن المساعدة في ارتكاب

الفسق والفجور في المادة (399) من القانون، مثلها مثل التحريض عليهما، إذ تعدّ جريمة قائمة بحد ذاتها، كما تعدّتامة كذلك بصرف النظر عن سلوك الضحية اللاحق، فتسهيل الجاني سبيل الفسق أو الفجور من دون أن تمارسهما، تحقق الجريمة ويتوجب أن يساءل الجاني عنه على وفق هذه المادة العقابية.

وتطبق المادة (399) من القانون في حالة كون المجنى عليه، ذكراً كان أم أنثى، لم يبلغ بعد سن الثامنة عشرة من العمر، مما يعني عدم إمكانية تطبيقها على النساء اللواتي تجاوزن هذه السن. إذ أن هذه المادة العقابية خاصة بتحريض الأطفال (وهم الأشخاص غير البالغين لسن الثامنة عشرة سنة) على الفسق أو الفجور، أو تسهيل سبيل ذلك.

إضافة إلى هذا، اشترطت المادة (399) من قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969 أن يكون التحريض أو المساعدة من أجل تحقيق غرض يتمثل في أن يمارس الذكر أو الأنثى الفسق او الفجور على سبيل الاعتياد، وذلك بإتخاذ الفسق أو الفجور حرفة يتكسبان منهما. ومن ثم فأن التحريض أو المساعدة اللذين يستهدفان الفسق أو الفجور لمرة واحدة على سبيل المثال أو تكرار هذا، لا يمكن أن يحققا الركن المادي لهذه الجريمة، إذ أن الاعتياد يعني (الاحتراف) الذي يقصد به التكسب من الفسق أو الفجور على سبيل الانتظام، أما بصورة كاملة أو جزئية، وبما يجعل الذكر أو الأنثى يعتمدان عليهما في معيشتهما(**مالكوف، تارخانوف، 1985، ص 39-46**).

واستناداً إلى الصياغة التشريعية للأنموذج القانوني لهذه الجريمة فهي تعدّ من الجرائم العمدية، إذ يفترض تحقق العلم والإرادة في كل من التحريض على ارتكاب الجريمة (إتخاذ البغاء حرفة) وكذلك في المساعدة في ذلك، ، ومن ثم لا يمكن تحققهما في ظل الخطأ غير العمدي (**سلمان، 2018، ص 373-375**).

ويشدد القانون العقوبة على هذه الجريمة في حالة توافر صفة خاصة لدى الجاني، وذلك إذا كان "من أقارب المجنى عليه إلى الدرجة الثالثة أو كان من المتولين تربيته أو ملاحظته أو ممن له سلطة عليه أو كان خادماً عنده أو عند أحد ممن سبق ذكرهم (المادة 393 فقرة 2- ب).

كما يشدد القانون العقاب على هذه الجريمة إذا كان الجاني (قصد الربح من فعله أو تقاضى أجراً عليه)، ففي الحالة الأولى يستهدف الجاني تحقيق غرض التربح من فعله، وفي الحالة الثانية يتوفر الباعث على ارتكاب الجريمة كونه سبق أن تلقى مقابلاً عنه. وفي هاتين الحالتين يتحقق القصد الخاص، الذي يتطلب إتجاه إرادة الجاني إلى تحقيق غرض أو باعث خاص يوجه لنتيجة معينة يريد الجاني تحقيقها دون غيرها(**سرور، 1996، ص 285-286**). ويعد القصد الخاص في الحالتين المذكورتين ضرورياً لتكييف هذه الجريمة، وله أهميته في تشديد العقاب عنها.

ثانياً: قانون مكافحة البغاء العراقي رقم (8) لعام 1988:يُعرف البغاء بأنه "استخدام الجسم إرضاءً لشهوات الغير مباشرة، مقابل أجر أو بدون مقابل"(**الجابري، 2011، ص 17-18**). ويعد البغاء أبرز صور الاستغلال الجنسي، ومن أكثرها انتشاراً على صعيد دول العالم، وذلك بالنظر لما يحققه من أرباح كبيرة، وهو يشمل بضحاياه الإناث والذكور على حد سواء، ويعدّ بغاء الأطفال من أبشع صور الاستغلال الجنسي للأطفال(**ناشد، 2008، ص 19-20**).

ويعاقب المشرع في العراق على هذه الصورة من الاستغلال الجنسي على وفق قانون مكافحة البغاء رقم (8) لعام 1988.وبموجب المادة الأولى منهيُعرف البغاء بأنه "تعاطي الزنا أو اللواطة بأجر مع أكثر من شخص واحد". واستناداً إلى المادة الثانية منه يعدّ البغاء والسمسرة محظورين(**قانون مكافحة البغاء، 1988**).

وتعاقب المادة الثالثة منه بالسجن مدة لا تزيد على سبع سنوات كل سمسار أو من شاركه أو عاونه في فعل السمسرة، وكذلك كل مستغل أو مدير محل عام أو أي محل آخر يُسمحُ بدخول الجمهور فيه استخدم أشخاصاً يمارسون البغاء لغرض

استغلالهم في التشويق لمحله. كما عاقبت المادة نفسها من يملك أو يدير منزلاً أو غرفاً أو فندقاً سمح للغير بتعاطي البغاء فيه أو سهل أو ساعد على ذلك.ومن ثم يعاقب على وفق هذه المادة على ثلاث صور للاستغلال الجنسي للأشخاص، وهي:

(أ) السمسرة التي حددتها المادة الأولى من القانون بأنها " ... الوساطة بين شخصين بقصد تسهيل فعل البغاء بأية طريقة كانت، ويشمل ذلك التحريض ولو بموافقة أحد الشخصين أو طلبه، كما يشمل استغلال بغاء شخص بالرضاء أو بالإكراه". ومن ثم فأن القانون يعاقب السمسار نفسه، وكذلك من يشاركه أو يعاونه في ذلك، وهاتان الصورتان تنطبقان على مختلف صور الاستغلال الجنسي، سواءً أكان ذلك بالتنفيذ (الوساطة بين شخصين)، أم بالاشتراك بالتحريض أو المساعدة في ذلك.

(ب) استخدام الأشخاص الذين يمارسون البغاء في محل عام أو مفتوح للجمهور، ويشترط للعقاب على هذه الصورة من الاستغلال الجنسي أن يكون الغرض من ذلك هوالتشويق لهذا المحل، وهذا ينطبق على سبيل المثال، على صالات لعب القمار أو الفنادق أو الحمامات البخارية أو صالونات التجميل أوالمساج أو الملاهي الليلية.

(ت) امتلاك أو إدارة منزل أو غرف أو فندق لممارسة البغاء، من خلال السماح للغير بتعاطي البغاء في هذه الأماكن أو تسهيل ذلك أو المساعدة في ذلك، وهذا ينطبق أيضاً على المواخير، ودور الدعارة، التي حددتها المادة الأولى من القانون بأنها "... المحل المهيأ لفعل البغاء أو تسهيله أو الدعاية له أو التحريض عليه أو ما يحقق أي فعل آخر من الافعال التي تساعد على البغاء"، وكذلك الفنادق، والغرف المعدة للإيجار، ودور الراحة والاستجمام، وما شابه.

وتنص المادة الخامسة من القانون على العقاب على البغاء، بما في ذلك الاستغلال الجنسي للنساء، ويلاحظ أن فقرتها الأولى تتعلق بالنساء اللواتي بلغن سن ثماني عشرة سنة، فعلى وفقها:"من استبقى ذكراً أو أنثى للبغاء أو اللواطة في محل ما بالخداع أو بالاكراه والقوة والتهديد وكان عمر المجني عليه أو عليها أكثر من ثماني عشرة سنة يعاقب بالسجن مدة لا تزيد عن عشر سنوات"، في حين تتعلق فقرتها الثانية بالنساء اللواتي دون هذه السن، إذ تعاقبالسجن مدة لا تزيد على خمس عشرة سنة إذا كان عمر المجنى عليه أو عليها دون ذلك.

واستناداً إلى تحليل أحكام هذا القانون يتبيّن أنها تستهدف العقاب عن (السمسرة) بصورها المختلفة، أي الاستغلال الجنسي للذكور والإناث على حد سواء، وتتضمن عقاب من يمارس السمسرة. أما بالنسبة لتعاطي البغاء نفسه، فأن القانون يعاقب البغي بإيداعها إحدى دور الإصلاح المعدة لتوجيه وتأهيل النساء مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر ولا تزيد على سنتين (المادة 4). وفي حالة استخدام الخداع أو الإكراه أو القوة والتهديد لإبقائها في محل للبغاء، وكذلك في حالة عدم بلوغها سن الثامنة عشرة من العمر، فأن على المحكمة أن تحكم لها بتعويض عادل (المادة 5 فقرة 3)(**أحمد، سعيد، 2020**). ويلاحظ بهذا الصدد، أن القانون لا يتطرق إلى عقاب الذكور، مما يجعل أحكام هذا القانون في غالبها تختص بالاستغلال الجنسي للنساء.

واستناداً إلى المادة الأولى من القانون يُستخلص أن البغاء هو تعاطي الزنا أو اللواطة بأجر مع أكثر من شخص، ومثل هذا التعريف يمكن أن يثير تساؤلاً بخصوص مضمون المادة (380) من قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969، التي تنص على أن:"كل زوج حرض زوجته على الزنا فزنت بناءً على هذا التحريض يعاقب بالحبس"، فهل يعدّ هذا التحريض من صور الاستغلال الجنسي بصورة البغاء، المعاقب عليه على وفق أحكام قانون مكافحة البغاء رقم (8) لعام 1988إن كان تحريضاً على الزنا مع أكثر من شخص ومقابل أجر؟ ولاسيما أن هذا القانون لم يحدد صفة خاصة في الجاني. هذا علماً أن الفقرة الأولى من المادة الحادية عشرة منه تشير إلى (الزوج)، فيما يتعلق بتقديم تعهد إلى القاضي المختص لإنهاء حالة الحجز الإصلاحي المتخذ إزاء البغي المحتجزة، يلتزم فيه حسن تربيتها وسيرتها وسلوكها، ويدفع المبلغ الذي تحدده المحكمة في التعهد إذا وقع الإخلال به، وذلك إلى جانب الأصول ومن له الولاية عليها أو الأقارب.

وفي نظر عدد من الباحثين إن المشرع العراقي بذلك جعل للعلاقة الزوجية أثر بيّن في تشديد العقاب عن البغاء الذي يمارسه السمسار إزاء زوجته(موسى، مجيد، 2016، ص 663).

ونرى بهذا الخصوص، إن قيام الزوج بدور السمسار إزاء زوجته، ومن ثم تعاطيها البغاء بناءً على تحريضه يعرضه للمساءلة الجزائية عن جريمتين:الجريمة الأولى هي(السمسرة)، التي تتحقق من خلال ارتكاب (التحريض)، و (الوساطة بين شخصين بقصد تسهيل فعل البغاء)، وكذلك (استغلال بغاء شخص بالرضاء)، مما يجسد من الناحية العملية صور (السمسرة) كلها المحددة في المادة الأولى من قانون مكافحة البغاء رقم (8) لعام 1988، ومن ثميجب تطبيق أحكام المادة الثالثة من القانون التي تنص على عقوبة السجن مدة لا تزيد على سبع سنوات على الزوج بوصفه سمساراً. أما الجريمة الثانية، فهي (تحريض الزوج زوجته على الزنا)، وهي الجريمةالسابقة على تعاطي البغاء، وهي تعدّ جريمة مستقلة بحد ذاتها، وتتطلب رضاء الزوجة بتعاطي الزنا، وتتحقق بتوفر صفة الزوجية. أي أن يكون من يحرضها على الزنا زوجاً لها.

وتأسيساً على ذلك، يتوجب أن يساءل الزوج عن تحريض زوجته على الزنا (البغاء)، وعن ممارستها إياه بناءً على ذلك، على وفق المادة (380) من قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969، والمادة الثالثة من قانون مكافحة البغاء العراقي رقم (8) لعام 1988. أما في حالة تكييف هذه الواقعة بالاقتصار على نص المادة الأولى منهما، فهذا يعني عدم العقاب على ممارسة البغاء على وفق المادة الثانية منهما، والعكس صحيح، مما يعني إفلات الزوج من العقاب على إحدى هاتين الجريمتين.

ثالثاً: قانون مناهضة العنف الأسري لإقليم كُردستان– العراق رقم (8) لعام 2011:تنص الفقرة (أولاً/ 6) من المادة الثانية من هذا القانون على صورة خاصة من العنف الأسري، الذي يمارسه الزوج إزاء زوجته، وتشكل استغلالاً جنسياً لها،وهي تنحصر في (إكراه الزوج للزوجة على البغاء وامتهان الدعارة)**(قانون مناهضة العنف الأسري، 2011)**.

وكما يلاحظ أن الاستغلال الجنسي للنساء على وفق هذا النص يقتصر على (الإكراه على البغاء وامتهان الدعارة). بمعنى أن الوسيلة التي يلجأ إليها الزوج في ذلك هي (الإكراه)، الذي يمكن أن يكون مادياً (باستخدام القوة الجسمانية ضدها)، أو معنوياً، بتهديدها باستخدام القوة الجسمانية ضدها أو ضد شخص ثالث، مثل الأبناء أو الوالدين أو غيرهم من المقربين إليها. كما أن مفهوم (الإكراه) جاء مجرداً، بما يسمح بالقول بتعدد صور هذا الإكراه، مما قد ينطوي أيضاً على إمكانية تهديد الزوجة بارتكاب جرائم أخرى ضد الأشخاص أو الأموال.

ورجوعاً إلى أحكام المادة الخامسة من قانون مكافحة البغاء العراقي رقم (8) لعام 1988 يتبيّن أن المشرع العراقي يعاقب على إكراه أنثى على البغاء في نص الفقرة الأولى منها، الا أنه لم يقتصر على (الإكراه) وحده وسيلة لذلك، إذ أورد عدة وسائل هي (الخداع والإكراه والقوة والتهديد)، كما أنه لم يحدد صفة المجنى عليها بوصفها زوجة للجاني (السمسار)، مما يعني أن النص ينطبق عليها وعلى أي أنثى غيرها. وهذا يوصل إلى استنتاج بأن الفقرة (أولاً/6) من المادة الثانية من قانون مناهضة العنف الأسري رقم (8) لعام 2011 يمكن أن تكيّف على أساسها جريمة (إكراه الزوج زوجته على البغاء وامتهانه)،وذلك عند توافر عنصري (الإكراه)، وصفة الجاني بوصفه (زوجاً للمجنى عليها)، ذلك انطلاقاً من أن النص العقابي في هذا القانون يعدّ في هذه الحالة نصاً عقابياً خاصاً، في حين يعدّ النص العقابي في قانون مكافحة البغاء العراقي رقم (8) لعام 1988 نصاً عقابياً عاماً،وفي ضوء تنازع هذين النصين تطبق قاعدة (الخاص يقيد العام)(عيسى، 1993، ص 188–195).

أما بالنسبة للحالات الأخرى المتضمنة اللجوء إلى وسائل أخرى غير الإكراه، التي نص عليها المشرع العراقي،وهي(الخداع والقوة والتهديد)، فتطبق عليها أحكام المادة الخامسة من قانون مكافحة البغاء العراقي رقم (8) لعام 1988، والمادة (380) من قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969 كما تقدم ذكره.

وفي حالة مقارنة نص الفقرة (أولاً/6) من المادة الثانية من قانون مناهضة العنف الأسري رقم (8) لعام 2011 مع نص المادة (380) من قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969، الخاصة بتحريض الزوج زوجته على الزنا، يلاحظ أن النص الأول يتضمن تكراراً للنص الثاني، ذلك لأن التحريض علىالجريمة يمكن أن يتحقق بعدة وسائل، وهي تتمثل في (الهدية والوعيد والمخادعة والدسيسة والإرشاد واستعمال ما للمحرض من الصولة على مرتكب الجريمة)(**حسني، مصدر سابق، ص 501، الخلف، الشاوي، ص 211**).

وقد سارت على هذا المنحى أيضاً القوانين العقابية المقارنة، إذ يحددقانون العقوبات الفرنسي لعام 1992 في المادة (121-7) منه وسائل التحريض بالهدية والوعود والتهديد والمطالبة وسوء استعمال السلطة أو الصلاحيات أو الاستفزاز من أجل ارتكاب الجريمة أو إعطاء التوجيهات(**قانون العقوبات الفرنسي، 1992**).كما ينص على ذلك أيضاً قانون العقوبات الروسي لعام1996 في المادة (33) فقرة (4) منه التيتعرف المحرض بأنه من يدفع شخصاً آخر إلى ارتكاب الجريمة عن طريق الإقناع أو الهدية أو التهديد أو بأي أسلوب آخر(**قانون العقوبات الروسي، 1996**).

وهذا التكرار يؤدي من الناحية التشريعية إلى العقاب على جريمة تحريض الزوج زوجته على الزنا (البغاء) بناءً على نصين، أحدهما نص المادة (380) من قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969، وثانيهما نص المادة الثانية فقرة (أولاً/6) من قانون مناهضة العنف الأسري رقم (8) لعام 2011، مما يطرح مسألة تنازع النصوص الجنائية مجدداً على بساط البحث. وفي الأحوال كافة يتوجب في ظل الحالة المعروضة تطبيق نص قانون مناهضة العنف الأسري رقم (8) لعام 2011، لأنه يعدّ نصاً عقابياً خاصاً، منجهة، ولكونه، من جهة ثانية، نافذاً في إقليم كُردستان العراق تحديداً. ولكن في حالة لجوء الزوج إلى وسائل أخرى (أي ما عدا الإكراه)، يتوجب بطبيعة الحال تطبيق أحكام المادة (380) من قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969.

والملاحظ بهذا الخصوص أيضاً، إن المادة السابعة من قانون مناهضة العنف الأسري رقم (8) لعام 2011 تعاقب كل من ارتكب عنفاً أسرياً بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر ولا تزيد على ثلاث سنوات وبغرامة لا تقل عن مليون دينار ولا تزيد على خمسة ملايين دينار أو بإحدى هاتين العقوبتين، وهذا ينطبق على إكراه الزوج زوجته على البغاء وامتهانه، الا أن هذه العقوبة تعدّ مخففة مقارنة بعقوبة تحريض الزوج زوجته على الزنا في المادة (380) من قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969، التي تنص على عقوبة واحدة، هي الحبس، التي على مقتضى المادة (88) من القانون نفسه يمكن أن يصل حدها الأقصى إلى خمس سنوات. كما أن العقوبة في قانون مناهضة العنف الأسري رقم (8) لعام 2011 تعدّ كذلك مخففة مقارنة بالعقوبة المحددة في قانون مكافحة البغاء العراقي رقم (8) لعام 2008، التيتحددها في المادة الخامسة منه بالسجن مدة لا تزيد على عشر سنوات!

واستناداً إلى ما تقدم ذكره، يتبيّن أن المشرعين، العراقي والكُردستاني، وعلى حد سواء اسبغا الحماية الجزائية للنساء من الاستغلال الجنسي من خلال تجريم البغاء والعقاب عليه، وهذا مما يحسب لكل منهما، الا أن مما لا يحسب لهما هو عدم التزام الدقة التشريعية في ذلك، مما يتطلب تدخلهما لاستبعاد الثغرات المشار إليها.

المبحث الثالث

مواجهة الاستغلال الجنسي المستحدث للنساء في التشريعات العراقية

يعدّالإتجار بالأشخاص شكلاً جديداً من أشكال العبودية، الذي يعاقب عليه في كثير من المواثيق الدولية، ولاسيما في البروتوكول الإختياري لمنع وقمع ومعاقبة الإتجار بالأشخاص، وخاصةالنساء والأطفال المكمل لإتفاقية الأمم المتحدة لمكافحةالجريمة المنظمة غير الوطنية لعام 2000 (بروتوكول باليرمو)، فعلى وفق المادة الخامسة منه تلتزم الدول الأطراف فيه بتجريم (الإتجار بالأشخاص) في قوانينها الداخلية وتعاقب عليه. كما تعرف المادة الثالثة، فقرة (أ) منه جريمة الإتجار بالأشخاص بأنها "تجنيد أشخاص أو نقلهم أو تنقيلهم أو إيواؤهم أو استقبالهم بواسطة التهديد بالقوة أو استعمالها أو غير ذلك من أشكال القسر أو الاختطاف أو الاحتيال أو الخداع أو استغلال السلطة أو استغلال حالة استضعاف، أو بإعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو مزايا لنيل موافقة شخص له سيطرة على شخص آخر لغرض الاستغلال"(البروتوكول الإختياري، 2000).

وارتباطاً بإنضمام جمهورية العراق إلى هذا البروتوكول استناداً إلى القانون رقم (20) لعام 2007 (قانون الإنضمام، 2007)، وإيفاءً بالتزاماتها النابعة منه فقد أصدرت القانون رقم (28) لعام 2012 الخاص بمكافحة الإتجار بالبشر، الذي يُعرف هذه الجريمة في المادة الأولى، فقرة (أولاً) منه بنصها :"يقصد بالإتجار بالبشر لأغراض هذا القانون تجنيد أشخاص أو نقلهم أو إيوائهم أو استقبالهم، بوساطة التهديد بالقوة أو استعمالها أو غير ذلك من أشكال القسر أو الاختطاف أو الاحتيال أو الخداع أو استغلال السلطة أو بإعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو مزايا لنيل موافقة شخص له سلطة أو ولاية على شخص آخر بهدف بيعهم أو استغلالهم في أعمال الدعارة أو الاستغلال الجنسي أو السخرة أو العمل القسري أو الاسترقاق أو التسول أو المتاجرة بأعضائهم البشرية أو لأغراض التجارب الطبية"(قانون مكافحة الإتجار بالبشر، 2012).

وعلى الرغم من أن المشرع العراقي التزم، وإلى كبير، بنص المادة الثالثة فقرة (أ) من البروتوكول الإختياري فيما يتعلق بتعريف جريمة الإتجار بالأشخاص، الا أنه أجرى عدداً من التعديلات، التي جعلت منه إلى حد ما مختلفاً عن مضمونه الأصلي. ومن ذلك، أنه أغفل ذكر استغلال حالة استضعاف المجنى عليه ضمن الوسائل التي يلجأ إليها الجاني، ونص على غايات الاستغلال على سبيل الحصر، كما لم ينص على غايتي الاستعباد والممارسات الشبيهة بالرق والاسترقاق، واستبدل مصطلح (نزع الأعضاء) بالمتاجرة بالأعضاء البشرية أو لأغراض طبية(ميدان، 2013، ص 27-28، الحماوي، عبدالرحمن، 2020، ص 51-53، نشمي، 2020، ص 569).

إضافة إلى ذلك، يلاحظ أن المشرع العراقي لم يلتزم الدقة في تحديد الأفعال المكونة للسلوك الاجرامي في الركن المادي للجريمة(هجيج، ناصر، 2014، ص 28-35، عسكر، 2018، ص 229-236)، إذ ينص البروتوكول على خمسة أفعال، هي: تجنيد الأشخاص أو نقلهم أو تنقيلهم أو إخفاؤهم أو استقبالهم، التيتقابلها في اللغة الإنجليزية (recruitment, transportation, transfer, harbouring or receipt of person)، في حين ينص القانون العراقي على أربعة أفعال لا غير، مع استبدال إخفاء الأشخاص بإيوائهم، على الرغم من اختلافهما في المعنى، إذ يقصد بالإيواء تقديم المأوى، ويتضمن المأوى مكان لإقامة المجني عليه، أما الإخفاء فهو بمعنى إخفاؤهم عن الأجهزة الأمنية، أو إخفاؤهم أثناء استغلالهم أو ما شابه.

كما أجرى المشرع العراقي تعديلاً جوهرياً على الهدف من هذه الأفعال، فعلى وفق البروتوكول ترتكب الأفعال الإجرامية المذكورة لغرض الاستغلال. وعلى وفق المادة الثالثة منه:"يشمل الاستغلال، كحد أدنى، استغلال دعارة الغير أو سائر أشكال

الاستغلال الجنسي، أو السخرة أو الخدمة قسراً، أو الاسترقاق أو الممارسات الشبيهة بالرق، أو الاستعباد أو نزع الأعضاء"، وقد وردت فيهاعلى سبيل المثال لا الحصر. في حين ينص القانون العراقي على أهدافمحددة للإتجار بالبشر، أي على سبيل الحصر، هي: (البيع)، و (الاستغلال في أعمال الدعارة)، و (الاستغلال الجنسي)، و (الاستغلال في السخرة أو العمل القسري أو الاسترقاق أو التسول)،و (المتاجرة بالأعضاء البشرية)، و (لأغراض التجارب الطبية). وعلى الرغم من عدم التزام المشرع العراقي بحرفية النص في البروتوكول، فأن هذا لا يشكل خروجاً عنه، ذلك لأن صور الاستغلال فيه وردت على سبيل المثال، لا الحصر، وقد أباح المشرع الدولي للمشرع الداخلي إمكانية التوسع فيها(**تحليل المفاهيم الأساسية، 2009**). كما ويلاحظ أن المشرع العراقي توسع في تحديد صور الاستغلال، إذ أضاف (البيع) و (التسول) و(المتاجرة بالأعضاء البشرية)، و (التجارب الطبية).

الا أن مما لا يحسب للمشرع العراقي النص في القانون على (الاستغلال في أعمال الدعارة) بشكل منفصل عن (الاستغلال الجنسي)، وذلك بخلاف النص في البروتوكول، الذي جعل الدعارة من ضمن صور الاستغلال الجنسي بنصه على :" استغلال دعارة الغير أو سائر أشكال الاستغلال الجنسي"، وهو كما ورد باللغة الإنكليزية: theexploitation of theprostitution of others or otherforms of sexualexploitation(**البروتوكول باللغة الإنكليزية**).

واستناداً إلى نص المادة الأولى فقرة (أولاً) من قانون مكافحة الإتجار بالبشر العراقي رقم (28) لعام 2012 يمكن أن يتحقق الاستغلال الجنسي للنساء عن طريق ارتكاب الأفعال الإجرامية المتمثلة في (التجنيد أو النقل أو الإيواء أو الاستقبال) وذلك باستخدام وسائل محددة تتمثل في (التهديد بالقوة أو استعمالها أو غير ذلك من أشكال القسر أو الاختطاف أو الاحتيال أو الخداع أو استغلال السلطة أو باعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو مزايا لنيل موافقة شخص له سلطة أو ولاية على شخص آخر)، ويكون ذلك بهدف الاستغلال في أعمال الدعارة أو أية صورة من الاستغلال الجنسي للنساء.

ويعاقب القانون على جريمة الإتجار بالبشر بهدف الاستغلال في أعمال الدعارة أو أية صورة من الاستغلال الجنسي للنساء في المادة الخامسة (أولاً) منه بالسجن المؤقت وبغرامة لا تقل عن خمسة ملايين دينار ولا تزيد على عشرة ملايين دينار، وتكون العقوبة على وفق الفقرة (ثانياً) من المادة نفسها السجن مدة لا تزيد على خمس عشرة سنة وبغرامة لا تزيد على عشرة ملايين دينار في حالة ارتكاب الجريمة باستخدام أي شكل من أشكال الإكراه كالابتزاز أو التهديد أو حجز وثائق السفر أو المستمسكات الرسمية، أوباستخدام أساليب احتيالية لخداع الضحايا أو التغرير بهم أو إعطاء أوبتلقي مبالغ مالية أو منافع للحصول على موافقة من له السلطة أو الولاية عليهم.

وتعاقب المادة السادسة من القانون بالسجن المؤبد وبغرامة لا تقل عن خمسة عشر مليون دينار ولا تزيد عن خمسة وعشرين مليون دينار إذا كان المجني عليه لم يتم الثامنة عشرة من عمره، أو إذا كان المجني عليه أنثى أو من ذوي الاعاقة أو إذا كانت الجريمة مرتكبة من جماعة إجرامية منظمة أو كانت ذات طابع دولي، أو إذا ارتكبت الجريمة عن طريق الاختطاف أو التعذيبأو إذا كان الجاني من أصول المجني عليه أو فروعه أوممن له الولاية عليه أو زوجاً لهأوإذا أصيب المجني عليه بمرض لايرجى شفاؤه أوعاهة مستديمة نتيجة الإتجار به أو إذا وقع الإتجار على عدة أشخاص أو لمرات متعددة أو إذا وقع الإتجار من موظف أو مكلف بخدمة عامة أو باستغلال النفوذ او استغلال ضعف الضحايا أو حاجاتهم.

ويلاحظ إن هذه المادة العقابية تختص بالعقاب على الاستغلال الجنسي للنساء على وجه التحديد، كونها تعاقب علىالإتجار بالبشر في حالة كون المجنى عليه أنثى (الفقرة ثانياً)، ومن ثم تكون العقوبةالأساس على الاستغلال الجنسي للنساء استناداً إلى هذه المادة هي (السجن المؤبد وبغرامة لا تقل عن خمسة عشر مليون دينار ولا تزيد عن خمسة وعشرين مليون دينار).

وتعاقب المادة السابعة بالحبس مدة لا تقل عن ثلاث سنوات وبغرامة لا تقل عن عشرة ملايين دينار ولا تزيد على عشرين مليون دينار أو باحداهما في حالة إنشاء أو إدارة موقع على شبكة المعلومات بقصد الإتجار بالبشر أو التعاقد على صفقة تتعلق بالإتجار بالبشر أو تسهيل ذلك باستخدام شبكة المعلومات. ومن ثم يمكن أن تطبق هذه العقوبة على الإتجار الألكتروني بالبشر،الذي يمكن أن يكون بهدف الاستغلال الجنسي للنساء أيضاً.

وتعاقب المادة الثامنة من القانون بالإعدام أن أفضى الفعل إلى موت المجنى عليه. وتطبق هذه المادة في حالة إزهاق حياة المرأة الضحية بخطأ غير عمدي، ومن ثم يستبعد تطبيقها في حالة التسبب في موتها في ظل الخطأ العمدي، ومن ثم يتوجب تطبيق أحكام قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969 بخصوص جرائم القتل العمدي، وذلك إلى جانب المواد العقابية ذات الصلة في قانون مكافحة الإتجار بالبشر رقم (28) لعام 2012.

ونظراً لأن جريمة الإتجار بالبشر بنية الاستغلال الجنسي للنساء يمكن أن يقترفها الشخص الطبيعي والشخص المعنوي على حد سواء، لذلك يعاقب القانون في نص المادة التاسعة فقرة (أولاً) الشخص المعنويأيضاً، وذلك بغرامة لا تقل عن خمسة ملايين دينار ولا تزيد على خمسة وعشرين مليون دينار إذا ثبت اشتراكه بالجريمة أو إذا أُرتكبت الجريمة باسمه أو لحسابه أو لمنفعته ،ولا يخل هذا بالعقوبة التي تقرر بحق المدير المفوض أو المسؤول عن إدارة الشخص المعنوي إذا ثبت اشتراكه في الجريمة، كما يجوز للمحكمة، على وفق الفقرة (ثانياً) من هذه المادة، حله أو إيقاف نشاطاته بصورة نهائية أو مؤقتة أو غلق مقره.

إن إصدار المشرع العراقي لقانون مكافحة الإتجار بالبشر العراقي رقم (28) لعام 2012هو مما يحسب له، الا أن تطبيقه على جريمة الاستغلال الجنسي للنساء من الممكن يثير عدداً من الإشكاليات، وذلك في ظل وجود التشريعات العقابية الأخرى التي تعاقب على صور مشابهة لهذه الجريمة، ومن ذلك على سبيل المثال: جريمة التحريض على الفسق والفجور في قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969، وجريمة البغاء واللواطة في قانون مكافحة البغاء العراقي رقم (8) لعام 1988.

وفي رأينا، إن تطبيق هذا القانون على جريمة الاستغلال الجنسي للنساء، يتطلب، في المقام الأول، مراعاة طبيعتها القانونيةبوصفها إحدى صور الإتجار بالبشر، إذ إضافة إلى تميّز هذه الجريمة بكونها من الجرائم المستمرة والمركبة والعمدية ومن جرائم الخطر،(عباس، 2017، ص 39-43)فهي تعدّكذلك من الجرائم المنظمة، والعابرة للحدود،كما تتصف بوجود قصد خاص فيها، يتمثل فيما يتعلق بالإتجار الجنسي بالنساء في استغلالهن في (أعمال الدعارة)، أو (استغلالهن جنسياً).ونظراً لأهمية هذه الجوانب على الصعيد التطبيقي سنوضحهاعلى الوجه الآتي:

أولاً: الطبيعة المنظمة لجريمة الإتجار بالبشر: تعدّهذه الجريمة بحسب الفقه الجنائي الغالب من صور الجريمة المنظمة، (حامد، 2013، ص 19، دحيه، 2018، ص 40، الشناوي، 2014، ص 22)،ومن ثم فأن شبكات الجريمة المنظمة هي التي تمارسها، لاسيما وأن ارتكاب الأفعال المكونة للسلوك الإجرامي فيما يتعلق بتجنيد الأشخاص ونقلهم واخفائهم واستقبالهم، يتطلب تضافر جهود أعداد كبيرة من الأشخاص، ويمكن أن يتعلق ذلك بمئات الأشخاص، ويكون ذلك على سبيل الديمومة والاستمرارية، وهو يجري عادة عبر الحدود الدولية، وفي أكثر من دولة، ويتطلب إمكانات لوجستية وموارد بشرية ومالية كبيرة لا يمكن أن تتوافر لدى عصابات صغيرة تمارس نشاطها في نطاق منطقة معينة، أو في دولة واحدة.

وارتباطاً بهذا، يلاحظ أن بروتوكول منع وقمع ومعاقبة الإتجار بالأشخاص، وخاصة النساء والأطفال لعام 2000، كما ورد في عنوانه باللغة الإنكليزية (Supplementary Protocol)،جاء (مكملاً) لإتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية لعام 2000، كما أن الهدف الأساس من إصداره هو مكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية،وإلى ذلك أشارت ديباجة البروتوكول بنصها على أن الدول الأطراف فيه أصدرته وذلك "اقتناعاً منها بأن استكمال اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية بصك دولي لمنع وقمع ومعاقبة الإتجار بالأشخاص، وبخاصة النساء والأطفال، سيفيد في منع ومكافحة تلك

الجريمة". كما نصت المادة الأولى منه على أن "هذا البروتوكول يكتمل إتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية، ويكون تفسيره مقترناً بالإتفاقية". وأوضحت المادة الرابعة منه في معرض تحديدها لنطاق إنطباق البروتوكول بأنه ينطبق علىالجرائم المعاقب عليها على وفقه عندما تكون تلك الجرائم "ضالعة فيها جماعة إجرامية منظمة"(البروتوكول، 2000).

وقد حددت المادة الثانية من إتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية لعام 2000 مفهوم (الجماعة الإجرامية المنظمة) بأنها:"جماعة ذات هيكل تنظيمي، مؤلفة من ثلاثة أشخاص أو أكثر، موجودة لمدة من الزمن وتعمل بصورة متضافرة بهدف ارتكاب واحدة أو أكثر من الجرائم الخطيرة أو الأفعال المجرمة وفقاً لهذه الإتفاقية، من أجل الحصول، بشكل مباشر أو غير مباشر، على منفعة مالية أو منفعة مادية أخرى"(الإتفاقية، 2000).

والملاحظ بهذا الخصوص إن المشرع العراقي أخذ بدوره بإمكانية ارتكاب جريمة الإتجار بالبشر من جانب (جماعة إجرامية منظمة) إذ ينص قانون مكافحة الإتجار بالبشر العراقي رقم (28) لعام 2012 على أن ارتكاب الجريمة من (جماعة إجرامية منظمة) يعدّ من الظروف المشددة في جريمة الإتجار بالبشر (الفقرة ثالثاً)، وهذا مما يحسب له، الا أن مما لا يحسب له هو عدم تعريفه لها، هذا علىالرغم منأهمية ذلك كما تقدم، كما أن قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969لا يتضمن بدوره تعريفاً لها (عيسى، 2021، ص 31-50). ومن ثم فأن هذا القانون يعاقب على الإتجار بالبشر المرتكب من جانب شخص واحد أو جماعة إجرامية، منظمة أو غير منظمة، وطنية أو عبر وطنية.

ثانياً: الطبيعة العابرة للحدود للجريمة: يحدد بروتوكول منع وقمع ومعاقبة الإتجار بالأشخاص، وخاصة النساء والأطفال لعام 2000بنص صريح ارتباط البروتوكول بإتفاقية مكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنيةلعام 2000على وجه التحديد، من خلال كونه، كما سبق ذكره، (مكمل لإتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية لعام 2000)، وفي ذلك إشارة واضحة إلى تطبيقه على الجرائم المنظمة العابرة للحدود، كما أن المادة الثالثة منه تنص على تطبيق البروتوكول على "الجرائم ذات الطابع عبر الوطني" على وجه التحديد.

وقد بيّنت المادة الثالثة من إتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية لعام 2000 مفهوم (الطابع عبر الوطني) بالنسبة لطبيعة الجريمة المنظمة، ومن ثم بالنسبةللجرائم التي تقترفها، "إذ لم تعدّ جريمة الإتجار بالبشر ترتكب داخلياً فحسب، بل يمكن أن ترتكب خارج الحدود الوطنية، كما أن اضطلاع العصابات المنظمة بمباشرتها أضفى طابعاً دولياً عليها"،(هاشم، 2015، ص 79)فعلى وفق هذه المادة، يكون للجريمة طابع عبر وطني، في حالة ارتكابها في أكثر من دولة، أو أن ترتكب في دولة، ويجري الجانب الكبير من الإعداد أو التخطيط لها أو توجيهه أو الإشراف عليها في دولة أخرى، أو ارتكاب الجريمة في دولة واحدة، ولكن ضلعت في ارتكابها جماعة إجرامية منظمة تمارس نشاطها في أكثر من دولة واحدة، أو ارتكاب الجريمة في دولة وتكون له آثار شديدة في دولة أخرى.

وعلى الرغم من أن المواثيق الدولية تنصعلى الطابع العابر للحدود لجريمة الإتجار بالأشخاص، وكذلك إتفاق الباحثين على ذلك،(هجيج، ناصر، مصدر سابق، ص 16، الأسدي، 2013، ص 97، الحماوي، عبدالرحمن، مصدر سابق، ص 56)، كماوينص قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969 على تطبيق مبدأ الإختصاص الشامل على جريمة الإتجار بالنساء والأطفال في المادة (12) منه، وهذا المبدأ يطبق بالنسبة للجرائم التي تشكل خطورة بالغة بالنسبة لمصالح الدول كافة مما يستدعي التعاون فيما بينها لمواجهتها، ألا أن المشرع العراقي مع ذلك يستبعدالطابع العابر للحدود لجريمة الإتجار بالبشر في تعريفه للجريمةفي قانون مكافحة الإتجار بالبشر العراقي رقم (28) لعام 2012، وفي الوقت نفسه يشدد العقاب عن جريمة الإتجار بالبشر "إذا كانت الجريمة ذات طابع دولي" (المادة 6 فقرة ثالثاً). كما أنه لم يدرج في القانون أية قواعد قانونية

بخصوص التعاون الدولي لمكافحة جرائم الإتجار بالبشر. وهذا يعني أن هذه الجريمة من منظور المشرع العراقي تعد من الجرائم التقليدية التي ترتكب من حيث الأصل على إقليم جمهورية العراق، الا أن هذا لا يمنع من أن تكون ذات طابع دولي، أي عابر للحدود، وهذا النهج أخذ به أيضاً القانون الأنموذجي لمكافحة الإتجار بالأشخاص الذي أعده مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة(**القانون الأنموذجي، المادة 4**).وفي رأينا، إنه كان يتوجب، في المرتبة الأولى، تجريم الإتجار المنظم بالبشر،والعابر للحدود، مع عدم استبعاد العقاب عن الإتجار التقليدي غير العابر للحدود.

ثالثاً: القصد الخاص في جريمة الإتجار بالبشر: يلعب القصد الخاص في هذه الجريمة دوراً بارزاً في عزلها عن غيرها من الجرائم، وكذلك في تطبيق أحكام المادة الأولى من القانون على حالات الاستغلال الجنسي للنساء. ويتمثل القصد الخاص لهذه الجريمة فيما يتعلق بالإتجار الجنسي بالنساء على وفق هذه المادة في استغلالهن في (أعمال الدعارة)، أو (استغلالهن جنسياً)(**البدراني، 2019، ص 245-246، الفتلاوي، 212، ص 237، إبراهيم، 2011، ص 276-287**).

ولكن بالرجوع إلى أحكام قانون مكافحة الإتجار بالبشر رقم (28) لعام 2012 يلاحظ أنه لا يتضمن تعريفاً لهذين المصطلحين، أو لصورهما، وكان من الممكن الاستناد في تعريف (الاستغلال في الدعارة)، على سبيل المثال، إلى القانون الأنموذجي لمكافحة الإتجار بالأشخاص، الذي ينص على أن:" استغلال دعارة الغير يعني الحصول على نحو غير مشروع على منفعة مالية أو أي منفعة مادية أخرى من دعارة شخص آخر"، كما أن القانون الأنموذجي يحتوي على تعريف لمصطلح (الاستغلال الجنسي) أيضاً، فهو ينص على أن "الاستغلال الجنسي يعني الحصول على منافع مادية أو أي منافع أخرى من خلال توريط شخص في الدعارة أو البغاء أو في الاستعباد الجنسي أو في تقديم أي أنواع أخرى من الخدمات الجنسية، بما في ذلك المشاهد الإباحية أو إنتاج المواد الإباحية"(**القانون الأنموذجي، ص 13، 19**).وقد أكد الفريق العامل التابع للأمم المتحدة المعني بالإتجار بالأشخاص في تقريره الموسوم بـ (تحليل المفاهيم الأساسية الواردة في بروتوكول الإتجار بالأشخاص) على أنه في حال استخدام هذه المصطلحات، أي (الدعارة) و (الاستغلال الجنسي)، في سياق القانون المحلي، فمن المستوصب إيجاد تعريف لها(**تحليل المفاهيم الأساسية، ص 5**).

وتأسيساً على ما تقدم، فأن تطبيق قانون مكافحة الإتجار بالبشر رقم (28) لعام 2012 على حالات الاستغلال الجنسي للنساء يتطلب، في رأينا،مراعاة الأنموذج القانوني لهذه الجريمة المحدد في نص المادة الأولى من القانون، وكذلك الاستناد إلى المواد الأخرى من القانون بخصوص وسائل ارتكابها، أو صفة الجاني فيها، مع أهمية مراعاة الطبيعة المنظمة لجريمة الإتجار بالبشر، وأنها من الجرائم غير التقليدية، بل المستحدثة، والعابرة للحدود الوطنية، إضافة إلى التحقق من توافرالقصد الخاص في هذه الجريمة، والمتمثل بهدف الاستغلال الجنسي للنساء.

الخاتمة

توصلنا في هذا البحث إلى الاستنتاجات والتوصيات الآتية:

أولاً: الاستنتاجات:

1- إن الاستغلال الجنسي للنساء هو منالصور الرئيسة للعنف الممارس ضدهن، كما ويعدّ من الصور الحديثة والمعاصرة للعبودية والاسترقاق، ويشكل انتهاكاً جسيماً لحقوقهن وحرياتهن الأساسية، التي كفلتها المواثيق الدولية والتشريعات الوطنية.

2- تصدىالمجتمع الدولي للاستغلال الجنسي للنساء في عدد من المواثيق الدولية والإقليمية، من خلال التعريف به وبصوره، وإلزام الدول الأطراف فيها بإتخاذ التدابير المناسبة، وبضمنها التشريعية، لمواجهته والعقاب عليه.

3- تعددت التعريفات المطروحة للاستغلال الجنسي، وفي ضوئها يمكن تعريفه بأنه (إتجار بالأشخاص، يتصف بطبيعة جنسية، وينطوي على استغلالهم في البغاء أو أية أنشطة أخرى ذات طبيعة جنسية، بوساطة الإكراه المادي أو المعنوي أو باستغلال حالة استضعاف الضحايا أو استغلال السلطة أو الثقة أو التبعية، وذلك بنية تلبية مآرب جنسية أو لتحقيق منفعة مالية أو أية منافع أخرى للجاني أو لغيره).

4- يعدّ البروتوكول الإضافي لإتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية لمنع وقمع ومعاقبة الإتجار بالأشخاص، وبخاصة النساء والأطفال لعام 200 الوثيقة الأولى والأبرز في نطاق المواثيق الدولية التي تصدت للاستغلال الجنسي للنساء، وفي إلزامها الدول الأطراف بتجريم صوره المختلفة والعقاب عليها.

5- تصدى المشرع في العراق لصور من الاستغلال الجنسي للنساء في قانون العقوبات رقم (111) لعام 1969، وقانون مكافحة البغاء رقم (88) لعام 1988، وقانون مكافحة الإتجار بالبشر رقم (28) لعام 2012. كما تصدى لها المشرع في إقليم كردستان – العراق في قانون مناهضة العنف الأسري رقم (8) لعام 2011.

6- تشوب أحكام التشريعات العقابية الصادرة في العراق، وفي إقليم كردستان- العراق، المتعلقة بمكافحة الاستغلال الجنسي للنساء ثغرات تشريعية، سواءً من حيث عدم دقتها، أم تنازعها، أم تكرارها، مما يستدعي تعديلها، وبما يجسد الالتزامات الدولية النابعة من المواثيق الدولية ذاتالصلة على الوجه الأمثل بهذا الخصوص.

ثانياً: التوصيات:

1- يوصى المشرع العراقي بتوحيد التجريم واالعقاب فيما يتعلق بالإتجار بالأشخاص عامة، والاستغلال الجنسي للمرأة خاصة، في نطاق قانون العقوبات رقم (111) لعام 1969 على وجه التحديد، وإلغاء التشريعات العقابية الخاصة والتكميلية بهذا الخصوص.

2- يوصى المشرع العراقي بالنص في قانون العقوبات رقم (111) لعام 1969، بوصفه التشريع العقابي الأساس والعام في العراق، على تعريف لمفهوم الاستغلال الجنسي بصفة عامة، والاستغلال الجنسي للنساء بصفة خاصة، مع بيان أبرز صوره.

3- يوصى المشرع العراقي بإدراج نص في قانون العقوبات رقم (111) لعام 1969 يتضمن التعريف بالجريمة المنظمة، ذلك ارتباطاً بالطبيعة المنظمة لجريمة الاستغلال الجنسي للنساء، وبوصف هذه الجريمة من أبرز صور الجريمة المنظمة على الصعيد التطبيقي.

4- يوصى المشرع العراقي بتعديل أحكام قانون الإتجار بالبشر رقم (28) لعام 2012، ولاسيما فيما يتعلق بتعريف الإتجار بالبشر في المادة الأولى منه، وذلك بما يتوافق مع تعريفه وطبيعته القانونية في المواثيق الدولية ذات الصلة، وبما يسهم في التصدي لجريمة الاستغلال الجنسي للنساء.

5- يوصى المشرع الكُردستاني بتعديل قانون مناهضة العنف الأسري رقم (8) لعام 2011 فيما يخص الاستغلال الجنسي للنساء في المادة الثانية، فقرة (أولاً/6) منه، المتعلقة بـ (اكراه الزوج للزوجة على البغاء وامتهان الدعارة)، ومعالجة تنازعها مع أحكام التشريعات العقابية العراقية ذات الصلة.

قائمة المصادر

أولاً: الكتب:

1) أحمد فتحي سرور، الوسيط في شرح قانون العقوبات، القسم العام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996.
2) أدوار غالي الذهبي، الجرائم الجنسية، دار غريب، القاهرة، 2006.
3) أكمل يوسف السعيد يوسف، الحماية الجنائية للأطفال من الاستغلال الجنسي، دار الجامعة الجديدة، القاهرة، 2014.
4) إيمان مُحَمَّد الجابري، جرائم البغاء، دار الجامعة العربية، الإسكندرية، 2011.
5) جلال ثروت، نظم القسم العام في قانون العقوبات، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999.
6) حامد سيد مُحَمَّد حامد، جريمة الإتجار بالبشر كجريمة منظمة عابرة للحدود، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، 2013.
7) حسين عبدعلي عيسى، تكييف الجرائم في القانون الجنائي اليمني والمقارن، عدن، ب.ت. 1993.
8) سوزي عدلي ناشد،الإتجار في البشر بين الاقتصاد الخفي والاقتصاد الرسمي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2008.
9) سيد حسن البغال، الجرائم المخلة بالآداب فقهاً وقضاءً، عالم الكتب، القاهرة، 1973.
10) عبداللطيف دحيه، التعاون الدولي لمكافحة الإتجار بالأشخاص، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، 2018.
11) عبدالهادي هاشم، الإتجار بالبشر، دار الفكر الجامعية، الإسكندرية، 2015.
12) علي حسين الخلف، وسلطان عبدالقادر الشاوي، المبادئ العامة في قانون العقوبات، المكتبة القانونية، بغداد، ب.ت.تاريخ النشر.
13) ماجد حاوي علوان، حظر الإتجار بالبشر في القانون الدولي، مركز الدراسات العربية، القاهرة، 2015.
14) مالكوف ف.ب.تارخانوف أ.ع. تعدد الجرائم والمسؤولية الجنائية، ترجمة حسين عبدعلي، دار الهمداني، عدن، 1985.
15) مُحَمَّد الشناوي، إستراتيجية مكافحة جرائم الإتجار بالبشر، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، 2014.
16) محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات، القسم العام، النظرية العامة للجريمة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1962.

ثانياً: الرسائل العلمية:

1) آري طلعت عباس، مواجهة الإجرام المنظم في نطاق الإتجار بالبشر في القانون الدولي والجنائي، رسالة ماجستير، كلية القانون والسياسة، جامعة السليمانية، 2017.

ثالثاً: البحوث:

1) آلاء مُحَمَّد صاحب عسكر، مدى استجابة قانون مكافحة الإتجار بالبشر العراقي لمتطلبات مكافحة جريمة الإتجار بالنساء، دراسة تحليلية مقارنة، مجلة القادسية للقانون والعلوم السياسية، جامعة القادسية، العدد (1)، 2018.
2) حسون عبيد هجيج، مازن خلف ناصر، الحماية الجنائية الموضوعية لضحايا الإتجار بالبشر، دراسة مقارنة، مجلة آداب المستنصرية، جامعة المستنصرية، العدد (67)، 2014.
3) حسين عبدعلي عيسى، مواجهة جريمة الإتجار بالبشر المرتكبة من جماعة إجرامية منظمة، مجلة ميسان للدراسات القانونية المقارنة، كلية القانون، جامعة ميسان، العدد (4)، 2021.
4) رقيب مُحَمَّد جاسم الحماوي، عبدالرحمن شامل عبدالرحمن، دور الأمم المتحدة في مكافحة الإتجار بالبشر، مجلة دراسات إقليمية، جامعة الموصل، العدد (46)، 2020.

5) سحر فؤاد مجيد، التحرش الجنسي بالأطفال عبر الأنترنيت، مجلة كلية القانون، جامعة النهرين، العدد (19)، 2017.
6) سعد جبار نشمي، مدى فاعلية قانون مكافحة الإتجار بالبشر العراقي، دراسة في ضوء الالتزامات التي أوردها بروتوكول باليرمو، وثائق المؤتمر العلمي الخامس للقضايا القانونية، جامعة تشك، المجلد الثاني.
7) سلوى أحمد ميدان المفرجي، نحو استراتيجية دولية وطنية لمكافحة الإتجار بالنساء، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، العدد (2)، 2013.
8) صلاح هادي الفتلاوي، جريمة الإتجار بالبشر، مجلة العلوم القانونية، كلية القانون، جامعة بغداد، العدد (2)، 2012.
9) طلال عبد حسين البدراني، مُحَمَّد ذياب سطام الجبوري، سياسة التجريم والعقاب في أحكام قانون مكافحة الإتجار بالبشر العراقي رقم (28) لسنة 2012، مجلة الرافدين للحقوق، كلية الحقوق، جامعة الموصل، العدد (67)، 2019.
10) عودة يوسف سلمان، جريمة الاستغلال الجنسي للأطفال في ضوء المبادئ الدستورية والمعايير الدولية لحقوق الطفل، مجلة العلوم القانونية، كلية القانون، جامعة بغداد، العدد (1)، 2018.
11) فتحية مُحَمَّد القوراري، المواجهة الجنائية لجرائم الإتجار بالبشر، دراسة في القانون الإماراتي المقارن، مجلة الشريعة والقانون، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العدد (40)، 2009.
12) منى عبدالعالي موسى، ونافع تكليف مجيد، أثر العلاقة الزوجية في تطبيق القانون الجنائي في العراق، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، العدد (2)، 2016.
13) نوال طارق إبراهيم، جريمة الإتجار بالأشخاص، مجلة العلوم القانونية، كلية القانون، جامعة بغداد، العدد (1)، 2011.
14) هاشم مُحَمَّد أحمد، عباس فاضل سعيد، السياسة الجنائية في جريمة البغاء، دراسة مقارنة، مجلة الرافدين للحقوق، كلية الحقوق، جامعة الموصل، العدد (70)، 2020.
15) هناء اسماعيل إبراهيم الأسدي، التنظيم القانوني للإتجار بالبشر، مجلة رسالة الحقوق، كلية القانون، جامعة كربلاء، العدد (3)، 2013.

رابعاً: المواثيق الدولية:

1) إتفاقية حظر الإتجار بالأشخاص واستغلال دعارة الغير لعام 1949، متاح على الرابط الألكتروني:
http://hrlibrary.umn.edu/arab/b033.html
2) إتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة لعام 1979، متاح على الرابط الألكتروني:
https://www.hrw.org/legacy/arabic/un-files/text/cedaw.html
3) إتفاقية حقوق الطفل لعام 1989، متاح على الرابط الألكتروني:
http://hrlibrary.umn.edu/arab/b026.html
4) إتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية لعام 2000، متاح على الرابط الألكتروني:
http://hrlibrary.umn.edu/arab/CorgCRIME.html
5) البروتوكول الاختياري لإتفاقية حقوق الطفل بشأن بيع الأطفال واستغلال الأطفال في البغاء والمواد الإباحية لعام 2000، متاح على الرابط الألكتروني:
http://hrlibrary.umn.edu/arab/pro-chlid2.html
6) البروتوكول الإضافي لإتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية لمنع وقمع ومعاقبة الإتجار بالأشخاص، وبخاصة النساء والأطفال لعام 2000، متاح على الرابط الألكتروني:
http://hrlibrary.umn.edu/arab/P1orgCRIME.html

7) البروتوكول الإضافي لإتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية لمنع وقمع ومعاقبة الإتجار بالأشخاص، وبخاصة النساء والأطفال لعام 2000، (باللغة الإنكليزية)، متاح على الرابط الألكتروني:
https://www.ohchr.org/EN/ProfessionalInterest/Pages/ProtocolTraffickingInPersons.aspx
8) إتفاقية مجلس أوربا الخاصة بحماية الأطفال من الاستغلال الجنسي والإساءة الجنسية الصادرة في 25 أكتوبر 2007، متاح على الرابط الألكتروني:
https://rm.coe.int/0900001680794e97

خامساً: القوانين :

(أ) القوانين العراقية:

1) دستور جمهورية العراق لعام 2005، متاح على الرابط الألكتروني:
http://wiki.dorar-aliraq.net/iraqilaws/law/19516.html
2) قانون العقوبات العراقي رقم (111) لعام 1969، متاح على الرابط الألكتروني:
http://wiki.dorar-aliraq.net/iraqilaws/law/20706.html
3) قانون مكافحة البغاء العراقي رقم (8) لعام 1988، متاح على الرابط الألكتروني:
http://iraqld.hjc.iq:8080/LoadLawBook.aspx?SC=131220055958622
4) قانون مناهضة العنف الأسري لإقليم كُردستان- العراق رقم (8) لعام 2011، متاح على الرابط الألكتروني:
https://www.dorar-aliraq.net/threads/137902
5) قانون إنضمام جمهورية العراق إلى بروتوكول منع وقمع ومعاقبة الإتجار بالأشخاص، وخاصة النساء والأطفال المكمل لإتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة غير الوطنية لعام 2000 رقم (20) لعام 2007، الوقائع العراقية، العدد (4099)، في 1 كانون الأول (ديسمبر) 2008.
6) قانون مكافحة الإتجار بالبشر العراقي رقم (28) لعام 2012، متاح على الرابط الألكتروني:
https://arb.parliament.iq/archive/2012/02/23/

(ب) القوانين المقارنة:

1) مجموعة قوانين الولايات المتحدة الأمريكية، الفصل (18) الخاص بـ (الجرائم والإجراءات الجنائية)، متاح على الرابط الألكتروني:
https://www.law.cornell.edu/uscode/text/18/2251
2) قانون العقوباتالهولندي لعام 1881، متاح على الرابط الألكتروني:
https://wetten.overheid.nl/BWBR0001854/2020-07-25/
3) قانون العقوبات الفرنسي لعام 1992،متاح على الرابط الألكتروني:
https://yurist-online.org/laws/foreign/criminalcode_fr/_doc-5-.pdf
4) قانون العقوبات الروسي لعام 1996،متاح على الرابط الألكتروني:
https://rulaws.ru/uk/
5) قانون مكافحة الإتجار بالأشخاص والاستغلال الجنسي للأطفال القبرصي رقم 3 (1) لعام 2000، متاح على الرابط الألكتروني:
https://www.ilo.org/dyn/natlex/natlex4.detail?p_isn=65049

6) القانون الأنموذجي بشأن مواجهة الإتجار بالأشخاص الصادر عن رابطة الدول المستقلة في 3 أبريل 2008، متاح على الرابط الألكتروني:
http://docs.cntd.ru/document/902124613

سادساً: الوثائق الدولية:

1) التقرير المؤقت للسيدة أوفيليا كالسيتاس-سانتوس المقررة الخاصة للجنة حقوق الإنسان عن (بيع الأطفال واستغلالهم في البغاء وفي إنتاج المواد الإباحية)، الوثيقة رقم (A/50?456)، في 20 سبتمبر 1995، متاح على الرابط الألكتروني:
/http://hrlibrary.umn.edu/arabic/Children&Sale

2) إعلان وبرنامج عمل ستوكهولم (27-31 أغسطس 1996)، متاح على الرابط الألكتروني:
ecpat.org/wp-content/uploads/legacy/stockholm_declaration_1996.pdf

3) التعليق العام رقم (13) للجنة حقوق الطفل في 18 إبريل 2011 بشأن (حق الطفل في التحرر من جميع أشكال العنف)، متاح على الرابط الألكتروني:
http://hrlibrary.umn.edu/arabic/crc.html

4) قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في 18 ديسمبر 2019 بشأن مكافحة الاستغلال الجنسي للأطفال وانتهاكهم جنسياً على الأنترنيت، متاح على الرابط الألكتروني:
https://undocs.org/ar/A/RES/74/174

5) استراتيجية الأمم المتحدة لمساعدة ودعم ضحايا الاستغلال والانتهاك الجنسيين من جانب موظفي الأمم المتحدة والأفراد المرتبطين بها، متاح على الرابط الألكتروني:
https://undocs.org/ar/A/RES/62/214

6) نشرة السكرتير العام للأمم المتحدة (تدابير خاصة للحماية من الاستغلال الجنسي والانتهاك الجنسي)، متاح على الرابط الألكتروني:
https://undocs.org/ar/ST/SGB/2003/13

7) القانون الأنموذجي لمكافحة الإتجار بالأشخاص، متاح على الرابط الألكتروني:
https://www.unodc.org/documents/human-trafficking/UNODC_Model_Law_on_Trafficking_in_Persons.pdf

8) تحليل المفاهيم الأساسية الواردة في بروتوكول الإتجار بالأشخاص، فريق الأمم المتحدة المعني بالإتجار بالأشخاص، 9 ديسمبر 2009، متاح على الرابط الألكتروني:
https://www.unodc.org/documents/treaties/organized_crime/CTOC_COP_WG_4_2010_2_A_corrected.pdf

سابعاً: نظم المحاكم الدولية:

1) النظام الأساس للمحكمة الجنائية الدولية، متاح على الرابط الألكتروني:
https://www.icrc.org/ar/doc/resources/documents/misc/6e7ec5.htm

ثامناً: باللغة الروسية:

1) بكرياشوف، و إ.ك. بيلازوروف أ.ب. اقتصاد الظل والإجرام الاقتصادي، متاح على الرابط الألكتروني:
http://sbiblio.com/archive/bekrysche_belozerov_tenevaya_economica/1.aspx

2) بوجوليا غ.ت. إشكاليات تعريف مفهوم الاستغلال الجنسي للإنسان، وأهميته القانونية الجنائية، القضايا الملحة للقانون الروسي، موسكو، 2016، العدد (4).

3) بورياك م.يو. وإيبوخينا. ل.د. الإتجار بالنساء والأطفال لأغراض الاستغلال الجنسي من المنظورين الاجتماعي والجنائي، موسكو، 2003.
4) بورياك م. يو. الإتجار بالأشخاص ومكافحته، دراسة في القانون الجنائي وعلم الإجرام، أطروحة كانديدات دكتوراه، فلاديفستوك، 2005.
5) شاماكوف س.ب. الاستغلال الجنسي المنظم في منطقة أومسك، مجلة الإجرام المنظم، الإرهاب، والنساء، موسكو، 2003، العدد (3).

الحبُّ العُذري عند أبن حزم الأندلسي

أ.د. برزان مُيّسر حـامد الحميـد
جامعة الموصل– العراق

أ.د.عبد الرحمن ابراهيم حمد الغنطوسي
الجامعة العراقية – العراق

dr.barzan_78@yahoo.com
009647701601393

ملخص :

لأبن حزم الأندلسي مفكر الأسلام الكبير (ت:456هـ) مؤلفات كثيرة كشفت النقاب عن صروف حياته المتقلبة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، اكثر عصور الاندلس مأساوية ، كما أبانت عن الجوانب المتنوعة في آثاره بوصفه عالماً نفسانيّاً ، ومهذباً للأخلاق، ومنظّراً لغوياً، وفقيهاً ظاهرياً، ومؤرخاً للأفكار الدينية .

ولقد وصلنا من مؤلفات ابن حزم حوالي أثني عشر كتاباً أعلقها بالنفس كتاب ((**طوق الحمامة في الألفة والأُلّاف**)) الذي وضعه في شبابه .وقد عمد أبن حزم في كتابه هذا – وهو دراسة حقيقية للحُب والمحبين– الى بيان مفهومه للحب. ولا شك في أن هذا الموضوع لم يكن مستحدثاً في الأدب العربي ، فقبل تأليف ((طوق الحمامة)) بأكثر من قرن وضع ((الجاحظ)) في المشرق الاسلامي زمن الدولة العباسية ، رسالة صغيرة في الحبّ والنساء سمّاها بـ ((في العشق والنساء)) . وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي نجد الموضوع نفسه في إحدى رسائل ((اخوان الصفا)) ، وفي العصر ذاته يكاد ((المسعودي)) قد تحدث أيضاً عن الحب في ((مروج الذهب ومعادن الجوهر)) .

ألاّ ان ابن حزم استطاع ان يُجريّ إجراءً طريفاً حول مصطلح الحب هذا، فضمّنه عناصر سيرة ذاتية مطبوعة بطابع الصدق. فأبن حزم يُحدثنا في هذا المؤلف عمّا عاشه وأحسّه في أعماق نفسه. وفي كتاب الأعترافات هذا نجد أنّ الشخصيات التي تحوم حول أبن حزم إنما هي أندلسية عرفها الرجل وعاشرها من امراء ووزراء وعلماء وطلبة علم ، وقد روى لنا أبن حزم قصص حُبّهم المتنوعة .

لقد أهتم أبن حزم وبيّن في كتابه ((طوق الحمامة)) أن الحبّ ليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة ، اذ القلوب بيد الله تبارك وتعالى ، وأستشهد بمن كان عاشقاً من الخلفاء الامويين بالاندلس . وقد وصف الحبّ شعراً

فقـــال : **جَرى الحبُّ منـّـــي مَجرى النَفسِ وأعطيتُ عَيني عنانَ الفَرسِ**

من خلال ما تقدم سنتناول في دراستنا هذه موضوع ((الحب العذري)) عند ابن حزم من خلال ماتم عرضه في كتابه ((طوق الحمامة)) وكذلك عند التروبادور [شعراء وموسيقيين العصور الوسطى]، مستشهدين بألامثلة والنصوص التي أوردها ، ومعتمدين المنهج الوصفي التحليلي للوصول الى النتائج المرجوة في ختام هذه الدراسة .

الكلمات المفتاحية : الحبُّ ، العذري ، ابن حزم ، الأندلسي، طوق الحمامة .

Virginal love according to Ibn Hazm al-Andalusi

Prof. Dr.
Abdurahman ibraheem hamd Algantossi

College of Education
University of Iraqi

Prof. Dr.
Barzan moyasir hamid alhameed

College of Education for Human Sciences
University of Mosul

dr.barzan_78@yahoo.com

Abstract :

Ibn Hazm al-Andalusi, the great thinker of Islam (died: 456 AH), wrote many books that revealed the volatile ways of his life in the fifth century AH / eleventh century AD, the most tragic eras of Andalusia. A jurist outwardly, and a historian of religious ideas .

We have come from Ibn Hazm's writings about twelve books, the book "The Dove's Ring on Intimacy and Aluf" which he wrote in his youth. In this book, Ibn Hazm, which is a true study of love and lovers, deliberately explained his concept of love. There is no doubt that this topic was not new in Arabic literature. More than a century before the compilation of "The Pigeon Collar" Al-Jahiz wrote in the Islamic East at the time of the Abbasid state, a small treatise on love and women, which he called "On Love and Women". In the fourth century AH / tenth century AD, we find the same topic in one of the letters of the "Brothers of Safa", and in the same era almost "Al-Masudi" also spoke about love in "The Meadows of Gold and Minerals of the Essence".

However, "Ibn Hazm" was able to make a funny procedure about this term of love, so he included in it the elements of a biography printed with the character of honesty. Ibn Hazm tells us in this author about what he experienced and felt in the depths of his soul. In this book of Confessions, we find that the personalities that revolve around "Ibn Hazm" are Andalusian, whom the man knew and lived with: from princes, ministers, scholars and students of knowledge, and "Ibn Hazm" told us their various love stories .

Ibn Hazm was concerned and explained in his book "The Pigeon Collar" that love is neither anathema in religion nor prohibited in Sharia, because hearts are in the hands of God, Blessed and Exalted be He. Love has been described as poetry He said: Love ran from me like a soul, and I gave my eyes the reins of horse .

Through the foregoing, we will deal in this study with the topic of "virgin love" the honorable and pure according to "Ibn Hazm" through what was presented in his book "The Pigeon Collar" as well as with the Troubadour, citing the examples and texts he cited, and adopting the descriptive analytical approach to reach the desired results in the conclusion this study .

Keywords: love, virginity, Ibn Hazm, Andalusian, pigeon collar.

المقدمـــة :

يُعد **ابن حزم** (384-456هـ) واحد من أهم وأشهر العلماء والفلاسفة المسلمين في الاندلس، فإسهاماته لم تكن في العلوم الإسلامية وحسب، بل قدَّم العديد من الإسهامات للحضارة الإنسانية، فهو لم يكن فقط ذلك الفتى الذي هام بجاريتين من جواريه هياماً رومانسياً، وإنما هو أيضاً المتكلم والفيلسوف والفقيه والباحث واللغوي والمؤرخ والشاعر والثائر وعالم النفس والأخلاق ورجل الفكر والعمل السياسي والحالم. وفي كل هذه الجوانب كان ابن حزم واضح الانتماء إلى حضارته العربية الإسلامية لا إلى أية حضارة أخرى. بل هو معتز بهذا الانتماء اعتزازاً كبيراً، وهذا ما يستنتج من مصادر كثيرة في أدبه وفكره. وإذا كان ابن حزم قد انفتح على السوق الثقافي الاسباني الذي كانت تؤمنه له قرطبة والأندلس، من حيث التفاعل مع آداب قشتالية ولاتينية كانت موجودة في الاندلس الإسلامية إلى جانب الثقافة العربية الإسلامية، فإن هذا الانفتاح لا يلغي الأصالة. والأكيد أن ابن حزم لم يكن ضامر الثقافة العربية، أو موزع الذات بين هذه الثقافة والثقافة الأجنبية، وإنما كان في سياق حياته، وفي سياق عصره، مثقفاً وكاتباً عربياً كاملاً .

أما الذين يطاردون ابن حزم في مطاوي نفسه، أو في "اخفى طيات أعماق روجه"، كما يقولون، ليستنتجوا اسبانيته، أو ليفترضوا وجود مسيحية كامنة فيه، فإنهم يخالفون أبسط قواعد المنهجية العلمية. فمن التعسف وضع ابن حزم بين قمم الفكر الاسباني على امتداد كل العصور، في حين أنه، وبشهادة تراثه، عربي ومسلم كأي عربي أو مسلم آخر. أما الذين يتحدثون عن صفات نفسية فيه شبيهة أو مماثلة للصفات النفسية عند الاسبان ليستنتجوا اسبانيته، وليبعدوه ابعاداً تاماً عن العرب، فإنهم يقعون في الخطأ وفي العنصرية في آن واحد، وكأن العرب لم يعرفوا في تاريخهم ما يمكن تسميته بمؤسسة مكارم الأخلاق، وهي مؤسسة لم تزدهر لدى أي شعب من شعوب العالم كما ازدهرت لدى العرب والمسلمين **(فاضل، 1428هـ، موقع جريدة الرياض الألكتروني)** .

ولا يكاد القارئ يمضي خطوات مع ابن حزم في ((طوق الحمامة)) حتى يجد نفسه أمام نبض من ذكرياته، عن نفسه وعن أصدقائه، وآخرين مجهولين، وكلهم من العشاق: زفراتهم حارة، وأحاسيسهم صادقة، يخلطون المداد بالدمع، ويستخدمون في التراسل الحمام والعيون والرسل، ويعانون من الوشاة، ويموتون من الحب. وهو، الى جانب ذلك، معرض حافل بالحديث عن شيوخ ابن حزم، والشخصيات العامة في قرطبة،وبالاشارات التاريخية، والأحداث الهامة والحفلات الخاصة، وتخطيط العاصمة ومعمارها، ومساكن آل حزم ومستواها. وكلها تتحرك نابضة بالحياة، وتمضي متماسكة مثل عناقيد العنب. والكتاب قبل كل ذلك سيرة ذاتية لابن حزم، خطها بقلمه، واعترافات مخلصة باح بها في جرأة وصدق غير مألوفين في التراث القديم .

وإذا كان بعض الباحثين الاسبان يركزون على النزعة العذرية في كتاب "طوق الحمامة"، وعند ابن حزم شخصياً، ليؤكدوا انتماءه إلى التراث المسيحي، أو إلى التراث الاسباني السابق للمرحلة الاندلسية، فقد خاب سعيهم، فالنزعة العذرية من لزوميات تاريخ العشق عند العرب، وانطلاقاً منها كتب الشعراء العذريون العرب أمجد صفحات العشق وابقاها، بل أن هذه النزعة تنسب لآل عذرة !، وهم قبيلة من قبائل العرب القديمة .

على أن أهمية ابن حزم تتبدّى، أكثر ما تتبدّى، في كتابه ((طوق الحمامة)) الذي ليس له مثيل في تاريخ الشعوب والحضارات القديمة ،حيث نُقل هذا الكتاب إلى العديد من اللغات الحيّة المعاصرة، وأثار اهتماماً واسعاً مشابهاً للاهتمام الذي أثاره كتاب ألف ليلة وليلة . غير أنّ في ((طوق الحمامة)) تبدو شخصية ابن حزم في قمة توهجها حيث يلتقي الشاعر وعالم النفس والأديب

ليرسموا لوحة جميلة نادرة للحياة العاطفية في الأندلس على أيامه **(فاضل، 1428هـ، موقع جريدة الرياض الألكتروني)** .

أهمية الدراسة : تكمن اهميتها في الوقوف عند مفهوم الحب والعشق عند ابن حزم الذي جسّده من خلال كتاب ((طوق الحمامة في الألفة والأُلّاف)) والذي صُنّف ((أروع كتاب درس الحب في العصر الوسيط في الشرق والغرب في العالمين المسيحي والأسلامي)) .

هدف الدراسة : الوصول الى امر جدأ مهم عند أبن حزم من خلال كتابه ((طوق الحمامة)) وهو بيان أن الحب ليس بمنكر في الديانة(المسيحية) ولا بمحظور في الشريعة(الأسلامية) ، اذ القلوب بيد الله تبارك وتعالى ، وأستشهد بمن كان عاشقاً من الخلفاء الامويين بالاندلس .

مشكلة الدراسة : محاولة بعض المستشرقين إبعاد نظرية الحب العذري عن الطبيعة الإسلامية أو الفطرة العربية وإن هذا الغزل العفيف لا تعرفه الأخلاق العربية ولا الديانة الأسلامية ، وأنه تحدّر الى((أبن حزم)) إرثاً من اجداده الأوّل المسيحيين، في محاولة منهم لأرجاع أبن حزم الى أصوله المسيحية وأبعاده عن النسب العربي والدين الأسلامي .

منهج الدراسة : اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي في محاولة منّا للوقوف عند فلسفة الحب وماهيته عند ابن حزم الأندلسي من خلال ما أورده من قصص وروايات عن الحب والمحبين في كتابه طوق الحمامة لأشخاص عاصرهم .

هيكلية الدراسة : تناول البحث في بدايته نبذة عن المفكر الاسلامي الكبير ابن حزم الاندلسي وأنه ليس أول من كتب في الحب من أدباء العرب، فقد سبقه إلى ذلك الكثيرون، ثم تقديم عرض لكتاب " طوق الحمامة" وتحقيق نصه العربي وطبعاته وأبوابه حسب تقسيمات مؤلفه. ثم عرّج البحث بعد ذلك الى مفهوم الحب وأغراضه عند ابن حزم والتروبادور. ليصل عند الأيدلوجية الغرامية عند ابن حزم والتروبادور وبيان أوجه الأتفاق والاختلاف في نظرية الحب العذري عند كل من أبن حزم والتروبادور وهو خاتمة لموضوع البحث .

حدود الدراسة : تتمحور في بيان مفهوم الحب والعشق ورواية الكثير من هذه القصص من خلال ما شاهده وعاصره في البلاط الاندلسي خلال عصر الخلافة الاموية وجزء من عصر الطوائف .

مُدخـل :

لقد قدّم ابن حزم للحضارتين الإنسانية والإسلامية إلى جانب ما قدمه في ميدان المزج بين النظر المنطقي والنظر الديني وما قدمه في ميدان تاريخ المذاهب والأديان نظرية جديدة حول ((**الحب**)) من الوجهتين النفسية والاجتماعية .

وعلى الرغم من أنه ليس أول من كتب في الحب من أدباء العرب، فقد سبقه إلى ذلك أبو بكر مُحَمَّد بن داود الأصبهاني الظاهري في كتابه (الزهرة) ، وابن الجوزي في كتابه (الحدائق)، وإخوان الصفا في(بعض رسائلهم، وابن المقفع في (الأدب الكبير والأدب الصغير,) والجاحظ في(أحدى رسائله في العشق والنساء) وأبو إسحاق الحصري في كتابه (المصون في سر الهوى المكنون)، إلاّ أن ابن حزم قد فاق كل هؤلاء في دقة منهجه وتسلسل أفكاره، وترابط بحثه ورقة حسه، وبعد غوصه وأتباعه منهجاً استبطانيًا واستقرائيًا، فجاءت رسالته(طوق الحمامة) حافلة بالملاحظات النفسية الدقيقة والخبرات الحية المعاشة والأمثلة التاريخية والنماذج البشرية المتنوعة، أو بتعبير آخر جاء ما قدمه في "طوق الحمامة" نظرية متكاملة عن الحب اعتمدت على عناصر البحث النفسي والاجتماعي(**آل تركي،2018، موقع ساقية الالكتروني)** .

فـ (ابن حزم) هذا الفقيه الظاهري الأصولي لم يجد أي تناقض بين ما قدّمه في "طوق الحمامة" وما قدّمه في المُحلّى أو الفصل، ولو أنه – بكل ما عُرف من دين قد اكتشف على امتداد عمره – تناقضاً لأعلنه ورجع عنه .

ويأبى بعض المستشرقين أن ترجع نظرية الحب العذري إلى الطبيعة الإسلامية أو الفطرة العربية. فحين وقف (رينهارت دوزي) على قصة الحب الرقيقة لـ" أبن حزم" ، وأستكثرها على العرب وعلى المسلمين بالرغم من أنه علماني لا يحب الكنيسة ولا يتعاطف مع رجال الدين المسيحي ، وقال إن هذا الغزل العفيف لا تعرفه الأخلاق العربية ولا الديانة الأسلامية ، وأنه تحدّر الى" أبن حزم" إرثاً من اجداده الأوّل المسيحيين(**آل تركي،2018، موقع ساقية الالكتروني**) .

بيدّ أنّ كثيراً من المستشرقين من امثال المستشرق الروسي ميغل آسين بلاثيوس قد تصدى له مفنداً آراءه في دراسة عن ابن حزم وكذلك الراهب (إميليو غارسيا غوميز) والمستشرق الفرنسي اليهودي(ليفي بروفنسال) وغيرهم ، قد ردّوا هذا الزعم أو الأدعاء وبينّوا أصوله الأسلامية والعربية حتى في البيئة الجاهلية .

وبما أننا لا نميل إلى أن لـ (ابن حزم) أصولاً مسيحية بل نرى نسبته في فارس التي نسب إليها نفسه، ونسبه إليها أقرب تلامذته، فنحن بالتالي لا نرى ضرورة للبحث في قضية الأصول هذهِ، ونرى أن عقليته وتكوينه النفسي إنما هما إسلاميان عربيان لحمةً وسدى .

إن المحاولات التي سبقت ابن حزم في مجال الحب ليست سوى نظرات جريئة لم تستطع أن تشق لها رافداً في نهر الحضارة سواء منها ما أنتجه العقل العربي أو أنتجه العقل الأوروبي .

أما طوق الحمامة فقد كان كما يصفه بحق الدكتور الطاهر مكي: ((أروع كتاب درس الحب في العصر الوسيط في الشرق والغرب في العالمين الاسلامي والمسيحي)) وتتبع أطواره وحلل عناصره وجمع بين الفكرة الفلسفية والواقع التاريخي وواجه أدق قضاياه في وضوح وصراحة (**آل تركي،2018، موقع ساقية الالكتروني**) .

وكان (ابن حزم) الدارس الواقعي، في كل خطاه، أفكاره محلّقة وقدماه على الأرض، ويصدر في نظريته عن تجربة عميقة ذات أبعاد إنسانية واسعة وعن إدراك ذكي لطبائع البشر.

رحلة الكتاب :

يشير الدكتور الطاهر أحمد مكي أنه في نهاية النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي، قام السفير الهولندي المستشرق فون وارنر بدراسة المخطوطات العربية خلال فترة انتدابه سفيراً في الأستانة من سنة 1644 إلى 1665 م .

وفي ذلك الوقت توفي حاجي خليفة الذي كان يملك واحدة من أكبر مكتبات الأستانة، فاشترى فون وارنر الكثير من المخطوطات ممن آل إليهم أمر مكتبة حاجي خليفة فكان من بين هذه المخطوطات مخطوط ((طوق الحمامة))، الذي قُدر له أن

يستقر في مكتبة ليدن بهولندا، لمدة 175 عاماً، إلى أن جاء مطلع القرن التاسع عشر، حيث قام المستشرق الهولندي رينهارت دوزي بإصدار أول طبعة لفهرس المخطوطات العربية في جامعة ليدن، عرف العالم من خلالها مخطوطة ((طوق الحمامة)) .

النص العربي :

ودام الحال إلى أن قام المستشرق الروسي د. ك. بيتروف (D.K. Petrof) بتحقيق النص العربي لطوق الحمامة كاملاً في سلسلة كتب كانت تصدرها كلية الاداب في جامعة بطرسبرغ، وطُبع في مطبعة " بريل" العربية في ليدن عام 1914م . وبعد سبعة عشر عاماً قام السيد مُحَمَّد ياسين عرفة، صاحب مكتبة عرفة في دمشق ، بطبع النص العربي ثانية عام 1930 .

ولم يجرَ تغييراً كبيراً عن نسخة بيتروف، إلى أن صدرت الطبعة الثالثة عام 1949م على يد المستشرق الفرنسي "ليون برشيه "في الجزائر، وبعدها بعام، أي عام 1950م قام الأستاذ حسن كامل الصيرفي بطباعة النسخة الرابعة للكتاب في القاهرة، لكن هذه الطبعة جاءت أسوأ مما صدر من طبعات، لجهل الصيرفي بتاريخ الأندلس وحضارتها .

طبعات أخرى :

ومن ثم تقدم الدكتور الطاهر أحمد مكي بضبط نص الكتاب وتحرير هوامشه، في طبعة صدرت عن دار المعارف المصرية عام 1975م ، وفي عام 1993م حقق الدكتور إحسان عباس الكتاب ونشره، وهناك طبعات أخرى كثيرة، كما قام الدكتور حاتم بن مُحَمَّد الجفري بوضع كتاب عام 2009م بعنوان ((الحب.. .أعزك الله)) .

ثم ظهرت له ترجمات عديدة إلى لغات أوروبية من سنة 1931م إلى سنة 1952م . وقد حدد "ليون بيرشي" (Leon Bercher) الذي ترجم ((طوق الحمامة)) إلى الفرنسية سنة 1949م المخّطط العام للكتاب على هذا النحو : ((إنما وضع ابن حزم هذه الرسالة الصغيرة في الحب، والأحوال التي ينشأ فيها، والآفات التي تعرض له ، والسلوك الذي يفرضه على المحبين ، بطلب من صديق له من المرية جاء يزوره في بيته بمدينة شاطبة الأندلسية . وبُعيد ذلك نبّه ليفي بروفنسال (Levi-Provencal)عند مراجعته لـ ((طوق الحمامة)) إلى ما يضمه الكتاب من تفاصيل تتعلق بالحفاوة القرطبية في آواخر أيام الخلافة الأموية (*PROVENÇAL*،1950 ،pp.335-375) .

وقد أشار- بما عُرف عنه من نفاذ بصيرة- [أي أبن حزم] إلى أن هذا الكُتيّب المؤلَف سنة 412هـ/ 1022م

((يبسط من خلال صفحاته نظرية في المثالية الغرامية)) تلائم تمام الملاءمة تلك النظرية التي يمكن أن نستخرجها من الدراسة المقارنة لبعض شعراء التروبادور ([1]) في جنوب فرنسا. وهم الشعراء والموسيقيين الذين ازدهر شعرهم الغنائي في مطلع القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي إلى نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي

(*PROVENÇAL* ،1948 ،p.293) والحق أن ما ضمه كتاب((طوق الحمامة)) من مفهوم سامٍ للحب قد بدأ في الظهور منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي عند عدد لا بأس به من الشعراء الأندلسيين . وبُعيد ذلك ومن الجهة

([1]) هم شعراء أو موسيقيين عاشوا في القرون الوسطى، وكان يؤدون أدواراً أو يخصص شخصاً لتأدية هذه الأدوار منشداً أشعار ألفوها عند الملوك والسلاطين في الجنوب الشرقي لفرنسا وسرقسطة في مملكة أراغون وضواحيها بالخصوص. وان أصل هذا النوع الموسيقي هو أندلسي، وأسم الكلمة مشتق من طرب وكلمة دور. وكانوا يعزفون الموسيقى متنقلين بين القصور، أي كانوا يدورون من قصر إلى آخر .

الأخرى لجبال البرانس شرع التروبادور – وهم شعراء وموسيقيون معاً – كما أسلفنا في التغنّي بالحب العذري ، وهو صداقة عشقية ، وعبودية تلقائية للمرأة . إن تنظيم المقاطع الشعرية ، والحب المثالي والحب الشهواني عناصر موجودة في القرون الوسطى المتأخرة في الحب الأندلسي والحب الأوكسيتاني (**poesie،1948،pp283-304) .**

والكتاب في مضمونه يعالج حالات الحبّ ويصنفها ابتداءً من "الود" إلى مرحلة "الجنون" التي تصيب العاشق، ويُقدّم ابن حزم نصائح للعاشقين والمحبين عبر مجموعة من الأشعار والقصص .

لقد تناول ابن حزم الألفة بين المحبين في وصف أكبر وأشمل وأعمق من الحب، وعالج العاطفة من منظور إنساني تحليلي،مستعينًا بكتاب "مأدبة الحب الأفلاطونية" و"مجالس يحيى البرمكي" وكتاب "الزهرة" لابن داود الأصبهاني**(ابن حزم، 2016، ص11-16).**

وجاءت تسمية الكتاب بـ "طوق الحمامة" كنايةً عن الجمال الذي يعتبر مساراً للحب، مستلهماً من قصة منح النبي نوح(عليه السلام) الطوق للحمامة التي أرشدته بعد الطوفان، بالإضافة إلى أن الحمامة رمز للحب عند فينوس آلهة الحب في الأساطير اليونانية **(ابن حزم، 2016، مقدمة الكتاب).**

أبواب الكتاب :

ضم الكتاب مجموعة أبواب، من ضمنها؛ باب ذكر من أحب في النوم، باب من أحب من نظرة واحدة، باب التعريض بالقول، باب الإشارة بالعين، باب المراسلة، باب السفير، باب الإذاعة، باب العاذل، باب الوصل، باب الوفاء، وباب الموت. وخير ما ختم به ابن حزم كتابه باب الكلام في قبح المعصية، وباب الكلام في فضل التعفف استشهد فيهما بالآيات والأحاديث عن قبح المعصية وفضل التعفف، فلئن كان القلب يخرج عن طوع صاحبه ويميل ويحب والشخص غير ملوم على هوى قلبه فإنه يحاسب على فعله، كأنما الكاتب في هذين البابين يحاول أن يقول: ((إذا فقدت قلبك، حاول أن لا تفقد عقلك)) .

تعريف الحب عند أبن حزم والتروبادور :

لقد اهتم ابن حزم ببيان أن الحب: ((ليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة ، إذ القلوب بيد الله عز وجل)) **(ابن حزم ، 2016، ص 11).** واستشهد بمن كان عاشقاً من الخلفاء الأمويين بالأندلس. وقد وصف الحب شعراً فقال :

جرى الحب مني مجرى النفس وأعطيت عيني عنان الفرس

لقد أفاض الناس في الحديث عن الحب إذ أنهم لم يتفقوا في طبيعته ، أما ابن حزم فيقول : ((والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في أصل عنصرها الرفيع)) . ويستطرد قائلاً: ((إن الحب شيء في ذات النفس)) ؛ فصحّ بذلك أن الحب: ((استحسان روحاني وأمتزاج نفساني)) (طوق الحمامة ص ص 13-14، 19). ويفّسر هذا الحبّ الذي يستولي على النفوس بما بين الأرواح من تناسب في القوى . إن الاندفاع التلقائي إلى الأسمى يطبع الحبّ عند ابن حزم بطابع أفلاطوني ، ونتبين في ذلك أثر ((مأدبة)) أفلاطون .

أما عند التروبادور فالحب العذري انجذاب غرامي ينزع إلى المماثلة بين نفسين شريفتين والتوحيد بينهما ، وقد رأى بعض الدارسين في هذا الحب ضرباً من تصعيد الاندفاع الأولي وروحنته **(DAVENSON،1961،p.147)** . وبدءًا من سنة 545هـ/1150م أخذ التروبادور يلحّون على طبيعة الحب الروحانية الصرف، ولئن كانت الشهوة منفلتة من عقالها فإن الحب العذري ينصاع لقواعد معينة ، ولكي تتحقق العذرية (la cortezia) تحققاً تاماً فإنها تقتضي من الإنسان أن يلتزم سنّة معلومة بأن يبدي ((اعتدالا)) (mesura)، أي نمط تصرّف وآداب سلوك هي واجب إجتماعي مهم . وعلى الإنسان أيضاً أن يراعي متطلبات الفتية (Jovens) وهي جملة من الخصال الأخلاقية والمروءة والكرم **(33 ، 30، 28-pp.27 ، 1964 LAZAR،)** .

ويرى أبن حزم أنّ الحب ينجر عنه تحوّل ، فهو ((يزّين للمرء ما كان يأنف منه ، ويسهل عليه ما كان بصعب عنده، حتى يحيل الطبائع المركبّة والجميلة المخلوقة)) (**ابن حزم ،2016، ص15**) .

وللحب على العشاق في نظر اين جزم حكم ماضٍ ، إنه:((داء عياء ، وسقام مستلذ ، وعلّة مشتهاة لا يودّ سليمها البرء ولا يتمنى عليلها الإفاقة)) **(ابن حزم ، 2016 ، ص 15)** .

وقد التقى ابن حزم بفتى من بعض معارفه هو بمثابة السقيم الذي لا يريد فقدّ سقمه لشدة ما ((وحل في الحبّ وتورّط في حبائله))**(ابن حزم، 2016، ص16)**، ويرى برناردي فونتادور: ((أن الحبّ سجن)) **(آريي،1988 ، ص45)** .

ويعتبر كل من ابن حزم والتروبادور أن الشهوة نار مهلكة، وقد شبّه المفكر القرطبي العاشق بفراشة أحرقتها النار **(ابن حزم،2016 ص34-35)** . ويؤكد برناردي فونتادور أنه يعاني من الآلام بقدر ما يعاني: ((من يحتضر وسط النيران)) **(آريي،1988 ، ص45)**. إن الهوى يملك النفس من أقطارها، ويُترع الفؤاد غمّاً ، إلاّ أنّ عذاب الحبّ عذب المذاق . ويفسّر ابن حزم هذا الجانب السلبي للحب في إطار تعريفه ، فلا يكون المرء تعيساً في حبه إلا إذا كانت روح المحبوب في شغل شاغل عن نداء نصفها الآخر لأنها مكتنفة الجهات ببعض الأعراض الساترة **(ابن حزم،2016 ص13)** . وليس لـ ((جوفري رودل)) من رغبة ((سوى هذا الحب النائي)) الذي يملك عليه نفسه . ويُنشِد ((سير كامون)) ذلك الحب الذي أوقعه في شراكه ، ولم يعطه إلا ((النّكال والغم)) : وهو يرى أن لا شيء أغلى من حبيبي الوحيد ولا شيء يثير فيّ الأمل غير ما لم أستطع الحصول عليها

(DAJEANNE،1934،،X1 PP.54،58).كما إن الانتظار يغيظ التروبادور ويدفعه إلى أن يبدع ويكون طاهراً ، وإنّ روعة أغاني ((برناردي فونتادور)) ناشئة عن الأسى الذي استولى عليه نتيجة لقساوة السيدة التي تعذبه ، وإن الحب المكبوت يدفعه إلى البحث عن المثل الأعلى .

المرأة والعاشق والغير :

ثمة في الحب العذري ثالوث لا بدّ منه : المرأة والعاشق والغير. كما كان معيار الجمال الأنثوي في شعر الشرق الإسلامي وفي شعر الأندلس متمثلاً في السمراء ذات الشعر الفاحم الأثيث . وفي القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي تغزل الأندلسيون المسلمون في أشعارهم بالمرأة الغيداء القصيرة الشعر**(vadet،1968،p43)** .

أما ابن حزم فقد كان شغوفاً أيما شغف بالشقراوات : ((إني أحببتُ في صباي جارية لي شقراء الشعر، فما استحسنت من ذلك الوقت سوداء الشعر، ولو أنّه على الشمس،أو على صورة الحسن نفسه))(**ابن حزم،2016، ص 38)** .

وقد ذكر بعد ذلك إيثار الخلفاء الأمويين بقرطبة للشقراوات ، وأضاف أن المرأة الجبداء لم تكن تُقدّم دائماً على ذات الجيد العادي ، وإنما الأمر مُرتهن بالذوق الشخصي . وقلما نجد عند ابن حزم حديثاً عن أعضاء المرأة ، ويظل وصفه العام لمحبوبته تقليدياً صرفاً حين يرى في ضوء القمر انعكاساً لبهائها ، وهو يعجب ببياض البشرة وبالخيلان وبالنمش الذي يزّين الوجه ، وبمشية المحبوبة المتمايلة وبقدّها المهتزّ كالغصن **(ابن حزم،2016، ص ص73-77،80- 83، 109، 153-155)** .

وقد حازت المحبوبة على الفضائل كلها، وهذا ما نستنتجه من قصة وقعت لأبن حزم شخصياً، فقد شغف حباً بجارية فتية في السادسة عشرة من عمرها كبرت في بيت أبيه وظل يذكر أنها :

((غاية في حسن وجهها وعقلها وعفافها وطهارتها وخفرها ودماثتها عديمة الهزل منيعة البذل ، بديعة البشر مسبلة الستر ، فقيدة الذام قليلة الكلام ، مغضوضة البصر شديدة الحذر ، نقية من العيوب دائمة القطوب ، حلوة الأعراض مطبوعة الانقباض ، مليحة الصدود **(ابن حزم ،2016، ص 136-137)** .

إن الصفات التي درج التروبادور على استعمالها تضفي على المرأة المحبوبة شيئاً من الألق. فـ ((قيوم IX)) يتغزل بأمرأة ((أشد بياضاً من العاب)) ، ويتغنّى شاعر مغمور بجسد حبيبته ((الأبيض كزنبقة ثلجية)) ((غريض لونها كوردة أيار - أشقر كالذهب شعرها الرائق)))) **(آريي، 1988، ص46)**. ومع ذلك يظل وصف الجمال الأنثوي مبهماً وتقليدياً صرفاً والشعراء الغنائيون الأوكسيتانيون إنما يتغزلون بنحافة القدّ ، وبهاء البشرة البيضاء كالثلج ، القرمزية كالوردة ، ورقة الحواجب ، وبياض الأسنان ، وتناسب أقسام الوجه تناسباً لطيفاً . وهم لا يشيرون البتة إلى لون العيون ، ولا إلى ما تّبين عنه هيئة الوجه . إن المرأة المحبوبة عند التروبادور هي أكمل مخلوقات الله ؛ ويعتبرها ((برناردي فونتادور)) فوق نساء الدنيا جميعاً)) **(آريي، 1988 ، ص46)**. ويمتنع التروبادور عن الفصل بين خصال المرأة المعنوية وصفاتها الجسدية. إنها امرأة عظيمة بمالها من نسب تليد ، وهي رقيقة رشيقة فطنة . وهي تحسن الجمع بين ((الأحاديث العذبة)) و ((الأعمال الحميدة)) . ويتصور التروبادور جمال المرأة موسوماً بالرقة والذكاء . إن محبوبة التروبادور تملك صفات أكمل النساء في الدنيا .

وعلى هذا النحو يحدد ابن حزم سلوك العاشق : يشيح العاشق جهراً عن كل الحاضرين سوى محبوبه . ويبلغ به الأمر أن يحب أهل المحبوبة وقرابتها وخاصتها حتى يكونوا أحظى لديه من أهله ومن جميع خاصته **(ابن حزم،2016، ص 22)** .

ويرى ((قيوم 1X)) أنه من الواجب على العاشق أن يحترم كل من يقيم مع محبوبته . ويعتبر برناردي فونتادور أنه على العاشق أن يكون بشوشاً حتى مع المنافس أو العدو . إن المحبّ يبدي للمرأة توقيراً كبيراً . فـ ((أرثر دانيال)) (Arnaut Daniel) يقول : ((إنني أكرّم ألف إمرأة في الدنيا)). أُحب أن يُبعث في قلب العاشق كل الفضائل . وعلى العاشق الكامل أن يُعرض عن كل صنيع من شأنه ألاّ يروق المرأة . وتتدّرج واجباته من مجرّد الاحترام من باب المجاملة إلى تقديم البراهين على تفانيه في الوله. ويشترط التروبادور على العاشق أن يمسك زمام عواطفه وغرائزه طبقاً لسنن الحب العذري . ويحتاج المرء إلى بذل جهد كبير حتى يصبح عاشقاً كاملاً . فلا يغدو جديراً بهذه التسمية إلاّ من تخلص من كل غرور ذكري . وعلى العاشق أن يسعى إلى أن يفتن المرأة بشدوه حتى يكون موضع إعجابها . ويصرّح برناردي فونتادور إنه متدّله في حب المرأة، وهو ملك لها قلباً وقالباً ، وهو يبتهل إليها ويعبدها كما لو كانت إلهاً . ويستطرد قائلاً :

((اني مدين لمعشوقتي بقيمتي وبروحي معاً ؛ ومن فضلها مرحي اللذيذ وعاداتي الطيبة ، فلو لم أرها لما أحببت ولما سعيت البتة إلى أن أحظى بالإعجاب)) .

وربما شكا العاشق أمر الحبيبة إذا ما أصابته بخيبة أمل كبيرة . وقد عبّر ((قيوم IX))في أناشيده الأولى عن أسفه لغدر النساء. وقد حدث لـ برنار دي فوتتا دور انقلاب مفاجيء: فقد خاب أمله ومن ثم أصبح سعيداً بفراق حبيبته واتهم النساء كلهن بالتقلب **(آريي، 1988 ، ص47)**. وتتحرك على ركح الحب العذري شخصيات ثانوية قليلة الأهمية .

فالصديق المساعد حسب اعتقاد ابن حزم صديق مخلص لطيف القول مأمون الخيانة كريم النفس مبذول النصيحة . ((ولمن يفقد الإنسان من صاحب هذه الصفة عوناً جميلاً)) **(ابن حزم،2016، ص 67)**. وربما كان الصديق الوفي عاذلاً في الوقت نفسه. والعاذل صديق قد أسقطت مؤونة التحفظ بينك وبينه، فعذله أفضل من كثير من المساعدات ، ولكنه خطب شديد أن يكون العاذل زاجراً لا يفيق أبداً من الملامة (**ابن حزم،2016، ص 65**) ، ويصوّر فيرو دي بوراي (Guiraut de Borneil) عند مطلع الفجر المثال الكامل للصديق الذي يسلخ الليل يرعى الشاعر ومحبوبته **(آريي، 1988 ، ص47)** .

إن المرء ليشعر بالارتياح إذ يستطيع أن يبوح له بسعادته . إلا أن الصديق الذي تطلعه أكثر على أسرارك ، غالباً ما يتضح أنه مهذار . ولذلك فبعد أن نصح فيرو العاشق باتخاذ صديق يأتمنه على أسراره توقع المخاطر المنجزة عن هذا الوضع، وانتهى به الأمر إلى القول بأنه إن وجد ثلاثة « رفاق» كان أحدهم عادة ((زائداً عن الحاجة)) وإذا حلت الثقة بين العاشقين وقع إدخال ((السفير)) الذي خصّه ابن حزم بفصل قصير **(ابن حزم،2016، ، ص ص 47-48)** .

وينبغي أن يتخير العاشق السفير بشيء كثير من العناية، وأن يرتاده من بين أكثر الناس حذقاً . وينصح ابن حزم العاشق بأن يعهد بأداء الرسالة إلى إنسان حافظ للأسرار وفيّ للعهد قنوع ناصح ، ومن لم يتحّل بهذه الصفات كان ذا ضرر على باعثه ، وقد كان المحّبون في قرطبة يستعملون في هذه المهمة النساء ذوات الصناعة التي تقربهن من الناس : كالطبيبة والحجامة والدلاّلة والماشطة والنائحة والمغنية والكاهنة والصنّاع في المغزل والنسيج (**ابن حزم،2016، ص47)** .

وينتظر التروبادور السفير بنفاد صبر ، وهذا برتادي فونتادور يكتب : ((أيها السفير رح عدواً وحدّث أجمل النساء عن الحزن المرير والعذاب اللذين أقاسيهما حتى الموت))**(آريي،1988، ص47)** . وغالباً ما يكلّف السفير بنقل تذكار من المحبوبة إلى العاشق .

أغراض الحب العذري :

يرى ابن حزم أن الحبّ الحسي يمكن أن ينشأ عنه حب حقيقي. وإذا وافقت العلاقات الجنسية أخلاق النفس تولدت المحبة ((إذ الأعضاء الحساسة مسالك إلى النفوس ومؤديت نحوها)) والحب عند ابن حزم يمكن أن يقع بالوصف دون المعاينة ((فإن للحكايات ونعت المحاسن ووصف الأخبار تأثيراً في النفس ظاهراً)) **(ابن حزم،2016، ص 27)** .

وحسب ابن حزم فأن نشوء الحب تصحبه دوماً أعراض ، وهذه العلامات التي تُظهر الحبَّ تكشف سرَّ العاشق وهي مختلفة ، منها إدمان النظر للمحبوب، والإنصات لحديثه إذا حدّث ، والدّنو منه. وكثير من حركات العاشق ذات دلالة : منها تعمده لمس يد المحبوب عند المحادثة ، وشرب فضلة ما أبقي المحبوب في الإناء . ومن علامات الحبّ كثرة الغمز الخفي والتلميح بالكلام ، ومراعاة المحبَّ لمحبوبه ، وحفظه لكل ما يقع منه . ومنها بهن يقع وروعة تبدو على المحب عند رؤية من يحب فجأة ، ومنها

اضطراب يبدو على المحبّ عند سماع اسم محبوبه **(ابن حزم ،2016 ص ص 30-39)**. وقد أحسن « سيركامون» وصف ما يعتريه من اضطراب أمام حبيبته إذ قال :

((من فرط عجبي حين أكون معها

عجزي عن البوح بمرادي

وعند انصرافي عنها يخيّل إليّ

أني فقدت كل أحساس وكل معرفة)) (ابن حزم، 2016، ص50) .

ومن علامات الحب الحياء ، ويتحدث ابن حزم عن الحياء المركب الذي يكون في المحب فيحول بينه وبين التعريف بما يجد المحبوب.((فيتطاول الأمر وتتراخي المدة ويبلى جديد المودة ويحدث السلّو))**(ابن حزم،2016، ص 134)** . وهذا سير كامون لا يجرؤ على قول شيء لحبيبته . ولما باح بحبّه بعد أن يسلخ في العشق حولين أو ثلاثة **(آريي، 1988، ص50)** .

ومن علامات الحب البكاء، وهو دليل على حرارة الحب وصدقه. وقد قال ((ابن حزم)) في هذا شعراً :

دليل الأسى نار على القلب تلفح ودمع على الخدين يحمي ويسفح

إذا كتم المشغوف سر دموعه فإن دموع العين تبدي وتفضح

إذا ما جفون إلعين سالت شؤونها ففي القلب داء للغرام مبرح

(ابن حزم،2016 ص 23) .

وعند التروبادور تكون الدموع سبباً في شحوب العاشق ونحوله . يقول برناردي فونتادور : ((من ماء عيوني الجاري أكتب أكثر من مائة سلام أبعث بها إلى أحسن النساء وأجملهن)). وليس لـ آرنودي ماروي (Arnaut de Mareuil) من حديث إلا عن دموعه (***DAJEANNE*،1934، X1 P.103**) .

ويكون عذاب المحب أيضاً معنوياً ، وهو يقاسي كل أنواع الهموم . ويتحدث ابن حزم عن الجزع الشديد الذي يغلب على الحبَّ وتنفسه الصعداء **(ابن حزم، 2016، ص22)**. يقول برناردي فونتادور إن الحبَّ جعله متأرجحاً كالسفينة الشراعيّة فوق الموج ، ويصرّح بأنه أكثر عذاباً من ((تريستان)) :

لي من الحب آلآم مبرّحة

لم يذق مثلها ((تريستان)) العاشق

من جرّاء ((ايزوت)) الشقراء **(آريي، 1988، ص51)** .

إن المرأة تبدو موصولة وصلاً مكيناً بكلّ ما يجعل الطبيعة جميلة .وقد قام ابن حزم بوضع المحبين في إطار ريفي. وفي هذا المعنى نعرض الأبيات التي نظمها من ((الروضيات)) :

نَعِمنَا على نُورٍ من الروضِ زاهِر سَقتهُ العَوَادي فَهْو يُثني ويَحمدُ

كأنّ الحَيَا والمُزنَ والرَّوضَ عاطراً دُموعٌ وأجفانٌ وَخدٌ مُوَرّدُ (ابن حزم، 2016، ص 43).

ولبعض موضوعات الحب العذري طابع بالغ التميّز ، وقد جلعنا أهمّها قوة الحب، وقد ذكرها ابن حزم بقوله :

((اعلم أن للحب حكماً في الناس ماضياً وسلطاناً قاضياً وأمراً لا يخالف وحدّاً لا يُعصى ومُلكاً لا يُتعدَّى وطاعة لا تصرف ونفاذاً لا يردّ...)) (**ابن حزم ،2016، ص 37**) .

وينبغي أن نربط بين الشوق وقوة الحب، فلكل عاشق شوق إلى اللقاء. وعندما يمتزج شخصان في حبّ واحد تنشأ بينهما مراسلة . وقد أفرد ابن حزم للمراسلة فصلاً قصيراً يقول فيه :

((إن لوصول الكتاب إلى المحبوب وعلم المحب أنه قد وقع بيده ورآه للذة يجدها المحب عجيبة تقوم مقام الرؤية...))

(ابن حزم،2016،، ص 45) .

ويقدم لنا ابن حزم دليلاً على قوة الحب فيروي لنا قصة المحب الذي قطّع يده بسكين له فسال الدم وأستمدّ منه وكتب به الكتاب أجمع **(ابن حزم،2016 ، ص 46).** ويمجّد التروبادور الشوق الطويل الذي يروم تخليد الحلم السرمدي برؤية الحبيبة أو امتلاكها . وقد كتب ((جوفري رودل)) سير بلاي الذي لم يكن له من غاية غير ملاقاة "كونتيسة طرابلس أبياتا يقول فيها :

أسير محني الظهر من رغبتي

دون أن تكون الأغاني وأزهار الزعرور

بالنسبة إليَّ شيئاً أكثر من ثلج الشتاء

وظنّي – بل يقيني – أن الله

سيريني حبيّ البعيد **(آربي، 1988، ص52) .**

وكتمان السر من القواعد الأساسية في الحبّ العذري ، وقد التزم به ابن حزم التزاماً تاماً إذ هو لم يذكر أسماء الأشخاص الذين عرفهم وذكر مغامراتهم. ويرى ابن حزم أنّ على المحب أن يكتم سره وأن يتجنب أن يفتضح أمره بالشحوب أو النظرات أو الدموع. وكثيراً ما يكون سبب الكتمان في المجتمع القرطبي توّقي المحبَّ على نفسه من إظهار سره لجلالة قدر المحبوب **(ابن حزم،2016، ص50).** وربما كان إفشاء السر سبباً في قطع الحب . ويتلو باب طي السرَّ باب الإذاعة ، وفي مثل هذه الحالة يغلب الحب الحياء فلا يملك الإنسان حينئذٍ لنفسه صرفاً ولا عدلاً . ويرى ابن حزم أن ذلك داعيةُ نِفار المحبوب وضعف في السياسة من قِبل المحبّ **(ابن حزم،2016، ص54) .**

والكتمان عند التروبادور أولى العلامات الدالة على احترام المحبوبة : إذ ينبغي على العاشق – إكراما لها– أن يمحضها وجداً مكتوماً يسكن حناياه . والكتمان ضروري للحبّ خصوصاً إذا كان قائماً على خيانة زوجية . وعلى العاشق أن يخفي اضطرابه إذا ما راقبه أحد ، فلا حياة للحب العذري إلا في الخفاء . وفي إذاعة الحب، على غرار ما يفعل الوشاة ، قتلٌ له : ولذلك كانت ثرثرة هؤلاء النمّامين المخادعين خطرة . ومهما يكن من أمر فإنّ على العاشق المثالي أن يحفظ سير حبه حفظاً مطلقاً . وبصرّح ((برناردي فونتادور)) لحبيبته بقوله : ((إنني لن أفشي أبداً سرّ حُبنا، كوني على يقين من ذلك)) **(آربي،1988، ص53)** .

وابن حزم – شأنه شأن شعراء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي الأندلسيين – يُبقي طي الكتمان اسم المحبوبة في الأخبار التي يرّصع بها ((طوق الحمامة)). ويتجلى الكتمان في استعمال ضمير المذكر للدلالة على المحبوبة ؛ وهي تدّعي حيناً

((سيدي)) وحيناً ((مولاي)) **(ابن حزم،2016، ص ص 119-121،132- 156،133-157،170-171،238-239،248-249)** . ويكثر في الحب الأوكسيتاني استعمال العلامة (Le Serhal) وهي التكنية عن الحبيبة باسم مستعار .

إن موضوع الخضوع للحبيبة جزءًا لا يتجزأ من الحب العذري ، ويعود هذا الخضوع الغرامي في الغزل العربي إلى الجاهلية ، ولما كان ابن حزم وريثًا للسنّة [الأدبية] المشرقية فإنه يعظم من شأن قوة الحب الخارقة فيقول :

ليس التذلل في الهوى يستنكر فالحب فيسه يخضع المستكبر

لا تعجبوا من ذُلّتي في حالةٍ قد ذُلّ فيها قبلي المستبصر(ابن حزم،2016، ص 58)

ويستطرد أبن حزم قائلاً :((ولا يقولن قائل إن صبر المحب على ذلة المحبوب دناءة في النفس ، فهذا خطأ . وليس سبّه وجفاؤه مما يُعيّر به الإنسان ولا يبقى ذكره على الأحقاب)) **(ابن حزم،2016، ص 58)** .

وليس في نظر أبن حزم ثمة مقام ألذ وأشهى من مقام المحب المتذلل الخاضع المتضرع الذي يسأل حبيبه المغفرة . وفي ذلك يقول ابن حزم :

((ولقد وطئت بساط الخلفاء ، وشاهدت محاضر الملوك فما رأيت هيبة تعدل هيبة مُحِبٌ لمحبوبه ، ورأيت تحكّم الوزراء وانبساط مدّبري الدول فما رأيت أشد تبجحاً ولا أعظم مروراً بما هو فيه من محبّ أيقن أنّ قلب محبوبه عنده . وحضرت مقام المعتذرين بين أيدي السلاطين فما رأيت أذلّ من موقف محبّ هيمانٌ بين يدي محبوب غضبان قد غمره السخط وغلب عليه الجفاء)) **(ابن حزم ،2016، ص ص 92-93)** .

ويترتب عن الخضوع الوفاءُ ، يقول ابن حزم :

((إن الوفاء على المحبّ أوجب منه على المحبوب ، وشرطه له ألزم ، لأن المحبّ هو البادي باللّصوق ... والمحبوب إنما هو مجلوب إليه ومقصود نحوه)) **(ابن حزم،2016، ص ص 103)** .

ويخص ابن حزم حوادث ألحب بأبواب كثيرة . وهذه النواحي السلبية ناجمة عن تعريفه للحب ، وعلى هذا النحو فإن :

((نفس الذي لا يحب من يُحبه مكتنفة الجهات ببعض الأعراض الساترة والحجب المحيطة بها من الطبائع الأرضية ، فلم تحسّ بالجزء الذي كان متصلاً بها قبل حلولها حيث هي ، ولو تخلّصت لاستويا في الاتصال والمحبة)) **(ابن حزم، 2016، ص 13)** .

وأكثر أحداث الحب وقوعاً العذل والهجر والبين والعذر والسلو، وقلة الصبر آفة إذ المحب لم يجد بعد من المحبوب ما يدل على حبه .ويؤكد التروبادور أن الحب عذاب، وهموم الحب لا عدّ لها ولا حصر **(آريي،1988، ص55)**. واليأس، بما هو إحدى آنات الحب ، يتضمن حسب ابن حزم مراتب مختلفة .

ومن مخاطر الحب المتواترة عند ابن حزم الضنّى. وهو يظهر حين يمنع المحب من إعلان حبه لسبب من الأسباب، أو يكون ممنوع الوصل إما بّبينٍ أو بهجر **(ابن حزم، 2016، ص ص 129-131)** .

ومهما يكن حظّ العاشق من عزة النفس ونبلها ضئيلاً فإن ما تبديه له المحبوبة من قساوة يلجئه إلى السلو ، وهو موقف من المواقف التي صورها كتاب طوق الحمامة ونجد باديء ذي بدء السّلو الطبيعي وهو المسمّى بالنسيان يخلو به القلب ، ثم نجد السلّو التطبّعي الذي فيه قهر للنفس . فالمرء الذي يُظهر التجلد وفي قلبه أشد لدغاً من وخز الأشقى ، ليس بناسٍ لكنه ذاكر و((متجرّع مرارات الصبر)) كما يقول ابن حزم **(ابن حزم،2016 ص ص 133-142)**. ومن أسباب السلو عند ابن حزم الغدر ، وهو يدينه إن كان من فعل المحبوب، إذ يقول :

((ولا يلام السالي عنه على أيّ وجه كان ناسياً أو متصبراً)) **(ابن حزم،2016، ص ص 139-140)** .

ونعثر عند ابن حزم وعند التروبادور معاً على غرض مشترك هو الموت ، وقد خصّه ابن حزم بباب مشحون بالأمثلة التي استمدّها من قصص حبّ معاصريه ، والموت هو المصيبة الطبيعية التي تضع حداً للحب ، وقد يقع لمن كان مفرط الرقة أن يبلغ به فرحه بعودة المحبوب حدّ الموت. وفي بعض الأحيان يستهلك الهوى المحبّ ، ويسبب له الضنّى ثم الموت**(ابن حزم،2016، ص ص 143-148)** .

الإيديولوجية الغرامية عند ابن حزم والتروبادور : مثالية وواقعية .

إن متابعتنا للبحث لا تحول دوننا ودون التأكيد على بيان هذا الخليط المكون من المثالية والواقعية الذي يعد أسّ الإيديولوجية الغرامية عند ابن حزم والإيديولوجية الغرامية عند التروبادور.

حيث ينتهي طوق الحمامة ببابين أخلاقيين : أحدهما في قبح المعصية والآخر في فضل التعفف **(ابن حزم،2016، ص ص 149-177)** . ولا تفسير لهذا المؤلَف إلا من خلال تأثير المذهب الظاهري . فلم يفتأ أبن حزم يذكر بأنها من الأحسن فيما يتعلّق بالعقيدة والشرع أن يقف المرء عنده نصّ القرآن والحديث ، ومع ذلك فإنّ مفهوم الحب الذي يظهر طوال طوق الحمامة مستمد من السنّة المشرقية. ففي المشرق الإسلامي يقترن الحب الروحاني بصفة (العذري) التي تحدّرت من اسم قبيلة بدوية من شمال الجزيرة العربية ظهر بين أفرادها عدد من العشاق المدلّهين ومنذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ظهر ضرب من الأدب القصصي موضوعه الأزواج المتلازمون أمثال : قيس وليلى ، وكثير وعزة ، وجميل وبثينة العفيفة وغيرهم كثير .

ومنذ ثلاثة عقود شبّه المستعرب الإسباني الكبير إميليو غارثيا قومز (Emilio Garcia Gomez) هذا الحب بكونه (تخليداً مرضياً للرغبة) **(Gomez ،1952، p.41)** . ولقد كان رائد نظرية الحب الأفلاطوني فقيها ظاهرياً هو ابن داؤد**(آريبي،1988، ص 57)** أصيل إصفهان المتوفى سنة 294 هـ/ 907 م. وقد ترك لنا رأس المدرسة هذا الذي قاد الحركة الظاهرية البغدادية بعد وفاة أبيه داؤد بن علي كتاب مختارات عذرية، هو((كتاب الزهرة)) **(L. ،1975،pp.388-390 Massignon)** الذي ترجم تارة بمعنى [الريحان] (Le livre de la fleur) وتارة بمعنى [الكوكب] Le livre de (Venus) ، وفيه حوالي خمسين باباً كل واحد منها تصوير لحكمة مسجوعة ، وفي الأبواب العشرة الأولى عرض لضرب من آداب الحب ، وفي الأبواب العشرة الموالية ذكر للنتائج المختلفة للهوى والمصائب التي تنزل بالمحبين : كالنّمامين والوشاة والفرّاق؛ وفي الأبواب العشرة التي تلي تعداد لما يعرض للهوى من عراقيل من قبيل السلو والهجران وما يترتب عنه من نتائج. وفي القسم الأخير يتحدث المؤلف عن القيم الأخلاقية ، وعلى وجه التخصيص عن إخفاء الحب وموته .

وفوق ذلك فإن (كتاب الزهرة) هو المصدر المكتوب الوحيد لـ (طوق الحمامة)، إذ أن ابن حزم قد أطلّع على كتاب (أبن داؤد) كما تدل على ذلك فقرة من فقرات طوق الحمامة **(ابن حزم، 2016، ص ص14-15)**. ولما كان أبن

حزم متشيعاً للمذهب الظاهري مدفوعاً بمثالية ، فقد آثر الحب الطاهر. وفي الصفحات الأخيرة من طوق الحمامة يذكر ابن حزم فضائل التعفف ويدعو إلى كبح جماح الحب حتى لا ينحط . على أنه لا يرفض الحب الحسّي وتشهد على ذلك فقرات عديدة من كتابه طوق الحمامة . وقد أفرد في رسالته عن الحب مكاناً مهماً للحديث عن المفاتن الجسدية والعلاقات الجنسية . ويرى ابن حزم أن الحواس طريق إلى الروح، ولا تتوطّد الصلات المتينة إلاّ عبرها . أما الواقعية فهي طليقة العنان في النوادر التي توشي طوق الحمامة وفي نوادر يغلب عليها الفحش واللغة المباشرة والاحماض**(ابن حزم، 2016، ص ص7-37)** .

وجوه الاتفاق والاختلاف في نظرية الحب العذري عند ابن حزم والتروبادور :

في نظرية الحب العذري نقاط يلتقي فيها ابن حزم والتروبادور. وسنتولى – في إيجاز – استخراج أوجه الاتفاق الأساسية بينهم . لقد اعتنى أبن حزم والتروبادور بالشعر الغنائي الغرامي. ويلفت هذا العالم الأندلسي الأنتباه إلى أن المحب إنما يشّرع في إبداء حبه لمحبوبه بإنشاد الشعر، وتلك طريقة تحببه إلى نفس المحبوب . وقد بين برناردي فونتادور من خلال حياته واثاره ما للشعر والحب مجتمعين من قوة عجيبة. إن شعر التروبادور مبشّر بالحب، ونجد أحياناً أن الأغنية، عوض أن تنفتح بذكر جمال الربيع ، تبدأ بالتذكير بما للمحبوبة من ملكة ملهمة ، وتنغلق غالباً بأبيات شعرية مهداة إلى الحبيبة . وقد كان الصدق في الهوى يملأ على ابن حزم والتروبادور معاً أقطار النفس وقد توصلوا إلى مفهوم واحد للحب .

ولئن تعذرت البرهنة على وجود صلات قربى بين مفهوم الحب عند ابن حزم وعند التروبادور، فلا يمكن أن نغفل عمّا بينهما من أوجه شبه غريبة في المواضيع، وخصوصاً في ظهور الشخصيات الثانوية،وأستعمال ضمير المذكر للمرأة تشريفاً لها**(p. 97، R. Nelli ،1964)** .

أما أوجه الاختلاف بين هذين المفهومين للحب فإنها تبرز في نواح جزئية ، ولا بد في رأينا من لفت النظر إلى طرافة طوق الحمامة. فابن حزم – وهو يشرح الحب – لا يزكي البتة منهجاً بعينه ، وهو – على وجه اليقين – يميل إلى الظرف والوفاء بل وحتى التعفف، إلا أنه يترك الخيار في ذلك كله للمحبين. إن الحب مغامرة تولد في كل تجربة. والأمر على نقيض ذلك في أوكسيتانيا حيث قُنّن موقف المحب من حبيبته تقنيناً دقيقاً، فغدا حظ النزوات ضئيلاً في هذا الحب الذي يتمثل في التقّيد بوصفة عذرية تقيداً كلياً. أما أضرب التعبير بل وحتى أضرب العواطف فإنها لا تكاد تختلف من تروبادور إلى آخر، وينبعث أحياناً من الشعر الأوكسيتاني شيء من الرتابة .

ومن خلال النوادر التي يوردها ابن حزم فإن الحب يقع عن طريق الحواس ، وعلى الخصوص العيون . وقد أفرد في طوق الحمامة باب لمن أحب من نظرة واحدة **(ابن حزم،2016، ص ص، 31-33)**. وللجمال في هذا الحب منزلة أساسية. على أن هذا الحب إنما يشتد عوده بالتعّود والوفاء وتجربة الحواس، فكأنّ المرأة إذا غدت محبوبة تحلّت بكل الفضائل ، وليس من الضروري أن يكون المحبوب امرأة حرة . فأريستوقراطيو الأندلس وخاصة قرطبة الذين يحدثنا ابن حزم عن قصص حبهم حديثاً مفصلاً ، كثيراً ما يهيمون حباً بإماء . وإننا لنذكر الدور الذي اضطلعت به الجارية في الشعر الأندلسي . **(pp.400-1953,430 ،PERS)** . أما المرأة في الحب العذري الأوكسيتاني فمتحّيرة، ذلك أن المرأة التي يهبها العاشق حبهُ لا بدّ أن تتحلّى بما يجعلها جديرة بذلك الحب، ويعّبر قي دوسال عن رأيه فيقول :

((ولكنني اخترتك أنت يا سيدتي

لأنك رفيعة المنزلة)) **(آريي،1988، ص60)** .

إن حب التروبادور مختلف اختلافاً كلياً عن حب القدامى المحتوم الذي يشلّ الإرادة . إنه عبادة حقيقية للمرأة ، وطقوس الولاء والغزل محددة تحديداً صارماً . ولدينا بعض المعلومات عن الوضع الاجتماعي لكثير من التروبادور. فنحن نعرف أن بعضهم كان ينتمي إلى طبقة الفرسان الدنيا أو طبقة التجار، وقد كان ((أرنودي ماروي)) كاتب دواوين ، وبعض التروبادور منحدرون من أسر متواضعة جدا شأن ((قيرودي بورناي)) و((أوك دي سان سيرك)) ، أما ((برناردي فونتادور)) فقد كان أبوه خباز قصر فونتادور . ولا بد لنا من أن نشير إلى أن شعر هؤلاء الذين عاشوا في ظل الأسياد قد وجّه إلى زوجات هؤلاء الأسياد الشرعيات . إن محبوبة التروبادور يجب أن تكون بالضرورة متزوجة ، والأمر عند أبن حزم على نقيض ذلك ، فلا محل عنده للخيانة الزوجية ، وهو يدينها إدانة صارمة لأن الحب في هذه الحالة يفقد طهارته . وقد رأينا أن الحب في نظر ابن حزم التقاء بين روحين فُرق بينهما في عهد سالف ، وهيّئتا للتلاقي من جديد . ففي الزنا ((من إباحة الحريم وإفساد النسل والتفريق بين الأزواج الذي عظّم الله أمره ما لا يهون على ذي عقل أو من له أقل خلاق...)) **(ابن حزم،2016، ص 163)** .

وكذلك الشأن في الغيرة ، فنحن واجدون لها [عند ابن حزم والتروبادور] مفهومين متقابلين تقابلاً كلياً . وقد كتب ابن حزم إن : ((غيرة شديدة رُكّبت فيّ))، وهو يرى أن الغيرة إنما هي علامة الحب **(ابن حزم،2016، ص 169)** ، وهي متأتية من الشعور البالغ الحدة بالشرف عند العرب . أما التروبادور فيرون أن الغيرة تنشّط الحب ، ولا يرى التروبادور ضيراً في أن يتغزل غيره بحبيبته : ((إن كان لحبيبتي عشاق سواي ، فلن أواجههم لذلك بتجهم)) (***DAJEANNE*،1934،X1،P.112**) والموت حباً موضوع فرعي آخر يقوم شاهداً على التقابل بين ابن حزم والتروبادور ، فكثيراً ما أشرف ابن حزم على الموت ، إذ أنه عاش في عهد اضطرابات ((الفتنة)) زمن ((ملوك الطوائف 483-541هـ)). لذلك يتحدث عن الموت حديثا مأسوياً : فالحب مرتبط بالموت . أما الشعراء الأوكسيتانيون فالموت عندهم رَوْسم أدبي . فالمحب يموت من كثرة التنهد والألم . ولما كانت المحبوبة تبعث بقسوتها اليأس في قلب المحب ، فإنه يتألم حتى الموت . وقد عبّر برناردي فونتادور في أغانيه مراراً عن هذه الفكرة الغرامية ، كما في قوله : ((إن قلبي يتفطّر حزناً ، حتى إني أشرف على الموت وأكاد أقضي نحبي)) **(آربي،1988، ص61)** .ولولا مساعدة محبوبته لهلك . أما الموت الحقيقي فلا ورود له البتة . وينبغي على المحب أن يقبل الانتظار ، وأن يظل ناذر نفسه لمحبوبته وإن كانت لا تُحبه أو أنه راودته فكرة هجرانها .

وفي مسألة العلاقة بين الدين والحب تقابل أيضاً بين أبن حزم والتروبادور ، إذ أن ابن حزم لا يتوانى عن تعزيز مفهومه للحب أثناء حديثه عن طبيعة الحب وتطوره بالآية القرآنية الكريمة : ((**خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**))[**سورة الزمر، من الآية:6**]، ويضيف بأن الله تعالى ((جعل علّة السكون [الذي يجده آدم في حواء] أنها أي [حواء] منه [أي من أدم]])) **(ابن حزم،2016،، ص12)** .

وبغّض النظر عن تفسيرات الحب والنوادر الماجنة ، يضم كتاب طوق الحمامة بيانات عن الشرع الإسلامي . فالإسلام حاضر في الكتاب حضوراً دائماً، ويكشف فيه ابن حزم عن حرصه على البقاء في حيّز الإسلام وذلك بالاستشهاد بالقرآن والحديث النبوي. فالمحب يتخذ المؤمن مثالاً ، والوفاء للمحبوب يحُسّن الطبع ويسمو به ، والتذلل في الحب يكرّم صاحبه كما يكرّم التذلّل لله تعالى العبد الورع. وعلى نقيض ذلك ، فإن حب التروبادور منفصل عن الأخلاق المسيحية ، وله أخلاقية خاصة به . فالحب البروفنسالي بصوّر على أنه ((وسيلة)) لتحقيق كل الكمالات الروحية . ولقد أدركت الكنيسة ذلك إدراكاً جيداً وأبدت منذ البدء اعتراضها على الشعر العذري وأدانت الأخلاق الشهوانية التي يروجها . ورغم ما قام به الشاعر التروبادور ((مونتانها

قول)) (Montanhagol) من بسط لميول أخلاقية النزعة في أغانيه الممتدة من سنة 631هـ/1233م الى سنة655هـ/1258م ، ورغم ما ذكره فيها من تمجيد للحب الأفلاطوني فإن الكنيسة واصلت نبذها للأدب العذري وفي سنة 676هـ/1277م حرم أسقف باريس((ارناست تومبيي)) (Ernest Tompier) رسمياً على رؤوس الملأ هذا الأدب لما يتصف به من هرطقة .

الخـاتمة : بعد هذه الجولة في كتاب طوق الحمامة ومعرفة ماهية الحب العذري وصلته بأبن حزم والتروبادور، لا بدّ من تسجيل أهم ما توصلنا إليه من نتائج، وهي على النحو التالي :-

1- اذا كان الحب لدى بعض الفقهاء من المحرمات التي ينبغي الاحتراز منها، فإن ابن حزم لا يعتبره قط من المحظورات في الشريعة، ولا من المنكرات في الديانة ما دامت القلوب ليست بيد أصحابها، وإنما بيد الله تعالى، فهو لا يتصور محاسبة الإنسان في شيء لا يملك الحرية فيه ولا القدرة على الاختيار، إذ القلوب كما يقول ابن حزم بيد موليها الذي هو الله تبارك وتعالى .

2- إنّ كتاب طوق الحمامة بما فيه من عذرية وعفة متأثر بشكل رئيسي بكتاب (الزهرة) لصاحبه (مُحَمَّد بن داوود الظاهري). مما ينفي تأثر أبن حزم بالعفّة المسيحية. وقد قال الأستاذ غرسيه غومس في تفنيد ذلك إنّه على الرغم من إشارة نصيّة بسيطة ومن التوافق في الاتجاهات العاطفيّة، فإنّ الطوق لايكاد يدين للزهرة بشيء أو إن شئت يدين لها بشيء محدود للغاية .

3- شكّل الحب بؤرة مركزية في ((طوق الحمامة))، ولعل مبدأ المجانسة والمشاكلة من أهم مبادئه ، إذ إن الحب لا يقع إلاّ بتوافق المحب والمحبوب في صفات معّينة ، ومن ثمّ فإنه لا يقوم على التنافر لأن التباين بين المحبيّن معناه التباعد . وعليه فسمات التوافق تفضي إلى الاتصال ، وإذا ما انتفت تحقق الانفصال .

4- لم يكن حب ابن حزم الأفلاطوني وليد عدوى سلالية ، أو أنّه تلقاه من نفسية أسلافه المسيحيين كما ذكر البعض من المستشرقين أمثال رينهارت دوزي الذي رباطاً واهناً بين أبن حزم والمسيحية المفترضة كدين لآبائه، ونسي أو تناسى ذلك الموروث العربي العفيف الهالك في ثقافة العرب المسلمين التي نهل منها ابن حزم، أو على الأقل من معظمها كما ذكر بلسانه في كتابه (طوق الحمامة) وفي سيرة حياته .؛ ذلك أنّ كثير من أبطال الغزل الرومانسي ينحدرون من أصول عربية خالصة، ولا يمكن أن يجري في دمائهم الخصائص الموروثة التي نفترض أنّها عند ابن حزم الاندلسي .

5- يبدو أنّ الحب العفيف كان شائعاً في مدينة ابن حزم [الحاضرة قرطبة]، ومنها استوحى مادة كتابه إذ يقول فيه: ما رأيت قط متعاشقين إلا وهما يتهاويان لُحصل الشعر مبخّرة بالعنبر مرشوشةٌ بماء الورد، وقد جُمعت في أصلها بالُمصْطكي، وبالشمع الأبيض المصفّى، ولُفّت في تطاريف الوشي والخزّ، وما أشبه ذلك تكون تذكره عند البين .كما أنّ حياة ابن حزم لها علاقة بهذا المجتمع إذ إنّه كما يقول قد تربّى على أيدي النساء، وعنهن أخذ آدابه الأولى إلى جانب تجربته العفيفة في الحبّ التي انتهت بزواجه من حبيبته (نُعم)، وهو دون العشرين من عمره .

6- وفي هذا السياق، فإنّ الحب عند أبن حزم لا يأتي من الأجسام ، وأنما يأتي من النفوس . وتبعاً لذلك فالأجسام هي وسائط تسمح للنفوس بالتقارب أو التباعد .

7– كما فرّق أبن حزم بين الحب والشهوة ، وحدّد المسافة الفاصلة بين الروحي والجسدي ، وبخاصة لما رفض فكرة التعلّق بشخصين في آنٍ واحد .

8– كما أنّ البيئة الأندلسية كانت تمدّ ابن حزم بشيئين مهمين: أولهما ذلك الشعر العفيف المتشبه بالشعر العذري نزولاً على أحكام الظرف، وقد مهّد ابن فرج في كتاب (الحدائق) لذلك السياق الأندلسي الخالص في شعر الحبّ، وكان ابن حزم معجباً بكتابه، وقد حفظ الكثير منه. وفي طيّات الكتاب أورد ابن حزم الكثير من القصص عن أبناء مدينته، بل كان يذكرهم بالاسم مثل: الرمادي وحبّه لحلوة، وابن قزمان وحبّه لأسلم، وعبد الله بن يحيى الأزدي المعروف بابن الجزري

9– إنّ الكثير إن لم نقل معظم القصص التي أوردها ابن حزم في كتابه هي من القصص المتصلة بعائلته أو أصدقائه، أو عن من عُرف عنهم أو سمع عنهم في مجتمعه. وفي ذلك يقول: التزمت في كتابي هذا الوقوف عند حدّك والأقتصار على ما رأيت أو صحّ عندي بنقل الثُقات .

10– أتفق أبن حزم في بعض النقاط وأختلف بأخرى مع التروبادور[شعراء وموسيقيين العصور الوسطى] حول مفهوم الحب وماهيته وأغراضه، ولكل منهما وجهة نظره التي قد تتوافق أو تتعارض مع الدين والشريعة .

التوصيات :

- يرى ابن حزم وهو الإمام الفقيه أنّ الغاية من الحبّ غاية عفيفة وهي الزواج وهو مقصد شرعيّ وفيه تتحقق السعادة وما دون ذلك فهي عبارة عن أفعال غير أخلاقية، فالحبّ كما يرى نمطًا إنسانيًّا رفيعًا ورابطة وثيقة يُنظمها الدين.
- كما يرى ابن حزم أنّ الأصل في الحبّ التعفف ويرفض الحبّ العذري وغيره ويدعو في كتابه (طوق الحمامة) إلى ترك المعاصي وما يُقرّب إليها، ويُحذّر من الزنا والوقوع فيه وهو بذلك يعكس بُعدًا دينيًّا وأخلاقيًّا إذ غلبت الصبغة الدينية على طبعِهِ وكتابتِهِ وليس ذلك بغريب على فقيه وفيلسوف كأبن حزم . ونحن بدورنا ندعو من خلال ما تم عرضه في هذه الدراسة الى ابتغاء العفة من وراء الحب وهذه العفة تتجسد في الزواج وهو مقصد شرعي وفيه تتحقق السعادة وراحة النفوس، وما دون ذلك فهي افعال لا تمت الى الدين والشريعة بصلة .

ثبت المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- **المصادر والمراجع العربية والمُعرّبة :**

1- آريي، راشال،(1408هـ/1988م)، أبن حزم والحب العذري، تعريب: مُحَمَّد القاضي، مجلة دراسات أندلسية، العدد 1، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والأشهار، تونس .

2- آل تركي، خالد،(2018م)، نظريتي الحب والمعرفة عند ابن حزم ، تحرير: احمد بادغيش، مراجعة : احلام العمري، موقع ساقية الالكتروني : https://saqya.com .

3- ابن حزم،علي الأندلسي،(2016م)،طوق الحمامة في الألفة والأّالأّف،ط1،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة .

4- فاضل، جهاد،(1428هـ/2007م)، الحب العذري صناعة عربية أو أبن حزم وأجداده بنو عذره، جريدة الرياض الالكترونية، مكتب الرياض، بيروت : https://alantologia.com .

- **المراجع الأجنبية :**

5- DAVENSON (H.) Les troubadours, Paris, 1961 .

6-DAJEANNE (J.M.L) éd., Poésies complètes du troubadour Marcabru, Toulouse, 1948 .

7- JEANROY (A.) éd., Les Chansons de Guillaume IX, duc d'Aquitaine, Paris, 1934.

8- *LAZAR (M.)., Amour courtois et Fin'amors, Thèse de Doctorat, Paris, 1964* .

9- *LÉVI-PROVENÇAL (E.) Islam d'Occident, Paris, 1948.*

10- *LÉVI-PROVENÇAL (E.), «En relisant le Collier de la Colombe», in AlAndalus, vol. XV, fasc. 2, Madrid ،1950* .

11- *MASSIGNON (L.). La Passion de Hallaj, rééd., Paris, 1975.*

12-NELLİ (R.)L'érotique des troubadours ,Toulouse,1963.

13- *PERS (H.) La poésie andalouse en arabe classique au XIe siècle, 2e éd., Paris, 1953* .

14-*VADET (J.CI.) L'esprit courtois en Orient dans les cinq premiers siècles de l'Hégire, Paris, 1968* .

إعادة تأهيل نزلاء المؤسسات العقابية
بين الواقع والتحديات – العراق إنموذجا

أ.د. مازن خلف ناصر
كلية القانون – الجامعة المستنصرية
dr.mazin67@uomustansiriyah.edu.iq
009647711592004

م. نور سعد مُحَمَّد
كلية القانون والسياسة – الجامعة العراقية
mohammed@aliraqia.edu.iq
00964772777593

الملخص

في هذه الدراسة نحاول بحث آلية التعامل مع السجناء داخل المؤسسات العقابية، من خلال قراءة تجربة السجون العراقية في تأهيل النزلاء والتكفل بهم والسعي لإعادة إدماجهم اجتماعيا، وحتى تكون الدراسة الحالية قادرة على استجلاء هذه التجربة، كان لابد من الاعتماد على اسلوب المقاربة مع المعايير الدولية في التعامل مع النزلاء، لكي تكون المحاولة أكثر قربا إلى الموضوعية في الطرح والعلمية في القصد، ومن الطبيعي أن آلية التعامل ستقودنا الى التعرف على مدى تحقيق الأهداف الإصلاحية المرجوة من عملية التأهيل في تنمية شخصية السجين وتعديل سلوكياته نحو القيم الفضيلة والسامية، وهو ما سنركز عليه في جوانب عملية التكفل بالسجناء اجتماعيا ونفسيا وصحيا وتربويا، وتأهيلهم علميا ومهنيا وتهذيبهم أخلاقيا.

الكلمات المفتاحية: النزيل – التأهيل – المؤسسات العقابية – العقوبة السالبة للحرية – المعاملة

.

Rehabilitation of penitentiary inmates
Between reality and challenges - Iraq as a model

Pr. Dr. Mazin Khalaf Naser *M. Noor Saad Mohammed*

College of Law - Al-Mustansiriya University

College of Law and Politics - Iraqi University

ABSTRACT

In this study, we try to examine the mechanism of dealing with prisoners within penal institutions, by reading the experience of Iraqi prisons in rehabilitating inmates, taking care of them, and striving for their social reintegration. Dealing with inmates, in order for the attempt to be closer to objectivity in the presentation and scientific in intent, and it is natural that the mechanism of dealing will lead us to identify the extent to which the desired reform goals of the rehabilitation process are achieved in developing the personality of the prisoner and modifying his behavior towards virtuous and lofty values, which is what we will focus on in Aspects of the process of taking care of prisoners socially,psychologically,health and educationally, and qualifying them scientifically and professionally and morally educating them.

Keywords: inmate, rehabilitation,penal institutions,freedom-depriving punishment , treatment.

المقدمة

يعد تأهيل نزلاء المؤسسات العقابية من أهم أهداف تنفيذ العقوبة السالبة للحرية، فاعتماد سياسة إعادة تأهيل المحبوسين للحياة اللاحقة على الإفراج عنهم وإعادة إدماجهم اجتماعيا يعد في النهاية من موجبات حماية المجتمع من الجريمة، ونظرا لأهميته فقد حظي باهتمام المشرع العراقي، حيث أصدر قانون النزلاء والمودعين رقم (14) لسنة 2018، ومن خلال هذا القانون وضع المشرع العديد من أساليب إعادة التأهيل داخل المؤسسات العقابية والتي تنوعت بين اعطاء فرصة للنزلاء في إنجاز اعمال معينة، وأخرى تسمح لهم بتلقي التعليم بمختلف مراحله أو التعليم التقني، فضلا عن تنظيم تكوينهم المنهي نظرا لما يتيحه للنزلاء من تعلم حرفة تتماشى مع توجهاتهم وقدراتهم البدنية والعقلية، ولتقوية الجانب المعنوي لديهم أهتم المشرع بالتهذيب بنوعيه الديني والأخلاقي، كما ويتمتع النزلاء بالرعاية الصحية والاجتماعية.

أولا– أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في كون إصلاح وتأهيل النزلاء في المؤسسات العقابية يعتبران من أهم أهداف الجزاء الجنائي، ويشكلان في ذات الوقت انعكاسا على كيفية تنفيذ العقوبة السالبة للحرية داخل أسوار المؤسسة العقابية، من خلال استخدام كافة الوسائل والمؤثرات التربوية والتعليمية والطبية والتدريب المهني والخدمة الاجتماعية والأنشطة الرياضية والثقافية والترفيهية للمساهمة في إعادة دمجهم في المجتمع والحصول على فرص عمل مناسبة، ذلك أن المؤسسة العقابية تعد بمثابة جسر انتقالي بين تنفيذ العقوبة والعودة للمجتمع من خلال تهيئة النزيل على كيفية الانخراط في المجتمع، كما وتكمن الأهمية أيضا فيما ينبغي أن يحظى به النزلاء داخل المؤسسات العقابية من رعاية دينية ووعظ وإرشاد، فهي من الأمور التي تسهم في استئصال الدوافع السلبية لدى النزلاء بشكل عام وتوفر المؤسسات العقابية المدربين حتى يقوموا بتأهيل المساجين، فيستطيعون تلبية احتياجاتهم من كسب أيديهم بعد الإفراج، وخاصة في حالة تعرض البعض منهم إلى الرفض من المجتمع، فإن الحرفة أو المهنة التي تعلمها داخل المؤسسة سيتمكن من خلالها بدء حياته بشكل سليم، كما لا ينسى أهمية ما يتلقاه النزيل من تأهيل نفسي من خلال توفير إخصائيين نفسيين لتقييم الحالة النفسية للنزيل فور وصولهم إلى المؤسسات العقابية، وتوفير الوسائل الاجتماعية والزيارات العائلية التي تضمن للنزيل استقرار حالته ووضعه النفسي والاجتماعي.

ثانيا– مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في مدى فعالية ما يتلقاه النزيل من معاملة داخل المؤسسة العقابية وماهي الأساليب المستحدثة في معاملتهم؟ وهل يمكن إزالة العوائق التي تحول دون اصلاحهم من خلال اعتماد أساليب وأسس علمية متقدمة لمواكبة التطور التكنلوجي الحاصل في المجتمع ككل؟ وهل يمكن تجسيدها فعلا على أرض الواقع بشكل يجعل النزلاء يستفيدون منها ويشعرون بأن لهم دورا ايجابيا في المجتمع أم هناك قصورا في هذا المجال؟ ومن ثم فإن مشكلة البحث تقودنا لتساؤل هام وهو ما هي الأساليب المستحدثة في معالجة وإصلاح المجرمين؟ وما هي أبرز المقترحات لتطويرها؟ وإلى أي مدى يتم تطبيق تلك الوسائل في المؤسسات العقابية لا سيما في المجتمع العراقي؟

ثالثا– منهجية البحث

إن مسألة اعتمادنا على أكثر من منهج في بحثنا هذا يعد من الضرورات التي تساعد في الوقوف على إشكالية البحث وتحديد ملامحه الرئيسة، ذلك أن طبيعة الموضوع الذي نتناوله يفرض علينا اعتماد المنهج الوصفي والمنهج التحليلي من خلال دراسة ووصف المؤسسات العقابية والأجهزة القائمة عليها وتحليلها وتبيان مدى فعاليتها في تحقيق وظيفة الإدماج والتأهيل.

رابعا– خطة البحث

إجابة على ما تم طرحه في مشكلة البحث، أستوجب علينا الأمر تقسيم هيكلية البحث الحالية الى ما يأتي:

المبحث الأول- ماهية السياسية العقابية

المطلب الأول- مفهوم السياسة العقابية

الفرع الأول- عوامل تطور السياسة العقابية

الفرع الثاني- خصائص وأهداف السياسة العقابية

المطلب الثاني- الإشراف على تنفيذ العقوبات السالبة للحرية

الفرع الأول- الجدل الفقهي بشأن دور القضاء في الإشراف على التنفيذ العقابي

الفرع الثاني- الإشراف على التنفيذ العقابي في العراق

المبحث الثاني- واقع السياسة العقابية في التشريع العراقي

المطلب الأول- إجراءات المعاملة داخل المؤسسات العقابية

الفرع الأول- الفحص والتصنيف في مراكز الاستقبال للنزلاء والمودعين

الفرع الثاني- الرعاية الصحية للنزلاء والمودعين

الفرع الثالث- تعليم وتشغيل وزيارات النزلاء والمودعين

الفرع الرابع- النظام الانضباطي للنزلاء والمودعين

المطلب الثاني- إجراءات المعاملة خارج المؤسسات العقابية

الفرع الأول- الإجازات المنزلية

الفرع الثاني- الرعاية اللاحقة

المبحث الأول

ماهية السياسة العقابية

للسياسة العقابية المعاصرة مفهوم حديث نسبياً، إذ إنه لم يظهر إلا عندما استخدم العقاب كوسيلة للدفاع عن المجتمع، وذلك بقصد تقويم المجرم وإعادة تأهيله للتآلف مع المجتمع من جديد، ومنذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، ظهر لدى الغرب اتجاه يدعو إلى محاولة إصلاح السجناء أخلاقياً بالتربية والتوعية والتثقيف، واجتماعياً بتعويدهم على الأشغال والعمل وذلك بالتدريب على الصناعة والحرف حتى يعودوا إلى مجتمعهم مواطنين صالحين بعد الإفراج عنهم.

وفي نهاية القرن نفسه ظهرت جملة من الدراسات الاستقرائية والبحوث العلمية التي تثبت على وجه اليقين أن الإجرام بالمعنى الصحيح والتعدي على مصالح وحريات الناس ما هو إلا ظاهرة اجتماعية لها اسبابها المختلفة النابعة، إما من ذات المجرم بسبب تركيبته الجسمانية أو العصبية، وإما بسبب البيئة الاجتماعية وما يعتريها من ظروف تهدد الوضع الاجتماعي (**المحمدي،2018، ص4**).

وعلى أثر تلك الحقيقة توصل علم الإجرام إلى أن مكافحة الظاهرة الإجرامية إنما تكون بالقضاء على اسبابها الاجتماعية التي مصدرها الخلل الاجتماعي أيا كان، ومن خلال التسلسل التاريخي لمفهوم السياسة العقابية نجد أنه قد تغير بشكل جذري فأصبح للسياسة الجنائية مفهوم جديد يشمل فروعا مختلفة واتسع نطاقها اتساعا كبيرا، لم تعد مقصورة على تلك المفاهيم الضيقة في عصورها الأولى (**جعفر، 1981، ص6**)، وعليه سوف يقسم هذا المبحث الى مطلبين نتكلم في المطلب الأول عن مرتكزات السياسة العقابية نتناول في الفرع الأول عوامل تطورها وفي الفرع الثاني أهداف السياسة العقابية، وفي المطلب الثاني سنبين الجهود المبذولة لأجل إرساء دعائم السياسة العقابية المعاصرة على المستوى الدولي والإقليمي وعلى التوالي:

المطلب الأول

مرتكزات السياسة العقابية

عندما عُرفت العقوبة السالبة للحرية طريقها إلى التشريعات الجنائية، بدأ اهتمام الفلاسفة والفقهاء ورجال القانون بالمؤسسات العقابية ومعاملة النزلاء والمودعين، فنادوا بضرورة التخفيف من القسوة التي يعانون منها داخل هذه المؤسسات، تطبيقا لمبادئ الرحمة التي تدعوا إليها المسيحية، كما دعوا إلى اغتنام فرصة سلب حرية المجرم حتى يمكن توجيهه توجيها سليما بانتزاع دوافع الإجرام لديه، وإعداده إعدادا مهنيا حتى تتاح له فرصة العمل الشريف بعد انتهاء فترة العقوبة وتوفير الرعاية اللاحقة له، عليه سنقسم هذا المطلب الى فرعين مستقلين نعالج فيهما عوامل تطور السياسة العقابية وأهدافها وكما يأتي:

الفرع الأول

عوامل تطور السياسة العقابية

إن التقدم الحقيقي للسياسة العقابية يعود الى التطور الذي نال أغراض العقوبة السالبة للحرية ونال كذلك النظرة الى المحكوم عليه وقد احتلت فكرة اصلاح المحكوم عليه وتأهيله في الفكر الحديث مكانا ملحوظا بين اغراض العقوبة ومن ناحية اخرى لم تعد النظرة الى المحكوم عليه بانه شخص منبوذ وإنما أصبحت النظرة اليه بأنه شخص عادي خضع لتأثير عوامل مفسدة جعلته ينحرف الى سبيل الاجرام (**الطماوي، 2003، ص410**).

وفي ظل هذه الأفكار الجديدة تحددت المشكلة التي تدور حولها جميع الأبحاث وهي استقراء القواعد التي تبيح تطبيقها إصلاح النزيل وتأهيله بما لا يكون من شانه المساس بكرامته الانسانية أو إهدار لحقوقه الأساسية (**ساعاتي، 1983، ص13**)، وهناك عوامل عديدة ساهمت في تطور السياسة العقابية سنبينها على النحو الاتي:

أولا– الجهود التي بذلها رجال الكنيسة الكاثوليكية واعتبارهم أن المجرم شخص عادي كغيره من افراد المجتمع ولكنه شخص مذنب تجب عليه التوبة وسبيل التوبة في نظرهم يتطلب انعزال المذنب عن المجتمع لكي يناجي الله تعالى في عزلته وتقديم يد العون والمساعدة اليه حتى تقبل توبته ومن هنا نشأت فكرة السجن الانفرادي للمجرمين والاهتمام بتهذيبهم وتأهيلهم، وبذلك كانت فكرة التوبة أساسا للنظم الخاصة بتهذيب المحكوم عليهم وتعليمهم ويتضح بذلك أن فكرة التوبة الدينية كانت نواة لنظام عقابي جديد مختلف عن الانظمة السابقة عليه، حيث لم تكن المعاملة التي يخضع لها المجرم في السجن هي القسوة فحسب وانما كانت في جوهرها تهذيبا وتعليما بما يكفل التأهيل (**الشاذلي، 2006، ص45**).

ثانيا– ازدهار الأفكار الديمقراطية وتأثيرها الفعال في تغيير النظرة الى المجرم ليس على اعتباره مواطنا من الدرجة الثانية بل أضحت النظرة اليه باعتباره مواطنا عاديا مساويا في حقوقه مع الأخرين، إلا أنه اخطأ وعليه أن يتحمل وزر خطأه وذلك بعزله عن المجتمع لفترة محدودة يصار فيها الى الاهتمام به حتى يؤهل ويصلح نفسه ويعود الى الحضيرة الاجتماعية عضوا نافعا وقد مهد ذلك لنشوء فكرة واجب الجماعة قبل المحكوم عليه بجوانبها الثلاثة، فالدولة إذ ترصد المال للإنفاق على المؤسسات العقابية وتبذل الجهد لتأهيل نزلائها إداء لالتزام فرضته عليها وظيفتها في مكافحة الجريمة، ومن ناحية أخر فإن موظفي السجون لا يجوز لهم أن ينظروا الى المحكوم عليهم نظرة استعلاء، وإنما ينبغي أن يسعوا الى خلق علاقات من التعاون تربطهم بهم وكسب ثقتهم فيهم واستغلال ذلك في سبيل ادراك اغراض التنفيذ العقابي ومن ناحية ثانية فإن الرأي العام يجب ان يدرك واجب المجتمع قبل المحكوم عليهم فيساهم في تأهيلهم عن طريق عدم وضع العقبات في طريقهم بعد الافراج عنهم، بل ان عليه ان يتقبلهم ويمد المعونة اليهم تمكينا لهم من شق طريقهم الجديد (**عبد الستار، 1985، ص87**).

ثالثا– زيادة الإمكانيات المالية للدولة، حيث أن عملية الاصلاح والتأهيل تحتاج مبالغ كبيرة يتم رصدها من اجل الاهتمام بالجوانب النفسية والصحية والتربوية للمجرم حيث توفر المؤسسات العقابية في الوقت الحاضر أنواع كثيرة من المتخصصين في مختلف فروع المعرفة العلمية من طبيب اختصاصي الى خبير اجتماعي ومدرب صناعي، فضلا عن وجود المربين في كثير من

المؤسسات العلاجية سيما التي تتعلق بالجانحين الاحداث وكل هؤلاء يحتاجون الى رواتب ومخصصات كانت الدولة عاجزة عن دفعها للمختصين وكانت العقوبات البدنية هي السائدة حيث ان تنفيذها لا يحتاج الى مقدار كبير من الاموال، أما العقوبات السالبة للحرية فإنها تكلف الدولة في الوقت الحاضر مبالغ كثيرة من عملتها الوطنية وقد ساعدت الزيادة في الدخل القومي للدول على الاهتمام بالمجرمين واصلاحهم وضرورة مساعدتهم من أجل اعادتهم الى المجتمع اعضاء صالحين مطيعين للقانون.

رابعا– أن التقدم العلمي في مجال علم الإجرام والعلوم النفسية والاجتماعية كان له الدور في تطور السياسة العقابية حيث أن تطور علم الاجرام واهتمامه بدراسة العوامل الداخلية والخارجية أدى الى ضرورة توجيه العناية بالمجرم وأخذ شخصيته بنظر الاعتبار عند تنفيذ العقوبة اي ان ذلك مهد لتوجيه المعاملة العقابية الى مواجهة هذه العوامل في شخص كل محكوم عليه سعيا الى الحد من تأثيرها أو القضاء عليه، وكانت تلك الدراسات هي السبيل الى تقسيم المجرمين الى فئات تبعا لغلبة بعض العوامل الاجرامية على ما عداها، وكانت بذلك الأساس الذي قام عليه تصنيف المحكوم عليهم في مؤسسات الإصلاح الاجتماعي (**الشاذلي، 2006، ص48**).

الفرع الثاني

أهداف السياسة العقابية الحديثة

تعد السياسة العقابية المجال البحثي في الشق العقابي من السياسة الجنائية، إذ تخوض في السياسة التطبيقية للجزاء بحثا عن أفضل أساليب التطبيق القضائي للجزاء الجنائي والسياسة التنفيذية للجزاء التي تحدد أنواع المؤسسات العقابية وطرق تصنيف النزلاء والمودعين تمهيدا لتوزيعهم عليها ثم أساليب معاملة المذنبين حتى تتحقق أغراض العقوبة سيما الغرض الإصلاحي والتأهيلي والرعاية اللاحقة بهم، يلتقي مفهوم إعادة التأهيل أو إعادة الإدماج مع العديد من المفاهيم من حيث تحديد معناها مما جعل لها مسميات مختلفة تبدوا وكأنها متقاربة من حيث اللفظ مع بعض المفاهيم الأخرى، إلا أنها مختلفة من حيث المعنى (**Shea.Evelyne,2006,p.12**).

كما أن عملية إعادة الإدماج الاجتماعي تتجسد في مراحل عديدة تبدأ من إيداع المحكوم عليه المؤسسة العقابية وصولا الى غاية ما بعد الإفراج عنه وقضاء عقوبته، حيث تبدأ بالمرحلة الجنائية عندما يكون المتهم رهن التحقيق وهو في التوقيف ثم تأتي المرحلة الثانية وهي المرحلة السجنية تلك الفترة التي يصبح فيها الشخص المحكوم داخل المؤسسة العقابية لقضاء عقوبته وإعادة تأهيله، لذا سوف نتناول بشي من التفصيل أهداف السياسة العقابية المعاصر وعلى النحو الآتي:

أولا– إعادة الإدماج الاجتماعي

بدءً لا بد من التمييز ما بين إعادة الإدماج بمفهومه العام وإعادة الإدماج الاجتماعي(**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص25**) بمفهومه الخاص، إذ يمكن تعريف **إعادة الإدماج** في مفهومه الواسع بأنه عملية تهدف بصفة عامة الى العودة لحالة الاندماج بالمجتمع، فهي تستهدف أي شكل من اشكال الإقصاء سواء كان اجتماعي أو اقتصاديا، أما المفهوم الضيق والمحدود على المستوى الجنائي والذي هو موضوع بحثنا يعرف إعادة الاندماج الاجتماعي للنزيل أو المودع بأنه تلك العملية التي تستهدف عدم معاودة الجريمة من طرف شخص قد سبق وأن حكم عليه (**Meyer,2010,p.06**)، بمعنى أدق ضمان عودته لحالة اللاإجرام، أما مدلولها بحسب علم الإجرام فهي عملية من شأنها جعل النزيل والمودع يدرك مدى مسؤوليته الاجتماعية والتي بموجبها يحاول اتخاذ موقف وتصرف مقبول اجتماعيا عن طريق الاندماج بصفة متدرجة في حياته الاجتماعية (**Samir,1984,p.148**).

في حين يراد **بإعادة الإدماج الاجتماعي** بأنه عملية إدماج المبادئ الاجتماعية لدى شخص انعدمت فيه فعدم معاودة الجريمة يعني تصحيح هذا الخطأ من خلال بذل جهد لأجل تهذيبه وإعادة تربية، وفي ذات الوقت يختلف مدلول إعادة الإدماج عن

مدلول رد الاعتبار الذي شاع في التشريعات الأنجلو سكسونية والذي يعني أن المجرم أو المنحرف بمجرد إدماجه في المجتمع يصبح ماضيه في طي النسيان، و**عرفها** آخرون بأنها العملية التي تسمح بتحقيق مصالحة ما بين مصالح الجاني ومجتمعه، كما و**عرف** أيضا بأنه نظام يعيد للنزيل والمودع وضعه السابق كما كان من قبل الحكم بالإدانة دون أن يستطيع أحد حرمانه من أي حق أو يلصق به أي صفة من صفات العار، ذلك لأن الحرمان من الحقوق أصبحت من الانتهاكات التي نهت عنها المواثيق والأعراف الدولية ومن ثم لا بد من تمكينه من ممارسة حقوقه المدنية كافة، و**عرف** أيضا بأنه نظام الغرض منه محو حكم القاضي بالإدانة وكل ما ترتب عليه من وجوه انعدام الأهلية أو الحرمان من الحقوق، ويمكن للنزيل أو المودع من استعادة مكانته في الهيئة الاجتماعية (**Pires,2007,pp9–18**).

وفي رأينا أنه رغم إلغاء العمل **برد الاعتبار** في العراق، ألا أنه في اعتقادنا يعد من الإجراءات التي تؤدي الى انقضاء آثار العقوبة وهو آلية من آليات إعادة الإدماج الاجتماعي للنزيل والمودع من حيث كونه يهدف الى جعلهم بعد انقضاء عقوباتهم وخروجهم من المؤسسة العقابية أشخاص فاعلين في الحياة الخارجية تطبيقا لمبدأ " العزل لأجل إدماج فعال"، هذا الشعار الذي يجعل من العقوبة السالبة للحرية تمثل منافع علاجية غرضها القضاء على اية خطورة إجرامية فهو يتعلق بالمرحلة اللاحقة للمعاملة العقابية والتي تدخل في اطار الرعاية اللاحقة للمفرج عنه.

مع ملاحظة وأن كان هناك تشابه واضح ما بين إعادة الإدماج الاجتماعي للنزيل والمودع ورد الاعتبار، ألا أنه يبدوا الاختلاف بينهما يبقى قائما من حيث أن إعادة الإدماج الاجتماعي للنزيل والمودع جاءت من خلال النصوص القانونية المعنية بذلك وهي تشترط وجود حكم بعقوبة سالبة للحرية، بينما رد الاعتبار يعد مفهوم عام يشمل كل من حكم عليه بعقوبة سواء كانت سالبة للحرية أم غيرها كالغرامة سواء كان المحكوم سجينا أم حرا.

بخلاف المشرع العراقي أخذ المشرع الفرنسي وكذلك المصري بمدلول إعادة الإدماج الاجتماعي من خلال قانون تنظيم السجون معرفا إياه بأنه " مهمة تضطلع بها هيئات الدولة ويساهم فيها المجتمع المدني، وفقا للبرامج التي تعدها اللجنة الوزارية المشتركة لتنسيق نشاطات إعادة التربية وإعادة الادماج الاجتماعي للنزلاء والمودعين" (**تنظيم السجون الفرنسي، 1989، ص56**).

ثانيا– إعادة التأهيل الاجتماعي

بخلاف إعادة الإدماج الاجتماعي استعمل المشرع العراقي لفظ التأهيل وإعادة التأهيل معتبرا إياه نوعا من الإدماج الاجتماعي عند تصنيفه للمؤسسات العقابية (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص2**)، وعرف جانب من الفقه إعادة التأهيل بانه كافة العمليات التي من شأنها أن تعيد توافق الانسان مع نفسه وبيئته في تقديم الرعاية الاجتماعية للسجين أو أسرته بما يساهم في تخفيف الضغوط النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها من خلال تقييم الحالة الاجتماعية ومشاكل السجناء واسرهم أيا كان نوعها مع اقتراح موارد اجتماعية لمساعدتهم (**السراج، 1987، ص34**)، ويرى جانب أخر في إعادة التأهيل بأنه عملية علاجية من شأنها إيجاد شفاء نفسي معنوي للنزيل أو المودع (**Pinatel,191, p 206**).

المطلب الثاني

الإشراف على تنفيذ العقوبات السالبة للحرية

من مظاهر تطور السياسة العقابية أن أصبح للقضاء فضلا عن الإدارة دور بارز في مراقبة تنفيذ العقوبات السالبة للحرية بعد أن كان دوره مقتصرا على إصدار الأحكام في الدعاوى الناشئة عن الجريمة، وفي هذا المقام سنتطرق إلى الخلاف الفقهي حول دور القضاء في الإشراف على التنفيذ العقابي، ثم دور الإدارة في الإشراف على هذا النوع من التنفيذ، لاسيما في العراق وعلى النحو التالي :

الفرع الأول

الجدل الفقهي بشأن دور القضاء في الإشراف على التنفيذ العقابي

لم تتفق كلمة الفقه حول فكرة الإشراف القضائي على التنفيذ العقابي، فالبعض أيدها والبعض الآخر عارضها إلى أن تم طرحها في المؤتمرات الدولية، فأيدت هذه الفكرة وأصبحت أغلب التشريعات العقابية اليوم تأخذ بها، وسوف نعرض لأهم الاتجاهات في هذا المجال تباعا على النحو التالي:

أولا– الاتجاه التقليدي، لم يؤيد أنصار هذا الاتجاه تدخل القضاء في مرحلة التنفيذ العقابي، كونه يقتصر على صدور الأحكام البات الذي يقضي بالعقوبة على المحكوم عليه، وما يتخذ من إجراءات لاحقة على ذلك تتصل بتنفيذ العقوبة على المحكوم عليه، فهي بطبيعة الحال أعمال إدارية تختص بالإشراف عليها الإدارة العقابية وحدها، باعتبار أن الإدارة العقابية هي الأقدر من القضاء في متابعة الشؤون اليومية للنزلاء والمودعين، بحكم ما يتوفر لها من خبرة طويلة في هذا المجال، نتيجة ارتباطها اليومي بعملية التنفيذ والوقوف على مجرياتها ومتطلباتها، فضلا عن أن أعمال التنفيذ ذات طبيعة إدارية يغلب عليها الطابع الفني وليست قضائية، مما يتعين معه انفراد الإدارة العقابية بمباشرتها ولا يسوغ للقضاء التدخل فيها، عملا بمبدأ الفصل بين السلطات الثلاث الذي يقضي ألا تتعدى إحدى السلطات على اختصاصات السلطة الأخرى داخل الدولة (**يحي، 2005، ص 255**).

غير أنه يلاحظ أن الاتجاه التقليدي وإن كان قد أكد على عدم جواز تدخل القضاء بدور فعال في مرحلة التنفيذ العقابي، إلا أنه يعترف لرجال السلك القضائي بالحق في زيارة المؤسسات العقابية للتحقق من أن الإدارة تنفذ العقوبة على النحو الذي يقرره القانون، والتأكد من عدم وجود شخص مسجون دون وجه قانوني، وإبلاغ ملاحظاتهم في هذا الشأن إلى إدارة المؤسسة العقابية أو الإدارة العقابية المركزية التي يتعين عليها أن تعيرها أهمية كبيرة (**يحي، ص 257**).

ثانيا– الاتجاه الحديث، يرى أنصار هذا الاتجاه ضرورة إشراف القضاء على تنفيذ الجزاء الجنائي باعتبار أن دور القضاء لا ينتهي عند صدور الحكم القضائي البات الذي يقضي بالعقوبة على المحكوم عليه وإنما يمتد كذلك إلى مرحلة التنفيذ العقابي حتى الإفراج عن المحكوم عليه، وحجة هؤلاء أن الغرض الأساسي للجزاءات الجنائية هو إعادة تأهيل المحكوم عليهم وتقويم انحرافهم، وهذا لا يتحقق بمجرد النطق بالعقوبة أو التدبير، وإنما يتحقق ذلك بتنفيذ الجزاء المحكوم به حيال من صدر الحكم في حقه، وهو ما ينسجم مع سياسة الدفاع الاجتماعي التي تنظر إلى أن الدعوى العمومية مستمرة إلى حين الانتهاء من عملية التنفيذ (**أرحومة، 2002، ص204**).

الأمر الذي يقتضي إخضاع هذه المرحلة لإشراف القضاء كي يبسط عليها سلطته وسلطانه، ومن ناحية أخرى يرى أنصار هذا الاتجاه أن مساهمة القضاء في الإشراف على تنفيذ الجزاء الجنائي يعد نتيجة منطقية وضرورية لاتجاه غالبية التشريعات الجنائية إلى الأخذ بنظام التدابير الاحترازية بحسبانها صورة أخرى للجزاء الجنائي تطبق إلى جانب العقوبة لمكافحة الظاهرة الإجرامية، لا سيما وأن هذه التدابير، ونظرا لارتباطها بالخطورة الإجرامية الكامنة في شخص الجاني غير محددة المدة، وأن مواجهة هذه الخطورة قد تقتضي تعديل مدة التدبير أو إبدال نوعه أو إلغائه بصورة كلية وليس ثمة شك في أن هذا التعديل أو الإبدال أو الإلغاء للتدبير الاحترازي المحكوم به هو عمل قضائي لا يجوز أن يقوم به غير القضاء، نظرا لما ينطوي عليه ذلك من مساس بالحقوق والحريات الفردية (**كامل، 1995، ص231**).

كما أن إقرار غالبية التشريعات الجنائية الحديثة لنظام الإفراج المشروط، يقتضي تدخل القضاء للإشراف على التنفيذ العقابي، إذ يفترض هذا النظام الإفراج عن المحكوم عليه قبل انقضاء مدة العقوبة المحكوم بها، وهو ما ينطوي على تعديل في الحكم الصادر بالعقوبة ويعد من ثم عملا قضائيا، ولهذا يتعين أن يكون الأمر به أو إلغائه من اختصاص القضاء وحده وإن إشراف القضاء على

التنفيذ يدفع العاملين بالمؤسسات العقابية إلى توخي الاعتدال في مباشرة أعمالهم، كما يتيح في الوقت نفسه الفرصة للقضاء بأن يكون على دراية بالأساليب الفنية للتنفيذ.

فضلا عن ذلك أن دور القاضي التنفيذي لا يتعارض تماما مع مبدأ الفصل بين السلطات ذلك أن القاضي في هذا المجال يمارس أعمالا ذات طبيعة قضائية، ومن ثم يمكن تفادي حجة المعارضين من خلال تحديد اختصاصات السلطة القضائية والتنفيذية في مجال العقاب (**سليمان، 1990، ص501**).

الفرع الأول

الإشراف على التنفيذ العقابي في العراق

يتوقف نجاح السياسة العقابية في أي بلد على وجود إدارة عقابية قادرة على رسم سياسة عقابية مُحكمة تكون مستمدة من معالم الحضارة الحديثة التي تدعوا إلى احترام حقوق الإنسان وتحريره من الاستغلال، وهذا يتطلب التفاعل مع التجارب والنظريات التي عرفتها النظم العقابية الحديثة في رسم السياسة العقابية، كالاعتماد مثلا على مبدأ إعادة التأهيل الاجتماعي لإصلاح النزلاء والمودعين وتقويمهم وإعادة إدماجهم في المجتمع والذي يعده أفضل وسيلة لمكافحة ظاهرة الإجرام، ولم يتبنى المشرع العراقي الاتجاه الحديث الذي يؤيد ضرورة مساهمة القضاء في تطبيق العقوبة السالبة للحرية، وإنما جاء بأحكام يقصد منها تبعية الإدارة العقابية لوزارة العدل ووزارة الداخلية دون تسمية هيئات معينة يقع على عاتقها الإشراف وإن حدد الجهات التي تتولى الإدارة (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص1**)، هما دائرة إصلاح الأحداث ودائرة الإصلاح العراقية، ومن ثم عدم جواز تدخل القضاء بهذا الإشراف تطبيقا لمبدأ الفصل بين السلطات، بمعنى أن المشرع العراقي تبنى الاتجاه الرافض لتدخل القضاء في الاشراف على التنفيذ العقابي (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص1**)، وأشار في المادة (5) من قانون إصلاح النزلاء والمودعين العراقي النافذ بأنه: " أولا- على الوزير تولي المهام الآتية: أ- إقرار الخطط اللازمة لتحقيق اهداف دائرتي الاصلاح العراقية وإصلاح الاحداث. ب- إقرار الأساليب العلمية الكفيلة بتطوير عمل دائرتي الاصلاح العراقية وإصلاح الاحداث. جـ- إقرار السياسة العامة في تنمية وتطوير أقسام وأبنية وورش دائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث والإجراءات والتدابير المتبعة فيهما وفقاً للقانون لتقويم وتأهيل النزلاء والمودعين. د- إقرار برامج وتدريب وتشغيل النزلاء والمودعين وتحديد أجورهم. هـ- تخصيص الأموال اللازمة لإنشاء وتطوير السجون والدور والمدارس الإصلاحية في بغداد والمحافظات غير المنتظمة في إقليم، وفقاً للمعايير والقواعد الواردة في هذا القانون لمعاملة وتأهيل وتدريب النزلاء والمودعين و- الموافقة على نشر التقارير والبحوث في مجال اصلاح النزلاء والمودعين ومكافأة أصحابها....." ، كما ونصت المادة (**2/أولا وثانيا/أ، ب**) على أنه " ترتبط بوزارة العدل دائرتا الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث وجميع الاقسام التابعة لهما، ويفك ارتباط دائرة إصلاح الأحداث من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وتلحق بوزارة العدل بجميع حقوقها والتزاماتها وموظفيها وموجوداتها عدا بناية مقر الدائرة العامة، وتستثنى دور تأهيل الأحداث المشردين من أحكام البند (**أولاً**) من هذه المادة وتلحق هذه الدور بدائرة رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ويبقى المشردين في هذه الدور من الذكور البالغين لحين اكمالهم الدراسة الجامعية والإناث لحين الحصول على مأوى مناسب لها أو الحصول على فرصة عمل أو زواجها.

المبحث الثاني

واقع السياسة العقابية في ظل قانون إصلاح النزلاء والمودعين العراقي رقم (104) لسنة 2018

لقد أولت الدول اهتماما متزايدا بمشكلة الانحراف والجريمة وتطورت الفلسفة العقابية التي كانت سائدة في الماضي إلى فلسفة إصلاحية تسعى إلى إعادة التأهيل الاجتماعي للمذنب منحرفا كان أو مجرما باعتباره مواطنا دفعته الظروف الى الانحراف،

كما أن الفلسفة الإصلاحية تهدف أيضا إلى تحقيق التكيف النفسي والاجتماعي للفرد المذنب حدثا أو بالغا حتى يصبح فردا منتجا في مجتمعه، بعد أن كان عنصرا من عناصر تهديد استقراره وأمنه، وعليه سوف نتناول في هذا المبحث اساليب المعاملة داخل وخارج المؤسسات العقابية في مطلبين مستقلين وعلى النحو الاتي:

المطلب الأول

إجراءات المعاملة داخل المؤسسات العقابية العراقية

إن جميع سبل المعاملة الحديثة يغلب عليها اليوم الطابع التربوي التهذيبي ولا تتضمن إيلاما أو تحقيرا للمحكوم عليه ولم تعد المعاملة العقابية الحديثة متروكة لسلطان الإدارة العقابية وانما أصبحت تتسم بطابع علمي فني، كما أنها أصبحت خاضعة لأحكام قانونية تتولى تنظيمها والأشراف عليها قضائيا، يتم متابعة تطبيقها بدقة، بحيث يمكن القول بأنه قد أصبح للنزلاء والمودعون والموقوفون في الوقت الحاضر مركز قانوني يتكون من حقوق وواجبات تجاه الإدارة العقابية.

ومن أهم الواجبات التي تقع على عاتقها التأكيد على موضوع فحص النزيل ودراسة حالته من اجل تقرير نوع المعاملة التي ستوضع له فترة مكوثه داخل المؤسسة العقابية، وهذا ما يعرف **بالتصنيف** كذلك ينبغي الاهتمام بالوسائل المباشرة التي تحقق هدف المعاملة في اصلاح النزيل وإعادة تأهيله اجتماعيا والتي تتمثل بالرعاية الصحية للنزلاء والمودعين والتعليم والتشغيل وتنظيم الزيارات والإجازات المنزلية والرعاية اللاحقة، وسوف نتناول هذه المعاملة في الفروع الثلاثة الاتية:

الفرع الأول

الفحص والتصنيف في مراكز الاستقبال

أن تنفيذ السياسة العقابية داخل المؤسسات العقابية هو بطبيعته نشاط إداري ينطوي على تطبيق أساليب معينة في معاملة النزلاء لتحقيق الهدف المنشود ألا وهو إصلاح وإعادة تربية النزلاء لأجل إدماجهم في الحياة الاجتماعية والمهنية بعد انتهاء مدة العقوبة.

وهنا ينبغي على إدارة المؤسسة العقابية إجراء فحص النزيل أو المودع أو الموقوف وهو إجراء يتم بعد استلام المودع أو النزيل في الدائرة الاصلاحية لأغراض التفريد في المعاملة العقابية، وهو فحص بيولوجي عقلي ونفسي اجتماعي، حيث يتم وضعه في القاعات المخصصة لاستقبال النزلاء أو المودعين وعزل المحكوم عليه عن زملائه في القسم الإصلاحي (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص1**).

ويجرى عادة من قبل اختصاصيين مع تأصيل النتائج التي أثمرتها أعمالهم لتكون أساسا للتصنيف، وظيفته إرشاد القاضي الى شخصية المتهم لكي يقرر العقوبة المناسبة استئناسا بهذا الإرشاد لغرض تكوين (**ملف الشخصية**)، وفيه يجد القاضي أهم العناصر المميزة للشخص الذي يقرر بشأنه توقيع الجزاء الجنائي.

أما **التصنيف** فهو مجموعة من الإجراءات التي تتبع لدراسة حالة النزيل ومعرفة العوامل المختلفة التي أثرت على سلوكه الشخصي ووضع برنامج التنفيذ ويتغير آلما اقتضت الظروف ذلك مع عزل كل صنف من النزلاء عن غيره في قسم خاص في نفس السجن أو في سجن أخر ويكون التصنيف على أساس الجنس والسن والعقوبة ونوع الجريمة لكل سجين ومدى استعداده واستيعابه للإصلاح والتزامه بقواعد دائرة الاصلاح (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص1**)، فهو إجراء لاحق على الحكم وهو يعنى أساسا بعملية تنفيذ الحكم وتفريد العقوبة وفقا لشخصية المحكوم عليه والتطور الذي يطرأ عليها.

ويصنف النزلاء والمودعون الى فئات مختلفة ويراعى في تصنيفهم جنس النزيل أو المودع أو الموقوف وعمره وسجله الجنائي والجريمة التي ارتكبها على أساس طبيعتها أو جسامتها أو نوع العقوبة ومتطلبات التعامل معه، ويتم احتجاز الذكور في سجون أو مواقف أو مراكز احتجاز منفصلة عن الإناث، وينبغي أن يكون القسم المخصص للإناث تحت مسؤولية موظفة مختصة وتكون

جميع مفاتيح ذلك القسم في عهدتها ولا يسمح لأي رجل يعمل موظفا في السجن أو الموقف أو مركز الاحتجاز دخول القسم المخصص للنساء ما لم يكن مصحوبا بموظفة تعمل في ذلك القسم (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص1**).

والتساؤل الذي يطرح في هذا المقام من هي **الجهة** التي تقرر للنزيل برامج العلاج شأنها في ذلك شأن **اللجنة الفنية** المشكلة بموجب المادة (**36**) من قانون إصلاح النزلاء والمودعين رقم (104) لسنة 1981 الملغى؟

لقد سكت المشرع العراقي عن توضيح ذلك في القانون الجديد، بخلاف القانون السابق حيث كانت **اللجنة الفنية** (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص7**)، تقرر برنامج علاجي لكل نزيل يتضمن درجة التحفظ والأحكام التي يجب احاطته بها وكذلك القسم الذي يعتبر أكثر ملائمة لحالته في السجن وأيضا العلاج الجسمي والعقلي والنفسي اللازم له والمنهاج الثقافي الملائم له فضلا عن التدريب المهني الذي يجب ان يتلقاه والعمل الملائم لقدراته وميوله وحاجاته والرياضة البدنية التي تتناسب مع قدراته وفق المادة (**39**) من قانون إصلاح النزلاء والمودعين الملغي، وأن كان قد نص على هذا الواجب في الفقرة (5) من المادة (**8**) من القانون النافذ، غير أنه لم يخول لجنة متخصصة في هذا المجال، وهذا مأخذ على سياسة المشرع العراقي كونه قد أطلق هذا الأمر دون تحديد لجهة معينة، وحبذا لو كان قد نص على وجود هذه اللجنة الفنية لضرورتها وأهميتها في هذا المجال.

كما ويطرح تساؤل أخر هل يخضع **السجين السياسي** لضوابط التصنيف المشار أليها في القانون الجديد أم يطبق عليه **نظام العزل** المعمول به في ظل القانون الملغي؟

في الواقع أن القانون الجديد لم ينص صراحة على تنظيم أحكام العزل والذي ميز المشرع العراقي في القانون الملغي بينه وبين التصنيف، حينما أشار في المادة (**57**) منه الى أن السجين السياسي يمثل صنفا ممتازا وعلى إدارة المؤسسة الاجتماعية عزله عن النزلاء الأخرين وان السجناء السياسيون لا يخضعون الى التصنيف وفق المادة (**59**) من القانون الملغي، وهذا يعني أنه يخضع لذات الأحكام المنظمة لشؤون التصنيف التي يخضع لها النزيل العادي.

ومما تجدر الإشارة اليه أن المشرع العراقي قد أخذ بالتصنيف القائم على الأسس العلمية الحديثة لاختيار المعاملة العقابية الملائمة والتي يتم بواسطتها إعادة تربية النزيل أو المودع أو الموقوف وإصلاحه، إلا أنه من الناحية الواقعية فإننا نلاحظ أن التصنيف المعمول به هو التصنيف التقليدي، أي العزل الذي يعد أساسا للفصل بين الفئات الكبرى للمحكوم عليهم والذي يهدف بالدرجة الأولى إلى المحافظة على النظام العام، وتسهيل العمل على الإداريين القائمين على المؤسسات العقابية، أما التصنيف بالمعنى العلمي الحديث فإن المشرع وإن كان قد نص في المادة (**9/ثانيا**) من قانون تنظيم السجون عنه، إلا أنه مازال غير معمول به، رغم أن النصوص القانونية الموجودة حاليا في قانون اصلاح النزلاء والمودعين العراقي قد أخذت ببعض المعايير العلمية الحديثة للتصنيف **كمعيار الصحة** والذي يعد من أهم المعايير التي يستوجب النص عليها.

الفرع الثاني

الرعاية الصحية والعلاجية للنزلاء والمودعين والموقوفين

في الماضي كانت السجون تنعدم فيها أدنى شروط الرعاية الصحية مما أدى الى تفشي الأمراض المختلفة بين النزلاء داخل المؤسسات العقابية، وانسجاما مع هذا الواقع المتردي في أغلب سجون العالم وتماشيا مع الواقع الإنساني، فقد جاء قانون إصلاح النزلاء والمودعين العراقي النافذ بأحكام مفصلة بخصوص الرعاية الصحية والعلاجية بخلاف القانون الملغي (**الملغي، 2003، ص7**)، حيث ألزم وزارة الصحة وبالتعاون مع دائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث القيام بتقديم الخدمات الصحية والوقائية والعلاجية للنزيل والمودع والموقوف من خلال انشاء مستشفى أو مركز صحي أو عيادة طبية في السجون المركزية حسب الطاقة الاستيعابية تتولى الإشراف على الصحة الجسمية والعقلية والنفسية للنزلاء وتقديم الخدمات الصحية والوقائية والعلاجية لهم على أن يتم تنسيب عدد مناسب من الأطباء وذوي المهن الصحية للعمل (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص4**).

كما وألزم المشرع العراقي دائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث توفير الشروط الصحية في الأقسام الإصلاحية من حيث النظافة والتكييف والتهوية والإضاءة وتوفير سرير نوم لكل نزيل أو مودع أو موقوف، فضلا عن توفير العلاج الطبي المجاني للنزيل والمودع والموقوف والزيارات الدورية من اللجان الطبية لفحصهم ومراقبة الحالة الصحية لهم وتوفر شروط النظافة والصحة العامة في زنزانات وعنابر ومهاجع النزلاء والمودعين والموقوفين، كما يتولى معهد بحوث التغذية في وزارة الصحة تحديد كمية ونوعية طعام النزيل والمودع والموقوف بجداول تعد لهذا الغرض، كما ويشترط في طعام النزيل والمودع أن يكون صحيا وافيا ومناسباً لديانة ومعتقد النزيل أو المودع وتحدد نوعيته بتعليمات يصدرها الوزير وأن يتم توفير الماء الصالح للشرب لهم باستمرار وبكميات كافية **(إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص5)**.

ومن حق كل نزيل ومودع التعرض للهواء الطلق وأشعة الشمس بما لا يقل عن ساعة واحدة يومياً لممارسة التمارين الرياضية المناسبة أو التعرض لأشعة الشمس وإشراكهم في بطولات ومسابقات داخلية وتهيأت المستلزمات الضرورية لذلك وفقاً للإمكانيات المتاحة إذا كانت ظروف الطقس تسمح بذلك مع مراعاة الظروف الأمنية **(إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص6)**.

ويشغل كل نزيل أو مودع غرفة بمفرده اثناء الليل ويجوز لمدير السجن أو الموقف تخصيص الغرفة لأكثر من نزيل أو مودع على ألا يزيد عددهم عن ثلاثة في الازدحام المؤقت في السجن، وفي حالة استخدام عنابر النوم يتم اختيار شاغلي كل عنبر أو ردهة من النزلاء والمودعين والموقوفين وفق شروط تصنيف النزلاء والمودعين ويراعى فيها تدابير تواجدهم في عنبر واحد أو ردهة واحدة وتعاملهم فيه مع بعضهم البعض، وأن يكون تحت إشراف ورقابة كل النزلاء والمودعين اثناء الليل بما يتماشى مع طبيعة السجن، وأن تكون مستوفية لأقصى شروط السلامة والرعاية الصحية ومناسبة للظروف المناخية وخاصة كميات الهواء المتوافر فيها وتوفير الحد الادنى من الساحة الارضية والإضاءة والتدفئة والتهوية، كما وينبغي أن تكون النوافذ واسعة ومحصنة بالقدر الكافي لتمكين النزلاء والمودعين والموقوفين من القراءة والعمل مستفيدين من الضوء الطبيعي وتهوية المكان بغض النظر عن وجود أو عدم وجود إضاءة وتهوية اصطناعية على أن توفر الإضاءة والتهوية الاصطناعية الكافية، كما وينبغي أن تكون أحواض الغسل والوضوء والمرافق الصحية كافية لتمكين السجين من الغسل والوضوء وقضاء احتياجاته الطبيعية حسب الاقتضاء وعلى نحو نظيف ولائق، مع توفير حمامات مناسبة للاستحمام ويراعى فيها أن تتناسب درجة الحرارة فيها مع المناخ وأن تتيح فرصة الاستحمام ما لا يقل عن مرة واحدة في الأسبوع لكل النزلاء والمودعين والموقوفين من أجل المحافظة على النظافة الصحية العامة وفقا للطقس والمنطقة الجغرافية، على أن يتحمل النزلاء والمودعين والموقوفين مسؤولية المحافظة على نظافتهم الشخصية والأماكن المخصصة لهم ويوفر لهم لتحقيق هذه الغاية الماء ومستلزمات الاستحمام التي تقتضيها المحافظة على الصحة والنظافة، ويوفر لكل نزيل ومودع وموقوف سرير خاص مع اللوازم الكافية الخاصة بفراشه التي يجب ان تكون نظيفة عند تسلمها له ويجب الحفاظ على ترتيب الفراش ولوازمه في حالة جيدة ويتم تغيير لوازم الفراش دورياً بانتظام لضمان نظافتها **(إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص6)**.

وقد ألزم المشرع العراقي دائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث أن تزود كل نزيل ومودع وموقوف لا يسمح له بارتداء ملابسه الخاصة بملابس نظيفة مناسبة للمناخ وكافية لإبقائه في حالة صحية جيدة ولا تكون هذه الملابس مهينة للسجين أو تقلل من شأنه بأية صورة كانت وينبغي على النزلاء والمودعين والموقوفين تغيير ملابسهم الداخلية وغسلها بالانتظام والوتيرة اللازمين للحفاظ على النظافة والصحة، وإذا كان مسموحا للنزلاء والمودعين والموقوفين ارتداء ملابسهم الخاصة تتخذ ترتيبات عند وصولهم الى السجن أو الموقف لضمان نظافة الملابس وصلاحيتها للاستعمال في السجن **(إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص6)**.

كما وينبغي نقل النزلاء والمودعين المرضى الذين يحتاجون للعلاج الى المستشفيات والأطباء المتخصصين وأن تكون الأماكن الصحية والعيادات الطبية في السجون والمواقف مجهزة بالكوادر الصحية المدربين تدريبا مناسبا والمعدات والتجهيزات الطبية والصيدلانية المناسبة لتقديم الرعاية الصحية والعلاج للنزلاء والمودعين والموقوفين المرضى، وأن يسمح لكل نزيل ومودع وموقوف

الحصول على خدمات طبيب اسنان منتدب للعمل في الأماكن الصحي أو العيادة الطبية، وينبغي أيضا توفير جميع التجهيزات الخاصة لتقديم ما يلزم من عناية وعلاج للنزيلات والمودعات والموقوفات الحوامل قبل الولادة وبعدها وتتخذ الترتيبات آلما تيسر ذلك عمليا لكي يولد الاطفال في مستشفى خارج السجن أو الموقف، وإذا ولد طفل في السجن لا يذكر ذلك في شهادة الميلاد، ويسمح ببقاء الأطفال الرضع في السجن أو الموقف مع امهاتهم ويتم توفير حضانة للأطفال يشرف عليها طاقم من الموظفين المؤهلين يكون فيها الاطفال تحت رعايتهم عندما لا يكونون في رعاية أمهاتهم، وعلى الطبيب المسؤول عن المستشفى أو المكان الصحي أو العيادة الطبية فحص كل نزيل ومودع وموقوف بأسرع ما يمكن بعد ادخاله السجن أو الموقف وكلما اقتضى الأمر إجراء مثل هذا الفحص بعد ذلك، ويجرى هذا الفحص بغية اكتشاف أي مرض جسدي أو عقلي واتخاذ كافة التدابير الصحية الضرورية تجاهه مثل فصل المساجين الذين يشتبه أنهم مصابون بأمراض سارية أو معدية، وملاحظة أية عيوب جسدية أو عقلية في النزيل والمودع والموقوف قد تعيق إعادة تأهيله وكذلك تحديد قدرته الجسدية على العمل، كما وألزم المشرع المستشفى أو المركز الصحي أو العيادة الطبية بتوفير الرعاية الصحية الجسدية والعقلية للنزلاء والمودعين والموقوفين، وينبغي أن يقوم بفحص جميع المرضى يوميا وجميع الذين يشتكون من المرض وأي سجين يثير انتباهه بصورة خاصة، وعلى الطبيب المسؤول عن المركز الصحي والعيادة الطبية تبليغ مدير السجن أو الموقف كلما اعتبر أن الصحة الجسدية أو العقلية للنزيل أو المودع أو الموقوف أو لزملائه في السجن أو الموقف قد تضررت أو قد تتضرر نتيجة لاستمرار سجنه أو إيقافه نتيجة لأية ظروف تتعلق بالسجن أو الموقف، وعلى مسؤول المستشفى أو المركز الصحي أو العيادة الطبية التفتيش بصورة منتظمة وإفادة مفتش السجن أو الموقف والمدير الاداري بتقرير عن كمية الغذاء ونوعيته وكفايته وطريقة اعداده وتقديمه، فضلا عن النظافة الصحية ونظافة النزلاء والمودعين والموقوفين وملابسهم ومدى ملائمتها ولوازم فراشهم، وكذلك المرافق الصحية والحمامات والمغاسل في السجن أو الموقف والتدفئة والاضاءة والتهوية، ومراقبة توفير التربية البدنية والألعاب الرياضية للنزلاء والمودعين في الحالات التي لا يوجد فيها موظفون مدربون مسؤولون عن هذه الأنشطة، وعلى مدير السجن أن يأخذ بعين الاعتبار ما يقدمه له مسؤول المركز الطبي أو العيادة الطبية من تقارير، ويجب عليه أن يتخذ فورا الإجراءات والتدابير لمعالجتها ووضع الحلول لها ، أما إذا كان الإجراء خارج نطاق صلاحياته، فعليه أن يعد تقريرا على الفور يقدمه مع تقرير المسؤول الطبي والتوصية الى مسؤوله الأعلى بالإجراء المناسب (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص7**).

نستنتج مما تقدم أن الرعاية الصحية هي حق للنزلاء والمودعين والموقوفين، وينبغي على الدولة ممثلة في الإدارة العقابية أن تقوم بتوفيرها لهم حتى يمكنهم الحصول على حقهم قبل المجتمع في التأهيل، فالتزام الدولة بتوفير الرعاية الصحية والخدمات الطبية لهم لا يمثل وفاء من جانبها لحقهم الإنساني في التمتع بهذه الرعاية والخدمات فحسب، وإنما هو في نفس الوقت وفاء من جانبها لالتزامها بوقاية المجتمع الحر من الأمراض السارية والمعدية، فالحق في الرعاية الصحية وتوفير الخدمات الطبية هو إذن حق عام وشامل لا يجوز أن يحرم منه أي فرد لأي سبب كان بما فيهم النزلاء والمودعين والموقوفين.

الفرع الثالث

التعليم والتشغيل والزيارات المبرمجة للنزلاء والمودعين

من أساليب المعاملة العقابية التي تستهدف الوصول بالعقوبة إلى غرضها الأساسي هي تعليم النزلاء والمودعين وتهذيبهم وتشغيلهم لإعادة إدماجهم في المجتمع، ذلك لأن تأهيلهم لا يتم إلا من خلال تهذيبهم وتعليمهم ورفع قدراتهم وإمكاناتهم الذهنية، فيصبحون أقدر على فهم الأمور وأكثر إدراكا لأبعادها ونتائجها، لذلك فإن التعليم حق لكل نزيل أو مودع في مواصلة دراسته ولكل المراحل خلال مدة محكوميته (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص7**)، وقد أوجب المشرع العراقي في المادة (**17/ثانيا**) من قانون إصلاح النزلاء والمودعين العراقي النافذ دائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث تأمين حاجة النزلاء والمودعين الى **التعليم** ومواصلة الدراسة بفتح المدارس العامة أو المهنية في كلتا الدائرتين أو تأمين مواصلة الدراسة خارجها في نطاق مقتضيات الأمن

الداخلي وامكانيات هاتين الدائرتين (**الملغي، 2003، ص8**)، ووفقا للفقرة (**ثانيا**) من المادة (**17**) من ذات القانون تتولى وزارة التربية بالتنسيق مع وزارة العدل (**الملغي، 2003، ص9**)، تحقيق المتطلبات الموضوعية لتنفيذ برامج دائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث لتعليم وتأهيل النزلاء والمودعين بفتح المدارس العامة والمهنية بجميع مراحلها داخل اقسام الإصلاحية في هاتين الدائرتين، يمنع ذكر أي بيان في الشهادة الدراسية أو المهنية التي يحصل عليها النزيل والمودع اثناء تنفيذ العقوبة يشير الى أنه حصل عليها في دائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص8**).

مما تقدم يتضح أن التعليم عنصرا جوهريا من عناصر البرنامج الإصلاحي، وينظر رجال الإصلاح إلى التعليم في المؤسسات العقابية كأداة ينبغي أن تمتد وظيفتها لتشمل جميع ميادين الحياة، بمعنى أن يسعى برنامج التعليم في المؤسسة العقابية إلى إعادة بناء شخصية النزيل أو المودع واتجاهاته وقدراته ونضوجه من جميع النواحي، حتى يصبح قادرا على أن يشق طريقه في الحياة الشريفة، وأن يساهم في استقرار ورفاهية المجتمع الذي يعيش فيه.

ولقد نظم المشرع العراقي **عمل** النزلاء والمودعين في المؤسسات العقابية في المواد (19 و20و21و22و23و24و25) من قانون إصلاح النزلاء والمودعين العراقي النافذ باعتباره من وسائل إعادة التهذيب والإدماج الاجتماعي حسب السياسة العقابية الحديثة، حيث استبعد الغرض العقابي للعمل والمتمثل في إيلام النزلاء والمودعين، حيث تكفل دائرتا الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث لكل نزيل و مودع أتم (**15**) الخامسة عشرة من عمره حق العمل في حدود قدرته ومؤهلاته في نطاق القواعد الفنية للتصنيف بقصد تأهيله وتدريبه مهنيا وتهيئة اسباب العيش له بعد انقضاء محكوميته ومساعدته على الاندماج في المجتمع، وعلى دائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث إنشاء وتوفير الورش والمعامل والمنشآت ومستلزمات العمل الكريم المناسب للنزلاء والمودعين والاستغلال الأمثل للإمكانات والتخصيصات المالية المتوفرة لها، ويؤسس في قسم التدريب والتأهيل والتشغيل التابع الى دائرة الاصلاح شعبة التقاعد والضمان الاجتماعي للنزلاء والمودعين تتولى شؤون النزلاء والمودعين فيما يختص بالمخاطبات مع هيأة التقاعد العامة ودائرة التقاعد والضمان الاجتماعي للعمال والتنسيق معها لضمان حقوقهم في العمل والتشغيل طيلة مدة محكوميتهم، ويحظر تشغيل النزلاء والمودعين بأعمال السخرة في الأقسام الإصلاحية (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص8**).

وحسن فعل المشرع العراقي حينما أكد على أن **العمل** جزء من مقومات العملية الإصلاحية والتأهيلية وليس عقوبة بذاته، وعلى اللجان المشكلة في دائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث مراعاة رغبة النزيل والمودع باختيار ما يتلاءم منه مع قدراته ومؤهلاته (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص9**)، وتأكيدا لمبدأ الأجر على قدر المشقة، أجاز المشرع العراقي تشغيل النزيل والمودع الذي أتم (15) الخامسة عشرة من عمره داخل أقسام الإصلاحية مقابل أجر وأن يكون العمل وظروفه بمستوى يقترب من المستوى المطبق خارجها من حيث النوع وطريقة الإداء وانواع الآلات والأدوات المستعملة ووسائل السلامة والصحة المهنية (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص9**).

كما أجاز القانون النافذ تشغيل النزيل والمودع الذي أتم (١٥) الخامسة عشرة من عمره بالتعاقد مع الجهات الحكومية التي تحتاج الى عمل وشغل النزيل والمودع داخل ورش ومعامل القسم الاصلاحي أو الى قوى عاملة في مشاريعها خارج اقسام الاصلاحية وتتولى دائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث وفق تعليمات يصدرها الوزير المختص، حيث تتولى دائرتا الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث مهمة التعاقد مع الجهات الحكومية التي تحتاج الى شغل النزيل أو المودع داخل ورش ومعامل القسم الاصلاحي أو الى قوى عاملة في مشاريعها وفق الأسس والضوابط والتعليمات التي يصدرها الوزير المختص، ويشترط في تشغيل النزيل والمودع لدى الجهات الحكومية أن يكون قد أمضى (10%) من مدة محكوميته في دائرتي الإصلاح العراقية أو إصلاح الأحداث ومدارس إصلاح النزلاء والمودعين اذا كانت محكوميته لا تزيد على (5) خمس سنوات، وأن يكون قد امضى (25%) من مدة محكوميته في دائرتي الاصلاح العراقية أو اصلاح الاحداث ومدارس اصلاح النزلاء والمودعين اذا كانت محكوميته تزيد

على (5) خمس سنوات، مع مراعاة حسن السلوك والجدارة للعمل الخارجي بتأييد من دائرة الاصلاح المختصة، ويستثنى من التشغيل الخارجي المحكومون عن جرائم القتل العمد غير المتنازل عنها وجرائم السرقة واختلاس أموال الدولة وجرائم الإرهاب وجرائم المخدرات وجرائم الخطف والاغتصاب وجرائم غسل الأموال، ويستثنى النزلاء والمودعون الذين لا تزيد مدة محكومياتهم عن (٥) خمس سنوات من شروط منح الإجازة المنزلية المنصوص عليها في البند (ثانياً) من المادة (٣٠) من القانون النافذ (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص9**).

وقد أحال المشرع العراقي الى أحكام قانون العمل النافذ لتطبيق ما يتعلق بالأجور وتحديدها وأوقات وساعات العمل والإجازات والعطل والأعياد وحماية المرأة العاملة وحماية الأحداث والسلامة المهنية على النزلاء والمودعين العاملين داخل اقسام ومدارس الاصلاح الاجتماعي أو خارجها، حيث تصرف الأجور وساعات العمل لمن يتم تشغيلهم بوظائف واعمال ادارية أو فنية مؤقتة وفقاً لقوانين الخدمة المدنية والقوانين الخاصة والانظمة والتعليمات الصادرة بموجبها للنزلاء والمودعين غير المشمولين بقانون العمل النافذ، كمل ويخضع النزلاء والمودعون لأحكام قانون التقاعد والضمان الاجتماعي للعمال وقانون التقاعد الموحد النافذ حسب مقتضى الحال، وتتحمل الجهة صاحبة العمل (3%) من أجر النزيل والمودع لحساب صندوق التقاعد والضمان الاجتماعي للعمال وتسدد هذه النسبة بكاملها الى الصندوق (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص10**).

والتساؤل الذي يطرح في هذا المقام هو ما الحكم فيما لو أصيب النزيل بحادث أثناء العمل، فهل يتم مكافئته عن ذلك وما هو السند القانوني في هذه الحالة؟

في الواقع لم يعالج المشرع العراقي هذا الأمر في القانون النافذ، في حين نص في المادة (1/52) من القانون الملغي على أنه " تمنح مكافئة في حالة إصابة النزيل بحوادث العمل على ألا تتجاوز نصف المبلغ المقرر بمقتضى القوانين والأنظمة الخاصة بالعمل والضمان الاجتماعي"، وبذلك ميز المشرع العراقي بين النزيل والعامل عند وقوع إصابة، نأمل من المشرع النص على ذلك حينما يتم تعديل القانون النافذ.

ولكيلا يُبخس حق النزيل أو الموقوف في الاتصال بالعالم الخارجي وهو في داخل المؤسسات العقابية نص المشرع العراقي على جواز استقباله لزائريه وعائلته مرة واحدة على الأقل لكل منهما في الشهر وتوفير مكان مناسب ولائق للزيارات العائلية، وللمودع استقبال زائريه مرة واحدة على الأقل في الأسبوع إذا كانت الزيارة في مصلحته ولها أثر في تأهيله وتقويمه، ويكافئ النزيل أو المودع بزيادة عدد الزيارات إذا اثبت تفوقا في عمله أو دراسته أو أبدى سلوكا متميزا، ويستثنى من جواز استقبال الزائرين وأفراد عائلاتهم المحكومون عن جرائم الإرهاب أو أمن الدولة الداخلي أو الخارجي أو جرائم غسل الأموال، وتكون زيارتهم إلا بموافقة خاصة (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص10**)، ولا يجوز حرمان النزيل والمودع والموقوف من الزيارة إلا بموافقة المدير العام للدائرة ولا يحرم منها لأكثر من(3) ثلاثة أشهر بأي حال من الأحوال (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص10**).

وتحدد بتعليمات يصدرها الوزير المختص مواعيد وضوابط الزيارات الاعتيادية للنزيل أو المودع أو الموقوف، وكذلك الحالات التي يسمح فيها للنزيل أو المودع أو الموقوف استقبال زائريه عند الضرورة اضافة الى الزيارات الاعتيادية، وأيضا الحالات التي يجوز فيها حرمان النزيل أو المودع أو الموقوف من استقبال زائريه، كما وتحدد أحكام وضوابط منح الإجازة المنزلية للنزيل أو المودع وتحدد من قبل الوزير (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص11**).

وبخلاف قانون إصلاح النزلاء والمودعين الملغى أجاز المشرع العراقي لأعضاء البعثات الدبلوماسية والسفارات وبموافقة الوزير المختص وبطلب مسبب وبحسب مقتضيات التعامل الدبلوماسي زيارة رعاياهم من النزلاء والمودعين والموقوفين في دائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث شرط التعامل بالمثل مع البعثة الدبلوماسية العراقية لزيارة المواطنين العراقيين الموجودين في سجون ومواقف ومراكز الاحتجاز في دولة النزيل أو المودع أو الموقوف، ويسمح للسجناء من مواطني دول ليس لها تمثيل دبلوماسي أو قنصلي في

العراق استقبال دبلوماسي الدولة التي تتولى رعاية مصالحهم في قوانين العراق، كما يسمح للسجناء اللاجئين أو غير المنتمين الى أي دولة استقبال المندوب الدبلوماسي للدولة التي تتولى رعاية مصالحهم (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص11**).

الفرع الرابع

النظام الانضباطي للنزلاء والمودعين

يتميز الجزاء التأديبي داخل المؤسسات العقابية بخاصيتين أساسيتين الأولى تخلصه من كثير من صوره القديمة التي كانت تتصف بالقسوة المفرطة والانتقام المهدر لكرامة المحكوم النزلاء والمودعين، والثانية تدرجه في الجسامة والشدة ليتناسب مع درجة المخالفة التي وقعت من المحكوم عليه، والجزاء التأديبي باعتباره أسلوب معاملة داخل المؤسسة العقابية، ينبغي أن يخضع لقواعد معينة وأن يكون الهدف منه هو الإصلاح وليس الانتقام، لذلك ينبغي أن يخضع الجزاء التأديبي لمبدأ الشرعية، وهذا يعني أن تحدد الجزاءات التأديبية بموجب القانون أو النظام ضمن قائمة موضوعة سلفا، تبين بوضوح الجزاءات التي تطبق على السجين الذي ارتكب مخالفة (**علي و عثمان، 1973، ص34**).

وقد نظم المشرع العراقي قواعد التأديب داخل المؤسسات العقابية، حيث أجاز القانون النافذ لوزير العدل منح المدير العام لدائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث صلاحية فرض العقوبات التأديبية على النزيل والمودع بناء على توصية اللجنة التحقيقية المختصة أو لجان التفتيش المشكلة داخل اقسام الاصلاحية عند مخالفته للأنظمة والتعليمات الصادرة بموجب هذا القانون أو خروجه على برامج التأهيل والعمل الواجب عليه اتباعها وتشمل الحرمان من المشاركة في الفعاليات الرياضية والترفيهية، والحرمان من المراسلة، والحرمان من الزيارة، والحجر الانفرادي (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص13**).

ولا يجوز أن تزيد هذه العقوبات عدا الحجر الانفرادي عن (30) ثلاثين يوما للنزيل والمودع، وللمدير العام مضاعفتها الى (٦٠) ستين يوما إذا كرر النزيل والمودع المخالفة، ولا يجوز أن تزيد مدة الحجر الانفرادي على (٣٠) ثلاثين يوماً للنزيل و(15) خمسة عشر يوما للمودع، وللمدير العام مضاعفتها الى (٦٠) ستين يوماً للنزيل و (٣٠) ثلاثين يوما للمودع إذا كرر النزيل أو المودع المخالفة (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص14**).

فضلا عن ذلك يحال النزيل والمودع الى المحكمة المختصة إذا ارتكب داخل اقسام الإصلاحية فعلا معاقبا عليه في القوانين العقابية النافذة (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص13**).

ويحظر إدخال المخدرات والمسكرات بأنواعها كافة والنقود والحلي والتسجيلات الممنوعة التي تحددها التعليمات والكتب والجرائد والنشرات الممنوع تداولها والاسلحة النارية والآلات الجارحة أو الراضة أو القارضة أو الكهربائية أو أية مواد أو آلات تضر بسلامة النزلاء والمودعين واجهزة الاتصال المختلفة كالهاتف النقال وما سواها وأية مادة تهدد الأمن والسلامة الى اقسام اصلاح النزلاء والمودعين والموقوفين، وكذلك العقاقير الطبية ذات الاستخدام المزدوج إلا بوجود وصفة طبية وتحت إشراف طبيب متخصص (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص14**).

وتصادر المواد المذكورة في حالة وجودها في حيازة النزيل والمودع بقرار من الوزير المختص وفقا للقانون ما لم تشكل مبرزاً جرميا (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص14**)، ويعاقب النزيل والمودع بإحدى **العقوبات التأديبية** إذا حاز النقود والحلي أو التسجيلات الممنوعة التي تحددها التعليمات أو الكتب والجرائد والنشرات الممنوع تداولها أو اجهزة الاتصال المختلفة كالهاتف النقال وما سواها، ويحال النزيل والمودع عند حيازته المخدرات والمسكرات بأنواعها كافة والأسلحة النارية والآلات الجارحة أو الراضة أو القارضة أو الكهربائية أو أية مواد أو الآت تضر بسلامة النزلاء والمودعين الى المحكمة المختصة مع المواد المضبوطة (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص14**).

وإذا تأيد أن النزيل قد حسُن سلوكه بناء على توصية من **اللجنة الفنية (الملغي، 2003، ص12)**، أو الباحث الاجتماعي المختص، فللمدير العام لدائرتي الإصلاح العراقية ومدير عام دائرة إصلاح الأحداث إلغاء أو تخفيض أي عقوبة تأديبية مفروضة على النزيل أو المودع بموجب هذا القانون، ولمدير القسم الإصلاحي التوصية الى مدير عام دائرة الاصلاح بتخصيص مكافئات وجوائز نقدية أو عينية للنزلاء أو المودعين الذين يثبتون تفوقا في العمل أو الدراسة أو التدريب أو يظهرون سلوكا وانضباطا عاليين **(إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص14)**.

وقد ألزم المشرع العراقي دائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث فرض قيود لأجل المحافظة على الانضباط والنظام العام على ألا تتجاوز القدر اللازم والضروري لتأمين سلامة النزلاء والمودعين والموقوفين وتنظيم حياتهم مع غيرهم من النزلاء والمودعين والموقوفين وفقاً لمعايير دقيقة منها عدم جواز استخدام النزيل أو المودع أو الموقوف للقيام بأعمال تأديبية مهينة أو ذات طابع انتقامي، واعتماد القواعد الانضباطية الواردة في هذا القانون النافذ والأنظمة الصادرة بموجبه لكل سلوك يشكل خرقا للنظام أو اخلالا بالقواعد المتبعة في السجن أو الموقف وتنفذ من قبل السلطة المخولة أو المختصة بفرض العقوبة الانضباطية، وعدم جواز معاقبة أي نزيل أو مودع أو موقوف إلا بعد تبليغه بالعمل الذي ارتكبه المخالف للنظام أو القواعد وبعد منحه الحق في الدفاع عن نفسه أمام اللجنة التحقيقية المشكلة للنظر في المخالفة ويسمح للنزيل أو المودع أو الموقوف الاجنبي تقديم دفاعه من خلال مترجم عند الاقتضاء، كما تحظر حظرا تاما العقوبة الجسدية والعقوبة بالسجن في زنزانة مظلمة وضيقة أو عقوبة تخفيض كميات الوجبات الغذائية التي يتناولها وجميع العقوبات القاسية أو الإنسانية أو المهنية أو أية عقوبة أخرى قد تكون ضارة بصحة السجين الجسدية أو العقلية التي قد تفرض على النزلاء والمودعين والموقوفين المخالفين لقواعد الانضباط في السجن أو الموقف وارتكابهم أعمال تستحق التأديب، وعلى مسؤول المستشفى أو المركز الطبي أو العيادة الطبية القيام بزيارة يومية للنزلاء والمودعين الذين يقضون عقوبات انضباطية، ويجب عليه إبلاغ مدير السجن أو الموقف إذا رأى أن إلغاء هذه العقوبة أو تبديلها ضروري لأسباب تتعلق بصحة السجين الجسدية أو العقلية، ويحظر استخدام أدوات تقييد النزلاء والمودعين والموقوفين مثل الأصفاد والسلاسل والقيود الحديدية ومعاطف التكتيف لمعاقبتهم باستثناء ثلاث حالات وهي منع النزيل والمودع والموقوف من الهرب اثناء نقله كإجراء وقائي شريطة أن تفك هذه القيود عندما يمثل أمام القاضي أو لأسباب طبية وحالته الصحية والعقلية بتوجيه من المسؤول الطبي أو بأمر من مدير السجن أو الموقف إذا فشلت أساليب السيطرة الأخرى في منع النزيل والمودع والموقوف من إيذاء نفسه أو إيذاء الأخرين أو الإضرار بالممتلكات العامة أو الخاصة، وعلى إدارة السجن أو الموقف أن تقدم للنزيل والمودع والموقوف عند دخوله السجن أو الموقف معلومات مكتوبة عن القواعد التنظيمية التي تنظم التعامل مع النزلاء والمودعين والموقوفين من فئته وعن مقتضيات التأديب ومراعاة النظام في السجن والموقف وعن الإجراءات المسموح بها للحصول على معلومات وتقديم الشكاوى وعن جميع المسائل الأخرى الضرورية لتمكينه من فهم حقوقه والتزاماته ولتمكينه من تكييف نفسه مع الحياة في السجن أو الموقف ويبلغ النزيل والمودع والموقوف بالمعلومات المذكورة في هذه المادة شفويا إذا كان أُميا، وعلى دائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث وضع نظام خاص بانضباط النزلاء والمودعين والموقوفين بالتنسيق فيما بينها وإحالته الى مجلس الوزراء لإصداره **(إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص14)**.

المطلب الثاني

الإجازات المنزلية والرعاية اللاحقة للنزلاء والمودعين

من أكثر الإجراءات الإصلاحية التي تقتضي من إدارة المؤسسات العقابية بذل عناية وتنظيم متقن خارج هذه المؤسسات هي نظام الإجازات المنزلية ونظام الرعاية اللاحقة للنزيل والمودع، لذا سوف نتناول بشيء من التفصيل كلا النظامين وعلى النحو الاتي:

الفرع الأول

نظام الإجازات المنزلية

ويراد به إعطاء النزيل الحق في الخروج من المؤسسة العقابية والتغيب عنها فترة من الزمن، تختلف حسب الحاجة التي استدعت خروجه على ألا تتجاوز فترة معينة، ولقد كان هذا النظام مقررا في الماضي لأسباب إنسانية بحتة تقتضيها الضرورة كما هو الحال عندما يصاب قريب له بمرض خطير يهدد حياته، أو يتوفى هذا القريب، فيسمح للمحكوم عليه بعيادة قريبه أو حضور جنازته **(عقيدة، 199، ص6)** .

ويتميز هذا النظام وإن كانت مدته قصيرة بتخفيف وطأة العقوبة السالبة للحرية على نفسية النزيل، فيحول دون إصابتهم بصدمات نفسية شديدة والتي قد تحدث نتيجة لعدم تمكنهم من الخروج من المؤسسة لمواجهة ظروف عائلية أو اجتماعية خطيرة، ومع ذلك فإنه يخشى أن يستغل النزيل هذا النظام كوسيلة للهرب من تنفيذ العقوبة، والواقع أن هذه الخشية ليس لها أساس في كثير من الأحيان لأنه نظام للمعاملة العقابية أساسه الثقة بالنزيل، يمنح لبعض طوائف النزلاء الذين ليسوا على درجة كبيرة من الخطورة الإجرامية، والذين لا يخشى هروبهم **(نمور، 1997، ص 46)**.

وقد نظم المشرع العراقي بموجب قانون إصلاح النزلاء والمودعين النافذ نظام الإجازات المنزلية بشيء من التفصيل بخلاف القانون الملغى الذي تناوله بمادة واحدة وهي المادة (38) بمقتضاه يتم السماح للنزيل والمودع من العراقيين بترك المؤسسة العقابية والالتقاء والاجتماع بأسرته والاتصال بالعالم الخارجي، بناء على طلب مدير عام دائرة الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث بعد موافقة الوزير المختص **(الملغي، 2003، ص10)** مدة لا تزيد على (5) خمسة أيام كل (٣) ثلاثة أشهر عدا أيام السفر وفقا للشروط السبعة الآتية: **أولا–** ألا يكون محكوما عليه **أ–** بجريمة ماسة بأمن الدولة الداخلي أو الخارجي **ب.** بجريمة إرهابية أو جريمة غسل الأموال **جـ–** بجريمة سرقة .**د–** بجريمة مخلة بالشرف **هـ–** بجريمة قتل غير متنازل عنها **و–** أي جريمة أخرى مُعاقب عنها بالإعدام أو السجن المؤبد **ثانيا–** ألا يكون مجرما عائدا **ثالثا–** ألا تكون ذمته المالية مشغولة لدوائر الدولة والقطاع العام في القضية المحكوم بسببه **رابعاً–** أن تقدم عنه كفالة شخصية ومالية ضامنة يحدد مبلغها الوزير المختص **خامسا–** أن يكون قد أمضى في اقسام إصلاح النزلاء والمودعين ربع مدة محكوميته بعد طرح التخفيضات ومدة الافراج الشرطي التي يستحقها بشرط ألا تقل تلك المدة عن (1) سنة واحدة **سادسا–** أن يتأكد حسن سلوكه في قسم إصلاح النزلاء والمودعين وجدارته للتمتع بالإجازة **سابعا–** ألا تتعرض حياة النزيل والمودع الى الخطر بسبب تمتعه بالإجازة المنزلية، وألا يؤثر على أمن المؤسسة الإصلاحية **(إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص12)**.

وحبذا لو لم يكرر المشرع العراقي النص على جريمة معاقب عليها بالإعدام كالجريمة الإرهابية ضمن الشروط في الفقرة **(أولا/ب)**، كونه قد ذكر في الفقرة **(و)**..... أي جريمة أخرى مُعاقب عنها بالإعدام أو السجن المؤبد، والاكتفاء بالإشارة الى الفقرة (و).

وإذا تأخر النزيل والمودع الذي تنتهي إجازته المنزلية عن الالتحاق بقسم إصلاح النزلاء والمودعين مدة تزيد على (٣) ثلاثة أيام من تاريخ انتهاء إجازته لسبب يقرر المدير العام المختص مشروعيته، تضاف مدة التأخير الى مدة محكوميته، أما إذا قرر المدير

العام المختص عدم مشروعية السبب فتضاف مدة التأخير الى مدة محكوميته، ويحرم من الإجازة المنزلية (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص12**).

وإذا كان النزيل والمودع محكوما بأكثر من عقوبة وكان من بينها عقوبة تقرر حرمانه من الإجازة المنزلية فلا يستحق مدة الإجازة إلا بعد إكمال العقوبة وتوافر الشروط المنصوص عليها في هذا القانون، ولكل من مدير عام دائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث بعد موافقة الوزير المختص منح إجازة منزلية إضافية للمبدعين من النزلاء والمودعين مرة واحدة كل سنة عن الإبداع في العمل والنجاح المتميز في الدراسة (**إعادة تأهيل النزلاء، 2018، ص12**).

الفرع الثاني

نظام الرعاية اللاحقة

يراد بالرعاية اللاحقة العناية التي توجه للنزلاء والمودعين الذين أمضوا مدة العقوبة السالبة للحرية ومعاونتهم على اتخاذ مكان لهم بين أفراد المجتمع كأشخاص معتدلين، بحيث يجدون فيه مستقرا لحياتهم على المستوى المادي أو المعنوي (**موسى، 2008، ص240**)، عملية علاجية للشخص المنحرف وتقويمه لإعادة تكيفه مع بيئته الاجتماعية كأي مواطن صالح يتطلب مساعدته (**الجابري، 2010، ص20**)، ويرى آخرون بانها عملية اختبارية لمراقبة الشخص المنحرف لفترة زمنية معينة وفي مكان معين بهدف حماية المجتمع من خطورته.

وتكمن أهمية الرعاية اللاحقة ودورها العقابي في أن المفرج عنه يتعرض لظروف قاسية بعد الإفراج يمكن تسميتها "**بأزمة الإفراج**"، ويفرض هذا الوضع على السلطات العامة أن تبذل قصارى جهدها لمساعدة ومعونة هؤلاء الأشخاص، تجنبا لما قد يترتب على عدم تدخل السلطة من إمكانية عودة المفرج عنه إلى الجريمة وتعريض المجتمع للخطر.

ويرى الباحث بأن **الرعاية اللاحقة** هي تلك الجهود العلمية والعملية التي تقوم عليها أجهزة متخصصة ومتعاونة عامة أو خاصة أيا كانت صفتها رسمية أو غير رسمية تعمل على توفير العناية اللازمة لهم ولأسرهم خلال فترة تنفيذ العقوبة السالبة للحرية وقبل إخلاء سبيلهم لأجل تكييفهم تدريجيا للحياة الجديدة مع العالم الخارجي، وتتخذ الرعاية اللاحقة صورتين اساسيتين وهما:

أولا– مساعدة المفرج عنه لبناء مركزه الاجتماعي

ونعني بذلك تزويد النزيل بالمعونة النقدية التي يحتاجها في الوصول للمكان الذي يريد الاستقرار فيه من خلال الأموال النقدية التي جمعها جراء عمله في المؤسسة العقابية، مع ضرورة توفير المأوى المؤقت للمفرج عنه أو إنزاله لدى اسرة مشهود لها بالسمعة الطيبة تقبل نزوله لديهم مقابل أجر شهري سيما وأنه قد فقد منزله السابق نتيجة سلب حريته وأن تركه بلا مأوى سوف يعرضه للتشرد والإجرام، فضلا عن مساعدته في البحث عن فرصة عمل تتلاءم مع امكانياته وقدراته (**الصادي وآخرون، 1986، ص104**).

ومما تجدر الإشارة أليه أن المشرع العراقي لم ينص لا في قانون إصلاح النزلاء والمودعين الملغي ولا النافذ على الأحكام الخاصة بالرعاية اللاحقة، ولكنه عالج الأمر فقط بشأن **الحدث** في المادة (99) من قانون رعاية الأحداث رقم (76) لسنة 1983 التي عرفت **الرعاية اللاحقة** بأنها " رعاية الحدث بعد انتهاء مدة إيداعه مدرسة التأهيل بما يضمن اندماجه في المجتمع وعدم عودته الى الجنوح "، كما ونصت المادة (1/100) على أنه " يتولى قسم الرعاية اللاحقة المرتبطة بدائرة إصلاح الأحداث الأشراف على رعاية الحدث بعد انتهاء مدة إيداعه في المؤسسة العامة للإصلاح الاجتماعي"، أيضا أوجبت المادة (101) على " إدارة مدرسة التأهيل قبل انتهاء مدة الإيداع بفترة لا تقل عن ثلاثة أشهر بتزويد قسم الرعاية باسم الحدث الذي سوف تنتهي مدة إيداعه مع

تقرير مفصل عنه "، كذلك نصت المادة (103) على أنه " لقسم الرعاية اللاحقة تقديم منحة مالية مناسبة للحدث لمساعدته في إيفاء حاجاته العاجلة وتبديل البيئة التي كان يعيش فيها عند جنوحه إذا كانت سببا في ذلك ".

ثانيا– إزالة العقبات التي تعترض سبيل المفرج عنه

ويتحقق ذلك من جوانب متعددة منها توفير العلاج الطبي لمن يعاني من مرض معين يكفل له الشفاء التام والتأهيل الكامل لا سيما المرضى العاجزين والشواذ والمدمنين، مع ضرورة تهيأت الرأي العام لتقبل المفرج عنهم حديثا وعدم عزلهم اجتماعيا واقناعه بأن تقديم الرعاية اللاحقة هو لمصلحة المجتمع ذاته لأنه يكافح أحد أسباب العود الى الجريمة.

ومما تجدر الإشارة اليه أن الرعاية اللاحقة هي عامة لجميع المفرج عنهم، إذ من شأنها تدعيم جهود التأهيل التي سبق وإن تم بذلها إثناء التنفيذ العقابي، وقد حرص مؤتمر لندن على تقرير هذا الأصل، فنصت توصياته على أن "الرعاية اللاحقة – باعتبارها جزءا من جهود التأهيل– يتعين أن تتجه إلى كل شخص يغادر السجن" (**كامل، 1995، ص23**).

ولعل من المفيد التذكير الى إنه إذا كانت الرعاية اللاحقة للمفرج عنهم سهلة التصور من الناحية النظرية، فإن وضعها حيز التنفيذ ليس بهذه السهولة المتصورة، لأنها تتطلب تجنيد كافة الجهات ذات العلاقة بعملية الإدماج ومحاربة الجريمة إلى المساهمة في الجهد الوطني لإعادة الإدماج والتصدي لمسببات العود الإجرامي بما يحقق حماية المجتمع، ومن العقبات التي تعترض تأهيل المفرج عنه ما يتعلق بمراقبة الشرطة ومنع الإقامة التي تفرض عليه باعتبارها عقوبات تبعية أو تكميلية أو تدابير احترازية، ناهيك عن عدم وجود مؤسسات رسمية واجتماعية تكون همزة وصل بين المجتمع والمفرج عنه تساعد على تلبية حاجاته الضرورية ومتطلبات إدماجه، الأمر الذي يقتضي استحداث أجهزة رسمية تتكفل بالرعاية اللاحقة للمفرج عنهم وتشجيع إنشاء جمعيات غير حكومية تنشط في هذا الإطار.

الخاتمة

ومن خلال دراستنا لموضوع تطوير السياسة العقابية بين الواقع والطموح – العراق أنموذجا فقد توصلنا الى عدة نتائج ومقترحات وهي كالاتي:

أولا– النتائج

1- إن مهمة الإصلاح وإعادة التأهيل والإدماج الاجتماعي لا يمكن أن تقطف ثمارها إلا إذا هيء لها المناخ المناسب والملائم الذي يضمن نجاحها من خلال تحسيس النزيل والمودع بأن بإمكانه أن يكون فردا فعالا في المجتمع له حقوق وعليه التزامات ينبغي عليه وعلى المجتمع مراعاتها قدر الإمكان.

2- رغم إلغاء العمل **برد الاعتبار** في العراق، ألا أنه في اعتقادنا يعد من الإجراءات التي تؤدي الى انقضاء آثار العقوبة وهو آلية من آليات إعادة الإدماج الاجتماعي للنزيل والمودع من حيث كونه يهدف الى جعلهم بعد انقضاء عقوباتهم وخروجهم من المؤسسة العقابية أشخاص فاعلين في الحياة الخارجية.

3- أن تدخل القضاء بالتعديل أو الإلغاء للأحكام الصادرة بالعقوبة هو من صميم عمل القضاء، وإن إشراف القضاء على تنفيذ تلك الأحكام سيجعل إدارة المؤسسات العقابية تتوخى الحذر والاعتدال في مباشرة أعمالهم، كما يتيح في الوقت نفسه الفرصة للقضاء بأن يكون على دراية بالأساليب الفنية للتنفيذ، وهذا لا يتعارض بالتأكيد مع مبدأ الفصل بين السلطات.

4- أغفل المشرع العراقي الطابع الفني التخصصي في اختيار البرامج العلاجية للنزيل والمودع ولم يوضح في القانون الجديد رغم أهميته، بخلاف القانون السابق حيث كانت اللجنة الفنية المنصوص عليها في القانون الملغي هي من تقرر برنامج علاجي لكل نزيل ومودع يتضمن درجة التحفظ والأحكام التي يجب احاطته بها وكذلك القسم الذي يعتبر أكثر ملائمة لحالته في السجن وأيضا

العلاج الجسمي والعقلي والنفسي اللازم له والمنهاج الثقافي الملائم له فضلا عن التدريب المهني الذي يجب ان يتلقاه والعمل الملائم لقدراته وميوله وحاجاته والرياضة البدنية التي تتناسب مع قدراته.

5- لم يفرد المشرع العراقي أحكام خاصة في القانون الجديد تتعلق بالسجين السياسي والذي مُيز في القانون الملغي بينه وبين السجين العادي، من حيث التصنيف باعتباره صنفا ممتازا وعلى إدارة المؤسسة العقابية عزله عن النزلاء الأخرين.

6- حسن فعل المشرع العراقي حينما أكد على أن **العمل** جزء من مقومات العملية الإصلاحية والتأهيلية وليس عقوبة بذاته، بخلاف ما هو معمول به في أغلب الدول ومنها مصر حيث يكون العمل (الأشغال الشاقة) جزء مكمل للعقوبات السالبة للحرية طويلة الأجل، حيث خول المشرع العراقي اللجان المشكلة في دائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث وفقا للقانون الجديد اختيار ما يناسب رغبة النزيل والمودع ويتلاءم مع قدراته ومؤهلاته.

7- رغم أن النصوص القانونية الموجودة حاليا في قانون إصلاح النزلاء والمودعين العراقي قد أخذت ببعض المعايير العلمية الحديثة للتصنيف **كمعيار الصحة**، ألا أن التصنيف المعمول به هو التصنيف التقليدي، القائم على العزل والفصل بين الفئات الكبرى للمحكوم عليهم والذي يهدف بالدرجة الأولى إلى المحافظة على النظام العام، وتسهيل العمل على الإداريين القائمين على المؤسسات العقابية.

8- تطبيقا لمبدأ المعاملة بالمثل وبخلاف قانون إصلاح النزلاء والمودعين الملغى أقر المشرع العراقي أسلوب الزيارات المتبادلة لأعضاء البعثات الدبلوماسية والسفارات وبموافقة الوزير المختص وبطلب مسبب وبحسب مقتضيات التعامل الدبلوماسي لرعاياهم من النزلاء والمودعين والموقوفين في دائرتي الإصلاح العراقية وإصلاح الأحداث، كما يسمح للسجناء اللاجئين أو غير المنتمين الى أي دولة استقبال المندوب الدبلوماسي للدولة التي تتولى رعاية مصالحهم.

9- يتمتع النزيل والمودع داخل اقسام ومدارس الاصلاح الاجتماعي أو خارجها بذات الحقوق والمزايا التي يتمتع بها العامل وفق أحكام قانون العمل النافذ لتطبيق ما يتعلق بالأجور وتحديدها وأوقات وساعات العمل والإجازات والعطل والأعياد وحماية المرأة العاملة وحماية الأحداث والسلامة المهنية، كما ويخضع هؤلاء لأحكام قانون التقاعد والضمان الاجتماعي للعمال وقانون التقاعد الموحد النافذ حسب مقتضى الحال.

10- تعد مراقبة الشرطة ومنع الإقامة من أهم العقبات التي تعترض تأهيل المفرج عنه كونهما من القيود التي تحد من حرية المفرج عنه فضلا عن عدم وجود مؤسسات رسمية واجتماعية تكون همزة وصل بين المجتمع والمفرج عنه تساعد على تلبية حاجاته الضرورية ومتطلبات إدماجه، الأمر الذي يقتضي استحداث أجهزة رسمية تتكفل بالرعاية اللاحقة للمفرج عنهم وتشجيع إنشاء جمعيات غير حكومية تنشط في هذا الإطار.

ثانيا– المقترحات

1- نقترح على المشرع العراقي ضرورة تفعيل دور القضاء في مراقبة ما يتم تنفيذه من عقوبات سالبة للحرية داخل المؤسسات العقابية واستقبال ما يتم التظلم منه من قبل النزلاء والمودعين سيما المخالف منها للقانون والتعليمات الداخلية، رغم إعطاء الادعاء العام دور بارز ومهم في هذا الخصوص، تأكيدا لما ورد في نص المادة (**5/ تاسعا**) من قانون الادعاء العام رقم 49 لسنة 2017 والتي نصت على أنه يتولى الادعاء العام المهام الاتية: رقابة وتفتيش المواقف واقسام دائرة الاصلاح العراقية ودائرة اصلاح الاحداث وتقديم التقارير الشهرية عنها الى الجهات المعنية.

2- نقترح على المشرع العراقي إضافة نص في القانون الجديد يؤكد على أهمية **اللجنة الفنية** في داخل المؤسسات العقابية ودورها في اختيار البرامج المناسبة العلاجية منها والتهذيبية والاصطلاحية لكل نزيل ومودع تكون أكثر ملائمة لحالته في السجن وأيضا العلاج

الجسمي والعقلي والنفسي اللازم له والمنهاج الثقافي الملائم له فضلا عن التدريب المهني الذي يجب ان يتلقاه والعمل الملائم لقدراته وميوله وحاجاته والرياضة البدنية التي تتناسب مع قدراته.

3- نقترح على المشرع وتماشيا مع ما هو سائد اليوم بخصوص السجين السياسي والذي يقتضي تمييزه عن السجين العادي لا من حيث الواقع فحسب، بل من حيث إيراد نص يؤكد ذلك باعتباره صنفا ممتازا وعلى إدارة المؤسسة العقابية عزله عن النزلاء الأخرين.

4- نقترح على المشرع إفراد نص قانوني يجيز للنزيل والمودع بالحصول على سلفة أو قرض يعينه على قضاء حاجاته الشخصية أو العائلية طالما لديه عمل في داخل أو خارج المؤسسات العقابية مع توفير كافة الضمانات التي تكفل التزامه بالتسديد ومنها وجود بطاقة ائتمان يحصل من خلالها على مرتبه الشهري.

5- نقترح أيضا إفراد نصوص تعالج الرعاية اللاحقة التي ينبغي أن يتمتع بها المفرج عنهم في قانون إصلاح النزلاء والمودعين النافذ على الأحكام الخاصة بالرعاية اللاحقة، أسوة بما نظمه المشرع العراقي للحدث الجانح في قانون رعاية الأحداث رقم (76) لسنة 1983.

6- نقترح على المشرع إيراد تعريف **للرعاية اللاحقة** وهي تلك الجهود العلمية والعملية التي تقوم عليها أجهزة متخصصة ومتعاونة عامة أو خاصة أيا كانت صفتها رسمية أو غير رسمية تعمل على توفير العناية اللازمة لهم ولأسرهم خلال فترة تنفيذ العقوبة السالبة للحرية وقبل إخلاء سبيلهم لأجل تكييفهم تدريجيا للحياة الجديدة مع العالم الخارجي.

7- نقترح على المشرع العراقي عدم تكرر النص على جريمة معاقب عليها بالإعدام كالجريمة الإرهابية ضمن الشروط الواردة في الفقرة (**أولا/ب**) من المادة (38) من قانون إصلاح النزلاء والمودعين النافذ، كونه قد ذكر في الفقرة (**و**)..... أي جريمة أخرى مُعاقب عنها بالإعدام أو السجن المؤبد، والاكتفاء بالإشارة الى الفقرة (و).

قائمة المصادر والمراجع

أولا- الكتب القانونية

(1) عقيدة أبو العلا، (1997)، أصول علم العقاب، دراسة تحليلية للنظام العقابي المعاصر مقارنا بالنظام العقابي الإسلامي، دار الفكر العربي، دار النهضة العربية، القاهرة.

(2) الصادي، أحمد فوزي و عبد الرحمن، فاروق ودرويش، يحي حسن وآخرون، (1986)، الرعاية اللاحقة للمفرج عنهم بين النظرية والتطبيق، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض.

(3) الجابري، إيمان مُحَمَّد علي، (2010) الرعاية اللاحقة للمفرج عنهم كتدبير احترازي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر.

(4) عبد المنعم، سليمان، (2003) علم الإجرام والجزاء، منشورات الحلبي، بيروت، لبنان.

(5) كامل، شريف سيد، (1995) علم العقاب، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بدون مكان النشر.

(6) يحي، عادل، (2005)، مبادئ علم العقاب، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة.

(7) سليمان، عبد الله، (1990) النظرية العامة للتدابير الاحترازية، دراسة مقارنة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

(8) السراج، عبود، (1987)، علم الإجرام وعلم العقاب، دراسة تحليلية عن أساليب الجريمة وعلاج السلوك الإجرامي، ط1، مطبعة ذات السلاسل، الكويت.

(9) المحمدي، عز الدين، (2018)، بحث مقدم الى مؤتمر الإصلاح التشريعي طريق نحو الحكومة الرشيدة ومكافحة الفساد الذي اقامته مؤسسة النبأ للثقافة والاعلام وجامعة الكوفة – كلية القانون 25-26 نيسان.

(10) جعفر، علي مُحَمَّد، (1981)، السجون وسياسة تطوير وظائفها الإصلاحية، كلية شرطة دبي، العدد 11، يناير.

(11) عبد الستار، فوزية، (1985)، مبادئ علم الاجرام وعلم العقاب، ط5، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،.

(12) نمور، مُحَمَّد سعيد، (1997)، المعاملة العقابية للسجناء بين الواقع والطموح، مجلة اتحاد الجامعات العربية للدراسات والبحوث القانونية، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، العدد 6، أكتوبر.

(13) أرحومة، موسى مسعود، (2002) إشراف القضاء على التنفيذ كضمان لحقوق نزلاء المؤسسات العقابية، مجلة الحقوق، (2) العدد (4)، ديسمبر.

(14) حسن، نورهان منير، (2009)، طرق الخدمة الاجتماعية وفي مجال الدفاع الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، عمان.

(15) ساعاتي، سامية حسن، (1983)، الجريمة والمجتمع، بحوث في علم الاجتماع الجنائي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2.

(16) الشاذلي، فتوح عبد الله، (2006)، اساسيات علم الاجرام والعقاب، ط1، منشورات الحلبي، بيروت، لبنان.

(17) موسى، مصطفى مُحَمَّد، (2008)، إعادة تأهيل نزلاء المؤسسات العقابية في القضايا الجنائية والإرهابية، دار الكتب القانونية، مصر.

ثانيا– القوانين

(1) قانون تنظيم السجون الفرنسي.

(2) قانون إعادة تأهيل النزلاء والمودعين العراقي النافذ.

(3) قانون إعادة تأهيل النزلاء والمودعين العراقي الملغي.

ثالثا– الكتب الاجنبية

(1) Alvaro.P. Pires, Une"Utopie Juridique"et Politique poue le Droit Criminel Moderne, Criminologie, Vol40, n°2,2007, pp9-18.
(2) Pinatel.J, La Société Criminogène, Ed. Calman-Levy, Paris, 1971, p.206.
(3) Aurélie Meyer, La Réinsertion Sociale en Prison, Mémoire réalisé Master en Droit Pénal et Sciences Pénal, Université Panthéon-Assas, Paris,2009/2010, p.06.
(4) Rizkalla.Samir, Criminologie et Réaction Sociale, Criminologie Judiciaire, Ed Modulo Editeur, Canada, 1984, p.148.
(5) Shea. Evelyne, Le Travail Pénitentiaire, un Défit Européen, Ed. L'harmattan, Paris ,2006, p.12.

الانزياح الدّلالي للفعل (أتى) في القرآن الكريم

دراسة لسانية إدراكيّة

د. مُحَمَّد سعيد مُحَمَّد سالم

أستاذ مساعد جامعة تشكوروفا – تركيا

alwosabi1978@gmail.com

msalem@cu.edu.tr

00905319291744

https://orcid.org/0000-0001-7104-6880

الملخص

تعدُّ الدراسات اللسانية الإدراكية المبنية على الانزياح من الدراسات الحديثة التي تهتم بدراسة علاقة اللغة بالذهن البشري عند الاصطدام بأكداس المفردات والألفاظ، فلا يكون إنجاز هذه المهمة إلا على يد سمات تنظيمية هي المقولة الفعلية والتعددات الدلالية. من هذا المنطلق توزع هذا البحث، وصولاً لغايته، على محاور تبّين كيفيات الرؤية الإدراكية بما فيها من مؤشرات؛ التعددات الدلالية والانزياحات. ثم جنح نحو تطبيق هذه المؤشرات على مقولة الصيغة الفعلية للفعل «أتى»، حيث اقتضت خطة البحث أن تشتمل على مقدمة ثم مبحثين وخاتمة خصص المبحث الأول للدراسة النظرية، والمبحث الثاني لدراسة صور الانزياح الدلالي لصيغة الفعل (أتى). وقد هدف البحث إلى الوقوف على أبرز الانزياحات الدلالية للفعل (أتى) في النص القرآني، وتبيان دورها الدلالي من وجهة النظرة اللسانية الإدراكية. وتوصل البحث إلى نتيجة مفادها أنَّ الفضاءات الدلالية للمؤشر الفعلي «أتى» تتعدى حدود المعاني المعجمية إلى معان دلالية أخرى يحددها السياق الذي ترد فيه. هذه المعاني المستجدة تعمل على خلق شبكة دلاليّة مترابطة سميكة لتكون خير عون على رصد الانسجام في القرآن الكريم.

كلمات مفتاحية: الانزياح، التعددات الدلالية، المقولة، اللسانيات الإدراكية، الفعل أتي في القرآن.

Dr. MOHAMMED SAEED MOHAMMED SALEM
Çukurova Üniversitesi – İlahiyat Fakültesi

Abstract

The cognitive linguistics is one of the modern studies that emerged in the seventies as a result of the active interactions that took place between sciences at the time. It is concerned with studying the relationship of language to the human mind when it collides with the heaps of vocabulary and words. This task can only be accomplished by organizational features that are the actual saying and semantic pluralities. From this point of view, this research was divided, to reach its end, on axes showing the modalities of perceptual vision, including its indicators; Semantic pluralities and shifts, then he tended to apply these indicators to the saying of the actual form of the verb “came”. This research has been divided into two sections and an introduction. The first topic is devoted to the theoretical study, while the second topic is to study the semantic displacements of the verb form (came), where the research aims to identify the most prominent semantic shifts of the verb (came) in the Qur’anic text, and to show its semantic role from the point of view of The perceptual linguistic view, and the most prominent result of this is that the semantic spaces of the actual indicator “came” transcend the limits of lexical meanings to other semantic meanings.

Keywords: Displacement, Semantic Plurals, The Saying, The Cognitive Linguistics, The Verb (Came) in the Qur'an.

المقدمة

هنالك قضايا جوهرية في التحليل الإدراكي للنص ودونها يبقى النص عقيماً مغلقاً لا تفتّح فيه ولا اتساع؛ ومن هذه الأسس يمكن الإشارة إلى «المقولة الفعلية» و«التعددية الدلالية» ولكل من هذه الأسس دورها الخاص في نفخ المعنى في قالب الألفاظ والتراكيب. والملاحظ أنّ هذه المباني لم تكن مفككة العرى إذ هنالك خطوط عريضة قائمة تلحق بعضها ببعض ويكون منها مفاتيح لحل الشيفرات الدلالية الغامضة للكثير من البنى الدلالية والتراكيب.

ولا يخفى على أحد أن للأفعال دوراً حاسماً في البنيات النصية ولا يوجد نص من النصوص إلا وترى فيه رزنامة من الأفعال تتكدس؛ هذا والقرآن الكريم، قد نظر فيه كثير من الدارسين ليكشفوا عن أسراره ومدى إعجازه إلّا أنَّ هذا المحيط الذي لا نهاية لأمده ولا حدود لإعجازه يستعد بأن يكون محطة الكثير من الأبحاث الحديثة وكل بحث لا يزيده إلا الكشف عن أبعاد وزوايا بقيت خفية عن الأنظار طيلة قرون.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

1-دراسة نموذج من الأفعال ذات الدّلالات المتعددة «أتى» في القرآن الكريم. من منظور إدراكي.

2-استكشاف المعاني الغائرة وإزاحة الستار عن مدى فاعلية اللسانيات الإدراكية في القرآن الكريم.

3-إبراز دور الدراسات اللسانية في تحليل دلالات النص القرآني.

الأسئلة التي يحاول البحث الإجابة عنها:

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن أسئلة رئيسية وهي

- ما مدى فاعلية اللسانيات الإدراكية في الكشف عن المعاني الغائبة لأفعال الحركة في القرآن الكريم "أتى" نموذجاً؟
- ما هي الآثار التي تتركها التعددية الدلالية في بسط معاني "أتى" في لقرآن الكريم؟

فرضيات البحث: اختلاف الغرض الجمالي للانزياح باختلاف السياق الذي ورد فيه؛ لكن غرضه الأساس هو حث المتلقي على المتابعة والتفكير وتشكيل لوحة فنية قائمة على التصوير، كما أنَّ الدرس اللساني الإدراكي في القرآن الكريم، يساعد على الكشف عن المعاني الغائبة وخلق الأجواء الذهنية لدى المخاطب استكشافاً للمعنى واستجلائه.

خلفية البحث: القرآن الكريم -كما هو المعلوم- بحر شاسع وفيه كثير من المعارف والعلوم فكان من القديم ولايزال محط أنظار المحققين؛ فالفقيه يستنبط منه الأحكام الشرعية والنحوي يبني عليه قواعد التركيب والصيغ، والبياني يبحث فيه عن طرق الفصاحة والبلاغة. أمّا بالنسبة للدراسات التي دارت حول القرآن الكريم في العصر الحديث نجد أنها كثرت تلك الدراسات التي تمحورت حول الأسلوب القرآني، منها دراسة الظواهر الأسلوبية في كثير من السور القرآنية.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناسب مع طبيعة الموضوع، وذلك من خلال تتبع الدلالات الانزياحية للفعل (أتى) في سياق الآيات القرآنية التي ورد فيها. وكان لازما علينا معالجة هذه القضية أن أتبع المنهج التاريخي لبيان بعض مباحث هذا العمل، كما أفدنا من المنهج السميائي في دراسة البنية التركيبية للنصوص القرآنية.

المبحث الأول

1.1. الانزياح

يعني: الخروج والانحراف عن لغة المعيار لصنع الكلام الأدبي الجميل، بعبارة أخرى هو «استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصور استعمالا يخرج بها عمَّا هو معتاد ومألوف بحيث أن يؤدي ما ينبغي له أن يتَّصف به من تفرد وإبداع وقوة جذب وأسر» (ويس، 2002، ص 7). والأسلوبية اتصلت اتصالا وطيدا بالانزياح وإن النقادّ ومنظري الأسلوبية يتخذون في هذا المجال مسلكين؛ أحدهما يذهب إلى أن الأسلوبية يتعين بها جانب من سمات الانزياح والآخر تتفق فيه طائفة من النقاد ومن بينها جون كوهن على أن الأسلوب نوع من الانزياح والأسلوبية تدرس الانزياحات؛ حيث يقول: «فالأسلوب هو كل ما ليس شائعاً ولا عادياً ولا مطابقاً للمعيار العام المألوف وبهذا أنه انزياح بالنسبة إلى معيار، أي أنه خطأ، ولكنه خطأ مقصود» (كوهن، ١٩٨٦، 15). أما في المقالة هذه فقد اعتبر الانزياح أساسا للبحث وتهدف إلى استجلاء الظواهر الانزياحية في الفعل "أتى". وقد انفرد القرآن الكريم بأسلوبه الانزياحي الذي أبهر أهل اللغة، وكان هذا الأسلوب الخلاب الذي تَمَيَّز بألفاظه المنتقاة بعناية، وتراكيبه وجمله، أحد أسباب إعجازه؛ إذ نرى التفنن والتنوع الذي يعطي للكلمة ما لا تعطيه كلمة أخرى.

2.1. الدلالة وأنواعها في اللغة العربية

1.2.1. مفهوم الدلالة في اللغة والاصطلاح:

الدلالة في اللغة: لفظة دلالة مأخوذة من الفعل: دلَّ يدلُّ دَلالة، ودِلالة. تقول:(دللتك على الشيء دَلالة ودِلالة ودُلولةً ودُلولاً، والدليل بالفلاة كذلك) (ابن القطاع، 1983، ص 176).

والدليل هو الدال على الطريق ونحوه، يقال: (دلّه على الطريق، وهو دليل المفازة وهم أدلاؤها) (الزمخشري، 1998، ص 226)

الدلالة في الاصطلاح: (كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول) (الجرجاني، 1983، ص104) يرى ابن جني (ت392هـ) أنّ: (الكلام إنما وضع للفائدة، والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة، وإنما تجنى من الجمل ومدارج القول) .(ابن جني، 1990، 333/2). وهذا يعني أنّ أهمية اللفظة المفردة ودلالتها لا تظهر إلا بسياق التركيب الذي ترد فيه؛ لأنّ اللغة نظام من العلاقات المترابطة بين أجزاء التركيب، فإذا اختلفت العلاقة بين هذه الأجزاء اختلت الصورة والمضمون (العبيدي، 1989، ص 7). وبناء على ما تقدم فعلم الدلالة هو علم لغوي يتخذ من تحليل معنى الكلمة، أو الجملة ميدانا له للكشف عن العلاقات اللغوية المختلفة بين أجزائها وتقيّد الدلالةُ بالوصف فتكون أنواعا.

2.2.1. أنواع الدلالات في العربية:

- الدلالة الصوتية: وهي المعاني المستمدة من نطق ألفاظ بأصوات معينة (أنيس، 1984، ص 35).
- الدلالة الصرفية: وهي المعاني التي تُعرِب عنها الأوزان والصيغ المجردة لبنية الكلمة (فريد، 2005، ص 35).
- الدلالة النحوية: وهي المعاني المتحصَلة من استعمال التراكيب المكتوبة، أو المنطوقة على مستوى التحليل أو التركيب، فالدلالة التي تتحصل من العلاقات النحوية بين كلمات التركيب لا بد من أن تكون لها وظيفة نحوية بما تتخذه من موقع لها.
- الدلالة المعجمية: هي ما نصّت عليها المعجمات في معنى الكلمة. على أنَّ المقصود بالمعنى المعجمي هو ما يدلُّ عليه اللفظ بحسب أصل وضعه في اللغة، ويمتاز بثلاث خصائص هي كونهُ عامًّا ومتعددا وغير ثابت (فريد، 2005، ص 51).

- الدلالة السياقية: ويقصَدُ بها المعاني المستفادة من السياق اللغوي، وهو البيئة اللغوية التي تحيطُ بالكلمة، أو العبارة، أو الجملة، وتستمد أيضا من السياق الاجتماعي، وسياق الموقف، وهو المقام الذي ينتظم الكلام بعناصره كلها، من متكلم ومستمع، وظروف محيطة، فضلا عن مناسبة القول (فريد، 2005، ص 56).

3.1. اللسانيات الإدراكية:

علم الدلالة الإدراكي الذي يحتجز قسماً معنياً من اللسانيات الإدراكية يعّد "من أحدث المباحث اللسانية الذي يهتم بالجانب العقلي والعمليات الذهنية والقدرات الإدراكية المساعدة في عملية تحليل الكلام وفهم فحواه، إذ إنّ اللسانيات الإدراكية لها علاقة باللسانيات النفسية واللسانيات الذهنية والمهارات الإدراكية الكثيرة وفلسفة الذهن والذكاء الاصطناعي وعلم النفس الإدراكي"(الفراهيدي،1984، 145/8). وانطلق هذا الاتجاه على يد روش وليكوف ولنكيكر وتالمي وفوكونيية.

والهدف الذي ترنو إليها اللسانيات من وراء ذلك هو أن "توضّح الكيفية التي ترتبط بها اللغة والعالم بعضها ببعض في الذهن البشري، لتبيان الصورة التي يتعلق بها التمثيل الذهني للجمل والتمثيل الذهني للعالم وتندرج اللسانيات المعرفية في هذا الإطار لانطلاقها من مسلمة ذهنية مفادها أن اللغة الطبيعية بنية معلومات مرمزة في الذهن البشري، أو هي تمثيل ذهني؛ ومن ثم فإن المعلومات التي تحملها اللغة مصوغة بالطريقة التي ينظم بها الذهن التجربة، ولا يمكن لهذه المعلومات المتجلية في التمثيلات اللغوية أن تحيل على العالم الواقعي كما في النظريات الأخرى وإنما على عالم مسقط ناتج عن هذه البنية ووليد التنظيم الذهني المذكور. فالبشر لا يتحدثون عن الأشياء إلا بفضل امتلاكهم تمثيلات ذهنية عنها"(عباينة، 2021، ص 35). فعليه اللسانيات الإدراكية تقدم فهم اللغة للمتلقي على أساس ما يدركه إدركاً ملتصقاً بالبيئة كما تكون هذه العلاقة عكسية إذا كانت اللغة تجريدية فالمتلقي يلتقط المعنى الانتزاعي حسب ما تعطيه المفردة وترسمه في باله.

فعلم الدلالة الإدراكي على ما تصفه دزه يي "انبنى أساساً على التحليل المفهومي التصوري للأنظمة اللغوية المستعملة، استناداً إلى التجارب البشرية في العالم والخيط المشترك والرابط بين جميع القدرات العقلية الداخلية، مما يشكل قناة إدراكية تأويلية بين المدركات التصورية أو التخييلية والحسية لأنّ إنتاج المعنى لا يقتصر على البنى اللغوية وإنما يتعداها إلى شتى جوانب العقل"(دلخوش، 2014، ص. 54). يوظف علم الدلالة الإدراكي في مجالات عديدة للمستويات اللغوية لكن من أرقى وظائف هذا العلم التي تجلّت بشكل سافر عند ظهور هذه النظرية هي وظيفة التوسيع الدلالي الذي يتم عبر أنساق وتقنيات خاصة في الدرس الإدراكيّ.

4.1. أصول علم الدلالة الإدراكي

أشيد صرح اللسانيات الإدراكية على أسس وقوائم رئيسة تساعد على فك الشيفرات الدلالية وتؤدي إلى إقامة علاقة متينة بين الدلالات المتباينة وتعطي منهجية مناسبة للتحليل واستقصاء في نفقات النصوص وغياهبها. وهذه الآليات أو الأسس هي: المقولات، والتعددات الدلالية.

- **المقولة**: من أهّم القضايا التي تلفت الأنظار في واجهة اللسانيات الإدراكية؛ وحدوثها في الغالب حدوث إدراكي، ذهني. فالمقولة معنى كليّ يمكن أن تكون محمولاً في قضية ما (عمر، 2008، ص.187). والمقولات: هي، كما جاء في المعجم الفلسفي، المحمولات الأساسية التي يمكن إسنادها إلى كل موضوع، كالمقولات العشر لأرسطو. والمحمولات هي معارف كلية، كقولنا: الحيوان، حيث يشمل عدة أجناس كالإنسان والفرس والجمل وغيرها، مع أنّ الإنسان ليس ذاتياً بالنسبة للحيوان، لأنه ليس تمام حقيقته ولا جزءها ولا عرضاً خارجا عنها (المظفر، 2006، ص.81)' فالمقولة تتناول جزءاً من حقيقة ما وتُبقي سائر الأجزاء مفتوحة. فخلق المقولات أو كيفية وضع بعض الألفاظ في إطار مقولة ما عملية تتوقف أكثر ما تتوقف على الإجابة

عن هذا السؤال أهي لفظة تستأهل بأن تدخل ضمن هذه الفئة اللغوية أو تلك؟ فعملية خلق المقولات نشاط ذهني فاعل لا تتدخل فيه إرادة الإنسان في الغالب، ثمّ مشاكلة التجارب الشخصية وتماهيها تؤدي إلى ردود أفعال مماثلة في الظروف المشابهة فتوظيف التجربة السابقة للتصرفات الراهنة تعد الحجر الأساس لخلق المقولات في الذهن لغوية كانت أم غير لغوية. وتتفرع المقولات إلى أقسام أهمها المقولات الدلالية والمقولات الصرفية، المقولات الدلالية تبحث عن الدّلالات المتجانسة والمتقاربة في المعنى التي يمكن أمن نطلق عليها تسمية المعاني الأسرية وتدرس الوجوه العلاقاتية بينهما. أما المقولات الصرفية فتفتش عن البنى الصرفية المتجزرة في المفردات وتسحب عن وجهها الأغطية الدلالية التي توارت في الحجاب عند سيطرة البنية الصرفية عليها. فهذه الرؤى التي تدرس المقولات مهما كانت، تؤدي في النهاية إلى إمكان وجود درجات من العلاقات النمطية النموذجية بين مختلف المعاني، وتمييز بعض المعاني المركزية من أخرى مشتقة أو غير مركزية، فالمقولات تقدم لوحة من العلاقات التي تتواجد في البنى الدلالية أو الصرفية.

- **التعدد الدلالي**

يعدُّ من المصطلحات اللغوية الحديثة التي رفضت إلى حد كبير المشترك اللفظي الذي عهد قديماً؛ وقد أثار بين اللسانيين ما يسمى بـ رصد المعاني في الشبكة الدلالية التي تحتوي على معنى مركزي تليه معان تتراوح بين القرب والبعد؛ لذا يمكننا القول أنَّ "التعدد الدلالي ظاهرة لغوية تتعلق بدلالة وحدة لغوية معينة على عدد من المعاني المتعالقة. ويحاول اللسانيون المعرفيون الاستدلال على أن التعدد الدلالي لا يقتصر على معاني الكلمات ولكنه سمة أساسية في النسق اللغوي عموماً، يعمّ مختلف مستوياته. إنه أداة للتعميم عبر ظواهر لغوية متمايزة، تمكّن من الكشف عن الصلة العميقة والرابطة بين التنظيمات المعجمية والصرفية والتركيبية. وهناك أمثلة كثيرة تدل على ورود ظاهرة التعدد الدلالي عبر مختلف مستويات النسق اللغوي. وقد اعتبر مستوى الدلالة المعجمية تقليدياً، المجال الذي حظي بأكبر قدر من الاهتمام بهذا الخصوص للكشف عن تعدد دلالات الفعل الواحد، مثل: ضرب زيد عمراً، ضرب زيد في الأرض، ضرب زيد بحظ وافر في العلم" **(الشمري، 2014، ص 4-5)**، لذلك نجد أن التعدد الدلالي لم يكن محصورا في مستويات دلالية محددة بحدّ ذاتها، بل تتفاوت الدلالات في البنى الصّرفية للمفردات؛ فمثلاً صيغة التصغير تخضع للعديد من المعاني وكذلك أسماء الفاعل والصيغ الفعلية المتباينة تمهد الطريق لقبول كميات كبرى من المعاني والدلالات.

5.1. المعنى المعجمي للفعل "أتى"

بعد التفتيش عن المؤشر الفعلي "أتى" في المعاجم يتضح أن المعنى القاموسي الذي يتميز به هذا المؤشر لا ينحصر في نطاق ضيق، بل إنه مترامي الأطراف يشمل العديد من المعاني و الدلالات منها: المجيء، القرب والدنو، المرور، الوصول، الإهلاك، الفعل، المباشرة، الانتساب **(مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، 1426)**، وغيرها من المعاني المنتزعة من دلالات الفعل "أتى" وهي مجردة من البناء للمجهول أو الاستقرار في بطون مزايدات وزنية خاصة إلا أن انسيال هذه المعاني المعجمية العديدة من مؤشر فعلي متوحد ظهرت على منصة العناية بعد أن خضع المؤشر "أتى" لبعض التقلبات والصيرورات من دون مسه للسياق أو الترابط بالفضاءات الذهنية الإدراكية؛ لأنها لا تمتّ للوضع المعجمي بصلة اللهم إلّا فيما قلّ وندر؛ فمعنى المرور بالشيء لا يلحق بـ«أتى» إلا بعد التحاقه بالمؤشر الحرفي "على"؛ وكذلك الإهلاك لا يستنبط من الفعل «أتى» في المعنى المعجمي إلا إذا اقترن بـ«على» وقد يتغير المعنى تغيراً تاماً عند التلازم بالمؤشر الاسمي «المرأة» و«القوم»؛ فالأول يضفي عليه معنى المباشرة والثاني عمد معناه نحو الانتساب إلى القوم.

حين استقراء الشبكة الدلالية المتواجدة في المعنى المعجمي يصطدم المتلقي بماهية المجيء في أحشاء جميع أعضاء هذه الشبكة فالمعنى المركزي لـ«أتى» هو المجيء فهو يعد رأس هذه الشبكة المعجمية ثم أن بصيص هذا المعنى يألق في جميع هذه

الدلالات فالدنو هو المجيء إلى حيث يتقابل الشيئان عن كثب، المرور هو المجيء مع السير فهو أكثر انفعالاً وحراكية قياساً للدنو، والمباشرة يتضح فيها المجيء باستحضار جنسية خاصة من البشر ألا هي المرأة المهذبة، ثمّ الهلاك هو مجيء الأمر الضارّ المفترس في أبشع حالة متصورة وهو الموت الذي يدنو من الشخص حتى يسلبه الحياة فهو أرهب صورة المجيء، ثم الانتساب إلى القوم هو المجيء من مبدأ خاص إلى ناحية أخرى والصيانة والإحالة إلى تلك الخصوصية وهذه الدلالة ذات بعدين؛ بعد مادي وبعد آخر معنوي فالوراثة أو الولادة المتجسدة في الانتساب أمر مادي ثم الرؤى والفكر صور تجريدية غير مادية أما الدلالة الأخيرة التي تتعلق بقرارة هذه الشبكة الدلالية المعجمية فهي دلالة «أتى» على إنجاز الفعل وكأن هذه الدلالة تتجرد من معنى المجيء تجرداً حاتاً وتبقى على الحركة التامة.

المبحث الثاني

الانزياح الدلالي الإدراكي للفعل «أتى» في النص القرآني

الفضاءات الدلالية للمؤشر الفعلي "أتى" في ساحة النص الشريف تستوعب العديد من المعاني وهي تتعدى حدود المعاني المعجمية إلى أخرى معاني شاسعة واسعة وهي تصنف كالتالي: الدنو، والإصابة والقلع، والعذاب، والسوق، والجماع، والعمل، والطاعة والإقرار، والخلق، والمجيء بعينه، والظهور، والدخول، والمضي، والمفاجأة، والنزول **(آل عصفور، القاموس الوجيز، المادة: أ ت ي)**، والإرسال **(الدامغاني، الوجوه والنظائر، 1983، المادة: أتي)**. وهنالك معاني أخرى لم تشر إليها كتب القواميس القرآنية لكن البحث امتص معانيها من الآيات القرآنية واستخلصها مما يدركه الذهن انطلاقاً من السياق، وللمعاني الهامشية والدلالات المجازية دور لا ينكر في توسيع الدلالات "حيث ينقسم المعنى في تقسيمه العام إلى قسمين؛ ويشير الشاطبي من بين علماء التراث إلى هذا التقسيم باختيار مصطلحي الدلالة الأصلية والتابعة كما يقول للكلام من حيث دلالته على المعنى اعتباران: من حيث دلالته على المعنى الأصلي ومن حيث دلالته على المعنى التبعي الذي هو خادم للأصلي" **(** مرادي، سليمي، 1983، ص.91).

1.2. "أتى" يدل على "الصنع"

في قوله تعالى: ﴿ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﴾ (طه:20)، فمهما يفعله الساحر ويكابد في صنعه فهو صنع عقيم غير ناتج. فقوله تعالى: "حيث أتى" يتمسك في دلالته بالخيوط الدلالية السابقة ولا يدركه الذهن إلا عبر التزاوج الدقيق الذي يقيمه بين "ما صنعوا" و"صنعوا" و"أتى" ذلك أن المعنى لا يستقيم إذا أحكرت الدلالات في المعنى المعجمي وانحصرت. وتتميز في الغالب هذه الدلالات بالثنائية الدلالية ذلك أن "أتى" هذا يصح أن يدخل ضمن الشرائح الدلالية لـ "فعل" كما يتمكن من الولوج في دائرة "صنع" أيضاً إلا أن الثاني أشد تثبيتاً للآية المذكورة "فصنعهم هو بإلقاء حبالهم وعصيهم وسحر أعين الناس ليكيدوا لهم فيكفرون بما أتى به موسى عليه السلام ويؤمنون بفرعون إلها فيضلون الناس عن السبيل، وهذا ما ابتدأوه فصاروا يبدعونه ويبتكرونه ويصنعونه حيث لم يكن قبل ذلك موجوداً فسمي صنيعا" **(بلاغي نجفي، آلاء الرحمن في تفسير القرآن**، ص 123).

2.2. "أتى" يأتي بمعنى (مارس وفعل وزاول ونكح وطِئ)

عند استعمال الفعل (أتى) في النص تتسع شبكة دلالته حيث تشمل الأمور السلبية أمثال فعل الفاحشة واللواط أيضاً، ما تفتقدها الدلالة المعجمية، ولم تكن هذه الدلالة شاذة إذ تواترت في النص القرآني تواتراً ملحوظاً قال تعالى: ﴿ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﴾ (الأعراف:80)، جاء الفعل(أتى) في الآية مضارعا مسندا إلى واو جمع الذكور بصيغة الأفعال الخمسة وهو متعد

إلى مفعوله الظاهر (الفاحشة)، فالمعنى الذي تضمنه الفعل هو الذي أوجب أن يكوم متعديا. والمعنى أتمارسون الفعلة الشنيئة والدّنيئة التي هي غاية في القبح؟ فكانت فاحشتهم إتيانهم الذكران في أدبارهم وهو فعلٌ ما سبقهم إليه من أحد من العالمين (الزجاج، 1988، 125/4؛ النيسابوري، 1994، 169/7؛ الفراء، 1995، 225/2). وقد كرر هذا الفعل بهذا المعنى في الاستعمال القرآني في غير موضع من القرآن الكريم (عبد الباقي، 1998، 2-3). كقوله تعالى: ﴿ ۆ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو (الأعراف:81)، ﴿ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ﴾ (الشعراء:165) في هذه الآية ورد الفعل "أتى" بصيغة المضارع المسند إلى فاعله – واو جمع الذكور– المسبوق باستفهام إنكاري (أتأتون) متعديا إلى مفعوله من دون واسطة، أي أنكم تطؤون الذكران بشهوة كإتيانكم النساء؟ فيقول: ﴿ ې ې ى ى ئا ئا ئەئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ﴾(النّمل:55) وقوله تعالى:﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ﴾ (العنكبوت:29) فالإتيان لا يختص بمباشرة النساء، بل صدق على الالتصاق بالرجال حينما تغلبهم الشهوة وتسيطر على كيانهم وهذا الإتيان فِعْلٌ سلبيّ ترفضه النفوس الطيبة السليمة.

3.2. انزياح الفعل (أتى) إلى معنى "باشر وجامع"

نجد أنَّ النَّص القرآني لا يغمض عن التصريح بهذا المؤشر الفعلي في المواطن الصحيحة وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ ۋ ۋ ۇ ۇ ې ې ى ﴾ (البقرة223) وقوله: ﴿ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ﴾ (البقرة: 222) فقد جاء الفعل في هذه المواضع بصيغة الأمر المسند إلى واو الجماعة، وهو فعل متعدٍّ إلى مفعوله من دون واسطة، لكونه متضمن معنى (جامِعوا) يقول الطّبريّ: "الإتيان في هذا الموضع، كناية عن اسم الجماع" (الطبري، 2000، 398/4).

4.2. ثم يأتي بمعنى "الحشر"

من دلالة هذا الفعل أنه ينصرف إلى دلالته على الحشر في ساحة القيامة وبيان الكيفيّة التي يحشر عليها الناس في هذا اليوم وهذه من المعاني التي تنساق مع السياق والإدراك الذهني في دراسة الفعل"أتى"، فقوله تعالى: ﴿ ڳ ڳ ں ﴾ (النّبأ: 18)؛ يعني فتحشرون زمرا زمرا فانصرف الفعل إلى بيان المحشر ووصف الصورة التي يكون عليها المشهد في يوم الحساب.

5.2. بمعنى "الحلف"

وهو المعنى الذي يطرأ على هذا الفعل في سورة يوسف عن لسان يعقوب عليه السلام: ﴿ ې ې ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ﴾ (يوسف:66)، فالإتيان بالموثق من الله هو الحلف المقبول المعتمد عليه (البيضاوي، 1418، ص 220).

6.2. ثم يأتي بمعنى "الدخول"

وهي الواجهة الأخرى من الواجهات الدلالية التي يتميز بها الفعل المدروس منها ما ورد في سورة البقرة قال تعالى: ﴿ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ﴾، فإتيان البيوت يعني الدخول فيها، والذاكرة توحي للمتلقي صورة الدخول حين استحضار هذه الشريحة فالطريقة الصحيحة للدخول إلى البيوت هي دَقُّ أبوابها ودخولها بعد أخذ الإذن من أهلها بطريقة لا تخلو من الأنس والمحبّة؛ والدلالة الأخرى للفعل "أتى" ما ورد في الآية الكريمة:﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾ (الصافات:28)، وهي تعني أن المسئولين يوم القيامة يقصدون بهذه الكلمة أنَّ المصلين هم الذين كانوا يأتونهم وهنالك تتسامى الدلالة الحركية الجهيّة للمؤشر الفعلي "أتى" فبعدما يتساءل المسؤولون و«بعد أن انقطع أملهم في معبوديهم ورؤسائهم و تبين لهم عجزهم عن المناصرة وصاروا يتلاومون بينهم «قالوا» الأتباع لرؤسائهم «إِنَّكُمْ كُنتُمْ» في الدنيا «تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ» من طريق الحلف فتقسمون لنا أن دينكم هو الحق، وتمنعوننا عن اتباع الرُّسل، وتزيفون لنا ما جاءوا به من عند ربهم حتى أقنعتمونا، فأين الآن يمينكم وأين ما وعدتمونا به؟ وهذا أولى من تأويل اليمين بالقوة والقهر أو بالخير والبركة، أي كنتم تمنعوننا عن الخير وتصدوننا عن الهدى وتضللوننا عن الحق قهرا

وقسرا لما لكم علينا من القوة والغلبة، ووصفت اليمين بالقوة لما يقع فيها من البطش، ووصفت بالخير لأنها مشتقة من اليمن أي البركة (آل غازي بن ملاحويش، 1382، 3/ 223).

7.2. المداهمة أو الإصابة والتعذيب

هي ما تشق عصا المعاني في دراسة هذا الفعل وقد تواترت في القرآن الكريم؛ نحو: ﴿ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ﴾(الأنعام:40)، أي أصابكم عذاب الله، وقوله تعالى: ﴿ ئۇ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆئې ﴾ (الرعد:41)، أي نعذب الأرض ومن فيها.

8.2. الاستحضار والتواجد

وهي من الدلالات التي تنبثق من المؤشر الفعلي "أتى" في الرؤية الإدراكية فـ"أتينا" في الآية: ﴿ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ﴾(الأنبياء:47)، تدل على الاستحضار أي أحضرناها (البيضاوي، 1418، ص 445)، حيث كل الأعمال التي قام بها الناس في هذه الدنيا تحضر آنذاك ولا تترك فيها شاردة ولا واردة إلا تعد بحسبان ويرى الناس ما فعلوه مستحضراً أمامهم، ثم الحضور البحت هي الدلالة التي حلت في محطة هذه الآية: ﴿ ﴾(المدثر:47)؛ اليقين الذي ورد في هذه الآية يعني الموت والموت يحضر لدى الميت استحضاراً وجدانياً من دون أن تُصَوَّر له حركة تتحقق في الإتيان والمجيء، بل هو استحضار فجائي يغمر المحتضر في الآونة الأخيرة من حياته.

9.2. كما تنزاح دلالة هذا الفعل إلى "مُضِيّ الزَّمَنِ ومُرُورِهِ"

من الدلالة التي يمكن الوقوف عليها للفعل (أتى) في هذه الآية الكريمة: هي حركة الزّمن ودورانه يكون ثم يمرّ ثم يمضي، قال تعالى: ﴿ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ې ې ﴾(الإنسان:1)، حرف الاستفهام "هل" في هذه الآية ينزاح عن دلالته الاستفهامية ليعبر عن الحرف اليقيني "قد" وانزاح معنى الفعل "أتى" إثر هذا التجاور المنزاح ليدل على المرور والمضِيّ فيكون المعنى قد مَرَّ على الإنسان حين من الدَّهر لم يكن للإنسان فيه ذكر. أمّا الاستماع فهو من المعاني الدسمة التي أخذ المؤشر الفعلي "أتى" نصيباً وافراً منه في كثير من الآيات منها: ﴿ ھ ے ۓ ﴾ (طه:9)، ﴿ ﴾(ص:21)، ﴿ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ﴾ (الذّاريات:24)، وقوله تعالى في سورة البروج: ﴿ ې ې ى ى ﴾.

فالإتيان الذي يدركه الذهن في هذه السياقات النصية يطوف في دائرة يمكن التعبير عنه بدائرة الحركة الصّوتية والنقل التعبيري ففي هذه الآيات لا يتحقق المجيء للكينون البشري أو الكينون الوجودي على الطرق المعهودة، بل تحقيق هذا الإتيان يتّم عبر النقل الصّوتي وادخاره في الذاكرة مما يصدق عليه التأويل بالاستماع.

10.2. أما الإتيان بمعنى "المجيء"

أكثر تواتراً قياساً بسائر الشرائح الدلالية الأخرى نحو: ﴿ ٱ ب ب ب ب پ پ پ ﴾(غافر:50)، وقوله تعالى: ﴿ ﴾(الأنعام:4)، وقوله: ﴿ ﴾(النّساء 102)، والكثير الكثير من الآيات ورد فيها "أتى" ليدل على المجيء البحت من دون غيره من الدلالات.

11.2. "المرور والوصول"

حيث تنزاح دلالة هذا الفعل لتأتي بمعنى المرور والوصول وذلك كما جاء في الآيات التالية: ﴿ ﴾(الأعراف:138)، فـ"أتوا على" يعني "مَرُّوا"(تفسير الْجلالين، 1416، ص 170) والوصول هي أخرى الدلالات التي أنجبتها ثنائية السياق والإدراك في مثل: ﴿ ﴾(الكهف:77).

12.2. ويأتي بمعنى "أشْرَفَ"

كقوله تعالى: ﴿ ک ک ک ک گ گ﴾(النّمل:27)، فقد جاء الفعل (أتى) بصيغة الماضي لازما مسنَدا إلى واو جمع الذكور لتضمنه معنى (أشْرَفَ) وهذا الفعل يتعدّى بحرف الجر (على) الذي يفيد معنى القهر والتّسلط والاستعلاء، وهو ما يحاكي كلام النّملة ويسوغ إصدار أمرها للنمل بدخول المساكن حرصا على المصلحة، وحفظا للأرواح من أنْ تداس وتحطّم، والإشراف سبيل الإتيان، وأولّ مراحله. ومن المعاني البديعة التي يعتصره النص في حض الإدراكات الذهنية هو نزع هذا المؤشر الفعلي عن أي دلالة معنوية وتمحضه آنذاك ليخلق فعلاً تركيبياً موافقاً للسياق وذلك نحو: ﴿ ٻ ٻ ٻ ٻ ئا ئا ئه ئه ئوئو﴾(الأنعام:34)، أو قوله: ﴿ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې﴾، (النّحل:26)؛ فـ "أتاهم نصرنا" يعني نصرناهم و"أتاهم العذاب" يعني عذّبناهم وكأن الإتيان ينعدم تماماً في هذه الكينونات الفعلية.

13.2. ومن المعاني الانزياحيّة للفعل "أتى" (قَرُبَ ودَنَا)

قال تعالى في سورة النحل: ﴿ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ﴾. ممّا يلاحظ في سياق الآية أنّ الفعل (أتى) جاء لازما مكتفيا بفاعله، دالا على معنى (قَرُبَ) و(دَنَا) (العسكري، 2007، ص73؛ وينظر: فاضل، 2005، 39/1)، والمقصود هو القرب الزّماني كما يروي الفيروز أبادي (الفيروز أبادي، 1996، 44/2). وقد جاء لفظ الماضي (أتى) بمعنى المضارع (يأتي) فدلالة الفعل في الآية فيه انزياح زماني للمستقبل فصدق إتيان الأمر صار مجيؤه بمنزلة ما قد مضى وكان، فحسن الإخبار عنه بالماضي، وأكثر ما يكون هذا فيما يخبرنا الله جلَّ ذكره به أن يكون، فصحّة وقوعه وصدق المخبر بِهِ صار كَأَنَّهُ شَيْء قد كان (القرطبي، 1405، 417؛ الأصبهاني، 1995، 190).

كما ورد الفعل (أتى) في القرآن منزاحا عن معناه الأصلي الدّال على الإتيان إلى معنى "أصاب". قال تعالى: ﴿ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ﴾ (الأنعام:47). وقوله تعلى: (قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (يونس:50) ذكر الفيروز أبادي أنّه يعني وصول شيء بشيء، حيث جاء بصيغة الماضي المتعدّي إلى مفعوله (ضمير جمع المخاطبين المتّصل) حيث اقتضى المقام تعديه لتضمنه معنى (أصاب) الذي هو من الأفعال المتعدية إلى مفعولها من دون واسطة (الفيروز أبادي، 1996، 44/2).

15.2. كما جاء بمعنى "قَلَعَ ودَمَّرَ"

في قوله تعالى: ﴿ ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ﴾(النّحل:26). جاء الفعل (أتى) بصيغة الماضي المستأنف بالفاء متضمنا معنى (القلع والهدم والتّدمير والخراب) (الفيروز أبادي، 1996، 44/2)، وقد أخذ مفعولا ظاهرا هو (بنيانهم). والمعنى الانزياحي الذي خرج إليه الفعل (أتى) هو أنّ الله قد اقتلع بنيانهم ودمّره واجتثّه من أصوله (الطبري، 2000، 193/17؛ ابن الفراء، 1420، 319/3)، ونقضه من قواعده (ابن عاشور، 1984، 134/14؛ عضيمة، 2004، 319/10)، ومن هذا المعنى (الإتيان) الموت والبلاء (النيسابوري، 1994، 133/8). ويرى بعض أصحاب اللغة والنّحو أنّ هناك ثَمَّة حذف في الآية (فأتى الله بنيانهم من القواعد)، أيْ حذف المضاف (أَمَرَ) وأُقِيمَ المضاف إليه لفظ الجلالة (الله) مقامه، وفائدة الحذف هنا بيان شدَّة العذاب (بنت الشاطئ، 1990، 53). وقد ورد الفعل (أتى) بهذا المعنى في غير موضع من القرآن الكريم (ينظر: الذّاريات:42).

16.2. وينزاح إلى معنى "العذاب"

كما في قوله تعالى: ﴿ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﴾ (الحشر:2). فقد انزاحت دلالة الفعل (أتى) في الآية الكريمة للتضمن معنى العذاب دلّ على ذلك السياق الذي ورد فيه الفعل، إذْ المعنى إنَّ الله قد عذّبهم من حيث لم يظنوا أو يتوقعوا، أو من حيث لم يخطر ببالهم أنْ يأتيهم أمره من تلك **الجهة (النيسابوري، 1994، 296/4؛ القنوجي، 1992، 39/14).**

17.2. انزياح الفعل بمعنى "يظهر أو يخرج"

في قوله تعالى: ﴿ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﴾(الصّف: 6). فدلالة الفعل في الآية انزاحت عن دلالتها الأصليّة (الإتيان) لتدل على الظهور والخروج حيث جاء الفعل (يأتي) بصيغة المضارع مسندا إلى ضمير الغائب المستتر (هو) مكتفيا به لتضمنه معنى (يظهر أو يخرج) **(الفيروز أبادي، 1996، 44/2؛ فاضل، 2005، 207/1)**، وهما فعلان قاصران يكتفيان بالمرفوع، لذا اقتضى أنْ يكون المحمول عليهما لازما يتعدّى إلى مفعوله بحرف الجر (من).

18.2. كما يأتي بمعنى "صار وأصبح"

يقول تعالى: ﴿ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﴾(يوسف: 93). جاء الفعل (أتى) هنا بصيغة المضارع المجزوم المتعدّي إلى مفعوله بنفسه، الواقع جوابا للأمر، بمعنى: صار، قال الزّمخشري: ("يأتي بصيرا" يصير بصيرا، كقولك: جاء البناء محكما، بمعنى صار) **(الزمخشري، 1407، 503/2)**، ومما يدعّم رأي الزمخشري في انزياح فعل الإتيان ليدلّ على الصيرورة ما ساقه الألوسي من استدلال بالقرآن عليه أذْ قال: (أيْ يصير بصيرا ويشهد له "فارتدّ بصيرا" أو يأتِ إِلَيَّ وهو بصير "وأتوني بأهلكم أجمعين") **((الألوسي، 2005، 68/13).**

19.2. انزياح الفعل (أتى) إلى معنى "اتَّبع وحضر"

قال تعالى: ﴿ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﴾(الأنبياء:3). فالفعل في (أَفَتَأْتُونَ) الآية الكريمة ورد بصيغة المضارع المتعدي إلى فاعله بنفسه دون الحاجة إلى واسطة، وقد جاء مسبوقا بهمزة الاستفهام التي تفيد معنى الإنكار **(الزمخشري، 1407، 102/3؛ الألوسي، 2005، 14/17)**، فالفعل هنا قد انزاح ومال عن معناه الأصلي الدّال على الإتيان إلى معنى الاتباع للسَّحرة وسحرهم وحضوره وقبوله **(فاضل، 2005، 207/1 – 208)** يقول الزّمخشري: "اعتقدوا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون إلّا ملكا، وأنّ كل من ادّعى الرّسالة من البشر وجاء بمعجزة هو ساحر ومعجزته سحر، فلذلك قالوا على سبيل الإنكار: أفتحضرون السِّحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنّه سحر"**(الزمخشري، 1407، 102/3).**

هذه هي المستويات الدلالية التي تشع في النص انطلاقاً من السياقات النصية والأسورة الإدراكية أمّا مهمة البحث فهو تصنيف المعاني للفعل "أتى" ونضدها أساساً على الحمولة المعنوية التي تضعها في أحشاء النّص لكشف القناع عن وجه المعنى المركزي والعثور على المعنى النموذجيّ.

الخاتمة

تحديد نوعية الصيغة الفعلية والمعنى النمطي النموذجي يتوقف أكثر ما يتوقف على تواتر العينة المعنيّة في الفعل؛ ففي الفعل "أتى" المعنى المتواتر المتكرر هو المجيء، فالمعنى الذي يحطم رقماً قياسياً في هذا الفعل يمكن أن نطلق عليه المعنى النمطي النموذجي. هذا الكينون الفعلي يتجزأ إلى مجموعة الدلالات التالية: الحركة والدينامية، الانسياق الأمامي، والدنو والاقتراب، الغياب الزمكاني والظهور الزمكاني المتأرجح، هذه الأبعاد الدلالية التي تشاهد منعرجاتها في الفعل "أتى" نفسه. فالدنو والإصابة والتعذيب والسوق والجماع والمضي والنزول والإرسال والحشر والدخول والإحضار والوصول كلها تتضمن المجيء من دون إسقاط أيقونة معنوية خاصة، بل بزيادة مشهودة فمثلاً الدنو يعني الإتيان إضافة إلى تحديد كيفية هذا الإتيان بأنه الاقتراب البحت الذي يحقق المشافهة والمجابهة للكينون الذي وجه إليه ثمّ الإصابة هي تحقق للمجيء حتى الاصطدام المخرب السالب، ثمّ السوق هو المجيء إلا أنه يفتقد الطواعية، بل يسطر عليه الكراهية والقسر حيث يتحقق المجيء بقيادة كائن أجنبي؛ ثم الظهور هو مجيء الكينون الغائب المتواري والإرسال هو المجيء المستهدف الذي يحمل فاعله مهمة خطيرة على عاتقه وكأنه المأمور الذي لا يتمكن من التقلص عما وُكل به، أما النزول فهو المجيء الذي يسفر عن الكيفيات الحراكية؛ فهو سهم يوجه من الفضاء المتصاعد إلى أن يسقط أو يتساقط ثم الحشر يهندس فيه هندام المجيء فهو يعني استحضار وفد من الناس يتفشّى في الكينون المكاني ثم الدخول هو المجيء مع التغير المكاني وكذلك الوصول؛ فهذه الحلقات الدلالية تتصل اتصالاً شبه تام بالدلالة المركزية ؛ إلا أن هذه الأسرة الدلالية تنفصل انفصالاً منقطعاً عن الرأس في بعض الدلالات منها الحلف والانتفاع والاستماع والمشاهدة؛ فعليه يستنتج أن الفعل "أتى " يقدم بضاعة سميكة من الدلالات.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن الفراء، أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود، معالم التّنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ.
- ابن القطاع، علي بن جعفر بن علي السعدي، كتاب الأفعال، عالم الكتب، ط3، 1983م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: مُحَمَّد علي النجار، دار الشؤون الثقافيّة العامة، مصر، ط4، 1990م.
- ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر التونسي، التّحرير والتّنوير، الدار التونسيّة للنشر، تونس، 1984م.
- الأصبهاني، أبو القاسم إسماعيل بن مُحَمَّد بن الفضل بن علي، إعراب القرآن، تح: فائزة بنت عمر المؤيد، ط1، 1995م.
- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدّين السيد، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: السيد محمود السيد– سيد إبراهيم عمران، دار الحديث، القاهرة، 2005م.
- آل عصفور، ميرزا محسن، القاموس الوجيز لمعاني كلمات القرآن الكريم، مأخوذ من المكتبة الشاملة، د.ت.
- آل غازي، عبد القادر بن ملا حويش، بيان المعاني، مطبعة الترقي، دمشق، 1382هـ.
- البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر مُحَمَّد بن علي الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.
- الجرجاني، علي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشرف، التّعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.

- الدامغاني، الحسين بن مُحَمَّد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1983م.
- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، أساس البلاغة، تح: مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1998م.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
- الشمري، غسان إبراهيم، عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، الرباط، المغرب، 2014م، ص 1- 14، الموقع.
  www.alarabiahconference.org/modules/conference_seminar/index.php?conference_seminar_id=83
- الطبري، مُحَمَّد بن جرير أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
- العبيدي، رشيد عبد الرحمن، الألسنيّة بين عبد القاهر الجرجاني والمحدَثين (بحث)، مجلة المورد، العدد3، دار الشؤون الثّقافيّة العامة، بغداد، 1989م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، الوجوه والنّظائر، تح: مُحَمَّد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2007م.
- الفراء، الحسين بن مسعود أبو مُحَمَّد، لباب التّأويل في معاني التّنزيل، تح: عبد السلام مُحَمَّد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، تح: مهدي المخزومي – إبراهيم السامرائي، العين، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، ط1، 1984م.
- الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب، بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: مُحَمَّد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1996م.
- القرطبي، أبو مُحَمَّد مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1405هـ.
- القنوجي، صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1992.
- المحلي، جلال الدين مُحَمَّد بن أحمد، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين، مؤسسة النور، بيروت، لبنان، 1416هـ.
- المظفر، مُحَمَّد رضا، المنطق، دار التعارف، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.
- النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تح: عادل أحمد عبد الموجود- علي مُحَمَّد معوض- أحمد مُحَمَّد صبرة- أحمد عبد الغني الجمل- عبد الرحمن عويس، تقديم: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1994م
- أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصريّة، مصر، ط5، 1984م.

- بلاغي نجفي، مُحَمَّد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
- بنت الشاطئ، عائشة مُحَمَّد علي عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1990م.
- حيدر، فريد عوض، علم الدّلالة دراسة نظريّة وتطبيقيّة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005م.
- دزه يي، دلخوش جارالله حسين، علم الدلالة الإدراكي: المبادئ والتطبيقات، مجلة الآداب، جامعة صلاح الدين أربيل، العدد، 110، 2014م، ص 51 – 70.
- عباينة، يحيى، مقدمة في اللسانيات الإدراكية، دار ركاز للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2021م.
- عبد الباقي، مُحَمَّد فؤاد ، المعجم المفهرس للقرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1998م.
- عضيمة، مُحَمَّد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، 2004م.
- عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008م.
- فاضل، مُحَمَّد نديم، التّضمين النّحوي في القرآن الكريم، دار الزمان، المدينة المنورة، ط1، 2005م.
- كوهن، جان، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، ١٩٨٦م.
- مرادي، مُحَمَّد هادي، وسليمي، سيدة فاطمة، الدلالات الهامشية بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث، مجلة العلوم الإنسانية الدولية، العدد 20، 1983م، ص 89-106.
- مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مؤسسة الصادق، طهران، إيران، ط5، 1426هـ.
- ويس، أحمد مُحَمَّد، الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2002م.

القواعد الأصولية المستنبطة من القصص القرآنية(نماذج مختارة)

م.د. ورقاء عبد السلام عبد الوهاب
قسم الدراسات الإسلامية/ كلية الحكمة الجامعة/ العراق–بغداد
warqaa@hiuc.edu.iq
96407709229254

الملخص:

يبيّن البحث أهمية القاعدة الأصولية فهي منهاج يسلكه المجتهد أثناء استنباط الأحكام الشرعية بغيةَ عدمِ الخطأ؛ فهي قواعد مؤسَّسَة على الدليل، فهي بمثابة ميزان عدل توزن بها الأمور العلمية، ويُتوصل من خلالها إلى معرفة الأحكام الشرعية التي هي مناط السعادة الدنيوية والآخروية ، والدليل لهذه القواعد المستنبطة هي القصص القرآنية، وتحتل هذه القصص حيّز كبير من المصدر الأول من مصادر التشريع الأصلية ألا وهو القرآن الكريم ، فأسلوب القصة من الأساليب التي اعتنى بها عناية خاصة؛ لما فيها من عنصر التشويق، وجوانب الاتعاظ والاعتبار. تم اتباع المنهج الاستقرائي الجزئي الوصفي ،فتم استقراء نماذج من القصص القرآنية واستنباط القواعد الأصولية منها .واقتضت خطة البحث تقسيمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، ، أما المبحث الأول فقد تناولت التعريف ببعض المفاهيم المتعلقة بالبحث كتعريف القاعدة الأصولية والتعريف بالقصص القرآنية والحكمة من ذكر هذه القصص في كتاب الله عزّ وجلّ ، أما المبحث الثاني فتناول تطبيقات للقواعد الأصولية المستنبطة من بعض القصص القرآنية ثم بينت في الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

الكلمات الإفتتاحية: القاعدة ، الأصولية ، القصة ، الآية ، سورة.

Fundamental rules deduced from Quranic stories (selected odels)

Ph. D. Warqaa Abdulsalam Abdulwahhab

Department of Islamic Studies /Al-Hikma University College/

Baghdad-Iraq

warqaa@hiuc.edu.iq

96407709229254

Abstract

The research shows the importance of the fundamentalist rule, as it is a method that the mujtahid follows while deriving legal rulings in order not to make mistakes. They are rules based on evidence, as they are like a balance of justice by which scientific matters are weighed, and through which one comes to the knowledge of the legal rulings that are the basis of worldly and hereafter happiness. It is the Noble Qur'an. The style of the story is one of the methods that he took special care of. Because of the element of suspense, and aspects of Alataaz and consideration. Research methodology: the descriptive partial inductive approach was followed, so models were extrapolated from Qur'anic stories and the fundamentalist rules were deduced from them,

Key words: al-Qaeda, fundamentalism, story, verse, surah

المقدمة

إنّ الشريعة الإسلامية باقية إلى قيام الساعة لذلك منحت العلماء حق الاجتهاد وفقه الإستدلال للتمكن من اتقان الاستنباط في النوازل والمستجدات من خلال عرضها على الأدلة ، ويعدّ القرآن الكريم المصدر الأول من مصادر هذه الأدلة، والقواعد الأصولية هي الطريق الذي ييسر للمجتهد استخراج الحكم للمستجدات والتي كثرت في وقتنا الحاضر ، ولا يتمكن من ذلك إلا إذا استخدمها بضوابطها ، فرسوخ هذه القواعد في الأذهان تربي ملكة التخريج الأصولي، والتي بها يتضح الطريق للوصول إلى مقاصد الشريعة الإسلامية.

قال الشاطبي (1997م): "كل مسألة مرسومة في أصول الفقه لا ينبني عليها فروع فقهية، أو آداب شرعية، أو لا تكون عونا في ذلك؛ فوضعها في أصول الفقه عارية "(ص.37). ومن هنا جاءت أهمية القواعد الأصولية فهي منهاج يسلكه المجتهد أثناء استنباط الأحكام الشرعية بغيةَ عدمِ الخطأ؛ فهي قواعد مؤسَّسَة على الدليل، فهي بمثابة ميزان عدل توزن بها الأمور العلمية، ويُتوصل بها إلى معرفة الأحكام الشرعية التي هي مناط السعادة الدنيوية والآخروية ، والدليل لهذه القواعد المستنبطة في هذا البحث هي القصص القرآنية ؛لأن القصص تحتل الحيّز الكبير من المصدر الأول من مصادر التشريع الأصلية ألا وهو القرآن الكريم ، فأسلوب القصة من الأساليب التي اعتنى بها عناية خاصة؛ لما فيها من عنصر التشويق، وجوانب الاتعاظ والاعتبار. وقد ألمح القرآن إلى هذا في أكثر من آية ومن ذلك قوله تعالى: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(القرآن الكريم، الأعراف: 176).

أهمية البحث :

جاءت أهمية البحث لتوضيح القواعد الأصولية ؛ لأنها الوسيلة التي تحقق العبادة ، ففيها يُعرف حكم الله تعالى ، وقد أناط الله تعالى معرفة الأحكام الشرعية عن طريقها ، واستنباط هذه القواعد من القصص القرآنية لها من الأهمية بمكان ، والتطبيق العملي لأي علم من العلوم هو الثمرة المرجوة من هذا العلم .

أهداف البحث:

بيان كيفية تعامل الأصولي مع النّصّ القرآني وكيفية استنباط القواعد الأصولية منه كما يهدف هذا البحث إلى بيان الترابط بين العلوم المختلفة كعلم أصول الفقه والفقه والتفسير واللغة وغيرها من العلوم.

الدراسات السابقة:

استعرضت بحوث الباحثين فلم أجد عنوان هذا البحث ولكن هناك بحوث ورسائل وأطاريح قد كتبت إما عن القواعد الأصولية أو عن القصص القرآنية ومنها:

1- القواعد الأصولية ونماذج من تخريجاتها الفقهية لابن عابدين في كتابه (ردّ المحتار شرح الدر المختار)- اطروحة دكتوراه- إبراهيم مُحَمَّد سعيد مُحَمَّد عارف الهرشلي- 2011م.

2- القواعد الأصولية وتطبيقاتها في أحكام العبادات في كتاب الهداية - رسالة ماجستير- مروة جياد عبيد العكيد – 2012م.

3- القواعد الأصولية اللغوية عند ابن العربي المالكي من خلال كتابه المسالك شرح الموطأ للإمام مالك –نماذج تطبيقية – اطروحة دكتوراه– أحمد جميل علي – 2015م.

4- القصص القرآني وأثره في العقيدة– رسالة ماجستير – أبو بكر أحمد مُحَمَّد أبو جرادة– 2012

5- المرأة في القصص القرآني (دراسة بلاغية) – اطروحة دكتوراه – جمال رفيق يوسف الحاج علي – 2013.

6- قضايا اجتماعية في القصص القرآني (دراسة تحليلية موضوعية) ، أشرف جودت صالح حسين– اطروحة دكتوراه – 2016.

منهج البحث:

فقد اتبعت في بحثي المنهج الاستقرائي الوصفي ،فتم استقراء ءايات من القصص القرآنية ومن ثم استنباط القواعد الأصولية من موطن الشاهد في هذه القصة وبيان وجه الدلالة من القاعدة المستنبطة. وقد تتفاوت عدد القواعد المستنبطة بين المسائل فقد يرد دليلين لنفس القاعدة أو قد ترد قاعدتين للدليل نفسه.

هيكلية البحث:

فقد اقتضت هيكلية البحث تقسيمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناولت في المقدمة اسباب اختيار الموضوع وأهميته والمنهجية والخطة المتبعة في هذا البحث ، أما المبحث الأول فقد تناولت التعريف ببعض المفاهيم المتعلقة بالبحث كتعريف القاعدة الأصولية ، وتعريف القصص القرآنية و الحكمة من ذكر هذه القصص في كتاب الله عزّ وجلّ . أما المبحث الثاني فتناول تطبيقات للقواعد الأصولية المستنبطة من بعض القصص القرآنية ثم جاءت الخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت لها والتوصيات.

المبحث الأول

التعريف ببض المفاهيم المتعلقة بالبحث

أولًا: تعريف القاعدة الأصولية:

القاعدة لغة : للقاعدة في اللغة معانٍ عديدة منها: الأساس : فالقاعدة أصل الأس ، وهو الشيء الوطيد الثابت ، وجمع الأس هو أُسس ، والقواعد الأساس ، وقواعد البيت أساسه (ابن فارس ، 1399هـ؛ ابن منظور،1968). وتأتي أيضًا بمعنى الأصل ، أي: أسفل كل شيء(ابن فارس ، 1399هـ ؛ ابن منظور،1968؛ الهروي،2001). والمعنى الأقرب للقاعدة هو الأساس ؛ كون الأحكام تنبني على القواعد أي: على أساس كما يبنى الجدار على الأساس(الصاعدي،1428هـ).

القاعدة اصطلاحاً : عُرِّفت القاعدة بتعريفات عِدَّة : قال التفتازاني(1996): " حكم كلي ينطبق على جزئياته ليتعرف أحكامها منه " (ص.35). وقال الجرجاني(1425 هـ): " قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها " (ص.121). وقال المحلي (2009) : " قضية كلية يتعرف منها أحكام جزئياتها " (ص.104).

ولكل علم قواعد خاصة به كالقواعد الأصولية والقانونية والفقهية والنحوية وغيرها من العلوم فهذه التعريفات للقاعدة تكون عامة تشمل جميع العلوم.

الأصل لغة : للأصل معان عديدة منها :

الابتناء(الزبيدي، د.ت.) ، سواء أكان هذا الإبتناء حسياً كبناء السقف على الجدار أم معنوياً كبناء الحكم على الدليل(التفتازاني،1996؛ ألمحمد، 1425هـ). وقد يأتي الأصل بمعنى : أسفل الشيء، فيقال : قعد في أصل الجبل ، وقلع أصل الشجر (الزبيدي، د.ت). كما يأتي بمعنى القاعدة فأصل الشيء : قاعدته(الأصفهاني، د.ت.).

والراجح لدى الباحثة بأن الابتناء هو أقرب المعاني للأصل ؛ لأن القواعـد تبنى عليها الأحكام الشرعية.

الأصل اصطلاحاً :الأصل في المعنى الإصطلاحي عند العلماء يطلق ويراد به:

الدليل غالباً ،كقولهم : الأصل في هذه المسألة الكتاب ، أي : دليلها . وقد يطلق الأصل ويراد به الرجحان ، أي: على الراجح من الأمرين . فيقولون : الأصل في الكلام الحقيقة دون المجاز. ومن معاني الأصل يطلق ويراد به القاعدة المستمرة ،كالقول: أكل الميتة على خلاف الأصل، أي: على خلاف الحالة المستمرة .ومن اطلاقات الأصل يطلق على المقيس عليه، وهو ما يقابل الفرع في باب القياس(ابن النجار،1418هـ؛ الزركشي،1421هـ؛ اللكنوي،1423هـ).إذ الفرع هو المقيس ، والأصل هو المقيس عليه ، وهذا ما ذكره الأصوليون في باب القياس (الجصاص، 1405هـ ، ص.172).

والراجح لدى الباحثة بأن معنى الأصل هو الدليل ؛ لمناسبته للمعنى اللغوي وهو الابتناء ، فالحكم يُبنى على الدليل ، فالأصل بالاعتبار الأصولي يراد به الدليل الإجمالي .

وبعد استعراض المعنى اللغوي والاصطلاحي للقاعدة والأصل يمكن تعريف القاعدة الأصولية بأنها : أدلة إجمالية وقواعد كلية يستعملها المجتهد ليُتوصل بها إلى استنباط الأحكام الجزئية (الإسنوي ،1999م،ص9). وعرّفها نور الدين عباسي(1429هـ) : " هي الكليات الاستقرائية المطردة التي يندرج تحتها أنواع من الأدلة النصية وغير النصية ، الخاصة بالمجتهد المستقل ، يستعملها لاستنباط الأحكام الفقهية " (ص.28).

ثانيًا : تعريف القصص القرآنية:

القصة لغة : أصل القصّ القطع. يقال: قصصت ما بينهما أي قطعت، ويقال : قصصت الشيء ، إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء ومنه قوله تعالى : {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ} (القرآن الكريم ،القصص: 11)، أي : اتبعي أثره . والقصة: الخبر وهو القَصص، والقَصَصُ بِالفَتح هو : الخبرُ المِقصوص، أما بكسر القاف –القِصص– فهي جمع القصة التي تكتب ، والقاص: هو الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها (ابن منظور، 1968،ص. 73–74).

القصة اصطلاحًا: للقصة تعريفات عديدة :

قال الرازي(د.ت.): " مجموع الكلام المشتمل على ما يهدى إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة "(ص.83–84).

وقال الحَرَالِّيُّ (1997):" تتبع الوقائع بالإخبار عنها شيئا بعد شيء، على ترتيبها، في معنى قص الأثر، وهو اتباعه حتى ينتهي إلى محل ذي الأثر"(ص.594).أو هي الخبر عن الحادثة التي تكون غائبة عن المخبر بها(ابن عاشور،1984).

وقد أطلق القرآن الكريم لفظ القصص على أخبار القرون الأولى فيما يتعلق بالرسالات السماوية ، والأحداث التي تقع في محيطها ومنها الصراع بين مواكب النور وجحافل الظلام وبين قوى الحق والضلال(الخطيب، د.ت.).

ثالثًا: الحكمة من ذكر القصص القرآني:

تظهر الحكمة فيما قصه الله تعالى علينا من عدة وجوه أذكر منها:

1–التحدي العظيم لأهل الكتاب ؛كون القرآن الكريم قد اشتمل على قصص لا يعلمها إلا الراسخون في العلم من أهل الكتاب . (ابن عاشور،1984).

2-تبيّن القصص القرآنية مناهج الأنبياء في كيفية الدعوة لإقامة الدين والصبر عليها للتأسي بهم في طرقهم وأساليبهم وجعلهم القدوة في ذلك ؛ لأنّها من هدي الله عز وجل لهم (رضا،1990).

3-العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير أو الشر ، فقصص القرآني الكريم ليس المراد منها السرد لتاريخ الأمم فقط أو للأشخاص ، لذلك لا نجد الحوادث والوقائع تذكر بالترتيب. فهي تبيّن سنن الله في الخلق وهذه السننّ تجري على اللحقين كما جرت على السابقين فعلى المؤمنين الاعتبار بها (القاسمي، 1418 هـ).

4- بيان عدل الله تعالى بفضله على المؤمنين وعقوبة الكاذبين ، كما إن في ذلك ترغيب للمؤمن بالثبات على الإيمان بعد أن عَلِمَ نجاة من ءامن من السابقين وتحذير الكافر من الاستمرار في الكفر(ابن عثيمين،2001).

5- بيان للغرائز الإنسانية وما جُبِلَ عليه من الصفات وأثر هذه الغرائز على سلوكه وأفعاله وعلى العلاقة بالآخرين. وتبيّن أحوال الإنسان وطغيانه بسبب السلطان والمال (زيدان، 2009).

المبحث الثاني

تطبيقات للقواعد الأصولية المستنبطة من بعض القصص القرآنية

❖ **قال تعالى : {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }(القرآن الكريم، البقرة:37)**

القاعدة الأصولية: القرآنُ يبيّنُ بعضُه بعضاً (ابن قدامة،1399هـ).

القرآن الكريم قد يرِد بعض الألفاظ والمفردات مجملة في آياته على العموم ومنها ما يرد في قصص الأنبياء والتي تذكر القصة موجزة في موضع ومسهبة ومفصّلة في موضع آخر ومن ثم يُفهم الإيجاز في ضوء التفصيل وبيان القرآن بالقرآن من أقوى أنواع البيان وأشرفها فيُلاحظ مثلًا في قصة سيدنا آدم عليه السلام فقد وردت لفظ { كَلِمَاتٍ} مجملة لا يُعرف ماهي هذه الكلمات وقد ورد في بيانها أقوال عِدّة ولكن ما يترجح من هذه الأقوال في المراد منها هو ما ورد في سورة الأعراف بقوله عزّ وجلّ: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (القرآن الكريم ،الأعراف: 23) ؛ لأن بيان القرآن بالقرآن يكون مقدم على باقي الأقوال التي قد ذكرت في ذلك.(ابن عطية، 1422هـ؛ابن كثير ،1419هـ،الرازي،1420هـ؛ الزركشي،2000؛ الشنقيطي،1995).

❖ **قال تعالى:{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ } (القرآن الكريم، البقرة:43).**

القاعدة الأصولية : الأصل في الاسم المشترك أن يحمل على أحد معنييه (أبو الحسين،1403هـ).

إنَّ من أسباب الإشكال الإشتراك في اللفظ (الدريني،1985) فقد يوضع اللفظ في اللغة لأكثر من معنى وصيغته لا تبيّن المعنى المقصود مما وضع له ، فلمعرفة ذلك وإزالة هذا الإشكال الاجتهاد فيتوصل المجتهد بالقرائن التي وضعها الشارع لتعيين المراد من هذا اللفظ المشترك (خلّاف، د.ت.).

ورد لفظ واركعوا في قوله تعالى: {وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ } وهو مشترك لفظي فالركوع له معنيان في اللغة: أحدهما: التّطامن وهو الانخفاض (الزبيدي، د.ت.) ،والمعنى الثاني: الذّلة والخضوع فكانت العرب في زمن الجاهلية تسمي الحنيف راكعًا ، إذا لم يعبد الأوثان ، ومن المجاز يقال: ركع الرجل، إذا افتقر بعد غنى، وانحطت حاله (ابن الهائم،1423 هـ ؛الزبيدي، د. ت.).

وقد فحصل الإشكال في المعنى لأنّ الأصل أن يحمل الاسم المشترك على أحد معنييه وبعد التأمل في الآية يبين بأن المقصود هو المعنى الأول ، أي: الإنحناء فيكون معنى الآية: صلّوا مع المصلّين ؛ فلا يُتصور أن يُتعبد لله بركوع مجرد لذلك يجوز التعبير عن الكل بالبعض في حالة كون هذا البعض جزء من الكل الذي لا يتم إلا به (ابن عثيمين ،1423 هـ).

❖ **قال تعالى:{وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ } (القرآن الكريم ، البقرة: 49) .**

وقال تعالى : {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً } (القرآن الكريم ،البقرة: 67).

القاعدة الأصولية: "القرآن يفسر بعضه بعضًا". (ابن الموقت، د.ت.، ص.366).

تدخل تحت هذه القاعدة تطبيقات عِدّة من القرآن الكريم وقد ذكرت مثالين عن قصة بني اسرائيل أحدها يفسّر المجمل منه في نفس الآية ، فقد وردت في الآية الأولى {يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} أي : يذيقونكم أشد العذاب ، وهو مجمل في ماهية هذا العذاب، ولكن تبيّن هذا العذاب بما ورد في تكملة الآية الكريمة ، بقوله تعالى :{يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ}(ابن عرفة، 1986؛ الآلوسي، د.ت.، الزلمي،2011). وهذا المثال يبيّن تفسير القرآن بالقرآن المتصل.

أما في المثال الثاني فقد وردت لفظ {بَقَرَةً } في قصة بني اسرائيل ، وهذا اللفظ مجمل بين أفراد الحقيقة الواحدة المعلومة ولا توجد قرينة تعيين المطلوب، فالمطلوب هنا فردًا معينًا من هذه الأفراد (الإسنوي ، 1999م؛ السبكي، 1995م) ثمّ وضح تعالى هذا الإجمال بقوله: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ }(القرآن الكريم، البقرة: 69). فاتضح المعنى في آية أخرى منفصلة ؛ لأن كلام الله يصدق بعضه بعضا.

❖ **قال تعالى:{ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ }(القرآن الكريم، البقرة: 58).**

القاعدة الأصولية: الواو لمطلق الجمع لا لترتيب ولا لمعية (البعلي، د.ت.).

يتبيّن من قصة بني اسرائيل بأنّ الواو العاطفة, تفيد مطلق الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه فلا تفيد الترتيب ولا المعية ودليل ذلك قوله تعالى في موضع آخر من القرآن في ذكر قصة بني اسرائيل: {وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا} (القرآن الكريم، الأعراف: 161) فقد قدَّم { وَادْخُلُوا الْبَابَ} في سورة البقرة وأخرّه في الأعراف، كما قدّم {وَقُولُوا حِطَّةٌ} في الأعراف وأخره في البقرة؛ مما يدل على أن الواو لمطلق الجمع تجمع بين أمرين في الثبوت دون النظر لترتيب أو غيره؛ لأنّ القصة واحدة من حيث الآمر والمأمور والزمان وهذا دليل على عدم إرادة الترتيب ولا المعية (البخاري ،1997م ؛الرازي ،1997م).

❖ **قال سبحانه وتعالى : {وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} (القرآن الكريم، هود: 78).**

القاعدة الأصولية: المجمل يحمل على المبيّن (الزركشي،1421هـ).

وردت كلمة{ السَّيِّئَاتِ} في قصة لوط عليه السلام ، وهي كلمة مجملة ؛ لأنّ السيئات كثيرة منها: إتيان الذكور، والمكاء، واللعب بالحمام، والقمار، والصفير، والاستهزاء بالناس وغيرها من السيئات **(أبو حيان،1420هـ)** لكن فسِّرت وتبيّن هذا الإجمال في موضع آخر من القرآن الكريم بقوله تعالى:{إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ}**(القرآن الكريم ، الأعراف:81)**. والمجمل يُعدّ من أقسام الخفي عند الأصوليين لذلك يتوجب بيانه بالبحث والتنقيب إما في كتاب الله أو سُنَّته ،فيُحمل المجمَل على المبيَّن لكي يُفسَّر به.

❖ **قال تعالى : {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17) وَلَا يَسْتَثْنُونَ}**(القرآن الكريم ، القلم:17 – 18).

القاعدة الأصولية :الأعمال بالنيات (الجصاص،1405هـ ؛ الغزالي، 1993م) .

القاعدة الأصولية : القياس حُجة (ابن السبكي، 1995؛ السرخسي، د.ت.).

يُستدل بهذه الآية على قاعدتين أصوليتين ،القاعدة الأولى :الأعمال بالنيات فقد تبيّن في قصة أصحاب الجنة التي ذكرتها هذه الآيات الدليل على أن العزم يؤاخذ عليه الإنسان؛ لأنهم عزموا على فعل الشرّ بمنع المساكين حقهم فعوقبوا قبل فعلهم **(القرطبي،1964)**. وكانت العقوبة هي تلف جنتهم وهلاك ثمارها.

أما القاعدة الثانية والتي تتعلق بالقياس وهو من الأدلة المعتبرة في الشرع ،ففي قوله تعالى:{إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ } أي : بلونا أهل مكة والمقصود بالابتلاء هنا الاختبار ، أي: إنّا أعطيناهم أموالاً ليشكروا لا ليبطروا ، وأرسلنا إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أعظم نعمة ليؤمنوا به لا ليكذبوه فبطروا وعاندوا فابتلاهم الله تعالى بالجوع والقحط كما ابتلى اصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم(زيدان،2009) نلاحظ قياس ما حصل لأهل مكة على ما حصل لأصحاب الجنّة ؛ لاشتراكهم في العلّة وهي كفران النّعمة فكانت النتيجة واحدة وهي الابتلاء .

❖ **قال تعالى: {وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ} (القرآن الكريم، يوسف: 72).**

❖ **وقال تعالى:{قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ} (القرآن الكريم، القصص: 27)**

القاعدة الأصولية :كلام الشارع محمول على بيان الشرع (الشوكاني ، 1993).

القاعدة الأصولية :شرع من قبلنا شرع لنا إلا ما ثبت نسخه (الشيرازي، 1403هـ).

قد تأتي نصوص من الشارع لتصف واقعا أو تخبر عنه كذكر قصة من قصص من سبق ، فما حكاه الشارع لا يحمل فقط على كونه إخبار فقط ، فإن أمكن حملها على حكم شرعي، فتحمل عليه مع عدم الإغفال عن كونها تخبر عن واقع معين. وقد استدلّ بالآية الأولى في قصة سيدنا يوسف عليه السلام على جواز الضمان.

وعندما ذكر الله تعالى الآية الثانية في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع صاحب مَدْين يُستنبط منها جواز اعتبار المهر منفعة مباحة، ولا يكتفى بتلاوة هذه الآيات على كونها مجرد قصة بل يمكن استنباط الأحكام منها.(السبت، د.ت.)

كذلك استدل الفقهاء من الآيتين السابقتين على إن شرع من قبلنا هو شرع لنا مالم ينسخ بناسخ من شريعتنا فمن قصة يوسف عليه السلام يُستدل بجواز الضمان ؛ احتجاجا بهذه القاعدة . **(الشنقيطي،2011).**

كما استدلّوا بجواز أن يكون المهر منفعة كالخدمة وغيرها ،فيما ورد في قصة موسى وشعيب عليهما السلام، فما أخبرنا الله به من شرائع من قبلنا إذا لم تنسخ تكون شريعة لنا (الأم للشافعي،1990 ؛ الماوردي 1999)

❖ **قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} (القرآن الكريم، يونس: 22).**

القاعدة الأصولية : الامتنان دليل الإباحة (الشاطبي، 1997).

ورد في قصة يونس هذه الآية أي : يحملكم في البرّ على الدواب وفي البحر على الفلك. وقيل هو الذي يحفظكم في السير، فهي تتضمن ذكر النعم ومنها هذه النعمة ، وإذا ذكّر الله تعالى الناس بنعمه والمنافع فيها ،وامتن عليهم ، فذلك يدلّ على الإباحة لهذه المنافع ، وإذنه لهم بأن ينتفعوا بها، ليتم لشكرها (القرطبي ،1964). ويُبيّن ذلك بقول سلطان العلماء (1987): " تمنُّن الرب بما خلق في الأعيان من المنافع, يدل على الإباحة دلالة عرفية؛ إذ لا يصح التمنن بممنوع".(ص.86) . فالأصل في المنافع الإباحة ،وأمثلة ذلك كثيرة في القصص القرآنية.

❖ **قال تعالى: {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ }(القرآن الكريم ، يوسف: 84).**

القاعدة الأصولية: الأفعال الجبلية الأصل فيها الإباحة (المنياوي،2011).

حزن يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام حزنًا شديدًا ، وهذا الحزن جبلة وليس بمحظور ، فهو من باب الرحمة وهي من الطبيعة البشرية ، أما المحظور فهو الولولة والكلام بما لا ينبغي وشق الثياب، وبين الله تعالى ذلك بقوله: { فَهُوَ كَظِيمٌ } أي : مكظوم مملوء من الحزن لا يبثه ممسك عليه وهذا لا ينافي الرضا (القرطبي، 1964).

فالإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الحزن فلذلك حمد صبره . وإنما المذموم النياحة والصياح وتمزيق الثياب واللطم على الصدور والوجوه (النسفي، 1998) . من ذلك يُستدل على جواز البكاء على الميت مالم يقترن بما لا يجوز شرعًا كالنياحة ؛ لأنّ يعقوب عليه السلام نبي والأنبياء يُقتدى بأفعالهم.

❖ **قال تعالى:{فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا }(القرآن الكريم،الكهف: 71).**

❖ **قال تعالى : {فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ } (القرآن الكريم، يوسف: 88).**

القاعدة الأصولية: الأحكام الشرعية إنما تعرف من كلام الشارع (الشوكاني ، 1993).

لقد ورد في قصة الخضر مع موسى عليه السلام كيفية خرق السفينة من الخضر حتى لا يأخذها الملك الظالم, فيتبيّن من هذه القصة والتي حكت واقعة الخضر مع موسى عليه السلام بأنه يجوز أن يرتكب أخف الضررين وأهون الشرين تفاديا لأعلاهما(العمري،2001), ويجوز إفساد البعض في سبيل إبقاء الكل(السبت ، د.ت.) ولا يكتفى بمجرد الإخبار بما فيها عن الواقع ؛ لأن كلام الشارع ليس مجرد اخبار عن واقع ولكن مهما أمكن يحمله على التشريع.

وكذلك ما ورد في سورة يوسف فقد أُستنبِط من هذه الآية على أن أجرة الكيل تكون على البائع ؛ لأن على البائع تقبيض أن يقبض المبيع للمشتري ، وهذا القبض لا يحصل إلا بالكيل(القرافي ،1994).

الخاتمة

الحمد لله الذي منّ عليّ بإكمال هذا البحث للقواعد الأصولية المستنبطة من القصص القرآنية (نماذج مختارة) وكانت أهم النتائج والتوصيات كما يلي:

النتائج:

1- إنّ ثبات أصول الشريعة ومقاصدها وقوة أساسها جعلت الفقه الإسلامي والاجتهاد فيه صالحًا لكل زمان ومكان مستجيبًا لجميع الحاجات البشرية في كل مجالات التطورات الحياتية : الاقتصادية والسياسية والفكرية وغيرها.

2- المسلم الحق الذي يؤمن بأن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، والقصص القرآنية تُعدّ الوثيقة التاريخية والتي أخبر بها الله تعالى في القرآن الكريم عن أحوال ما سبق من الأمم وقد بُنيت بناءً محكما من لدن عليم حكيم بصياغة بديعة وأسلوب رائع ، وهي القصص الحق التي ينتفع بها النّاس كونها موافقة للصواب والواقع فعلى الإنسان أن لا يشغل نفسه بغير الحق .

3- إنّ عدم العلم بالقواعد الأصولية يلزم عدم العلم بحكمِ الله تعالى ، وهذه القواعد يمكن استنباطها من القرآن أو السّنة والقصص القرآنية تُعد مصدرًا مهماً لهذا الاستنباط.

4- القواعد الأصولية هي قواعد علمية وعملية مرنة ، وليست قواعد مجردة غير صالحة لتطبيق الفروع عليها ، والحاجة إليها قائمة لكثرة الحوادث والمسائل المستجدة .

5- إن التدبر القرآني على العموم والقصص القرآنية بوجه خاص له أهمية كبيرة في استنباط القواعد الأصولية ، فضلًا عن تأثيرها الكبير في إصلاح الأخلاق والأعمال والقلوب .

6-يمكن استخراج أكثر من قاعدة أصولية للدليل نفسه كما يمكن استخراج القاعدة الأصولية نفسها لأكثر من دليل.

التوصيات:

1- الاهتمام بدراسة القواعد الأصولية لطلبة العلوم الشرعية، من خلال كثرة التطبيقات العملية ليتسنى لطالب العلم الشرعي تصور أثر هذه القواعد في المسائل والحوادث المستجدة.

2-حث الباحثين على كتابة البحوث التي تربط بين العلوم المختلفة كالربط بين علم أصول الفقه وعلم القراءات أو علم التفسير وغيرها فكل هذه العلوم تصب في خدمة الشريعة الإسلامية.

3-دعوة أرباب العقول إلى التدبر القرآني والتفكر في معانيه لاستخراج مقاصد الآيات ومعرفة دلالاتها لصدّ وإبطال كل الشّبهات والتي كثرت في الآونة الأخيرة .

المصادر والمراجع

ابن العثيمين ،مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد ،تفسير الفاتحة والبقرة.(1423 هـ) .دار ابن الجوزي.

ابن المؤقت ،شمس الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد المعروف بابن أمير حاج .(1996م).*التقرير والتحبير* (د.ط.).دار الفكر.

ابن النجار، تقي الدين مُحَمَّد بن أحمد بن علي الفتوحي.(1418هـ) .*شرح الكوكب المنير*(ط.2،مج1)،مطبعة العبيكان .

ابن حيان ، أبو حيان مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف.(1420 هـ).*البحر المحيط في التفسير*(د.ط.،مج.6)،دار الفكر .

ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي.(1984).*التحرير والتنوير*(د.ط.،مج.1) الدار التونسية للنشر.

ابن عثيمين، مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد.(2001 م).*أصول في التفسير*. المكتبة الإسلامية.

ابن عرفة،مُحَمَّد بن مُحَمَّد الورغمي.(1986 م).*تفسير الإمام ابن عرفة*(مج.1). مركز البحوث بالكلية الزيتونية .

ابن عطية، أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام.(1422هـ).*المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز* .دار الكتب العلمية .

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي.(1419 هـ). *تفسير القرآن العظيم* ، دار الكتب العلمية.

ابن منظور، جَمَال الدِّيْن مُحَمَّد بن مكرم.(1968 م). *لسان العرب*(مج.7،3). دار صادر .

أبو الحسين، مُحَمَّد بن علي الطيب.(1403هـ).*المعتمد في أصول الفقه*(مج.2.) دار الكتب العلمية .

الإسنوي ، عبد الرحيم بن الحسن .(1999م) .*نهاية السول شرح منهاج الوصول*(د.ط).دار الكتب العلمية.

ألمحمد ، خلف مُحَمَّد، (1425هـ) ، *مصطلحات علم أصول الفقه* ، مؤسسة الريان .

الألوسي أبو المعالي محمود شكري.(د.ت.). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*(د.ط.،مج.1).دار إحياء التراث العربي.

البخاري، عبد العزيز بن أحمد بن مُحَمَّد، علاء الدين (1997م).*كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي* (مج.2).دار الكتب العلمية .

البعلي، علي بن مُحَمَّد بن عباس البعلي.(د.ت.).*المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل*(د.ط.).جامعة الملك عبد العزيز.

التفتازاني ، سعد الدين مسعود بن عمر عبد الله .(1996). *شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه* (مج.1).دار الكتب العلمية.

الجرجاني ، علي بن مُحَمَّد الحسيني .(1425هـ). *التعريفات*. دار الفكر.

الجصاص، أحمد بن علي الرازي.(1405هـ) . *الفصول في الأصول* (مج.1،5)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الحَرَالِّيُّ ، أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَسَنٍ التُّجِيْبِيُّ. (1997). *تراث أبي الحسن الحَرَالِّي المراكشي في التفسير* .المركز الجامعي للبحث العلمي .

الخطيب ،عبد الكريم. (د . ت) . *القصص القرآني في منظومه ومفهومه* .

الدريني، فتحي.(1985م).*المناهج الأصولية في الإجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي(ط.2.)* .الشركة المتحدة للتوزيع .

الرازي. مُحَمَّد بن عمر بن الحسن(1997م).*المحصول*(ط.3.مج.1).مؤسسة الرسالة.

الرازي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي.(1420هـ). *مفاتيح الغيب*(ط.3.) .دار إحياء التراث العربي .

الرازي، فَخْر الدِّيْن مُحَمَّد بن عمر بن حسين.(د.ت.).مفاتيح الغيب (ط.3.،مج.8) .المطبعة البهية المصرية.

رضا ،مُحَمَّد رشيد بن علي رضا بن مُحَمَّد شمس.(1990). *تفسير المنار* (د.ط.،مج.7) .الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الزبيدي ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، *تاج العروس من جواهر القاموس* (مج21،35،1).دار الهداية.

الزركشي ،أبو عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر.(2000م) .*البحر المحيط في أصول الفقه* (د.ط.) .دار الكتب العلمية.

الزركشي، بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر.(1421هـ) . *البحر المحيط في أصول الفقه*(مج.6،1) .دار الكتب العلمية .

الزلمي، مصطفى إبراهيم.(2011م)،*أصول الفقه في نسيجه الجديد*.(د.ط.).المكتبة القانونية.

زيدان، عبد الكريم. (2009م). *المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاء*. مؤسسة الرسالة ناشرون .

السبت، خالد بن عثمان .(د.ت.).قواعد التفسير جمعًا ودراسة (د.ط.). دار بن عفان.

السبكي، علي بن عبد الكافي .(1995م).*الإبهاج في شرح المنهاج* (د.ط.،مج.3،2). دار الكتب العلمية.

السرخسي، مُحَمَّد بن أحمد بن أبي سهل(د.ت.) .*أصول السرخسي* (مج.1).دار المعرفة.

سلطان العلماء ، أبو مُحَمَّد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي. (1991 م). *قواعد الأحكام في مصالح الأنام* (د.ط.، مج.1).

سلطان العلماء ، أبو مُحَمَّد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي.(1991 م).*قواعد الأحكام في مصالح الأنام* (د.ط.، مج.1). مكتبة الكليات الأزهرية .

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد.(1997).*الموافقات*(مج.3،1). دار ابن عفان.

الشافعي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي.
(1990م).*الأم*(د.ط، مج.5).دار المعرفة

الشنقيطي ،مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني.(1995). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن* (د.ط.)، دار الفكر

الشنقيطي، عبد الله بن إبراهيم العلوي.(2011م).*نشر البنود على مراقي السعود*. المكتبة العصرية.

شهاب الدين ، أحمد بن مُحَمَّد بن عماد الدين بن علي.(1423). *التبيان في تفسير غريب القرآن*. دار الغرب الإسلامي.

الشوكاني ، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبدالله (1993م).*نيل الأوطار*(مج.7) .دار الحديث.

الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف.(1403هـ).*التبصرة في أصول الفقه*.دار الفكر.

الصاعدي، حمد بن حمدي.(1428هـ). قاعدة لا مساغ للاجتهاد مع النص. دار الكتب العلمية .

عباسي، نور الدين. (1429هـ).*التقريب بين القواعد الأصولية فيما لا نص فيه* ، دار ابن حزم.

العمري، نادية شريف.(2001م).*الاجتهاد في الإسلام أصوله ، أحكامه – آفاقه* . مؤسسة الرسالة.

الغزالي ، مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي.(1993م).*المستصفى*(مج.2).دار الكتب العلمية.

القاسمي ، مُحَمَّد جمال الدين بن مُحَمَّد سعيد بن قاسم الحلاق.(1418 هـ). محاسن التأويل(مج.1).دار الكتب العلمية.

القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن.(1994 م).*الذخيرة* (د.ط.مج.5).دار الغرب الإسلامي.

القرطبي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري.(1964).الجامع لأحكام القرآن (ط.2.،مج. 8 ،9 ،18).دار الكتب المصرية .

اللكنوي، عبد العلي مُحَمَّد بن نظام الدين مُحَمَّد السهالوي.(1423هـ).*فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت*(مج.1). دار الكتب العلمية .

الماوردي ،أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي. (1999 م).*الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام* .دار الكتب العلمية.

المحلي ، جلال الدين مُحَمَّد بن أحمد. (2009م). *شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع مع حاشية العطار* (مج1). دار الكتب العلمية.

المنياوي ،أبو المنذر محمود بن مُحَمَّد بن مصطفى بن عبد اللطيف(2011 م).*المعتصر من شرح مختصر الأصول من علم الأصول*(ط.2.) المكتبة الشاملة.

النسفي ،عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين.(1998 م).*تفسير النسفي* (مج.2).دار الكلم الطيب.

الهروي، مُحَمَّد بن أحمد الأزهري (2001م).*تهذيب اللغة*(مج.1).دار إحياء التراث العربي .

التوافقية وجدلية تقاسم السلطة عند توماس باين :الادوار والمسارات الوظيفية للتجربة العراقية بعد العام 2003 انموذجا

أ.د.صباح نعاس شنافه المنتفكي
جامعة بغداد كلية العلوم السياسية
sabah.col@copolicy.uobaghdad.edu.iq
009647717106783

أ.م.د.مُحَّدعزيز عبدالحسن البياتي
جامعة بغداد كلية العلوم السياسية
alaa35iray@gmail.com.
009647724105239

الملخص:

ظهر مفهوم الديمقراطية التوافقية في المجتمعات التي تمر بالمرحلة الانتقالية من حكم شمولي أو استبدادي الى حكم ديمقراطي انتخابي ..تجسد الديمقراطية التوافقية مرحلة اعادة الثقة وتجاوز المظالم التي الحقت بالاقليات والطوائف الدينية الموجودة في الدولة المعنية والتي تعرضت للاضطهاد أو التهميش من قبل القومية او الطائفة الدينية المهيمنة على للحكم في مرحلة ما قبل التحول الديمقراطي . الناشط السياسي بريطاني المولد والامريكي الجنسية (توماس باين) دعم وبشدة قيام الديمقراطية التوافقية التي تسمح بالانسجام والعمل المشترك سلميا بين جميع أطياف الشعب ،فالحكومة انما أنشأت لخدمة مصالح الجميع دون تمييز .ولدى (توماس باين) الديمقراطية التوافقية تسمح بتطور المفاهيم والمؤسسات السياسية بما يتلائم ومتطلبات كل جيل ..لقد تحدث (توماس باين) عن روح الديمقراطية بنفس فكرة الدستورية السياسية لدى الالماني كارل شميت والتي تهتم بروح الديمقراطية التي تحقق العدالة وفي ذات الوقت تحقق الانسجام والوحدة الوطنية .

مفهوم تقاسم السلطة الذي دعمه (توماس باين) طبق بشكل مختلف في العراق عن التجارب التي طبقتها الديمقراطيات التوافقية حيث تم اقتسام السلطة في العراق بما يتطابق مع مفهوم ووظيفة (المحاصصة) للمراكز والمناصب السياسية في البلاد وعلى عكس الديمقراطية التوافقية قادت المحاصصة وتقسيم السلطة في العراق الى زيادة التخندق وتعميق مفهوم ووظيفة الهويات القومية والدينية للحصول على مغانم تقسيم السلطة والمناصب السياسة والتي تقود حتما الى التشظي والتناحر بين اطياف الشعب على عكس مفهوم التوافقية السياسية التي تدفع باتجاه الوحدة الوطنية وزيادة الانسجام على اساس المصالح المشتركة لكل اطياف المجتمع في الدولة الواحدة.

الكلمات المفتاحية :

التوافقية ،توماس باين ، المحاصصة ، الفكر السياسي ،الدستورية السياسية

The Consociationalism and dialectic of power-sharing for Thomas Paine: The roles and functional course of the Iraqi experience after 2003 as a model

Prof.Dr.Sabah Naas ShnafaAlmantafki
Assistant Prof. Dr .Muhammad Aziz Abdul-Hassan Al –Bayati

Summary

The concept of consociation democracy appeared in societies going through the transitional phase from a totalitarian or authoritarian rule to an electoral democratic rule. Consensual democracy embodies the stage of restoring confidence and overcoming the grievances that befallen minorities and religious sects in the concerned state that have been persecuted or marginalized by nationalism or the dominant religious sect. To govern in the pre-democratic transition stage. British-born American political activist (Thomas Paine) strongly supported the establishment of consociation democracy that allows harmony and peaceful joint action among all spectrums of the people, as the government was established to serve the interests of all without discrimination. Every generation.. (Thomas Paine) spoke about the spirit of democracy with the same idea of political constitutionalism as the German Karl Schmidt, which is concerned with the spirit of democracy that achieves justice and at the same time achieves harmony and national unity

The concept of power-sharing supported by (Thomas Paine) was applied differently in Iraq from the experiences applied by consociation democracies, where power was shared in Iraq in accordance with the concept and function of (quotas) for political centers and positions in the country. Increasing retrenchment and deepening the concept and function of national and religious identities to obtain the benefits of dividing power and political positions, which inevitably leads to fragmentation and rivalry among the people's sects, in contrast to the concept of political consensus that pushes towards national unity and increasing harmony on the basis of the common interests of all spectrums of society in a single state.

المقدمة

أن مشكلة تطبيق الحكم الديمقراطي المستقر في الدول والمجتمعات المتكونة من عدد من القوميات والاديان ولضمان عدم تهميش او اضطهاد أي مجموعة عرقية او دينية من قبل حكم الاغلبية في النظام الديمقراطي جرى اللجوء الى النظام الديمقراطي التوافقي حيث يعمل فيه بتقسيم السلطة بين المؤسسات السياسية وبين الحكومة المركزية والاقاليم ذات الحكم الذاتي ،كان هذا الابتكار للديمقراطية التوافقية قد أسس بناءه المفكر (توماس باين)لادارة الدولة الامريكية بعد الاستقلال عام 1776، ليضمن حقوق كل المكونات والاطياف العرقية والدينية ولجميع سكان الاقاليم في الولايات المتحد الامريكية.

في التجربة العراقية للديمقراطية التوافقية بعد عام 2003 جرى تحويل التوافقية الى محاصصة سياسية للنخب السياسية واقتسام الغنائم وتعميق التخندق الطائفي والعرقي في العراق.

مشكلة البحث:

يدرس البحث مسببات ابتعاد العراق عن نموذج الديمقراطية التوافقية ويطرح الاسئلة لفهم ابعاد هذه المشكلة:

1.هل مارس العراق تجربة الديمقراطية التوافقية لضمان التحول نحو الديمقراطية المستدامة ؟

2.ما هو الفرق بين مفهوم تقاسم السلطة والمحاصصة السياسية ؟

3.ماذا اضافت تجربة التحول الديمقراطي للفكر السياسي الديمقراطي النظمي في العراق ؟

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من كون الدراسة المقدمة تهتم بمشكلة الديمقراطية التوافقية وانحراف التجربة العراقية عن اسس الديمقراطية التوافقية الى تطبيق نموذج المحاصصة وتقدم الدراسة مجموعة توصيات لإعادة العملية الديمقراطية في العراق بعد عام 2003 الى مسارها الطبيعي كديمقراطية تنافسية.

أهداف البحث:

تهدف الدراسة الى تحليل العوامل التي أضعفت الديمقراطية التوافقية في العراق وساعدت على ترسيخ مفهوم المحاصصة السياسية بديلا عن تقاسم السلطة بين مؤسسات الدولة في النظام الفدرالي العراقي لما بعد عام 2003.

حدود البحث:

حدود البحث الزمانية من 2003 لغاية 2022.

حدود البحث المكانية تجربة العراق في نموذج الديمقراطية التوافقية (المحاصصة).

فرضية البحث :

يعمل البحث على التحقق من الفرضية المطروحة للدراسة وهي:(أن التحول الديمقراطي في العراق بعد عام 2003 صاغ مناهج جديدةفي ادارة الحكم الديمقراطي وثبت مفهوم المحاصصة السياسية).

أدوات البحث:

دراسة نظرية.

منهج البحث:

جرى اعتماد المنهج التاريخي التحليلي لتبيان صحة الفرضية المقدمة في البحث.

المبحث الاول

طروحات " توماس باين " حول مفهوم وضرورة الديمقراطية التوافقية :

عاصر" توماس باين " حركة الاستقلال الامريكي وكان من الدعاة المؤثرين لتحقيق استقلال الولايات المتحدة الامريكية من سلطة الحكومة البريطانية ولكون الولايات المتحدة تتكون من عدد غير متجانس من الولايات التي خضعت للسيطرة الفرنسية والاسبانية والبريطانية ولكون سكان الولايات الامريكية جلهم من المهاجرين الاوربيين فلم يكن هنالك تجانس شديد بين مكونات الدولة الامريكية الحديثة التكوين عام 1776فلذلك دعم وبشدة (توماس باين) منهج الحكم بمفهوم (الديمقراطية التوافقية) التي لاتسمح بهيمنة مكون عرقي أو ديني على مقاليد السلطة والحكم في بلد متعدد الاعراق والاديان والثقافات ،واراد (توماس باين) ان تتوزع السلطة في البلاد مابين السلطات الثلاث لحكم البلاد وأن يكون حكم البلاد ديمقراطي توافقي أي تقسيم السلطة مابين الحكومة المركزية وحكومات الاقاليم المكونة للدولة الاتحادية الفدرالية وكما معمول به في الولايات المتحدة وكذلك دولة الهند .أكد (توماس باين) في طرحه لفكرة الديمقراطية التوافقية على روح المثل الديمقراطية وليس فقط مؤسساتها السياسية وهو يشدد ايضا على عدم تقييد الاجيال القادمة بماتم أنشاءه في مرحلة سابقة وانما لكل جيل بناء توافقاته وفقا لما يراه ملائم لحاجاته ومصالح الامة، كما يشددعلى علو سيادة الدولة كضرورة لإعلاء سلطة قانون الدولة على سلطة اي مكون أو قائد قومي أو ديني في الدولة الواحدة

المصدر:(Tomas Paine ,http://Plato.stanford.ed/entries)

فأذن ظهرت الحاجة الى الديمقراطية التوافقية في المجتمعات التي تتشكل من مجموعات عرقية ودينية متعددة وقد تكون متنافسة بشدة ،ولانهاء ظاهرة التهميشأوالاقصاء والاضطهاد لاي مكون من قبل الاغلبية العرقية او الدينية في الدولة عمد الى تبني نظام التوافقية الذي يجب أن يحقق أكبر قدر من المساواة والعدالة وضمان حقوق الاقليات وحقوق الانسان ، والديمقراطية التوافقية هي المرحلة الانتقالية في تاريخ الدول من مرحلة الحكم الشمولي أو الدكتاتوري الى الحكم الديمقراطي المستقر حيث تعمل ميكانيكية الحكم التوافقي على تحقيق الانسجام بين مصالح المكونات العرقية والدينية باتجاه تحقيق الوحدة الوطنية والسلم المجتمعي .فالديمقراطية التوافقية تتطلب تعاونا بين قادة القطاعات (الاعراق والاديان) على الرغم من الانقسامات العميقة التي تفصل بين هذه القطاعات ، حيث يفرض هنا الالتزام بصون وحدة البلد من قبل القادة السياسيين والتعامل بروح الاعتدال والحلول الوسط كونهم شركاء في البلد وليس اوصياء على بعضهم البعض (شاكر الانباري ، ص 26)

الباحث " أرنت ليبهارت " في كتابه (الديمقراطية التوافقية) أكد على أن تعاون النخب السياسية القيادية هو السمة الاولى المميزة للديمقراطية التوافقية (أرنت ليبهارت ،ص 12) ، كما أكد على ضرورة وجود مهندسين توافقيين من الزعماء السياسيين القادرون على الدمج بين متطلبات الديمقراطية ومتطلبات التوافق لقيادة مجتمع متعدد متنافر ومتنازع ، ويؤكد (ليبهارت) على ان نجاح القادة السياسيين للوصول عبر هذا المسار الى مستوى التطبيق الصحيح للديمقراطية التنافسية المستقرة ضرورة توفر الشروط التالية :

1. أن يقبل السياسي بالديمقراطية التنافسية هدفا اساسيا ونهائيا .
2. أن يكون تطبيق النموذج التوافقي أداة ضرورية لبلوغ ديمقراطية مستقرة تنافسية .
3. أن تكون مخرجات الديمقراطية التوافقية مقبولة لدى كل الاطراف المشاركة في عملية التحول الديمقراطي . (الديمقراطية التوافقية والدولة الوقفية في العراق

(الموقع الالكتروني .Law.uokerbala.edu.irq/wp)

المبحث الثاني

انواع النظم الديمقراطية

يصنف الباحث "Hideka Magara" النظم الديمقراطية على اساس القوى المؤثرة في صنع القرارات السياسية وهي لديه :

1. الديمقراطية الليبرالية وهي أقدم انواع الديمقراطيات المعمول بها في العالم ويجد الباحث ان سلطة التأثير على القرار تأتي من الجماهير حيث يمتلك الشعب حرية التظاهر والتنظيمات ، وفيها تحاول الاحزاب السياسية الاستجابة لمطالب الناخبين .
2. النموذج الاخر هو حكم ديمقراطية التكنوقراط العقلاني الذي يعتمد في اتخاذ القرارات على النخبة التكنوقراطية العقلانية مع وجود مؤسسات وطنية ضابطة للتوازن الديمقراطي وقد كان النموذج السويدي انجح النماذج في تطبيق هذا النموذج .
3. الديمقراطية تحت ظل رواد الاعمال التي تعتمد على طروحات ماركس ويبر الاخلاقية في تفسيرسلوك القادة رواد الاعمال بتجانس مع القيم الاخلاقية والدينية ، وهذا التطبيق للديمقراطية يعطي اهمية لادارة السلطة السياسية في النظام الديمقراطي للقائد ذوالشخصية الكارزمية والذيليس بالضرورة مرتبط بحزب سياسيوالمثال البارز دونالد ترامب الرئيس الامريكي (2017-2021)فهو لم يكن يمتلك جذور في العمل الحزبي ولكنه رجل اعمال ناجح.

التصنيفات الاخرى للديمقراطيات التوافقية المعمول بها في العالم يطرحها الباحث (Krzysztof Tzcinski , Krakow Universty)وتكون :

1 الديمقراطية التوافقية تكون فيها المشاركة السياسية لادارة البلاد مضمونة لكل مكونات الشعب في الدولة المتعددة الاعراق والاديان ويتحقق فيها ضمان حقوق وتمثيل كل مكونات الشعب وحفظ حقوق الانسان .

2.الديمقراطيات الجاذبة في الدول متعددة الاعراق والاديان تعمد فيها الى دمج الافراد المنتمين لمكونات مختلفة في العمل بمؤسسات الدولة دون تمييز

وذلك لتحقيق مستوى اعلى في الاندماج الاجتماعي وتطوير مفهوم الهوية الموحدة للافراد على اساس المواطنة الحرة والوحدة الوطنية .

3.يقترح الباحث نموذج الديمقراطية الهجينة التي تمزج بين النموذج الاول والثاني بما يحقق حقوق المكونات العرقية والدينية ويحقق في نفس الوقت اندماج الافراد بمجتمع متجانس دون الغاء الهويات الفرعية .

(المصدر : Krzysztof Trzcinski,Hybridpowersharing : on how to stabilizethe political situationinmultisegmentalsocieties,Krakow university ,2018) .

الديمقراطية التداولية تصنيف أخر لتطبيقات الديمقراطية في الحكم وهذه الديمقراطية تشترط مشاركة المواطن، كونه كيان مستقل وله حق المشاركة السياسية ، في دراسة ومناقشة القرارات التي تتخذ في الدولة بغرض تحقيق شرعية السياسات التي تطبقها الدولة سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي فمثلا قرار كإعلان الحرب يجب توفر قناعة المواطنين في شرعية وسلامة هكذا قرار فحرب الولايات المتحدة ضد فيتنام ، في النصف الاول من القرن العشرين، لم تلقى الدعم من المواطن الامريكي وبالتالي فقدت شرعيتها مما أجبر متخذ القرار الامريكي على انهاء الحرب دون تحقق نصر للقوات العسكرية للدولة العظمى –الولايات المتحدة الامريكية .

ويرى اصحاب نظرية الديمقراطية التداولية بانها انضج اسلوب ديمقراطي لضمان مصالح الامة وتحقيق الرضا الشعبي على سياسات الدولة .(Britannica.com , deliberative democracy)).

المبحث الثالث

الانتقال من التوافقية الى المحاصصة السياسية في العراق بعد عام 2005

بعد دخول القوات الامريكية الى بغداد عام 2003واعلان انتهاء حكم صدام حسين ونظامه السياسي وفي 12تموز 2003 جرى تشكيل مجلس الحكم الانتقالي المكون من الزعماء السياسيين الذين مثلوا المعارضة السياسية لحكم صدام حسين (مجلس الحكم في العراق الموقع الالكتروني : marefa.org) وجعل العضوية في هذا المجلس على اساس التمثيل النسبي لمكونات الشعب العراقي وعلى أساس الهويات الفرعية والولاءات العابرة للوطنية والتي تركز في ذات الوقت على تعميق التخندق والتجزؤ لاطياف الشعب (د. ياسين مُحَّد حمد ، ص 32)، ومن هنا بدء الانتقال بمفهوم الديمقراطية وتقاسم السلطة الى مفهوم تقسيم السلطةبنظام (المحاصصة) .

غالبية السياسيين في المجلس الانتقالي كان لديهم الاحساس بالمظلومية التي حرمتهم من المشاركة في فترة حكم صدام حسين ولذلك فقد قرروا أن تكون هذه المناصب السياسية التي يتمتعون بها بمثابة تعويض لهم عن سنوات التهميش والاضطهاد السياسي ،أصبح الامر شخصي أكثر مما هو وطني وتعزز ت فكرة التعويض عن الحرمان في الحملات الانتخابية منذ عام 2005 حيث جرى طرح المطالب السياسية والمناصب والوظائف الادارية كحقوق يجب اعادتها لمن همش أو اضطهد في العهد السابق .

مفهوم المحاصصة التي طبقت في العراق بعد عام 2003 ابتعدكثيرا عن روح الديمقراطيةحيث أن الديمقراطية تعمل وفق اطار انتخابي تنافسي يتولى من هو اكفأ في البلاد للمواقع السياسية العليا والوظائف العامة وتعتمد التنافس الحر في الانتخابات في بوتقة مصالح الامة وتمثيل جميع الاطياف الاجتماعية وحماية حقوقها، نظام المحاصصة الذي يطبق في العراقيعبر عنه بنظام الغنائم السياسية والاقتصادية فينظر لتوزيع الوزارات للكيانات والكتل السياسية على وفق المورد المالي المستحصل من هذه الوزارة او تلك ،و تغيب فيه المعايير الصحيحة في تمثيل الشعب فقاعدة التمثيل النيابي في الديمقراطيات هو تمثيل لكل الناخبين في البلاد وليس لمكون دون أخر ، كما اخترقت قاعدة

(الرجل/ المرأة المناسب في المكان المناسب) وتكليف الكفاءات السياسية العلمية والادارية تولي المناصب والمواقع السياسية والادارية العليا في البلد ، كذلك اصبحت الموارد المالية للدولة العراقية مغانم للقوى السياسية . أن اعتماد نظام المحاصصة السياسية يسحب البلد الى زيادة التناحر و النزاعات التي تضعف بالضرورة الديمقراطية السلمية.

المحاصصة تعني أن الحصة من البلد قد حددت ولا يجوز لأي طرف التحدث عن الفئة الاخرى أو تمثيل مصالحها ،كل يتكلم عن حصته وبهذا تجزأ الوطن الى خارطة مصالح محددة ومقننة لا يوجد حديث عن وطن وأمة ومصالح عليا للبلد .فالمحاصصة تدفع قيادة المكونات الى الحصول على أكبر عدد من الغنائم وتعميق الفروقات القطاعية للاستئثار بقيادة المكون المعين و بالسلطة السياسيةوالمناصب العليا في البلاد ، ففي العراق تم تقسيم المناصب العليا كالتالي :

1. رئاسة الجمهورية للمكون الكردي .
2. رئاسة الوزراء للمكون الشيعي .
3. رئاسة البرلمان للمكون السني .

لمناقشة توزيع الحصص هذه يظهر أن حصر هذه المواقع العليا بيد المكونات الغالبة بالعدد يؤسس:

1. لتهميش وحرمان القوميات والاديان الاخرى من المشاركة في ادارة البلاد وتمثيله من موقع المناصب السيادية العليا في البلد.

2. توريث المناصب السياسية ،فالمحاصصة تقود وترسخ توريث المنصب لجهة معينة دون اعتبار للتاريخ السياسي والانجازات السياسية التي تمتلكها الشخصية التي ترشح للمنصب من قبل مرجعيته السياسية .

3. العجز عن التحول لنظام ديمقراطي تنافسي مرتكز على معيار المواطنة والخدمة الوطنية لاستمرار القادة السياسيين على الاتكاء على هوياتهم الفرعية– العرقية

او الدينية – واهمال التركيز على الهوية والمطالب الوطنية واستمرار النخب السياسية تشجيع التخندقالقطاعي بين المكونات والعجز عن التحول العقائدي والجماهيري لمرحلة الانصهار في بوتقة ثقافة وطنية ووحدة وطنية صلبة .

4. تشظي الولاءات الوظيفية والخدمة العامة، فالوظائف العامة في البلد تأخذ ايضا بالمحاصصة فكل كتلة يخصص لها وزارة تكون هذه الوزارة مكتب تعيين بالوظائف العامة لمكون حصة الوزارة بذاته . والقوات المسلحة وفرق القوات المسلحة غير النظامية (المليشيات)خضعت لمعايير المحاصصة ايضا.

أن نظام المحاصصة في العراق جعل كل موارد الدولة تخضع لمعايير المحاصصة ونتائج المحاصصة في العراق عجلت باندلا ع ما يسمى بثورة 25 تشرين الاول 2019 التي فجرها الشباب الاعزل والذي يرى تاريخ بلده وموارده ومستقبله قد تشظى تحت رعاية المحاصصة السياسية، وكانت المطالب الشبابية تتلخص بشعار (نريد وطن)

الخاتمة والتوصيات

أن الحكم الديمقراطي في البلد يستلزم وجود دستور متفق عليه من قبل جميع مواطني الدولة وبناء المؤسسات السيادية التي مهمتها ادارة العملية السياسية واتخاذ القرارات ومراقبة ضمان حقوق الانسان وحقوق كل مكونات واطياف البلد.

والديمقراطية تتطلب القبول بتداول السلطة سلميا ولايخصص موقع سياسي لفئة اوطائفة او مكون بذاته وانما عبرالتنافس الانتخابي الدوري والنزيه، التجربة العراقية في ممارسة الحكم الديمقراطي ادخلت ظاهرة المحاصصة السياسية للمواقع والمناصب السياسية السيادية وفي توزيع الوظائف العامةوتوزيع الغنائم من

الموارد المالية تحت اليات صفقات الاستثمار والعقود مع الشركات الاجنبية مما اساء الى حقوق المواطن العراقي في تحقيق الاستقرار المالي والتنمية المستدامة للبلد.

ان الديمقراطية التوافقية لا تتطابق مع مفهوم المحاصصة وهي لا تمنح الرخصة لتحصيل المغانم حسب الاعراق والاديان، وان الديمقراطية التوافقية تمثل المرحلة الانتقالية نحو ترصين واستقرار الحكم الديمقراطي واذابة الفوارق والعدوات التاريخية بين اطياف الشعب ،أي ان روح الديمقراطية يجب ان تسمو بالمواطن الى القيم العليا للمصلحة الوطنية ونبذ العنف المجتمعي .

أن من اول مهام زعماء الكتل السياسية والقوميات والاقليات والطوائف الدينية المساهمة في تعزيز الممارسة الديمقراطية ونشر ثقافة الدولة مؤسسة حاضنة لكل الشعب بكل اطيافه ومكوناته .

المصادر

1. داود مراد حسين الداودي ، المشاركة السياسية وتأثيرها في السياسة الخارجية الامريكية ،بغداد 2013.
2. لويس فيشر ، سياسات تقاسم القوى، ترجمة مازن حداد، عمان ، 1994.
3. منتصر العيداني وأخرون ،المؤشر الوطني للتحول الديمقراطي في العراق ،بغداد ، 2021.
4. شاكر الانباري ، الديمقراطية التوافقية مفهومها ونماذجها ،بغداد ، 2007 .

5. د. ياسين مُحَمَّد حمد العيثاوي ، الانعكاسات السلبية للمحاصصة السياسية على البنية المؤسسية والمجتمعية للنظام الديمقراطي في العراق ،مجلة دراسات دولية ، العدد60 لسنة 2015 ، بغداد.
6. Ronald L. Watts, Comparing Federal Systems,Canada, 2005 .
7. أرنت ليبهارت ، الديمقراطية التوافقية ،ترجمة حسين زينه ،بغداد ، 2007 .
8. Direct mite du/books ,deliberative democracy.
9. https:// plato. standford.ed/entries.
10. Hideka Magara ,policy change under new capitalism democracy .
11. Law.uokerbala.edu.irq/wp
12. Britannica.com/topic, deliberative democracy.

قاعدة الكفارات إذا اجتمعت تداخلت وتطبيقاتها الفقهية

د.شيرين أكرم سعيد

قسم الدراسات الإسلامية/ كلية الحكمة الجامعة/ بغداد – العراق

shereenalrawi89@gmail.com

009647702604217

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على قاعدة من القواعد الفقهية المهمة وهي قاعدة الكفارات إذا اجتمعت تداخلت، من خلال بيان معناها، وأقوال العلماء فيها، وربطها مع تطبيقاتها الفقهية المبثوثة في مواضع مختلفة من أبواب الفقه، مع ذكر الصور التي تندرج تحت مفهوم القاعدة والتي لا تندرج فيها، وذلك لحاجة الناس الماسة والمستمرة الى معرفة حكم من وقع في محظور يستوجب عليه كفارة ثم وقع في محظور آخر ولم يكفر عن الأول، فهل يلزمه كفارة واحدة، أم عليه لكل محظور كفارة؟، كما واعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي المقارن، وذلك من خلال عرض مفردات القاعدة، وتصويرها وبيان معناها وصيغها بأسلوب علمي واضح مستخدما تنظيما معينا للوصول إلى الحقائق والنتائج، والتي من أهمها أن الفقهاء متفقون على أنه في حال كون المحظور الثاني من غير جنس المحظور الأول: يكون على الشخص كفارتان؛ كفارة للمحظور الأول، وكفارة ثانية للمحظور الثاني، أما أن كان المحظور الثاني من جنس المحظور الأول؛ فهذا الذي عليه مدار القاعدة وفيها اختلف الفقهاء في تحديد الصور التي تتداخل فيها الكفارات.

الكلمات المفتاحية: القواعد الفقهية، مفهوم الكفارة، تداخل الكفارات، تكرار الوقوع في المحظور، العقوبات.

Base the Expiations, if They Meet, Overlap and its Legal Applications

Ph. D. Shereen Akram Saeed
Department of Islamic Studies/ Al-Hikma University College/ Baghdad – Iraq
shereenalrawi89@gmail.com
009647702604217

Abstract:
This research aims to shed light on one of the important jurisprudential rules, which is the rule of atonements if they meet and overlap, by clarifying its meaning, and the sayings of scholars in it, and linking it with its jurisprudential applications transmitted in different places in the fields of jurisprudence, with mentioning the images that fall under the concept of the rule and which is included in it, and that is due to the people's urgent and continuous need to know the ruling on someone who falls into a prohibited act that requires penance, then falls into another prohibited and did not atone for the first?. This research also relied on the comparative analytical descriptive approach, by presenting the vocabulary of the rule, depicting it and clarifying its meaning and formulas in a clear scientific manner using a specific organization to reach the facts and results, the most important of which is that the jurists agree that in the event that the second prohibition is not of the type of the first prohibited; the person must have two expiations. An expiation for the first prohibited, and a second penance for the second prohibited. If the second prohibited is of the same type as the first prohibited; this is the one that has the orbit of the rule and in it the jurists differed in determining the forms in which the expiations overlap.

Keywords:
jurisprudence rules, the concept of atonement, the overlap of atonements, the repetition of falling into prohibited matters, penalties.

المقدمة

أن قاعدة الكفارات اذا إجتمعت تداخلت هي من ضمن منظومة كبيرة من القواعد الفقهية، ولا شك أن دراسة القواعد الفقهية يسهل حفظ الفروع ويغني عن حفظ أكثر الجزئيات كما قال القرافي **(د.ت):** " ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات لإندراجها في الكليات" **(ص.3).**

والفقهاء مختلفون في هذه القاعدة ويستدل القائلون بها كثيرا لا سيما في مجال الجنايات والعقوبات إلا أنها لم تبرز كغيرها من قواعد الفقه؛ فلم ينص على أدلتها، ولم يركز على مسائلها كما ركز على أدلة ومسائل بعض القواعد الفقهية التي هي مثلها في الأهمية، وعادة ما يُمثل لها بمثالين أو ثلاثة – في الغالب – دون بيان معناها، أو تأصيلها الشرعي والأدلَّة التي تدلُّ عليها، ومع أنَّ هذه القاعدة من أكثر قواعد الفقه التي يسأل عنها الناس لكثرة الوقوع في المحظورات التي تستوجب كفارة عليها لاسيما إن تكرر منهم فعل المحظور ولم يكفروا عنه. وفي هذا البحث ربط بين القاعدة وبين تطبيقاتها الفقهية المبثوثة في مواضع مختلفة من أبواب الفقه. من خلال الاجابة عن الأسئلة الآتية:

1- ما معنى القاعدة، وهل لها صيغ أخرى عند الفقهاء؟
2- هل القاعدة متفق عليها بين الفقهاء أم مختلف فيها؟
3- ما أقوال العلماء فيمن ارتكب محظوراً ما يستوجب كفارة، وقبل أن يكفر عنه، تكرر منه فعل محظور آخر، فهل تكفيه كفارة واحدة عن الفعلين أم لا بد من كفارة لكل فعل؟

أهمية البحث:

يهتم البحث بالتعريف بقاعدة "الكفارات اذا اجتمعت داخلت" وبيان أهميتها بين القواعد الأخرى. فكم من قاعدة من القواعد الصغرى التي يظن بعض أهل العلم أنها تعالج مسائل فرعية محصورة، لكن عند دراسة مثل هذه القواعد فإن هذا التصور يختلف تماماً ؛ فيجدها قاعدة ذات طابع شمولي واسع.

أهداف البحث:

1- تسليط الضوء على هذه القاعدة وبيان أهميتها، وجمع أشتاتها عن طريق الربط بين هذه القاعدة وبين تطبيقاتها الفقهية المبثوثة في مواضع مختلفة من أبواب الفقه.
2- حاجة الناس الماسة والمستمرة الى معرفة حكم من وقع في محظور يستوجب عليه كفارة ثم وقع في آخر ولم يكفر عن الأول.

منهج البحث:

في هذه الدراسة استخدمت المنهج الوصفي التحليلي المقارن:

1- المنهج الوصفي: وذلك بعرض القاعدة، وتصويرها وبيان معناها وصيغها من المصادر والمراجع ذات العلاقة بالقواعد الفقهية والأحكام الشرعية.
2- المنهج التحليلي: وذلك بدراسة مفردات القاعدة بأسلوب علمي واضح مستخدما تنظيما معينا للوصول إلى الحقائق والنتائج.
3- المنهج المقارن: وذلك بالمقارنة بين أقوال الفقهاء وتأصيلهم، لاسيما وأن هذه القاعدة من القواعد المختلف فيها عند أهل العلم.

هيكلية البحث:

يتوزع البحث على مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة ، يوضح المطلب الأول معنى القاعدة من خلال بيان معنى الكفارات وأنواعها، أما المطلب الثاني فيتضمن بيان الصيغ الاخرى للقاعدة وأقوال العلماء فيها مع الأدلة، في حين ركز المطلب الثالث على ذكر أهم التطبيقات الفقهية لهذه القاعدة، ثم الخاتمة تتضمن أبرز ما تم التوصل إليه في البحث.

المطلب الأول

معنى القاعدة

الفرع الأول: تعريف الكفارات وأنواعها

أولاً: تعريف الكفارات

في اللغة: الكفارات جمع كفارة. وهي مأخوذة من الكفر "والْكَفْرُ فِي الْأَصْلِ السَّتْرُ يُقَالُ كَفَرَهُ وَكَفَّرَهُ إِذَا سَتَرَهُ" (المطرزي،1979،ص.224). يقول ابن منظور (1414هـ): "وسميت الكفارات كفارات؛ لأنها تكفر الذنوب؛ أي تسترها"(ص.95).

أما اصطلاحاً: قال الكاساني(1986): "الكفارة في عرف الشرع: اسم للواجب" (ص.95). أي: ما أوجبه الله (عز وجل) على من أتى شيئاً منهياً عنه، أو قصر في مأمور به، وقال النووي (د.ت.) في تعريفها: "وأما الكفارة فأصلها من الكَفْرِ بفتح الكاف وهو الستر؛ لأنها تستر الذنب وتُذهبه، ثم استُعمِلت الكفارة فيما وجد فيه صورة مخالفة أو انتهاك وإن لم يكن فيه إثم، كالقاتل خطأ وغيره" (ص.333). وقال المناوي (1990): "ما وجب على الجاني جبراً لما منه وقع، وزجرا عن مثله" (ص.282).

من تعاريف الفقهاء يرى الشيخ عبد القادر عوده (د.ت.) أن الكفارة دائرة بين العبادة والعقوبة، وإن كان الأصل هو العبادة، فهي إن فرضت على عمل لا يعد معصية: فهي عبادة خالصة ؛ لإشتراط النية فيها،كالإطعام بدلاً من الصوم لمن لا يطيق الصوم، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ (القرآن الكريم،البقرة:184)، أما إذا فرضت على ما يعتبر معصية: فهي عقوبة، كالكفارة في القتل الخطأ، أو الظهار، أو الحنث في الإيمان، وهذا ما جعل بعض العلماء يسميها عقوبة تعبدية.

وهذا الكلام فيه نظر؛ بل الكفارة عقوبة مقدرة على ما كان في مقابل معصية بقصد التكفير عن إتيانها، وأما ما كان في مقابل عمل لايعد معصية فهي فدية وليست كفارة، ذكر بدر الدين الزركشي (1985) في بيان الفرق بين الفدية والكفارة قائلا: "أن الكفارة لا تجب إلا عن ذنب تقدم، بخلافه الفدية" (ص.21). يقول الشامي (2018) تعقيباً على كلام الزركشي:

فالكفارة ناشئة عن ارتكاب ممنوع سواء على سبيل القصد في سائر الكفارات، أو على سبيل الخطأ في قتل الخطأ؛ تعظيماً لشأن النفس الإنسانية، وعادة ما تكون الكفارة تالية لوقوع التصرف الممنوع، بخلاف الفدية فهي شرعت مقابل الإعفاء عن مطلوب شرعاً بحيث يُقبِل المكلف على البدل وفق إذن مسبق من الشارع، ليكون الفعل مشروعاً من أساسه. (ص.18)

ثانياً: أنواع الكفارات

الكفارات التي فرضتها الشريعة الاسلامية أربع متمثلة: بالعتق، والإطعام، والكسوة، والصيام (**عوده، د.ت.**)، لخمس محظورات هي: القتل الخطأ، والوطء في نهار رمضان، وفعل محظور من محظورات الحج، والظهار، والحنث في الأيمان، وبيان ذلك:

أولاً: العتق: أي تحرير أحد الأرقاء (العبيد)، والرق يجزأ في اسقاط أربع محظورات، والتي هي:

1- القتل الخطأ: قال الله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ﴾ (القرآن الكريم،النساء: 92).

2- الوطء في نهار رمضان: فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْتُ، قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُول ُالله ﷺ: هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟" (**مسلم، د.ت.، ص.781**).

3- الظهار: قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ (القرآن الكريم،المجادلة: 3).

4- الحنث في الأيمان: قال الله تعالى: ﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ (القرآن الكريم، المائدة:89).

وقد اشترط الفقهاء في الرقيق المعتق شروط خاصة لا محل لذكرها هنا، واليوم وقد بطل الرق في العالم كله تقريباً، لاسيما بعد أن انضمت الدول الإسلامية لبقية دول العالم في تحرير الأرقاء، ومنع الرق، وانسجاماً مع مقاصد الإسلام العظيمة في تحرير الأرقاء، وفي منع استرقاق البشر بالطرق غير الشرعية كالسرقة والخطف، نجد أن أهل العلم المعاصرون مختلفون فيمن وجب عليه تحرير رقبة فوجد ثمنها ولم يجد الرقبة؛ هل يُعدُّ في حكم الواجد للرقبة أو لا؟ والذي رجحه الشيخ عبدالقادر عوده(**د.ت.**) أن من وجب عليه تحرير رقبة، فوجد ثمنها ولم يجد الرقبة يُعدُّ في حكم الواجد للرقبة، ويتصدق بثمنها على المساكين.

ثانياً: الإطعام: والمقصود به إطعام المساكين، وكفارة الإطعام أما أن تكون لعشرة مساكين، أو ستين مسكيناً، أو ستة مساكين، أو مقدرة بقيمة الصيد، وذلك تبعاً لنوع المحظور الذي ارتكب:

1- فيكون الإطعام لعشرة مساكين في كفارة اليمين، قال الله تعالى: ﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ (القرآن الكريم،المائدة:89).

2- أو يكون لستين مسكيناً في حالة العجز عن الكفارات الأخرى -كفارة عتق الرقبة وصيام شهرين متتابعين- في حالتين هما: إفساد الصوم والظهار، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْتُ، قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ: فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟"(**مسلم، د.ت.، ص.781**)، وفي الظهار قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ (القرآن الكريم،المجادلة: 3-4).

3- أو يكون الإطعام لستة مساكين حال ارتكاب المحرم أحد هذه المحظورات؛حلق الشعر، وقص الأظافر، وتغطية الرجل رأسه بملاصق، ولبس الرجل ما خيط على هيئة البدن، واستعمال الطيب، وانتقاب المرأة ولبسها القفازين، عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ وَأَنَا أُوقِدُ تَحْتَ قِدْرٍ لِي، وَالْقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَلَى وَجْهِي، فَقَالَ: "أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّ رَأْسِكَ؟" قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ:" فَاحْلِقْ، وَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ، أَوْ انْسُكْ نَسِيكَةً" (مسلم، د.ت.، ص.859)

4- أو يكون بحسب قيمة الصيد تعطى لإطعام المساكين في قتل الصيد حال الإحرام، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ (القرآن الكريم، المائدة: 95). وقد اختلف الفقهاء في مقدار الطعام الذي يعطى لكل مسكين من المساكين بين المد والمدان، يقول ابن رشد (1975):

والسبب في اختلافهم في ذلك؛ اختلافهم في تأويل قوله تعالى ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ (القرآن الكريم، المائدة: 89)، هل المراد بذلك أكلة واحدة، أو قوت اليوم، وهو غداء وعشاء؟ فمن قال: أكلة واحدة قال: المد وسط في الشبع. ومن قال: غداء وعشاء قال: نصف صاع. ولاختلافهم أيضا سبب آخر، وهو تردد هذه الكفارة بين كفارة الفطر متعمدا في رمضان وبين كفارة الأذى؛ فمن شبهها بكفارة الفطر قال: مد واحد، ومن شبهها بكفارة الأذى قال: نصف صاع. (ص.417)

رابعاً: الكسوة: الكسوة تدخل في كفارة اليمين فقط، ولا يجزئ في الكفارة أقل من كسوة عشرة مساكين قال الله تعالى: ﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ ﴾ (القرآن الكريم، المائدة:89). يقول ابن رشد(1975):

المجزئ من الكسوة فإن مالكا رأى أن الواجب في ذلك هو أن يكسي ما يجزئ فيه الصلاة، فإن كسا الرجل كسا ثوبا، وإن كسا النساء كسا ثوبين درعا وخمارا. وقال الشافعي وأبو حنيفة: يجزئ في ذلك أقل ما ينطلق عليه الاسم: إزار، أو قميص، أو سراويل، أو عمامة. وقال أبو يوسف: لا تجزي العمامة، ولا السراويل. وسبب اختلافهم هل الواجب الأخذ بأقل دلالة الاسم اللغوي أو المعنى الشرعي. (ص.418)

خامساً: الصيام: والصوم لا يكون عادة إلا في حالة العجز عن الكفارات الأخرى، وتختلف مدة الصيام باختلاف المحظور التي يكفر عنها، فقد تكون ثلاثة أيام، أو شهرين متتابعين، أو الصيام بعدد المساكين الذين يمكن إطعامهم، وكما يلي:

1- ثلاثة أيام كما في كفارة اليمين، وحال ارتكاب المحرم أحد محظورات الحج عدا قتل الصيد، كحلق الشعر، وقص الأظافر، وغيرها، قال تعالى ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ (القرآن الكريم، المائدة: 89)، وما بينه النبي ﷺ لكعب بن عجرة ﷺ ، قَالَ:" فَاحْلِقْ، وَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ، أَوْ انْسُكْ نَسِيكَةً" (مسلم، د.ت.، ص.859).

2- صيام شهرين في حالتين: القتل الخطأ، والظهار، والجماع في نهار رمضان، قال تعالى ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾(القرآن الكريم، النساء: 92)، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْتُ، قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ "(مسلم، د.ت.، ص.781)

3- الصيام بعدد المساكين الذين يمكن إطعامهم وذلك في حال قتل الصيد حال الإحرام، قال تعالى ﴿مَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾(القرآن الكريم، المائدة: 95).

الفرع الثاني: تعريف التداخل

التداخل في اللغة: "تشابه الأمور والتباسها ودخول بعضها في بعض" (ابن منظور،1414هـ،ص.239). وفي الاصطلاح: "ترتب أثر واحد عند اجتماع أمرين، أو أكثر، متفقين، أو مختلفين: من جنس واحد، أو من جنسين؛ لدليل شرعي" (منصور،1998،ص.18).

فالتداخل كما نص عليه غير واحد من الفقهاء بأنه ليس هو الأصل في أحكام الشريعة، بل هو حالة استثنائية من الأصل، وخروج عن مقتضى القياس، يقول العز بن بعد السلام (1991): "التداخل على خلاف الأصل، والأصل تعدد الأحكام بتعدد الأسباب" (ص.252)، لأن الأصل تكرر الأحكام بتكرر موجباتها، ولكنه كما يعلله بعض الفقهاء يصار الى التداخل لمكان التوسعة ورفع الحرج والمشقة عن المكلفين أجري الاستثناء تحقيقاً لمقصود الشارع في النظر في مآلات الأفعال، وهو واقع في الشريعة في العبادات والعقوبات والإتلافات، فيقع في الطهارة والصلاة والصيام والكفارات والحدود والأموال(منصور،1998)، يقول القرافي (1994): "يقع التداخل في الشريعة في ستة مواضع الأول:الطهارات... الثالث:الكفارات كما لو أفطر في رمضان في اليوم الواحد مراراً" (ص.310-311).

غير أن التداخل الذي يصح إعماله قد قيده العلماء بقيدين لابد منهما جميعًا وإلا وجب البقاء على الأصل من عدم التداخل، وهما:

- القيد الأول: اتحاد الجنس: يشترط لصحة التداخل أن يكون ذلك مع اتحاد الجنس؛ أي الفعل، كان يجامع زوجته اكثر من مرة في نهار رمضان، أما مع اختلاف الجنس فلا تداخل كما لو ارتكب المحرم محظورات مختلفة الأجناس كأن يلبس مخيطًا ويغطي رأسه ويتطيب؛ فالطيب وتغطية الرأس ولبس المخيط أجناس، فيلزمه ثلاث كفارات.
- القيد الثاني: أن يكون ذلك قبل الأداء لا بعده: فإذا تعددت أسبابٌ الكفارة فإن من المشترط حتى يصح التداخل ويكفيَ الإتيانُ بموجَب السبب مرة واحدة أن لا يكون المكلف قد أتى بالكفارة قبل حدوث سبب آخر بعدها، فإذا حدث سبب آخر بعد اداء الكفارة وجب تكرار الأثر الذي أوجبه ذلك السبب مرة أخرى ولم يجز الحكم بالتداخل، وقد عبر عن هذا القيد قول الفقهاء: التداخل قبل الأداء لا بعده (السرخسي، 1993، ص.75).

وقد فرق الحنفية في تحديد محل التداخل في الأحكام الشرعية بين كل من العبادات والعقوبات؛ فقالوا أن الأليق في العبادات أن يكون التداخل في الأسباب، وفي العقوبات يكون في الأحكام؛ لأنه إذا كان التداخل في العبادات في الحكم أدى الى بطلان التداخل، ولأن التداخل إن كان في الحكم دون السبب كانت الأسباب باقية على تعددها، فيلزم وجود السبب الموجب للعبادة بدون العبادة، وفي ذلك ترك الإحتياط فيما يجب فيه الإحتياط، فقيل بتداخل الأسباب فيها. أما في العقوبات فإن الأليق فيها التداخل في الأحكام؛ لأنها ليس مما يحتاط فيها، بل في درئها احتياط (ابن عابدين،1992؛ الكاساني، 1986). في حين يرى جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة أن محل التداخل يكون في الأسباب لا الأحكام (ابن قدامة، 1997؛ بدر الدين الزركشي، 1985؛ القرافي، د.ت). يقول منصور (1998):

إن المؤثر في حصول التداخل ليس تكييف ماهية المحل وتحديده، سببا كان، أو حكماً، بل هو وجود أدلة خارجة عن نطاق المحل، ترجح جانب التداخل، وتكون قرينة على حصوله، وهي أسباب التداخل... فإذا اتحد مقصود الشرع من

شرع الحكم، واتفقت المحال، واتحد المجلس مثلا، كان اجتماع هذه الثلاثة مسوغاً للتداخل. وإذا اختلف المقصود، والمحل، والمجلس، كان الحكم بالتعدد هو المتعين. وإذا اتحد المقصود، واختلفت المحال، نظر؛ فإن اتحد المجلس وهو من أسباب التداخل، كان اتحاد المجلس سببا في تقوية جانب التداخل، وإن اختلف المجلس، كان ذلك قرينة على إرادة التكرار والتعدد، وعدم حصول التداخل. (ص.55-56)

وأسباب التداخل كثيرة، منها: النصوص الشرعية من القرآن والسنة التي جاءت مبينة لمشروعة التداخل، واتحاد المجلس، واتحاد السبب، واتحاد الجنس، والعذر الذي يلحق بتركه مشقة بالغة بالمكلف، والضرورة (منصور، 1998).

الفرع الثالث: معنى تداخل الكفارات اجمالاً

وأما التداخل في الكفارات فهو صورة من صور تداخل الأسباب؛ لأن التداخل في العقوبات يكون نتيجة أكثر من مخالفة، أي له أكثر من سبب فتتداخل عقوبتهما عليه، وتبعاً لذلك فتداخل الكفارات: هو ايقاع عقوبة واحدة على تكرار نوع واحد من المحظورات، أو على محظورات متنوعة إذا اتحد الغرض الموضوع لأجله. أي أنه في حالة تعدد الكفارات على الشخص يدخل بعضها في بعض بحيث فيعاقب على جميعها بكفارة واحدة (السعيدان، د.ت).

المطلب الثاني

صيغ القاعدة وأقوال العلماء فيها

الفرع الأول: صيغ أخرى للقاعدة

موضوع القاعدة هو هل تتدخل الكفارات إذا اجتمعت؛ أي أنه في حالة تعدد الكفارات على الشخص هل يدخل بعضها في بعض بحيث فيعاقب على جميعها بكفارة واحدة؟ هذا هو محطّ الاستفهام ومورد السؤال الذي أتت به الصيغة المختارة للقاعدة لبيانه، ومنه يعلم أن القاعدة محل خلاف بين أهل العلم، وقد وردت الصيغ الأخرى للقاعدة تحت مجموعتين؛ مجموعة قررت القول بالتداخل, ومجموعة نصت على عدم التداخل

أولاً: القائلين بالتداخل – موافق للقاعدة-: يورد الفقهاء رحمهم الله القائلين بها صيغ أخرى للقاعدة منها:

1- الكفارات تتداخل (ابن عثيمين، 1428هـ، ص.253).

2- الكفارات زواجر فتتداخل (شمس الدين الزركشي، 1993، ص.598).

3- من كرر محظورا من جنس ولم يكفر عن الأول فكفارة واحدة (ابن مفلح، 2003، ص.535).

بل جعلها البعض فرع وتطبيق لعدة قواعد منها:

أ- قاعدة "العقوبات إذا اجتمعت تداخلت"(ابن مازة،2004، ص.357).

ب- قاعدة "الأسباب إذا تساوت موجباتها اكتفي بأحدها "(ابن شاس،2003، ص.14).

ت- قاعدة " إذا اجتمع أمران من جنس واحد ولم يختلف مقصودهما دخل أحدهما في الآخر غالباً" (ابن نجيم،1999،ص.112).

ثانياً: القائلين بعدم التداخل – خلاف القاعدة-:

1- قاعدة "الكفارات لا تتداخل" (السرخسي، 1993، ص.74).

2- قاعدة "لا تداخل في الكفارات" (ابن عبد السلام، 1991، ص.252).

الفرع الثاني: أقوال الفقهاء في القاعدة:

هذه القاعدة من القواعد المختلف فيها بين الفقهاء رحمهم الله في هل تتداخل الكفارات اذا إجتمعت أم لا تتداخل، بتعبير آخر: إذا ارتكب شخص ما محظوراً يستوجب كفارة، وتكرر منه فعل المحظور قبل أن يكفر عن الفعل الأول، فهل تكفيه كفارة واحدة عن الفعلين أم لا بد من كفارة لكل فعل؟.

أولاً: تحرير محل النزاع:

وقبل بيان أقوال الفقهاء في المسألة لابد من تحرير محل النزاع؛ إذا فعل الإنسان محظورًا في ما مضى ثم فعل محظورًا آخر فلا يخلو من حالتين، إما أن يكون المحظور الثاني من جنس المحظور الأول أو لا:

- فإن كان المحظور الثاني من غير جنس المحظور الأول: بأن فعل المحظور الثاني يوجب شيئًا جديدًا وهو أثره من الكفارة، فيكون على الشخص كفارتان؛ كفارة للمحظور الأول، وكفارة ثانية للمحظور الثاني، وذلك كمن جامع في نهار رمضان وحلق شعره وهو محرم وجب عليه كفارة الجماع، وكفارة الحلق، أو كمن يحلف بالله تعالى على شيء، ويظاهر من امرأته، فإن حنث في يمينه فعليه كفارة يمين وكفارة ظهار؛ لأن التداخل يكون مع اتحاد الجنس وهذا لا خلاف فيه بين الفقهاء **(عبدالرحمن المقدسي، د.ت)**.
- وأما أن يكون المحظور الثاني من جنس المحظور الأول فلا يخلو هذا من حالتين كذلك: إما أن يكون قد أخرج موجب الأول قبل فعل الثاني أو لا:
  - فإن كان قد أخرج موجب الأول قبل فعل المحظور الثاني: فإن فعل الآخر يوجب كفارة أخرى كذلك باتفاق الفقهاء **(السرخسي، 1993؛ السعيدان، د.ت)**.
  - وأما إذا لم يخرج موجب الأول حتى فعل الثاني فإنه في هذه الحالة ذهب الفقهاء فيها الى قولين كما يلي.

ثانيا: أقوال الفقهاء في المسألة:

إذا ارتكب شخص محظوراً يستوجب كفارة، وقبل أن يكفر عنه، تكرر منه فعل نفس المحظور، فهل تكفيه كفارة واحدة عن الفعلين أم لا بد من كفارة لكل فعل؟، فقد ذهب الفقهاء في ذلك على قولين:

القول الاول: ذهب الحنفية وهو وجه عند الحنابلة إلى أن الكفارات إذا تراكمت تداخلت مادامت من جنس واحد، لذا فإن عليه كفارة واحدة عن الفعلين. **(ابن مفلح،2003؛ السرخسي، 1993)**، ووافقهم الزيدية والأباضية في ذلك **(ابن مرتضى، د.ت؛ اطفيش، 1989)**.

القول الثاني: ذهب المالكية، والشافعية، وهو الوجه الثاني عند الحنابلة إلى أن الكفارات لا تتداخل، وتبعاً لذلك فإنه عليه كفارتين **(ابن عبد البر،1980؛ ابن مفلح،2003؛ النووي،1991)**، ووافقهم الجعفرية في ذلك **(الحلي،1969)**.

وهنا نجد أن العمل بهذه القاعدة هو مذهب الحنفية، ووجه عند الحنابلة، وخالفهم الجمهور ؛ فلم يقولوا بتداخل الكفارات عند اتفاق الأسباب في موجَباتها؛ استدلالا منهم بأنه من الباطل أن يجزئ عمل واحد عن عملين أو أكثر. وهذا الإختلاف مبني على اختلافهم في حقيقة مفهوم التداخل في الأحكام الشرعية، والتي بدورها تقودنا الى مسألة مهمة أشار إليها الأصوليين وهي هل الأمر المطلق يقتضي المرة، أو التكرار؟، وبالوقوف على حقيقة هذه المسألة ورأي الأصوليين فيها سنصل الى تأصيل وبيان مفهوم التداخل، وبالتالي الى مسألتنا في تداخل الكفارات التي نحن بصددها.

ونظراً لكون المسألة قد بحثت من قبل المتقدمين والمتأخرين من الأصوليين، فسيكتفى ببيان الرأي الذي استقر عليه العلماء في أن الأمر المطلق لا يخلو من حالتين؛ الأولى: أن تدل القرينة على إرادة التكرار والتعدد وعدم التداخل، وهو الأصل في

مسائل التعدد. والثانية: أن تدل القرينة على عدم التعدد وإرادة التداخل، وهذه القرينة هي ذاتها الأسباب الداعية للتداخل كاتحاد الجنس والمجلس وغيرها(منصور،1998).

المطلب الثالث

التطبيقات الفقهية لقاعدة الكفارات إذا اجتمعت تداخلت

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بإيجاب الكفارة على المكلف في حال ارتكاب احد المحظورات الخمس والمتمثلة بالجماع في نهار رمضان، وارتكاب محظور من محظورات الإحرام، والظهار، والقتل الخطأ، والحنث في اليمين.

وفي هذا المطلب بيان للقاعدة من خلال تطبيقاتها الفقهية على التداخل في الكفارات:

الفرع الأول: التداخل في كفارة المجامع في نهار رمضان

لا خلاف عند الفقهاء في وجوب الكفارة على من أفسد صوم يوم من رمضان متعمداً بالجماع (ابن قدامة،1997)، وكفارة ذلك على الترتيب الآتي ؛ عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا. والأصل في هذا حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْتُ، قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ: فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟ قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ، أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ، وَالْعَرَقُ: الْمِكْتَلُ (وعاء يشبه القفة)، قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟ فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ (أي ما بين طرفي المدينة) أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ"(مسلم، د.ت.، ص.781).

ولا تخلو صور تكرار الشخص للجماع في يوم أو أيام من نهار رمضان اجتماع من أربع صور:

الصورة الأولى: إذا جامع ولم يكفّر حتى جامع مرة ثانية في نفس اليوم: اتفق الفقهاء على أن من جامع ولم يكفّر حتى جامع مرة ثانية في نفس اليوم أن عليه كفارة واحدة؛ لأنه انتهك حرمة يوم واحد، فوجبت عليه كفارة واحدة، أما الجماع الثاني فلم يتضمن هتكاً للصوم، فهو في الحقيقة غير صائم، والكفارة تلزم في حال كونه أفسد صوماً صحيحاً (ابن رشد،1975؛ ابن قدامة،1997؛ السرخسي،1993؛ النووي،1991).

الصورة الثانية: إذا جامع فكفّر ثم جامع مرة ثانية في يوم آخر: كذلك اتفق الفقهاء على أن من جامع فكفّر، ثم جامع مرة ثانية في يوم آخر أن عليه كفارتين (تعدد الكفارات)؛ لتعدد المقتضي للكفارة الجديدة وهو تكرار فعل الجماع؛ فالحكم يتكرر بتكرر سببه؛ ولأن التداخل وإن صح لا يكون إلا قبل التكفير الأول لا بعده، وهنا حصل التكفير قبل الجماع الثاني، فلا تتداخل كفاراتها (ابن رشد،1975؛ ابن قدامة،1997؛ السرخسي،1993؛ النووي،1991).

الصورة الثالثة: إذا جامع ولم يكفّر حتى جامع مرة ثانية في يوم آخر: اختلف الفقهاء في حكم من جامع ولم يكفّر حتى جامع مرة ثانية في يوم آخر أو رمضان آخر هل عليه كفارتين، أم كفارة واحدة، على قولين:

- القول الأول: ذهب الحنفية ووجه للحنابلة إلى أن عليه كفارة واحدة، فالكفارة تتداخل (ابن قدامة،1997؛ السرخسي،1993).
- القول الثاني: ذهب المالكية والشافعية والوجه الآخر للحنابلة وأهل الظاهر إلى أن عليه كفارتان، ولا تداخل في الكفارة (ابن رشد،1975؛ النووي،1991).

والراجح والله أعلم: بإن جامع ولم يكفِّر حتى جامع مرة ثانية في يوم آخر أو رمضان آخر فإنه تلزمه كفارتان؛ ولأن القول بأنه تلزمه كفارة واحدة يفتح الطريق إلى إنتهاك حرمة أكثر من يوم بالجماع، ثم يكفر المجامع بعد ذلك كفارة واحدة، وهذا يتناقض مع مقصود الكفارة وهو الزجر عن انتهاك حرمة صوم يوم من أيام رمضان.

الصورة الرابعة: إذا جامع وكفّر ثم جامع مرة أخرى في نفس اليوم: اختلف الفقهاء في حكم من جامع وكفّر ثم جامع مرة أخرى في نفس اليوم، هل عليه كفارتين، أم كفارة واحدة، على قولين:

- القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية ووجه للحنابلة إلى أن عليه كفارة واحدة؛ وحكمه كحكم من جامع ولم يكفِّر حتى جامع مرة ثانية في نفس اليوم فكلاهما عليه كفارة واحدة؛ لأن الجماع الثاني فلم يتضمن هتكاً للصوم، فهو في الحقيقة غير صائم، والكفارة تلزم في حال كونه أفسد صوماً صحيحاً **(ابن رشد،1975؛ ابن قدامة،1997؛ السرخسي،1993؛ النووي،1991).**
- القول الثاني: ذهب الحنابلة في قول لهم إلى أنه عليه كفارتان؛ لأن الجماع محرم لحرمة رمضان، فيتكرر الحكم بتكرره وهو وجوب كفارتين **(ابن قدامة،1997).**

والراجح والله أعلم: القول بالتداخل في الكفارة؛ لأن القول بالتعدد فيه زيادة عقوبة لم يطلبها المشرع من المكلف، ولأن في التعدد حرجاً ومشقة على المكلفين، فوجوب كفارة واحدة أقرب الى الرفق والتيسير.

الفرع الثاني: التداخل في الظهار

يترتب على قول الرجل لزوجته (أنتِ علي كظهر أمي) أنها تحرم عليه تحريماً مؤقتاً، ولا تحل له حتى يكفر عن فعله **(ابن رشد،1975)**، ومعلوم أن كفارة الظهار هي عتق رقبة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فمن لم يجد فإطعام ستين مسكيناً، والأصل في ذلك قوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ **(القرآن الكريم، المجادلة: 3-4).**

واختلف الفقهاء في مسألة تداخل الظهار هل تتعد الكفارة فيها بتعدد الزوجات أم يتعدد الألفاظ، وعليه فلا تخلو صور تكرر الظهار من ثلاث صور:

الصورة الأولى: من ظاهر نسائه بلفظ واحد: وصورة ذلك أن يكون للرجل أكثر من زوجة ثم يقول لهن جميعاً (أنتن علي كظهر أمي)، فهل على الرجل كفارة واحدة، أم يلزمه كفارة لكل امرأة شملها الظهار؟ ذهب الفقهاء في ذلك إلى قولين:

- القول الأول: ذهب المالكية، والشافعي في القديم، والحنابلة في المذهب إلى أن على أن عليه كفارة واحدة عن الجميع **(مالك المدني، 1994؛ المرداوي، د.ت؛ النووي، د.ت).**
- القول الثاني: ذهب الحنفية، والشافعي في الجديد، والحنابلة في رواية إلى أن عليه كفارة لكل امرأة شملها الظهار **(الزيلعي، 1313هـ؛ المرداوي، د.ت؛ النووي، د.ت).**

والراجح والله أعلم: القول بالتداخل في الكفارة، وأن عليه كفارة واحدة؛ لأنها بمنزلة الظهار الواحد، وهو الذي يوجب تحريما واحداً، وعوداً واحداً ولأن في التعدد حرجاً ومشقة على المكلفين، فوجوب كفارة واحدة أقرب الى الرفق والتيسير

الصورة الثانية: من ظاهر نسائه بالفاظ متعددة: وصورة ذلك أن يقول لكل زوجة من زوجاته بلفظ منفصل عن الآخر (أنتِ علي كظهر أمي)، في هذه الحالة ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يلزمه لكل امراة كفارة، وتتعدد الكفارة في حقه(السرخسي، 1993؛ مالك المدني، 1994؛ المرداوي، د.ت؛ النووي، د.ت).

الصورة الثالثة: إذا كرر لفظ الظهار على زوجته: أما إذا كرر لفظ الظهار على زوجته، ولم يكفر عن الظهار الأول، سواء أكان في مجلس أم في مجلسين، أم كان في يوم أو في يومين، فقد ذهب الفقهاء في ذلك إلى قولين:

القول الأول: أنه يلزمه كفارة واحدة عند تكرار لفظ الظهار على امراة واحدة إن نوى التأكيد، وهذا ما ذهب إليه عامة أهل العلم؛ لأن اليمين الثانية لم تؤثر تحريماً في الزوجة، فلا تجب بها كفارة الظهار كاليمين بالله تعالى (ابن قدامة،1997).

القول الثاني: أنه يلزمه كفارة مستقلة بكل لفظة ظهار إن لم يكن قد نوى من تكرارها التأكيد، وهو قول الحنفية والمذهب عند الشافعية (السرخسي، 1993؛ النووي، د.ت).

الراجح والله أعلم تداخل الكفارة وإن تعدد الظهار على امرأة واحدة، لأنه يلزمه في حال تكراره للظهار من امراة عود واحد ، وهو سبب وجوب الكفارة، ولم يتكرر العود، فوجب ألا تتكر الكفارة كذلك.

الفرع الثالث: التداخل في كفارة القتل

تجب كفارة القتل في حال كون القتل خطأ بالاتفاق لقوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (القرآن الكريم، النساء: 92). وكذلك تجب عند القائلين بالقتل شبه العمد، وفي القتل العمد عند الشافعية خاصة، ورواية عند الحنابلة (ابن رشد، 1975؛ ابن قدامة، 1997؛ السرخسي، 1993؛ النووي، د.ت). ولا تخلو صور اجتماع أكثر من كفارة في القتل من صورتين:

الصورة الأولى: إذا تعدد المقتول والقاتل واحد؛ لا خلاف بين أهل العلم في أنه إذا تعدد المقتول وكان القاتل واحداً في وجوب تعدد الكفارة في حقه، ويلزمه عن كل قتيل كفارة، سواء أوقع القتل في وقت واحد، أم في اوقات متفرقة؛ لأن الله تعالى قد رتب على من قتل خطأ دية مسلمة إلى أهله، فكلما تكرر القتل الخطأ تكررت الكفارة؛ لأنه الأصل، ولا يصرف عن الأصل إلا بدليل(ابن رشد،1975؛ ابن قدامة،1997؛ السرخسي،1993؛ النووي، د.ت).

الصورة الثانية: إذا تعدد القاتل، وكان المقتول واحداً؛ وذلك في حال قتل جماعة من الناس رجلاً واحداً: وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن كفارة القتل لا تتداخل، ويجب على كل من جني أن يخرج كفارة مستقلة عن الآخر؛ لأن الكفارة لا تتبعض، وقياساً على تكرر القتل مع تكرر القصاص، بجامع أن كلا منهما حق مالي يتعلق به القتل. إلا ما روي من وجه ضعيف عند الشافعية ، ورواية للحنابلة أن الكفارة تتداخل، فيكفي كفارة واحدة(ابن رشد، 1975؛ ابن قدامة، 1997؛ السرخسي، 1993؛ النووي، د.ت).

والراجح والله أعلم عدم التداخل؛ لأن الكفارة متعلقة بالفعل، والدية متعلقة بالعوض، والمتعلق بالفعل يتكرر بعدد الفاعلين، في حين أن المتعلق بالعوض يرتبط بالمفعول به.

الفرع الرابع: التداخل في كفارة ارتكاب محظور في الحج.

أو كما يعبر عنها بفدية الحج، والمتمثلة بالجزاء الذي يجب من جراء ارتكاب المحرم شيئاً من محظورات الإحرام، والكفارة الواجبة بارتكاب المحظورات تختلف من محظور لآخر(النووي، د.ت)، وهذه المحظورات يمكن تقسيمها بحسب الكفارة إلى قسمين:

- القسم الأول: كفارة قتل الصيد

ذهب الفقهاء إلى أن المحرم إذا قتل صيداً فإنه يلزمه كفارة قتل الصيد وهي إحدى ثلاث؛ بين ذبح مثله والتصدق به على الفقراء والمساكين، وبين أن يقوّم الصيد ويشترى بقيمته طعاماً يوزع كذلك على المساكين، على خلاف عند الفقهاء بين المد والمدان، أو الصيام عن إطعام كل مدٍ يوماً (ابن قدامة، 1997)، والأصل في ذلك قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ (القرآن الكريم، المائدة: 95).

فإذا قتل المحرم الصيد مرة بعد مرة ولم يكفر عن الأول فتجب عليه الكفارة كلما قتل، ولا تداخل في جزاء الصيد، وهو قول عامة الفقهاء(ابن رشد، 1975)، قال القرطبي (2003):" فالنهي دائم مستمر عليه ما دام محرما فمتى قتله فالجزاء لأجل ذلك لازم له" (ص.308).

أما إذا قتل الصيد في الحرم وهو محرم، ففي هذه الحالة ترتب عليه جزاء واحد، وتداخلت الحرمتان في حقه، حرمة الحرم، وحرمة الإحرام؛ لأنهما من جنس واحد؛ لأن حرمة الإحرام أقوى من حرم الحرم، فاندرجت حرمة الحرم في حرمة الإحرام (ابن رشد، 1975؛ ابن قدامة،1997؛ ابن نجيم، 1999).

- القسم الثاني: كفارة سائر المحظورات عدا الصيد

قد يرتكب المحرم محظورات أخرى حاله احرامه غير الصيد، وذلك كمن حلق شعره، أو قلم أظافره، أو تطيب، أو غطى رأسه، أو لبس المخيط، وهذه المحظورات يطلق عليها الفقهاء " بمحظورات الترفُّه"(النووي، د.ت).

فإن فعلها بعذر فتعد فديه في حقه، وإن فعلها متعمداً فتسمى كفارة في حقه؛ "فعادة ما تكون الكفارة تالية لوقوع التصرف الممنوع، بخلاف الفدية فهي شرعت مقابل الإعفاء عن مطلوب شرعاً بحيث يُقبِل المكلف على البدل وفق إذن مسبق من الشارع، ليكون الفعل مشروعاً من أساسه" (الشامي، 2018، ص.18).

ومن ارتكب محظوراً من محظورات الترفه بعذر أو بقصد فإنه يلزمه فدية أو كفارة، فيخير بين: صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، أو ذبح شاه، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ (القرآن الكريم، البقرة: 196). عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ وَأَنَا أُوقِدُ تَحْتَ قِدْرٍ لِي، وَالْقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَلَى وَجْهِي، فَقَالَ: "أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّ رَأْسِكَ؟" قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ:" فَاحْلِقْ، وَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ، أَوْ انْسُكْ نَسِيكَةً" (مسلم، د.ت.، ص.859)

ولا تخلو صور تداخل الكفارة في محظورات الترفه من صورتين:

الصورة الأولى: أن تكون المحظورات المتكررة كلها من جنس واحد؛ كأن تطيب مرة بعد مرة، أو قص أظافره مرة بعد مرة، ولم يكفر على الأول، ففي هذه الحالة ذهب الفقهاء في الجملة على أن الكفارة تتداخل، ويلزمه كفارة واحدة إن اتحد المجلس؛ لأن المحظورات من جنس واحد، ولأن الله تعالى عندما أوجب في حلق الرأس فدية واحدة لم يفرق بين ما وقع دفعة

واحدة أو في دفعات، ولأن الكفارات كالحدود شرعت للزجر، فوجب أن تتداخل كالحدود (ابن رشد، 1975؛ ابن قدامة، 1997؛ السرخسي، 1993؛ النووي، د.ت).

الصورة الثانية: أن تكون المحظورات المتكررة من أجناس مختلفة؛ كأن يتطيب ويلبس المخيط ويحلق، فإذا فعل ذلك فإنه يلزمه تعدد الكفارات بتعدد ارتكاب المحظورات عند جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والحنابلة، على خلاف بينهم في بعض التفاصيل، وقد بنوا قولهم بالتعدد على أن تعدد أجناس المحظورات هو بمنزلة اجتماع حدود مختلفة في الجنس. أما المالكية فذهبوا إلى التداخل في الكفارات من باب الرفق والتيسير على الحاج(ابن رشد، 1975؛ ابن قدامة، 1997؛ السرخسي، 1993؛ النووي، د.ت).

والراجح والله أعلم هو تعدد الكفارة بتعدد المحظورات لاسيما مع اختلاف الأجناس؛ وذلك درءا لمفسدة الإستهانة بحرمة الإحرام.

الفرع الخامس: التداخل في الأيمان

ذهب الفقهاء إلى أن كفارة اليمين لا تجب إلا بالحنث في اليمين، أي ينقضه وعدم الوفاء بما حلف، وهذه الكفارة هي على أربعة خصال؛ إطعان عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، أو صيام ثلاثة أيام، والأصل في ذلك قوله تعالى ﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ (القرآن الكريم، المائدة:89).

وهذه الخصال فيها تخيير وترتيب، فالتخير يكون بين الخصال الثلاث الأولى، حيث يخير بين أن يطعم عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة. أما الترتيب فيكون بين الخصال الثلاث وبين الصيام، أي من لم يجد أحد الخصال الثلاث انتقل الى صيام ثلاثة أيام (ابن قدامة، 1997؛ السرخسي، 1993). ولا تخلو صور تداخل الأيمان من أربع صور:

الصورة الأولى: أن يحلف يميناً واحداً على أجناس مختلفة؛ بأن قال: والله لا شربت، ولا أكلت؛ فاليمين واحد " الله" والمحلوف متعدد " لا شربت، ولا أكلت"، وفي هذه الحاله فإن عليه كفارة واحدة، ولا تتكرر في حقه، وهذا قول جمهور الفقهاء، قال ابن قدامة (1997): "إذا حلف يمينا واحدة على أجناس مختلفة، فقال: والله لا أكلت، ولا شربت، ولا لبست. فحنث في الجميع، فكفارة واحدة. لا أعلم فيه خلافا؛ لأن اليمين واحدة، والحنث واحد، فإنه بفعل واحد من المحلوف عليه يحنث، وتنحل اليمين" (ص.474).

الصورة الثانية: تكرار اليمين الواحد على أشياء مختلفة؛ وذلك بأن يكرر اليمين بلفظ واحد ويكون المحلوف عليه متعدد؛ كأن يقول: والله لا أدخل دار محمد، والله لا أسمع لعلي، والله لا أكلم زيد، قال ابن قدامة (1997):

وإن حلف أيمانا على أجناس، فقال: والله لا أكلت، والله لا شربت، والله لا لبست. فحنث في واحدة منها، فعليه كفارة، فإن أخرجها ثم حنث في يمين أخرى، لزمته كفارة أخرى. لا نعلم في هذا أيضا خلافا؛ لأن الحنث في الثانية تجب به الكفارة بعد أن كفر عن الأولى، فأشبه ما لو وطئ في رمضان فكفر، ثم وطئ مرة أخرى. (ص.474)

أما إن حنث فيها كلها ولم يكفر، ثم أراد التكفير، فهل تكفيه كفارة واحدة، أم يجب عليه لكل يمين كفارة مستقلة؟ هنا اختلف الفقهاء في هذه الصورة على قولين:

- القول الأول: يلزمه كفارة واحدة عن كل الأيمان التي حنث فيها؛ لتداخل كفارة اليمين بعد الحنث، وهو قول أحمد، ومُحَمَّد بن الحسن من الحنفية، (ابن عابدين، 1992؛ ابن قدامة، 1997). " لأنها كفارات من جنس، فتداخلت، كالحدود من جنس، وإن اختلفت محالها، بأن يسرق من جماعة، أو يزني بنساء" (ابن قدامة، 1997، ص474).
- القول الثاني: يلزمه كفارة لكل يمين حنث به، لعدم تداخل الكفارات، وهذا مذهب الجمهور (ابن رشد، 1975؛ ابن عابدين، 1992؛ ابن قدامة، 1997؛ النووي، د.ت)؛ لأنها أيمان مختلفة لأفعال متغايرة، ولكل منها سبب، فيتكرر الحكم بتكرره؛ لأن كل يمين مستقل بنفسه، فيتطب كفارة خاصة به، فالحنث في أحدها لايعتبر حنثاً في الآخر، فيكون لكل يمين كفارة (ابن عابدين، 1992؛ ابن قدامة، 1997).

الصورة الثالثة: تكرار اليمين الواحد على شيء واحد؛ كأن يقول: والله لا أدخل دار مُحَمَّد، والله لا أدخل دار مُحَمَّد، والله لا أدخل دار مُحَمَّد. ثم حنث فيها، وأراد أن يكفر، فهل تكفيه كفارة واحدة عن الجميع؟ للفقهاء في ذلك أربعة أقول:

- القول الأول: ليس عليه إلا كفارة واحدة، وهو الصحيح في مذهب الشافعية، وقول للإمام مالك، والمذهب عند الحنابلة، وهو مروي عن ابن عمر، والأوزاعي، وعكرمة، والنخعي وغيرهم (ابن قدامة،1997؛ مالك المدني،1994؛ النووي،1991)
- القول الثاني:عليه بكل يمين كفارة، سواء أكان ذلك في مجلس واحد، أو في مجالس متفرقة، وهو قول الحنفية، ووجه عند الشافعية (**الكاساني،1986؛ النووي،1991**).
- القول الثالث: ينظر الى المجلس؛ فإن كانت الأيمان في مجلس واحد فعليه كفارة واحدة، وإن كانت في مجالس فعليه بكل يمين كفارة، وهذا قول عمرو بن دينار (ابن قدامة، 1997).
- القول الرابع: ينظر إلى نية الحالف ؛ فإن كان قصدته في التكرار هو التأكيد فعليه كفارة واحدة، أما إن كان قصده الإستئناف فعليه بكل يمين كفارة، وهو رواية الحسن عن أبي حنيفة، ورواية عند المالكية، ووجه للشافعية (ابن رشد، 1975؛ ابن عابدين، 1992؛ النووي، 1991).

يقول ابن رشد (1975): "وسبب اختلافهم هل الموجب للتعدد هو تعدد الأيمان بالجنس أو بالعدد؟ فمن قال: اختلافها بالعدد قال: لكل يمين كفارة إذا كرر. ومن قال اختلافها بالجنس قال: في هذه المسألة يمين واحدة" (ص.182).

الصورة الرابعة: تكرار أيمان متعددة على شيء واحد؛ وذلك بأن يحلف أيماناً يتعدد فيها المحلوف به، ويتحدف فيها المحلوف عليه مع تكرره، كأن يقول: والله لا أدخل دار علي، ورب العالمين لا أدخل دار علي، والذي رفع السماء بلا عمد لا أدخل دار علي، ثم حنث فيها، هل تكفيه كفارة واحدة عن الجميع؟ فللفقهاء في ذلك قولين:

- القول الأول: يلزمه كفارة واحدة؛ لتداخل كفارة اليمين بعد الحنث، وهو قول المالكية الحنابلة، (ابن رشد، 1975؛ ابن قدامة، 1997).
- القول الثاني: يلزمه كفارة لكل يمين حنث به، لعدم تداخل الكفارات، وهذا مذهب الحنفية والمالكية(ابن رشد، 1975؛ ابن عابدين)

يقول ابن رشد (1975):

والسبب في اختلافهم: هل مراعاة الواحدة أو الكثرة في اليمين هو راجع إلى صيغة القول، أو إلى تعدد الأشياء التي يشتمل عليها القول الذي مخرجه مخرج يمين؟ فمن اعتبر الصيغة قال: كفارة واحدة. ومن اعتبر عدد ما تضمنته صيغة القول من الأشياء التي يمكن أن يقسم بكل واحد منها على انفراده، قال: الكفارة متعددة بتعددها. (ص.183)

والراجح والله أعلم في صور تداخل الأيمان أن الكفارات تتداخل في معظم الصور إلا صورة واحدة وهي الصورة الثانية والتي تتمثل في تكرار اليمين الواحد على أشياء مختلفة؛ وذلك بأن يكرر اليمين بلفظ واحد ويكون المحلوف عليه متعدد؛ كأن يقول: والله لا أدخل دار مُحَمَّد، والله لا أسمع لعلي، والله لا أكلم زيد؛ لأنها بمنزلة الأيمان مختلفة الكفارة، وذلك كمن حلف بالطلاق، وحلف بالنذر، فلا تداخل في الكفارة فيهما. يقول منصور (1998):

أن التداخل في كفارة الأيمان يكون في الحالات التالية:

1-إذا كانت اليمين واحدة، والمحلوف عليه أشياء متعددة [*والله لا شربت، ولا أكلت*].

2-إذا تكرر اليمين مع اتحاد المحلوف به، والمحلوف عليه [*والله لا شربت، والله لا شربت*].

3-إذا تكرر اليمين مع اتحاد المحلوف عليه، واختلاف المحلوف به[*والله لا شربت، ورب العالمين لا شربت*].

وعليه: فإن الأصل أن يترتب على كل يمين كفارة مستقلة، إذا وجد سببها، وهو الحنث، ولكنه عند اتحاد مقصود اليمينين... ترتب عليه أثر واحد، وهو تداخل في كفارة الأيمان، حيث اكتفينا بكفارة واحدة عند الحنث فيهما. (ص.203)

الخاتمة

الحمدلله الذي بنعمه تتم الطالحات، وأشكره على ماانعم به من التوفيق، وبعد: في ختام هذه الدراسة لقاعدة تداخل الكفارات مع بيان صورها من خلال التطبيقات الفقهية، يمكن تسجيل أهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها على النحو التالي:

أ- النتائج:

1- حرصت الشريعة الإسلامية على ايجاد ما يمحو عن العباد خطاياهم وسيئاتهم، فشرعت الكفارات، وبينت أهميتها وفضلها، وجعلتها واجبة ومأمور بأدائها عند ارتكاب ذنوب معينة، كمن جامع في نهار رمضان، أو ظاهر من زوجته، أو حلف على أمر وحنث به، أو قتل نفساً خطأ، أو ارتكب محظور من محظورات الإحرام.

2- إن مفهوم التداخل له صلة وثيقة بمقاصد الشريعة، بما يساهم في تحقيقها وتنميتها والمحافظة عليها، ومحله عند الجمهور هو الأسباب، أما عند الحنفية؛ فمحله في العبادات؛ الأسباب، وفي العقوبات؛ الأحكام، وأما أسبابه فكثيرة منها النصوص الشرعية، واتحاد المجلس، واتحاد السبب، واتحاد الجنس، والعذر الذي يلحق بتركه مشقة بالغة بالمكلف، والضرورة.

3- إن قاعدة الكفارات إذا اجتمعت تداخلت من القواعد المختلف فيها بين الفقهاء ، ومن قال بها هم الحنفية ووجه للحنابلة، وقد ذكرها الفقهاء بصيغ متعددة منها؛ الكفارات تتداخل، الكفارات زواجر فتتداخل، ومن كرر محظورا من جنس ولم يكفر عن الأول فكفارة واحدة، وهي لاتفهم على عمومها، بل التداخل الذي يقصده الفقهاء هو حال اتحاد الجنس بين المحظور الأول والثاني، ويكون قبل الاداء لا بعده، مع توافر الأسباب الأخرى الداعية للتداخل.

4- يقع التداخل في كفارة المجامع في نهار رمضان ويلزم المجامع كفارة واحدة في صورتين:

الصورة الأولى: إذا جامع مراراً في يوم واحد قبل أن يكفر عن الجماع الأول.

الصورة الثانية: إذا جامع مراراً في يوم واحد بعد أن يكفر عن الجماع الأول.

5- يقع التداخل في كفارة الظهار ويلزم المظاهر كفارة واحدة في صورتين:

الصورة الأولى: إذا كرر الظهار، وكان المظاهر منهن أكثر من زوجة، واتحد لفظ الظهار.

الصورة الثانية: إذا كرر الظهار، وكان المظاهر منها زوجة واحدة، وتعدد لفظ الظهار.

6- يقع التداخل في فدية الحج بحيث يلزم المخالف كفارة واحدة في صورتين:

الصورة الأولى: إذا قتل المحرم صيداً في الحرم، فإن حرمة الحرم تتداخل مع حرمة الإحرام.

الصورة الثانية: إذا ارتكب المحرم محظور من محظورات الترفه وكانت من جنس واحد ومتحدة المجلس، أو تقارب وقت فعلها.

7- يقع التداخل في الأيمان ويلزم الحانث كفارة واحدة في ثلاث صور:

الصورة الأولى: إذا تكرر اليمين الواحد، والمحلوف عليه أشياء متعددة؛ كأن يقول: والله لا شربت، ولا أكلت.

الصورة الثانية:إذا تكرر اليمين الواحد، والمحلوف عليه واحد؛ كأن يقول: والله لا شربت، والله لا شربت.

الصورة الثالثة:إذا تكرر اليمين مع اتحاد المحلوف عليه، واختلاف المحلوف به؛ كأن يقول: والله لا شربت، ورب العالمين لا شربت.

ب- **التوصيات:**

التركيز على دراسة القواعد الفقهية لاسيما الفرعية منها، فهي تساعد على استنباط الأحكام الفقهية من أقوال العلماء لأنها مصاغة بإسلوب علمي مختصر. فهي لاتقل أهمية عن دراسة القواعد الأصولية في استنباط الأحكام الفقهية وتخريج الفروع عليها، وبقدر الأحاطة بها يكون قدر الفقيه. فهي تلم شتات الفروع المتناثرة في سلك واحد فيسهل على الفقيه والمريد للعلم استذكار ذلك بسهولة ويسر.

المصادر والمراجع

ابن رشد، مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن رشد الأندلسي. (1975). *بداية المجتهد و نهاية المقتصد* (ط.4، مج.1). مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

ابن شاس، أبو مُحَمَّد جلال الدين عبد الله بن نجم. (2003). *عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة*. دار الغرب الإسلامي.

ابن عابدين، مُحَمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز. (1992). *رد المحتار على الدر المختار* (ط.2، مج.3). دار الفكر.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. (1980). *الكافي في فقه أهل المدينة* (ط.2). مكتبة الرياض الحديثة

ابن عبد السلام، أبو مُحَمَّد عز الدين عبد العزيز. (1991). *قواعد الأحكام في مصالح الأنام* (مج.1). مكتبة الكليات الأزهرية.

ابن عثيمين، مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد. (1428هـ). *الشرح الممتع على زاد المستقنع* (مج.13). دار ابن الجوزي.

ابن قدامة، أبو مُحَمَّد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن مُحَمَّد. (1997). *المغني* (ط.3، مج.4). عالم الكتب.

ابن مازة، أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز.(2004). *المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة* ﷺ (مج.2). دار الكتب العلمية.

ابن مرتضى، أحمد بن يحيى. (د.ت). *البحر الزخار* (د.ط، مج.5). دار الكتب العلمية.

ابن مفلح، مُحَمَّد بن مفلح بن مُحَمَّد بن مفرج.(2003). *الفروع وتصحيح الفروع* (مج.5). مؤسسة الرسالة.

ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم بن على. (1414هـ). *لسان العرب* (ط.3، مج5). دار صادر.

ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن مُحَمَّد. (1999). *الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان*. دار الكتب العلمية

اطفيش، مُحَمَّد بن يوسف.(1989). *شرح كتاب النيل وشفاء العليل* (د.ط، مج.3). مكتبة الإرشاد.

بدر الدين الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر. (1985). *المنثور في القواعد الفقهية* (مج.3). وزارة الأوقاف الكويتية

الحلي، جعفر بن الحسن.(1969). *شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام* (د.ط، مج.3). مطبعة الأداب.

الزيلعي، عثمان بن علي بن محجن البارعي. (1313هـ). *تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ* (مج.3). المطبعة الكبرى الأميرية.

السرخسي، مُحَمَّد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة.(1993). *المبسوط* (د.ط،مج.3). دار المعرفة.

السعيدان، وليد بن راشد. (د.ت). *تلقيح الأفهام العلية بشرح القواعد الفقهية*.

الشامي، عبد الرقيب صالح محسن. (2018). *الكفارات أحكام وضوابط*. وزارة الأوقاف الكويتية.

شمس الدين الزركشي، مُحَمَّد بن عبد الله.(1993). *شرح الزركشي على مختصر الخرقي* (مج.2). دار العبيكان.

عبد الرحمن المقدسي، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن أحمد.(د.ت). *الشرح الكبير على متن المقنع* (د.ط، مج.11). دار الكتاب العربي.

العز بن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ.(1991). *قواعد الأحكام في مصالح الأنام* (مج.1). مكتبة الكليات الأزهرية.

عودة، عبد القادر. (د.ت.). *التشريع الجنائي الاسلامي مقارناً بالقانون الوضعي*. دار الكتب العربي.

القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي. (1994). *الذخيرة* (مج.1). دار الغرب الإسلامي.

القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي. (د.ت). *الفروق* (د.ط، مج.2). عالم الكتب.

القرطبي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح. (2003). *الجامع لأحكام القرآن* (د.ط، مج.6). دار عالم الكتب.

الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد. (1986). *بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع* (ط.2، مج.5). دار الكتب العلمية.

مالك المدني، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي. (1994). *المدونة* (مج.2). دار الكتب العلمية.

مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (د.ت.). *صحيح مسلم* (مج.2). دار إحياء التراث العربي.

المطرزي، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن على. (1979). *المغرب في ترتيب المعرب* (مج.2). مكتبة أسامة بن زيد.

المناوي، مُحَمَّد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين. (1990). *التوقيف على مهمات التعاريف*. عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت.

منصور، مُحَمَّد خالد عبد العزيز.(1998). *التداخل وأثره في الأحكام الفقهية*. دار النفائس.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف. (1991). *روضة الطالبين وعمدة المفتين* (ط.3، مج.6). المكتب الإسلامي.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف. (د.ت.). *المجموع شرح المهذب* (د.ط. ، مج.6). دار الفكر.

نظريات التكامل في ضوء تجربة الاتحاد الاوربي (دراسة تحليلية)

المدرس الدكتور أنـور إسماعيل خليل

العراق/ جامعة بغداد/ كلية العلوم

anwar@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

009647702995951

ملخص

يعتبر موضوع التكامل والاندماج الدولي مميزاً في اطار دراسة التعاون الدولي، وبالأخص بعد الحرب العالمية الثانية بشكل عام، وبعد انتهاء الحرب الباردة بشكل خاص. وهو الامر الناتج عن البحث والسعي لإيجاد وسائل وبدائل جديدة تختلف عن استخدام القوة الصلبة في ادارة العلاقات الدولية، وتحقيق السلم والأمن الدوليين وتحقيق الرفاهية واشباع حاجات الشعوب التي عانت من ويلات الحروب، وفي هذا الاطار يجري تطوير نظريات التكامل في ضوء الخبرة التاريخية للدول في مواجهة الازمات التي تجاوزت مفردات قضايا ازمات الدولة التقليدية: الاقتصادية والأمنية ولاجتماعية والتكنلوجية وغيرها.

وتثير تلك التحديات والتهديدات وبالخصوص الخروج البريطاني تساؤلا كبيرا حول مستقبل نظريات التكامل الاقتصادي بشكل عام، خاصة مقولات النظريتين الوظيفية والوظيفية الجديدة، فقد مثلت هذه التحديات والتهديدات صدمة كبيرة لمقولات هاتين النظريتين، اللتان اعتبرتا أن تركيز التكامل في القطاعات الفنية والاقتصادية (تجارة، بريد، ...ألخ) يجنب عملية التكامل ويجعلها تتخطى التحديات السياسية التي قد تعيق تلك العملية؛ وبالتالي يرتفع مستوى الاعتماد المتبادل بين الدول في مقابل انخفاض مستوى التحسس في القضايا السيادية، ما يؤدي إلى ظهور مؤسسات أو منظمات دولية ذات سلطة فوق القومية.

الكلمات الافتتاحية: التكامل، العلاقات الدولية، الاتحاد الاوربي، الوظيفة الجديدة، بريكست.

Integration theories in light of the experience of the European Union (analytical study)

Dr.Anwer Ismael Khaleel AL-Nuaimi
College of Science - University of Baghdad
anwar@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

Abstract

The subject of international integration and integration is considered distinct within the framework of the study of international cooperation, especially after the Second World War in general, and after the end of the Cold War in particular. This is the result of research and seeking to find new means and alternatives that differ from the use of hard power in managing international relations, achieving international peace and security, achieving prosperity, and satisfying the needs of peoples who have suffered from the scourge of war. In this context, integration theories are being developed in light of the historical experience of countries in facing crises. Which exceeded the vocabulary of the traditional state crises issues: economic, security, social, technological, and others.

Those challenges and threats, especially the British exit, raise a big question about the future of economic integration theories in general, especially the statements of the functional and new functional theories. ..etc) avoids the integration process and makes it bypass the political challenges that may hinder that process; Thus, the level of interdependence between countries increases in exchange for a decrease in the level of sensitivity in sovereign issues, which leads to the emergence of international institutions or organizations with supranational authority.

Keywords: integration, international relations, European Union, the new job, Brexit

المقدمة:

اصبحت نظريات التكامل الدولي ذات اهمية كبيرة ومتميزة في تحليل العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية بشكل عام وبعد انتهاء الحرب الباردة بشكل خاص، وهو الامر الناتج عن البحث والسعي لإيجاد وسائل وبدائل جديدة تختلف عن استخدام القوة الصلبة في ادارة العلاقات الدولية، وتحقيق السلم والأمن الدوليين وتحقيق الرفاهية واشباع حاجات الشعوب التي عانت من ويلات الحروب، وفي هذا الاطار يجري تطوير نظريات التكامل في ضوء الخبرة التاريخية للدول في مواجهة الازمات التي تجاوزت مفردات قضايا ازمات الدولة التقليدية: الاقتصادية والأمنية ولاجتماعية والتكنلوجية وغيرها.

ومنذ عقود كثيرة تعاملت الكثير من المذاهب الفكرية المتعلقة بدراسة العلاقات الدولية مع ظاهرة الاتحاد الاوربي باعتبارها: النموذج الامثل، الذي شهدته العلاقات الدولية منذ عقود طويلة، وكانت قد شكلت هذه التجربة الاوربية، النموذج المثالي لباقي مشروعات التكامل الاقليمي في العالم، وبالخصوص في الشرق الاوسط وافريقيا وأمريكا اللاتينية، التي سعت الى محاولة محاكات هذه النموذج الاوربي الناجع.

ومع أهمية هذه التجربة وقدرتها الانتقال من مرحلة الى أخرى، لم يكن ذلك بتلك السهولة التي يمكن تصورها للوهلة الاولى، إذ مرت بتحديات وبالخصوص منذ بدايات العقد الاخير، التي اشرت نقاط تراجع على تماسك المنطلقات النظرية للتكامل بشكلها المثالي.

أهمية الدراسة: تنبع اهمية الدراسة من انها تسلط الضوء على تلك النظريات التي تتحدث عن التكامل وعلاقتها بالاتحاد الاوربي، ومدى تطابق اطروحات هذه النظريات مع تجربة الاتحاد الاوربي.

اشكالية الدراسة: اتخذت نظريات التكامل الاتحاد الاوربي كنموذج فعلي للمنطلقات النظرية التي تبنتها هذه النظريات وبالخصوص نظرية الوظيفة الجديدة، التي تنبأت بان التكامل الشامل يمكن ان يكون نهاية الطريق، لكن مع ما يصادف مسيرة الاتحاد الاوربي من تحديات وتهديدات، جعل المخرجات الفعلية لهذه النظريات لا تتطابق مع ما سارت علية تجربة الاتحاد الاوربي.

لذلك يمكن ان تتمحور الاشكالية البحثية بالسؤال الآتي:

ما مصداقية نظريات التكامل في ظل التحديات والتهديدات التي تعيشها تجربة الاتحاد الاوربي؟.

وتتفرع من هذا السؤال الرئيس، اسئلة فرعية أخرى، أهمها:

ماهي النظريات التي تقترب من تفسير قيام الاتحاد الأوربي؟

ما الذي دفع ببريطانيا نحو الانسحاب؟

ماهي الاثار التي يمكن ان يتركها الانسحاب على بريطانيا وباقي اعضاء الاتحاد؟

فرضية الدراسة: تفترض الدراسة، بانه مادامت هذه التحديات والتهديدات مستمرة ومتولدة باستمرار، فان ذلك سوف لن يجعل هذه النظريات تثبت منطلقاتها النظرية وبالخصوص الوصول الى مرحلة الاندماج الكامل.

منهجية الدراسة: وحتى نسير في مضمار الدراسة على اسس علمية أكاديمية لابد من اتباع منهج معين يمكن ان يكون المنهج الاستقرائي، الذي يمكن ان تتناسب مقولاته مع مضمن الدراسة؛ إذ يقوم على الانطلاق من العام الى الخاص، استقراء الاحداث ومن ثم الوصول الى الخصوصيات التي تعبر عن النتائج

تقسيم الدراسة:

وسعيا للخوض في مضمار البحث، ولكي نصل الى اجوبة للإشكالية البحثية والاسئلة المتفرعة منها، تم تقسيم الدراسة الى ثلاث مباحث وكل مبحث يتضمن عدة مطالب، وكمايلي:

المبحث الاول: نظريات التكامل (إطار نظري)

المطلب الاول: التكامل لغةً واصطلاحاً

المطلب الثاني: النظريات المفسرة لعملية التكامل

المبحث الثاني: الاتحاد الاوربي

المطلب الاول: العوامل والاسس الدافعة لقيام الاتحاد الأوربي

المطلب الثاني: مراحل التكوين ومؤسساته

المبحث الثالث: واقع الاتحاد الاوربي

المطلب الاول: التحديات العامة في اطار بنية الاتحاد

المطلب الثاني: المتغير البريطاني (الانسحاب البريطاني من الاتحاد بريكست)

الخاتمة: والتي يعرض فيها اهم النتائج

المبحث الاول: نظريات التكامل (إطار نظري)

يعتبر موضوع التكامل والاندماج الدولي مميزاً في اطار دراسة التعاون الدولي، وبالأخص بعد الحرب العالمية الثانية بشكل عام، وبعد انتهاء الحرب الباردة بشكل خاص. لكن موضوع التكامل ليس من السهولة دراسته لاتساعه كمفهوم، وارتباطه بكثير من المصطلحات والمفاهيم الاخرى المتقاربة منه، ولذلك سوف نتطرق الى اعطاء اجاز حول هذا المفهوم وفي اطار هذا المبحث، وكما يلي.

المطلب الاول: التكامل لغةً واصطلاحاً

أولاً: التكامل لغةً

اشارة الكثير من المصادر اللغوية الى لفظة التكامل، كما هو في ((قاموس لسان العرب))، باعتباره التام، والذي اشتق من الفعل: (كمل)، وكامل الشي يعني: تمت اجزاءه (طويل، 2018، ص92-95) ، وهذا ذات المعنى الذي اشار له ((قاموس المحيط))، ولم يكن الفكر الغربي بعيداً عن هذا المدلول للفظة التكامل، باعتبارها: ربط وتجميع الاجزاء، وهذا ما تم ذكره في قاموس ((أكسفورد))(طويل، 2018، ص92-ص95) (طويل، 2018، ص92-ص95).

ثانياً: التكامل اصطلاحاً

اختلف مفهوم التكامل، اصطلاحا تبعاً لاختلاف الموضوع والتخصص، وتوجهات الباحثين والمفكرين والدارسين، ان كانوا في حقل الاجتماع، أم في حقل الاقتصاد، أم في حقل السياسة، فكل منها له دلالته الاصطلاحية المعبرة عن حقل معين(عبد الله، 2002، ص243).

لكن في اطار موضوعنا نجد ان التعريف في حقل العلاقات الدولية، يشير الى: "العلاقة التي يحدث فيها تعديل في السلوك السائد قبل الدخول، ويكون التكامل دولياً اذا كان ناشئا بين دولتين او اكثر، أي ان الوحدات الداخلة في علاقات التكامل تكون دولاً"(عبد الله، 2002، ص243). وكذلك يقصد به: "ظهور كيان جديد فوق القومي، يستوعب فيه الصلاحيات والسلطات للدول الاعضاء فيه ويمتلك حق اتخاذ القرارات الالزامية التي يتعين على الدول الاطراف الانصياع لها" (عبد الله، 2002، ص244).

وهناك الكثير من المفاهيم يمكن ان تقترب من حيث المضمون مع مفهوم التكامل، أو هي بذاتها تكون احد مراحل التكامل، ومن هذه المفاهيم(طويل، 2018، ص99-ص100): الشراكة، التي لا تؤدي الى بناء مؤسساتي جديد، بقدر تحقيق أهداف معينة. والتعاون، باعتباره سياسات وفاق وتبادل ومشاركة في العديد من المجالات بين الوحدات الدولية. الاعتماد المتبادل، باعتباره

مجموعة من التفاعلات بين الدول التي لها مستوى عالي من الدينامية، ولا يؤدي الى خلق شخصية قانونية فوق هذه الدول. التنسيق، والذي يكون في حالة، التواصل في سياسات الدول في مجالات معينة، ولا يحمل صفة الاستمرار. التحالف، والذي قد تلجأ له الدول لمواجهة تهديد داخلي او خارجي، ويزول في حال زوال هذا التهديد. الجهوية، مرتبط برقعة جغرافية محددة، وقد ترتبط بأحد اجهزة المنظمات الاقليمية أو الدولية القائمة. ويختلف التكامل الدولي عن التنظيم الدولي، في ان الاخير يعمل على ايجاد مؤسسات دولية تتحرك بين الدول، فيما ان التكامل الدولي يخلق مؤسسات تعلو البعد القومي(بوعيشة، 1999، ص73)؛ مع إن هذا التكامل لا يمكن ان يكون بشكل عفوي عشوائي بقدر ما ان هناك شروط يمكن ان تتوافر لإنجاح عملية التكامل، أهمها: التجانس الاجتماعي، تشابه القيم، المصلحة المشتركة، أهمية التكامل في حد ذاته، البيئة الخارجية في التكامل، العلاقات التاريخية الايجابية، قانون التكلفة؛ مع ذلك فهي ليس شرطاً مجزم في حال توافر كل هذه الشروط يتم الانتقال الى حالة التكامل مرة واحدة، ولا يعني في حال غياب احداها أو أكثر ان هناك فشل في عملية الانتقال، فالأمر مقترن بواقع التكامل وبيئته، وطبيعة وحداته، وقد تظهر متغيرات يمكن ان تجعل التكامل يبتعد عن مساره الاصلي، وفي هذا الاطار فقد اجتهد عدد من المفكرين لإيجاد نظريات يمكن ان توفر منطلقات فكرية لتكوين أو تفسير حالة التكامل، والتي سوف نناقش اهمها من خلال المطلب الاتي.

المطلب الثاني: النظريات المفسرة لعملية التكامل

تَعرضَ موضوع التكامل الى الكثير من الدراسة والتحليل باعتباره من البدائل التي يمكن ان تكون عن الصراعات والحروب، ولعل أهم ما يميز هذه النظريات بانها انطلقت كلها تقريبًا من الدراسة العملية أو التجريبية للاتحاد الاوربي وتحول دوله من دول متناحرة إلى دول تعيش حالة تقرب من الاتحاد الكونفدرالية. ومن ثم توفر لنا هذه النظريات، مظلة فكرية وربما خارطة يمكن تلمس خطوطها عند التفكير في قيام أي عملية من عمليات التكامل بين الوحدات الدولية، والتي تعتبر: النموذج الاوربي نموذج مميز باعتبارها دول خرجت من الحرب العالمية الثانية منهكة اقتصاديًا وسياسيًا، وقد تم دراسته وتحليله في اطار نظريات عدة سعيا لإيجاد اسس نظرية تفسر التكامل ووسائله, وأهمها:

أولا: النظرية الوظيفية التقليدية

وضع اسسها الباحث البريطاني (ديفيد متراني ــ David Mitrany)، في كتابه (A Working Peace System)، والذي تم نشره أثناء قيام الحرب العالمية الثانية عام 1943؛ إذ اراد التنظير لإيجاد نظام دولي يبتعد عن الصراعات والحروب، وهذا ما يمكن تحقيقه من وجه نظره عن طريق تشجيع والاهتمام بالتعاون بين شعوب العالم، وتخطي حاجز السلطة الوطنية، فالقضايا كثيرة التي تحتاج الى التعاون بسبب التطور التقني والفني في مجالات عدة، فضلا عن المشاكل الاجتماعية والبيئية، وغيرها(دورتي، 1985، ص274). ولا تأمن هذه النظرية بالتغير الراديكالي، وان كان يؤمن بالتغير التدريجي للأنظمة الفرعية حتى لا يحدث خلل في النظام الكلي، ولذلك تقوم هذه النظرية على الانتشار والتعميم من مجال الى أخر وبالتالي سوف تحدث عملية تراكمية في مجالات التعاون، وعلى هذا الاساس ينطلق التعاون الدولي من قضايا السياسة الدنيا كالاقتصادية والفنية وفصلها عن قضايا السياسة العليا كالدفاع والأمن الوطني والقضايا ذات الأهمية الايديولوجية والقيمية، وحتى يتحقق التعاون بشكله الملموس الواقعي اقترح (ديفيد متراني) انشاء مجموعة من المؤسسات فوق القومية متخصصة في القضايا غير السياسية: كالاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها، والتي تكون احد نتائجها تقليص مفهوم السيادة الوطنية(جندلي، 2007، ص244). وعند مقارنة الأسس التي تقوم عليها هذه النظرية، مع بداية التجربة الفعلية للاتحاد الاوربي، نجد هناك تباعد نسبي من حيث ان البداية التي تمثلت بقيام الجماعة الاوربية للفحم والصلب في باريس عام 1951، لم تكن غائبة عن وجود ارادة سياسية بين صناع القرار في كل من فرنسا والمانيا. وهو ما جعل نقطة ارتكاز مقولات هذه النظرية تتراخى، والذي دفع الباحثين والمفكرين بهذا الشأن تعديل مرتكزات هذه النظرية فكانت النتيجة النظرية الوظيفية الجديدة.

ثانياً: النظرية الوظيفية الجديدة

تعد هذه النظرية رد فعل، وفي نفس الوقت امتداد للنظرية السابقة، باعتبارها انطلقت من ذات المرتكزات الفكرية للوظيفة الكلاسيكية، لكنها ارتكزت على التكامل الإقليمي بدلاً عن التكامل الدولي، وبهذا فالدول الاعضاء سوف تتنازل عن سلطاتها الوطنية الى هذه المؤسسات الإقليمية فوق القومية، أي نقل عنصر الولاء القومي الى هذه المؤسسات ولا يحدث هذا بشكل مفاجأ، وانما يتزامن مع التسيس التدريجي بدأ بالقضايا الاقتصادية أو الفنية ومن ثم الانتقال الى المجال السياسي(جندلي، 2007، ص244).

ويقدم (جوزيف ناي)، جملة من الشروط حتى يمكن ان تتحقق النتائج الفعلية للوظيفة الجديدة، فيشترط في ذلك: ان يكون دور مميز للنخب في عملية التكامل، التعددية السياسية والمشاركة الجماهرية في صنع القرار، القدرة على التكيف والاستجابة وهو شرط مرهون على مدى الاستقرار الداخلي للأعضاء، التكافؤ بين الوحدات الداخلة في التكامل وبالخصوص من الناحية الاقتصادية والحضارية، فضلاً عن ذلك لابد من تحقيق التوازن بين المجالين الاقتصادي والسياسي حتى لا يحدث ما يسمى بـ "الارتداد Spill - Back" (خليل، 2021، ص73). وقد وجهت لهذه النظرية انتقادات عدة؛ إذ ان هذه النظرية تصورها أصحابها وكأنها عملية آلية تكون محصلتها النهائية الحتمية تكامل سياسي، وهو ما يخالف واقع العلاقات الدولية، الذي لا يخلو من منافسات وخلافات وصراعات، والذي يمكن ان يوقف هذه الالية وإن تراجعُها للخلف، وكذلك هي تناست ذلك الخلل في الميزان السياسي الداخلي للدول والذي يمكن ان يؤثر على التكامل سلباً، في حال وجود جهة او جهات داخل الدول ترفض الدخول الى فضاء التكامل الدولي.

ثالثاً: النظرية الاتصالية

اراد(كارل دوتش) ايجاد علاقة بين تحقيق التكامل الدولي وبين وفرة الاتصالات بأشكالها المختلة، من خلال تقوية وسائل الاتصالات والموصلات ورفع الحواجز بأشكلها المتعددة، والذي سوف يودي من وجهة نظره الى تحقيق التكامل وبالخصوص بين الوحدات الدولية في الاقليم الواحد، وهذا ما عبر عنه (دوتش) بقوله: " أن الاقطار أو الدول ليست إلا حشوداً من الافراد تتحد فيما بينها نتيجة تدفق الاتصالات ونظم النقل بينهما وتنفصل عن بعضها بأراضي قليلة السكان أو خالية، والشعوب تحقق وحدتها كلما اتسعت الموضوعات التي تتصل فيما بينها، والحدود تمثل المناطق التي تتنافس فيها الكثافة السكانية والاتصالات، وحتى يمكن ان نطلق اصطلاح بلد أو دولة فانه لابد من وجود اعتماد متبادل ومباشر في قطاع من السلع والخدمات المختلفة بين الافراد"(هلال، 2006، ص33).

ويمكن رفع مستوى الاتصالات من خلال تطبيق مجموعة من شروط: وطنية وإقليمية ودولية، يكون معها تحيق اهداف لتجاوز العقبات، وتصبح قدرة النخب السياسية الحاكمة أكثر في تعاملها مع هذه الشروط، وثقتها بوجود حوافز مشتركة، ودور الشركات عابرة الحدود القومية في ايجاد قنوات اتصال متعددة، ووجود الاعتماد المتبادل بين المجمعات في المجالات: الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومع أهمية القطاع الاقتصادي الذي يمكن ان تدور حوله عملية التكامل وتتركز حوله مختلف المؤسسات، باعتباره أكثر القطاعات التي يمكن ان تعقد الاتفاقات في اطارها على حساب الاتفاقيات السياسية.

رابعاً: نظرية مركب الامن الإقليمي

يشير (باري بوزان)، الى مفهوم مركب الأمن الإقليمي، باعتباره:" مجموعة دول تترابط همومها أو هواجسها الأمنية ارتباطاً وثيقاً فيما بينها، مما يجعلها من غير الممكن النظر لأمنها واقعياً بمعزل عن أمن الدول الاخرى" (Buzan,2003,PP42-62) ، وان الفكرة المحورية في هذه النظرية، تقوم على: ان أغلب التهديدات يمكن ان تنتقل بسهولة أكبر بين الدول المتقاربة، من تلك

المتباعدة، فان الاعتماد الأمني المتبادل يتكون على أساس القرب الإقليمي بصورة مركبات أمنية(Buzan,2003,PP42-62) ، ومن هذا يتضح ان مستوى التحليل في اطار هذه النظرية لا يشمل المستوى القومي أو الوطني ولا المستوى الدولي، فقد اقتصر بشكل اساسي على المستوى الإقليمي، ويسعى هذا المستوى من الأمن الى تحقيق جملة من الاهداف، بدأً من الدفاع عن وحدات هذا الإقليم من خلال استخدام الأدوات المختلفة، ومروراً بالقبول الطوعي للانضمام الطوعي لهذا المركب الأمني من خلال توحيد الارادة في مواجهة الاخطار المختلفة التي يتعرضون لها، وانتهاءً الى السعي لتطوير موارد الإقليم كمنطلق لتحقيق التكامل بين وحداته في جوانبه المختلفة. لذلك فان الدول الاوربية في محاولة لتبني سياسة أمنية مشتركة، كما هو مشار اليها في (معاهدة امستردام) التي عقدت عام 1997، سعت لبناء رؤى مشتركة للأمن، انطلاقاً من اطروحات تتكلم عن: أن التهديدات الأمنية التي يتعرض لها الإقليم الاوربي سوف تكون آثارها وانعكاساتها السلبية على دول هذا الإقليم، قبل غيرها من دول الأقاليم الاخرى، هذا من جهة ومن جهة أخرى فان دول الإقليم أكثر من غيرها معنية في ايجاد حلول أمنية فاعلة لمعالجة الحالة الأمنية في الإقليم، لوجود تلك العوامل المختلفة: كالتقارب الجغرافي والعوامل الحضارية والثقافية والتاريخية المتقاربة(حميد، 2018، ص229). لذلك فان هذه النظريات سوف نجدها مقتربات تفسر حالة الاتحاد الاوربي، الذي اعتبر من قبل الكثير من المختصين، الانموذج المهم الواقعي الذي تَكون وسار بطريق التطور مرحلة بعد مرحلة من القضايا اللاسياسية، الى السياسية، وهذا ما سوف نتتبعه في المبحث القادم.

المبحث الثاني:

الاتحاد الاوربي

مثل الاتحاد الاوربي أنموذجا هاماً في تجارب التكتلات الدولية التي هدفت الى تعزيز التعاون والاندماج الاقليميين، وكان يتوقع الوحدة السياسية فوق القومية كانت تنتظر نهاية هذا المسار، فقد انطلقت عملية التكامل الاوربي من المجال الاقتصادي، ولم يكن للمجال السياسي الاهمية ذاتها من الاهتمام في المراحل الاولى؛ إذ كان تاريخ الاتحاد الاوربي، تاريخاً من الخطوات المختلفة الحجم والاهمية نحو التكامل، فقد كانت الخطوات الأولى عندما قرر القادة تحقيق التكامل في صناعاتهم في ذلك الوقت (الفحم والصلب)، وهو ما بدأ اثناء الحرب العالمية الثانية والفترة التي تلتها، وكانت نهاية الحرب الباردة والظروف الدولية التي تلتها قد ساهمت بشكل أو باخر في تعزيز التعاون والاندماج الدولي، وسعوا اعضاء هذا الاتحاد الى تعزيز مكانة هذا الاتحاد في المستوى الدولي.

فلاتحاد الاوربي ليس بدولة، مع ان نظامه السياسي والقانوني ذي خصائص معينة تتواجد في الدول الفدرالية وكذلك الكونفدرالية، ولا يتطابق مع المنظمات الدولية الحكومية، بشكليها العام والمتخصص، مع وجود بعض الخصائص الموجودة في هذه المنظمات الدولية الحكومية، وكذلك لا يمكن القول باعتبارها منظمة دولية غير حكومية، باعتبارها كيان دولي حكومي انشأت بموجب توافق الارادات بين الدول عديدة(نافعة، 2004، ص36). ويشير المختصون على ان خارطة اوربا اعيد تشكيلها ليس كما كان معهود في المراحل السابقة بالأدوات التي يفرضها الدبلوماسيين بما يتناسب وامزجتهم، ولا بواسطة القوة الصلبة، لكن كانت هذه المرة من خلال عمليات ديمقراطية تسهم فيها الشعوب في اتخاذ القرار(بتلر، 2003، ص73). وهذا ما يمكن ان نتلمسه من خلال عرض مجموعة من القضايا، في اطار المطلبين الآتيين.

المطلب الاول: العوامل والاسس الدافعة لقيام الاتحاد الأوربي

كان وراء هذا التقدم والتحكم في سعي الدول الأوربية إلى الاتحاد والتكتل فيما بينها، مجموعة من العوامل بغية تحقيق التكامل والاندماج، وتحقيق مجموعة من الاهداف شكلت الاسس التي يقف عليها هذا التجمع الاقليمي الاوربي، ويمكن عرض هذه العوامل والاسس من خلال الاتي.

أولاً: العوامل الدافعة لقيام الاتحاد الاوربي

وهي عوامل عدة تتصف بالتداخل فيما بينها وهي ذات صلة كبيرة بالمنطلقات التي تتكلم عنها نظريات التكامل، فوجود مجموعة من العوامل قد ساعد على قيام هذا الاتحاد بالشكل الذي يمكن ان يقترب مع مقولات النظريات التكاملية، وبالخصوص نظرية الوظيفة الجديدة، وأهم هذه العوامل والتي تعتبر في ذات الوقت شروط لقيام او نجاح التكامل، هي(طويل، 2018، ص102- ص103):

1- العوامل الجغرافية – المجالية: التي تتمثل في الانتماء إلى قارة واحدة ذات ظروف طبيعية متقاربة (من حيث التضاريس والمناخ).

2- العوامل التاريخية: كانت من خلال تلك الاحداث التي عاشتها اوربا من ازمات ومن حروب، والمصير المشترك الذي واجهته الوحدات الدولية الاوربية.

3- العوامل السياسية: كانت وما زالت هذه الدول الاوربية قد تبنت النظام الديمقراطي القائم على المشاركة السياسية والتداول السلمي للسلطة ، وبناء سياسة تنظيمية محكمة لتسيير الاتحاد في المجالات المختلفة.

4- العوامل الاقتصادية: الذي تجسد في اعتماد النظام الليبرالي الحر واحترام المنافسة بين الأطراف.

5- العوامل الاجتماعية: المتمثل في المستوى الثقافي لدى السكان، والذي يزيد من الوعي بضرورة التكتل والاندماج بين الدول الأوربية، والسعي إلى إنشاء أوربا الاجتماعية (ضمان التشغيل والعيش الكريم والحماية الاجتماعية).

6- العوامل الخارجية: التي تعبر عن وجود اقطاب صناعية ومالية عالمية قوية والحاجة إلى مواجهة المنافسة القوية لهذه الأقطاب، وكذلك ما تفرضه العولمة من تحديات كبيرة.

وفضلاً عن ماتم ذكره فان وجود رؤى ورغبة لدى القادة الأوربيين لتحقيق وقيام هذا التجمع الاوربي قد ساعد كثيراً على انطلاقه وبالخصوص فرنسا التي شكلت في البداية المحرك الاساس لهذه الوحدة.

ثانياً: المبادئ والاهداف للمشروع الوحدوي الأوروبي

قام المشروع الاوربي الوحدوي على مجموعة من الاهداف رئيسة، التي يمكن ان تمثل محور أو عصب الفكر التكاملي الأوروبي وجعلته متميزة في كل العقود اللاحقة، وتمثلت في(أبو سيف، 2019، ص29):

1- ازالة التنافس الاقتصادي والصناعي من خلال ربط الاقتصاديات الأوروبية فيما بينها في سبيل منع التوتر والتنافس الذي قد ينشأ.

2- التخلص من الدعوات الوطنية وذلك ببناء مؤسسات عابرة الحدود الوطنية، ترسم سياسات تعاونية مشتركة تعبر عن السعي المشترك وليس التنافس الفردي.

3- تعزيز الاهداف المشتركة والمواقف المتقاربة، ووقف سباق التسلح الداخلي بين الدول الاعضاء، والاهتمام على بناء هوية مشتركة بين الدول الاعضاء.

لكن هذه الاهداف لم تكن لتتحقق مرة واحدة، بل كانت هناك مراحل وتطورات متتابعة، رافقتها انشاء وتطوير مؤسسات متعددة عملت على تحقيق أو تنفيذ الاستراتيجيات التي كانت تقر من قبل اعضاء الاتحاد، وهوما يمكن ان نعرضه في المطلب الاتي.

المطلب الثاني: مراحل التكوين ومؤسساته

شهدة المجموعة الاوربية منذ الخمسينات من القرن الماضي وبالخصوص منذ الاتفاقية الاقتصادية الاولى في روما عام 1957، الى العام الذي شهد الانسحاب البريطاني من الاتحاد تطورات عدة ان كان في التوسع العددي للأعضاء أو في استحداث المؤسسات الاتحادية، التي كانت ذات اهمية في تحقيق أهداف دول الاتحاد. فقد شكلت هذه التطورات مراحل ومحطات تاريخية حاسمة في تشكيل هذا الاتحاد ومسيرته، ويمكن عرض أهم هذه المراحل والمؤسسات، وكما يلي:

أولاً: مراحل التكوين والتأسيس

يشير المختصون ان "الاتحاد الأوروبي" لم يكن فكرة حديثة عند إنشائه ولا موضوع برز بشكل مفاجأ قامت الدول الاعضاء بالتوقيع على معاهدة انشائه وأصبح يعرف بهذا الاسم، بل هي فكرة قديمة وسار بمراحل تطور وتوسع إلى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن، والتي يمكن ايجازها كالاتي(بيندز، أشروود، 2015، ص19-ص39).

– ففي التاسع من أيار1950، كانت البداية بوضع (روبير شومان) وزير الخارجية الفرنسي، أول حجر في البناء الأوروبي وذلك باقتراحه على ألمانيا لتحقيق تكامل في الانتاج (الفرنسي ــ الألماني) للفحم والفولاذ في إطار منظمة مفتوحة لكل دول أوروبا.

وكان على اثر ذلك توقيع (معاهدة باريس) التي نصت على إنشاء ((مجموعة الفحم والفولاذ)) بعد عام واحد في نيسان 1951، والتي ضمت الدول الاوربية الست: (ألمانيا، وبلجيكا، وفرنسا، وإيطاليا، ولوكسمبورغ، وهولندا(.

– وفي 25 آذار 1957، وقعت الدول الست آنفة الذكر، في روما المعاهدة المؤسِّسة للمجموعة الاوربية الاقتصادية، وهي: سوق مشتركة قائمة على التنقل الحر مع إلغاء الحواجز الكمركية بين الدول الأعضاء، وتم أُنشاء هذه المؤسسات مطلع 1958.

–وبين عامي: (1973– 1995)، انضمت كل من: (بريطانيا، والدنمارك، وإيرلندا) الى المجموعة، تلتها اليونان (1981) وإسبانيا، والبرتغال (1986) والنمسا، وفنلندا، والسويد (1995(.

– غير أن أبرز مرحلة في تطوره هي إقرار (معاهدة الاتحاد الأوروبي) التي تعرف أيضا باسم اتفاقية أو (معاهدة ماسترخت)، التي ابرمت في شباط عام 1992 في هولندا، والتي مثلت الوثيقة التأسيسية الثانية للبناء التجمع الأوروبي، وكانت أهم بنودها، هو: الانتقال الى عملة واحدة ونشاء الاتحاد أوروبي

واعتباراً من كانون الثاني 1993، دخلت السوق المشتركة والواقع الفعلي فضلاً عن حرية تبادل السلع والخدمات وتنقل الأشخاص ورؤوس الأموال. وفي عام 1995 سمحت (اتفاقات شنغن) للأوروبيين بالسفر من دون فيزا.

–في الأول من كانون الثاني من العام 2002، دخل اليورو في المداولات المالية اليومية للمواطنين الأوربيين مع بقاء كل من: (الدنمارك، وبريطانيا، والسويد)، على عملاتها الوطنية.

– بعد سقوط جدار برلين في 1989، توسع الاتحاد تدريجا ليضم دولا من شرق أوروبا، وانضمت عشر دول الى الاتحاد الاوروبي في ايار2004 وهي: (الجمهورية التشيكية، وبولندا، والمجر، وسلوفاكيا، ولاتفيا، واستونيا، وليتوانيا، وسلوفينيا، ومالطا، وقبرص)، وفي عام 2007، وهو العام الذي عقد فيه (معاهدة لشبونا)، لإصلاح وتطوير مؤسسات الاتحاد الأوروبي، انضمت: (بلغاريا، ورومانيا) وكانت (كرواتيا) قد انظمت عام 2013، وبذلك اصبح الاتحاد الاوربي الى هذا العام يضم 28 دولة، قبل الانسحاب البريطاني منه. واحتوى هذا التجمع الاوربي على عدة مؤسسات، شكلت مؤسسات فوق القومية للإدارة شؤونه، يمكن عرضها بالشكل الاتي.

ثانياً: مؤسسات الاتحاد الاوربي

مع انه لا يمكن مقارنة مؤسسات الاتحاد الأوروبي بالهياكل المؤسسية الوطنية بشكل مباشرة إلا أنه من المفيد النظر إليها فهو يحتوي على مجموعة من المؤسسات، ومن أبرز هذه المؤسسات(أبوعامود، 2000، ص77):

1- المجلس الأوربي: ويتكون من رؤساء الدول والحكومات الأعضاء، وهو مسؤول على تقرير التوجهات الرئيسة المهمة للاتحاد الأوربي.

2- مجلس الوزراء الاوربي: يضم وزراء الدول الاعضاء، ويتغير أعضاؤه حسب القطاعات الاقتصادية والاجتماعية التي يتم التداول حولها في هذا المجلس، يقرر السياسة المشتركة بين الدول الأعضاء.

3- البرلمان الأوربي: يتكون من أعضاء منتخبين يقومون بمناقشة المشاريع وتشريع القوانين على مستوى الاتحاد الأوربي. يتخذ المجلس الأوروبي بالاستناد إلى إجراءين: الأغلبية المزدوجة أو الإجماع()

4- محكمة العدل الأوروبية: وهي الجهاز القضائي في الاتحاد يشرف على احترام التشريعات والقوانين.

5- محكمة مراقبة الحسابات: أو ديوان المحاسبات وهو جهاز رقابي مهمته الاشراف على مراقبة الميزانية الاتحادية.

6- البنك المركزي الأوربي: بنك منطقة اليورو، الذي يعمل في الدول الاعضاء في الاتحاد من أجل تأمين استقرار أسعار صرف في منطقة اليورو.

7- بنك الاستثمار الأوربي: وهو مؤسسة التمويل الأوروبية، الذي يهدف إلى مساعدة وتمويل مشاريع دول الاتحاد الاوربي، وكذلك إصلاح وتطوير المشاريع في منطقة اليورو، وإلى زيادة التوظيف في دول الاتحاد، عن طريق تقديم قروض منخفضة الفائدة للدول الاعضاء.

8- قمة الاتحاد الأوروبي: وفيها يجتمع رؤساء الدول الاعضاء في الاتحاد، ورئيس القمة الأوروبية، ورئيس المفوضية الاوربية أربع مرات في السنة الواحدة، في سبيل تطوير منطقة الاتحاد وإصدار القرارات الأساسية الخاصة بالاتحاد.

المبحث الثالث:

واقع الاتحاد الاوربي

مع كل ما تم تحقيقه من انجازات في الميادين المختلفة التي تذكرها البيانات والاحصائيات، ان كان المعلنة من قِبل مؤسسات الاتحاد الاوربي أو مؤسسات دول الاتحاد، أو التي ترصدها مراكز البحث، فان هذا التجمع الاوربي وخلال مسيرته الطويلة لم يكن الطريق امامه دون تحديات ودون تهديدات، جعلته يتعثر في محطات مهمة من تأريخه، وجزء من هذه التحديات والتهديدات شكلت خطراً فعلياً لاستمرار هذا التجمع الذي طالما اخذ كنموذج للتكامل، وكذلك نموذج للتفسير العملي لنظريات التكامل، التي جهد اصحابها لإيجاد منطلقات فكرية يمكن اتباعها حتى يمكن تحقيق التكامل الدولي، والتي يمكن مناقشتها في اطار المطلبين الآتيين.

المطلب الاول: التحديات العامة في اطار بنية الاتحاد

برزت امام الاتحاد الاوربي جملة من التحديات التي تتعلق من ناحية بالدول الاعضاء في الاتحاد، وبالنظم والقواعد وآليات المستخدمة في مؤسسات الاتحاد الأوربية من ناحية أخرى، إذ كشفت التحديات التي شهدها هذا الاتحاد عن عمق أزمة الابنية المؤسسية للاتحاد بعدم قدرتها أو في افضل الاحوال محدودية قدرتها على مواجهة الانتقال السلبي لهذه الازمات: السياسية، والاقتصادية، والمالية الى سياسات واقتصاديات الاتحاد، اضافة الى ذلك ان هناك مجموعة من السلبيات والازمات شكلت وتشكل معوقات وتحديات وربما خطر على استمرار هذا الاتحاد نحو النمو الايجابي، والتي يمكن عرض أهمها:

1- لابد من التميز بين دوافع الدول المؤسسة للاتحاد، ودوافع الدول التي انظمت له فيما بعد، من حيث الهدف أو الغاية للانضمام، وهو ما انعكس سلباً على ايجاد سياسة خارجية موحدة لأعضاء الاتحاد اتجاه القضايا المختلفة التي مرت بها(الجميلي، 2009، ص211).

2- ظلت المؤسسات الاتحادية الاوربية غير قادرة على التدخل لحل المشكلات الوطنية لكل دولة عضواً في الاتحاد، في الوقت الذي وصلت به حركة التكامل الاوربي مرحلة متقدمة في مجال السياسات الاقتصادية والتجارية والمالية والنقدية، بالخصوص بعد ابرام معاهدة ماستريخت عام 1992، وظل التنسيق والتعاون في سبيل حل تلك المشكلات مرتبط بإرادة الدول الاعضاء، ومع ابرام (معاهدة أمستردام) عام 1997، حدثت نقلة نوعية في مواجهة تلك المشكلات لكن مع ذلك لم تكن بالمستوى المطلوب من التكامل والاندماج كما هو في النموذج الاقتصادي والمالي والنقدي(نافعة، 2004، ص284)؛ إذ ظلت هذه الدول في حالة من الاختلاف في تحديد المصالح المشتركة وفي تحديد المخاطر وفي تحديد دور الاتحاد الاوربي، نتيجة غياب التجانس بين الدول الاعضاء وتباين خصائصها الثقافية والاجتماعية وتقاليدها السياسية.

3- المشكلات المتعلقة بالخلاف حول الدستور الاوربي، والذي قدمت مسودته في حزيران عام 2003، امام مجلس رؤساء الدول الاعضاء في الاتحاد؛ إذ رفض من قبل عدد من الدول الاعضاء لجملة من الاسباب، يمكن ان تتلخص في الاتي(العمراني، 2011، ص57):

أ- تحديد الاختصاصات لكل من الاتحاد والدول الاعضاء.

ب- التناوب على رئاسة الاتحاد، وفكرة استحداث منصب رئيس دائم، وتحديد مدى صلاحياته في عملية التنسيق عمل الاتحاد، أو تنفيذ الاتفاقيات في اطار الاتحاد أوبين الاتحاد وطرف خارجي.

ت- تعين وزير الاتحاد المختص بقضايا السياسة الخارجية والأمنية المشتركة، وتعين نائب مفوضية الاتحاد، وكذلك تعين رئيساً لمجلس وزراء خارجية الدول الاعضاء.

ث- تحديد عدد مقاعد البرلمان الاوربي.

ج- تحديد صلاحيات رئيس الاتحاد وبالخصوص توسعة الاتحاد ومراحل التكامل الجديدة.

ح- ألغاء مبدأ الاعتراض(الفيتو) التي تتمتع به الدول الاعضاء في الكثير من القضايا.

4- المشكلات النابعة من آليات التعاون السياسي والتي حاولت (معاهدة ماستريخت) عام 1992، تطوير هذه الالية، لكن وبسبب تلك التحديات الداخلية للاتحاد التي كانت قائمة في عقد التسعينات لم تكن قد وفر الاستجابة المناسبة لمجموعة من القضايا الدولية والإقليمية، كما هو في حالة انهيار الاتحاد السوفيتي، وحرب الخليج الثانية، والحرب الأهلية اليوغسلافية.

5- وارتباطاً بالفقرة السابقة، الاختلاف في المواقف اتجاه القضايا الخارجية، كما هو في قضايا: الملف النووي الايراني، وغزو العراق عام 2003، وغيرها من القضايا.

6- مشكلات اتخاذ القرار في اطار الاتحاد الاوربي، وتمثلت تلك المشكلات بعدم تجاوز الاطار الوطني لكل دولة، مع وجود مجلس وزراء الاتحاد، وبرلمان الاتحاد الاوربي ومحكمة العدل الاوربية(عوض، 2000، ص10).

7- المشكلات الناجمة عن محدودية الصلاحيات الممنوحة للاتحاد، مع انه يتمتع بشخصية قانونية، تختلف عن الشخصية القانونية للدول الاعضاء(نافعة، 2004، ص38).

8- مشكلات المتعلقة بالقضايا التنظيمية، (نظام التصويت) الذي كان مصدر لمشكلات عدة، فعلى سبيل المثال، كانت لألمانيا حصة اكبر من لوكسمبورج، وفيما بعد اتفق على نظام الغالبية المزدوجة.

9- فضلاً عن هذه السلبيات، فهناك جملة من السلبيات على المستوى السياسي الداخلي، كتلك المتعلقة على قوة الزام القرارات التي يصدرها الاتحاد، فهي موجبة فقط للدول التي وافقت عليها. وصعوبة قيام قوة اوربية عسكرية موحدة، والتكاليف المالية التي تقع على بعض دول الاتحاد دون غيرهم، لسد متطلبات بعض الدول في الاتحاد،(العطار، 2004، ص100).

10- هيمنة النزعة القومية لدى صانع القرار في الدول الاعضاء على النزعة المشتركة في اطار الاتحاد الاوربي؛ إذ ان هذه الدول ترى ان مكانتها سوف تضعف وسياستها الخارجية سوف يضعف تأثيرها اذا اندمجت بالاتحاد. وهو يمكن ان يكون نتيجة عدم ادراك صناع القرار في هذه الدول لخصوصيات البيئة العالمية ما بعد الحرب الباردة، وعدم رغبة اصحاب القرار في هذه البلدان التخلي عن مراكزهم وامتيازاتهم لصالح غيرهم(غربي، 2012، ص170).

11- وتواصلا مع الفقرة السابقة، فإن العلاقات بين دول الاتحاد الاوربي خاضعة للتباين اتجاه البيئة الدولية، فهذه التغيرات في البيئة الدولية أثر على توجهات الدول الاوربية في التكامل، بعبارة أخرى لما كان الاقليم أقل استقلالية عن المحيط الدولي الرافض للتكامل، كان ابعد عن تحقيق هذا التكامل.

12- اختلال التوازن الجيوسياسي بين دول الاقليم الاوربي، والذي يمكن ان يعيد التنافس بين اطراف عدة كألمانيا وفرنسا من جهة وبريطانيا قبل خروجها من جهة أخرى.

13- هيمنة الدول الاكثر تصنيعا، كألمانيا وفرنسا وايطاليا وبريطانيا قبل خروجها، وبين الدول الاخرى.

14- تصاعد التيارات القومية والاحزاب اليمينية، في الدول الاوربية وبالخصوص الشرقية، التي تتمسك بمبدأ الوطنية على حساب الاندماج في كيان فوق القومية.(غربي، 2018، ص110-ص111).

15- التفاوت الاقتصادي بين دول الاتحاد، والفشل في تمكين الدول الفقيرة او ما يسمى بـ"الاسواق الطرفية" مثل: (بولندا، اليونان، وقبرص، وهنكاريا)، للوصول الى مستوى من النمو الاقتصادي.

16- الهاجس الامني بسبب الازمات التي تعرضت لها كثير من دول الاتحاد الاوربي، كما هو في قضية الازمة المالية العالمية عام 2008، وقضية اللاجئين عام 2015، وقضية الارهاب الذي ضرب بروكسل وباريس(صفاء النعيمي، "9 اسباب وراء خروج بريطانيا من الاتحاد الاوربي"2016،https://www.cnbcarabia.com/news/view/19590/9 .

17- هذه القضايا المذكورة في الفقرة السالفة جعلت المواطن الاوربي في موضع ريبة وشك في تبني (سياسة الباب المفتوح) بالنسبة للاجئين، وكذلك اصبحت الاحزاب في كل اوربا، حذرة في تبني مواقف مؤيدة للاتحاد الاوربي في اجواء تنعدم بها الثقة(سيبي فرهان، 2020، http://www.almanhal.com).

18- بشكل عام فان الاحداث الدولية السابقة، اكدت ان العمليات التكاملية الأمنية، لم تظهر إلا في الازمات الأمنية.

19- تنامي حالة المنافسة الخارجية، وبالخصوص مع الولايات المتحدة الامريكية التي لا تريد وجود قوى اخرى تنافسها على الهيمنة العالمية.

20- والملاحظة المهمة التي يمكن رصدها ومنذ عقود، هو انتشار الصراعات الاقليمية في العالم، بشكل ملفت للنظر في تاريخ العلاقات الدولية المعاصرة وفي اغلبها ذات صبغة انفصالية، والتي نتج عنها انشطار العديد من الكيانات القومية الكبرى وتحللها، كما حدث في الاتحاد السوفيتي، والاتحاد اليوغسلافي وغيرهما(مقلد، 2011، ص78).

21- التجربة التاريخية للدول، تشير الى صعوبة وحتى استحالة فصل النشاطات الاقتصادية والفنية والاجتماعية عن السياسة؛ اذ كانت الكثير من المواضيع الاقتصادية والفنية والاقتصادية محل نزاع بين الدول المتجاورة، فضلاً ان كثير من هذه المواضيع غير مؤهلة للتعميم على القطاع السياسي.

22- ضم الاتحاد الاوربي دولاً تفتقر الى الامكانيات الاقتصادية بالشكل الذي يشكل عبء على باقي الدول وكذلك الاختلاف الحضاري والقيمي وبالخصوص الدول الناتجة عن تفكك الاتحاد السوفيتي ولا تمتلك تلك الخبرة التاريخية في المشاركة والتعددية السياسية التي يمكن ان تدعم دورها في التكامل، وهي التي تجعل عملية التكامل متعثرة وقد تعيد الاتحاد الى مراحل سابقة.

23- تشهد اوربا ظرفا شديداً، بسبب الجائحة العالمية "كورونا" التي اجتاحت كل العالم، هي الأخطر على وحدة الاتحاد الأوروبي لغلقها الحدود، التي اجبرت الدول الاوربية على التقوقع الوطني بشكل مفرط وبالخصوص في المراحل الاولى من انتشار هذه الجائحة، وكذلك هذه الحالة كانت واضحة بالضعف الكبير في مستوى التعاون في هذا المجال الذي جعل ايطاليا قد وصلت الى مراحل خطرة من تداعيات هذا الوباء بعد تلك الدعوات التي قدمت اليها مع دول اوربية اخرى لخفض مستوى تكاليف الرعاية الصحية لمواجهة الازمة الاقتصادية التي تعرضت لها عام 2013.

لكن المتغير البريطاني الذي تمثل في انسحابها من الاتحاد بما سمي بـ"البريكست"، كان الاهم والاخطر في تأريخ الاتحاد، والذي اثار الكثير من الجدال والتحليلات حول مستقبل الاتحاد وصمود نظريات التكامل، والتي يمكن استعراضها من خلال المطلب الاتي.

المطلب الثاني: المتغير البريطاني (الانسحاب البريطاني من الاتحاد) (بريكست)

شكلت بريطانيا قوة فاعلة ومؤثرة داخل الاتحاد الاوربي، لما تتمتع به من خصائص ومكانيات متعددة، وكان قرارها في الخروج من الاتحاد قد اثار مجموعة من التساؤلات حول دوافع هذا الخروج، وكذلك حول تلك النتائج التي ستتولد بعد الخروج على باقي الاتحاد الاوربي من جهة وعلى بريطانيا ذاتها من جهة اخرى، التي سوف نناقشها وكما يلي.

أولا: دوافع الانسحاب البريطاني من الاتحاد الاوربي

شكلت بريطانيا، من المحاور المهمة في عدم وصول الاتحاد الاوربي الى مراحل متقدمة من التفاهم ومن ثم الاندماج، وتشير الخبرة التاريخية لاوربا ان بريطانيا ولعصور طويلة جمعتها علاقات تنافسية وصراعية مع باقي الدول الاوربية، أكثر منها تعاونية، وفي هذا الاطار كانت بريطانيا تعارض الكثير من القرارات والسياسات الخارجية في اطار الاتحاد الاوربي، والذي يمكن ان يضاف الى جهة عرقلة تعزيز البنية السياسية والقانونية للاتحاد. وهنا سوف نتطرق الى أهم تلك الاسباب التي تقف وراء تلك السياسة البريطانية.

1- الاسباب التاريخية والثقافية(حميد، 2018، ص226، وما بعدها)، وفي هذا الاطار فإن بريطانيا باعتبارها دولة جزرية منفصلة بامتداد بري عن باقي اوربا، قد عزز ضعف انتمائهم الاوربي، مقابل ارتفاع مؤشر الانتماء الاطلسي، فمعظم مستعمراتها السابقة كانت اطلسية.

2- الارتباط القوي بالهوية الاصلية البريطانية (الانجلوساكسونية)، وتنامي المد القومي، والفخر بالتاج البريطاني الذي حكم اجزاء واسعة من العالم في فترات تاريخية امتدت لعشرات السنين، وكان ذلك مدعات للبقاء على الهوية الإمبراطورية البريطانية كشعور قومي يفوق كل اندماج في هيكل فوق القومي(الاتحاد الاوربي).

3- العلاقات التاريخية العميقة مع الولايات المتحدة الامريكية، والتي ترفض أي علاقة وحدوية في اوربا تجعل اوربا قوية تضاهي الولايات المتحدة الأمريكية في هيمنتها وقوتها.

4- وفي المقابل فان الدائرة الامريكية تشكل لصانع القرار البريطاني، دائرة السياسة الخارجية الاوثق، لأسباب كثيرة، باعتبار الكثير من الأمريكان وصناع القرار الأمريكي في كثير من الفترات هم اصول بريطانية، وكذلك تلك الجهود التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية لبريطانيا اثناء الحربين العالميتين.

5- المشاكل الاقتصادية التي كانت بسبب الازمة المالية العالمية، وانعكاساتها السلبية على الاقتصاد البريطاني، خلق شعور لدى البريطانيين ان هذا الارتباط الاقتصادي بالاتحاد الاوربي، كان وراء تراجعه بالتنافس مع الاقتصاديات البلدان الصناعية الكبرى الاخرى.

6- لجوء الكثير من سكان اوربا الشرقية الفقيرة للهجرة الى بريطانيا بحثا عن فرص عمل، والاستفادة من الخدمات المختلفة، والذي شكل عبأ كبيراً على الميزانية البريطانية.

7- ومن جانب آخر لم يرضه البريطانيون ان يقاسمهم المهاجرون من الدول الفقيرة ما حققوه من انجازات اقتصادية كبيرة على مدار عقود طويلة من الزمن.

8- رغبت البريطانيون من اغلاق حدودهم على اثر تفشي ظاهر الارهاب الدولي الذي ضرب عواصم اوربية عدة.

ولذلك فان لهذه الاسباب وغيرها، حدث هذا الانسحاب البريطاني من الاتحاد الاوربي، بعد ذلك الاستفتاء المصيري الذي اجري في حزيران عام 2016، لكن لم يكن الأمر قد توقف عند الانسحاب، فقد تكون هناك العديد من القضايا السلبية، تنتج عن هذا الانسحاب، تمتد بآثارها المقلقة الى باقي الاتحاد من جهة ، وبريطانيا ذاتها من جهة اخرى، والتي سوف نتطرق لها، كما يلي.

ثانياً: الاثار التي يمكن ان يتركها الانسحاب البريطاني على الاتحاد الاوربي

اشار المختصون في الشأن الاوربي الى تلك الانعكاسات والتبعات السلبية لهذا الانسحاب والتي يمكن ان تلحق بباقي الاتحاد منها ما هو اقتصادي ومنها ما هو أمني، يمكن مناقشتها على النحو الاتي(حميد، 2018، ص234-ص235):

1- سياسياً، فقد يكون هناك تقويض لبنية هذا الاتحاد وقوة سياسته الخارجية وقد يحفز هذا الانسحاب البريطاني، دول أخرى الى هذا الفعل، وربما يثير رغبة كل من اسكتلندا وايرلندا الشمالية اللتين لم تؤيد الانسحاب من الاتحاد الاوربي، للانفصال عن الدولة الام بريطانيا.

2- أمنياً ودفاعياً، شكلت بريطانيا، عندما كانت عضواً في الاتحاد أهمية كبيرة، لخبرتها وكفاءتها في مجال الاستخبارات والشرطة والدفاع ودورها في التمويل والاصلاحات في هذه المجالات؛ إذ ساهمت في الكثير من عمليات وبعثات الأمن والدفاع للاتحاد الاوربي، باعتبارها تشكل أكبر قوة عسكرية في الاتحاد، ان كان على مستوى اعداد القوات المسلحة أو على مستوى الصناعات الحربية او مستوى الإنفاق العسكري.

3- اقتصاديا؛ إذ يعد الاقتصاد البريطاني من الاقتصاديات المتميزة والكبيرة، استنادا الى احصائيات البنك الدولي؛ إذ احتل المرتبة السابعة ومن ثم السادسة ومن ثم الخامسة ما نسبته:(13%) من مجمل سكان الاتحاد، وهو ما يشكله من خسارة اقتصادية وبشرية كانت تدعم قوة الاتحاد الاجمالية(غربي، 2018، ص103).

فكل هذه النقاط التي تم رصدها ان كانت بشكلها العام في اطار الاتحاد الاوربي، أم في شكلها الخاص المتمثل بالانسحاب البريطاني من الاتحاد، فإنها تشكل بمجموعها مصادر تحدي ليس بالبسيطة، تجعل منحنى تطور هذه التجربة المتميزة يسير نحول التضاؤل والانكماش، أو على اقل تقدير الجمود النسبي، الذي يبعد الاتحاد عن تحقيق المزيد من التقدم والنمو على كافة الاصعدة والمستويات، وبالخصوص في ضل تلك الازمات التي تعصف بالعالم بين الحين والاخر، ومن ثم سوف يحدث الابتعاد كثيراً عن المنطلقات الفكرية لنظريات التكامل ومقولاتها الرئيسة.

الخاتمـة

كانت هناك عدد من النظريات التي فسرت النجاح المتميز لهذا المشروع الاوربي التكاملي بين دول تنتمي لنفس الاقليم، ولعل أهم ما يميز هذه النظريات أنها انطلقت من الدراسة العملية أو التجريبية لتطور الاتحاد الأوروبي من دول ضلت تحارب بعضها البعض لسنين واخرها الحرب العالمية الثانية التي انتجت انهاك اقتصادي واجتماعي وسياسي، الى التفاهم وتقارب الذي سار مراحل متقدمة نحو التكامل. وهناك من يرى أنه من الضروري قيام العلاقة التبادلية بين فهم هذا النجاح وفهم هذه النظريات المتعمقة التي تحقق سقفاً فكريًا وبوصلة طريق لنجاح عمليات التكامل المستقبلية.

لكن مع ذلك، تثير تلك التحديات والتهديدات وبالخصوص الخروج البريطاني تساؤلا كبيرا حول مستقبل نظريات التكامل الاقتصادي بشكل عام، خاصة مقولات النظريتين الوظيفية والوظيفية الجديدة، فقد مثلت هذه التحديات والتهديدات صدمة كبيرة لمقولات هاتين النظريتين، اللتان اعتبرتا أن تركيز التكامل في القطاعات الفنية والاقتصادية (تجارة، بريد، ...ألخ) يجنب عملية التكامل ويجعلها تتخطى التحديات السياسية التي قد تعيق تلك العملية؛ وبالتالي يرتفع مستوى الاعتماد المتبادل بين الدول في مقابل انخفاض مستوى التحسس في القضايا السيادية، ما يؤدي إلى ظهور مؤسسات أو منظمات دولية ذات سلطة فوق القومية.

وباعتبار أن مواجهة الاتحاد الأوروبي عبر تلك العقود الماضية للأزمات والمشاكل التي واجهته أمر متوقع وحتمي لكن طرق تعامل الاتحاد الأوروبي مع أبرز التحديات والأزمات ان كانت الداخلية أو الخارجية التي استعرضناها ومدى نجاح هذه الطرق في معالجة هذه الازمات، فإنه من الصعب الجزم على ان النموذج الاقليمي الاوربي يمثل نموذجًا واعدًا أم لا، لأن هذا الجزم سوف لن يتخلى عن النسبية المرتبطة بنوع الازمة وحجمها؛ فعلى سبيل المثال النجاح في مواجهة أزمة اليونان الاقتصادية وأزمة اللاجئين كان جزئيًا ومؤقتًا، وقد أثبتت هذه الأزمات وجود تفاوت وانقسام بين دول الاتحاد الأوروبي نفسها، كما أثبت خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي احباط وتراجع في رسم سياسة مشتركة متفق عليها من جميع الاعضاء، ومن جهة أخرى قد يؤدي هذا الانسحاب الى تحفيز دول اخرى للخروج من هذا الاتحاد ، وهو ما اشارت له العديد من التحليلات، كل هذه القضايا وغيرها، جعل ضرورة إعادة قراءة الأدبيات الرئيسية للنظريات التكاملية وبالخصوص الوظيفة الجديدة، وخاصة مفهوم "الانتشار"، والناتج النهائي لعملية التكامل، والذي لايمكن عزله كما اثبتته الخبرة التاريخية للاتحاد الاوربي، عن دور الفاعليين السياسيين المعنيين في هذه العملية.

لذلك فان هذه التحديات والازمات التي لم تجد لها حلولاً بالشكل الامثل في معظمها، سوف يقلل من جاذبية النموذج الاوربي كنموذج للتجمع والاتحاد، وبما ان معظم نظريات التكامل قد ارتبطت بهذا النموذج، فسوف يكون الترابط واضح بين تراجع النموذج الاوربي كواقع عملي فعلي للتكامل، وتراجع قوة وجاذبية نظريات التكامل، وبالخصوص نظرية الوظيفة والوظيفة الجديدة.

- طويل نسيمة، 2018، "اكامل الدولي: دراسة في المفاهيم والمقتربات النظرية"، مجلة الناقد للدراسات للسياسية، العدد: (3).
- عبد الله زايد، 2002، السياسة الدولية بين النظرية والممارسة، دار الرواد، ط1، ليبيا.
- بوعشة محمد، 1999، التكامل والتنازع في العلاقات الدولية الراهنة (دراسة في المفاهيم والنظريات)، دار الكتب الوطنية، ليبيا.
- دورتي جيمس ، بالستغراف روبرت، 1985، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية ،(ترجمة) وليد عبد الحي، مكتبة شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ، الكويت.

- جندلي عبد الناصر، 2007، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية، دار الخلدونية، الجزائر.
- د. خليل أنور إسماعيل، 2021، التحديات الأمنية لمجلس التعاون لدول الخليج العربية منذ عام 2003، دار الايام للنشر والتوزي ، (بغداد، 2021).
- هلال نازك مُحَّد، 2006،" التكامل في العلاقات الدولية دراسة حالة العلاقات السودانية – الليبية"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، الخرطوم.
- ميد رامي، 2018، "الانسحاب البريطاني من الاتحاد الاوربي"، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، المجلد (5)، العدد: (1).
- حسن نافعة، 2004، الاتحاد الأوربي والدروس المستفادة عربياً، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- بتلر نك، 2003، "الاتحاد الاكمل في المستقبل"، مجلة السياسة الخارجية(النسخة العربية)، دار الوطن، الكويت.
- أبو سيف عاطف، 2019الاتحاد الأوروبي في القرن الواحد والعشرين.. أوروبا والبحث عن دور، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن.
- بيندز جون، أشروود سايمون، 2015، الاتحاد الاوربي مقدمة قصيرة جداً، (ترجمة): خالد غريب علي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.
- د. أبو عامود، سعد، 2000، "البناء المؤسسي للاتحاد الاوربي"، مجلة السياسة الدولية، العدد: (142)، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة.
- الجميلي صدام مرير، 2009، الاتحاد الاوربي ودوره في النظام العلمي الجديد، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2009).
- العمراني عبد الوهاب مُحَّد، 2011، الاتحاد الأوربي والعلاقة اليمنية الاوربية، دار الشروق للنشر والتوزيع،(عمان، 2011).
- عوض ابراهيم ، 2000، "التكامل الاوربي والبحر المتوسط"، سلسلة بحوث سياسية، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة.
- العطار علي، 2004، العولمة والنظام العالمي الجديد، دار العلوم العربية، بيروت0
- غربي رقية، 2021 "السياسة الخارجية للاتحاد الاوربي بعد الحرب الباردة، رسالة ماجستير (غير منشورة)" ، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة مُحَّد خضير، الجزائر.
- غربي هيبة ، 2018، تداعيات الانسحاب البريطاني على المسألة الامنية في الاتحاد الاوربي، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، برلين.
- النعيمي صفاء، 2016،، "9 أسباب وراء خروج بريطانيا من الاتحاد الاوروبي"، https://www.cnbcarabia.com/news/view/19590/9
- فريهان سيبي، 2020، "هل يمكن ان يتفكك الاتحاد الاوربي فعلاً؟"، http://www.almanhal.com
- مقلد إسماعيل صبري مقلد، 2011، العلاقات السياسية الدولية (النظرية والواقع)، المكتبة الاكاديمية، الاسكندرية.

Buzan Barry and Weaver Ole,2003, "Region and Power: The Security", Cambridge Studies in International Relations, Cambridge University, Press, ((Cambridge,2003

المصادر

أولاً: الكتب

1- ابراهيم عوض، "التكامل الاوربي والبحر المتوسط"، سلسلة بحوث سياسية، مركز البحوث والدراسات السياسية، (جامعة القاهرة، 2000).

2- د. إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية (النظرية والواقع)، المكتبة الاكاديمية، (الاسكندرية، 2011).

3- د.أنور إسماعيل خليل، التحديات الأمنية لمجلس التعاون لدول الخليج العربية منذ عام 2003، دار الايام للنشر والتوزيع، ط1، (بغداد، 2021).

4- جون بيندز و سايمون أشروود، الاتحاد الاوربي مقدمة قصيرة جداً، (ترجمة): خالد غريب علي، ط:(1)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (القاهرة، 2015).

5- جيمس دورتي، روبرت بالستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية ،(ترجمة) وليد عبد الحي، مكتبة شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ،(الكويت، 1985).

6- د.حسن نافعة، الاتحاد الاوربي والدروس المستفادة عربياً، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، 2004).

7- زايد عبد الله، السياسة الدولية بين النظرية والممارسة، دار الرواد، ط1، (ليبيا، 2002).

8- صدام مرير الجميلي، الاتحاد الاوربي ودوره في النظام العلمي الجديد، دار المنهل اللبناني، (بيروت، 2009).

9- عاطف أبو سيف، الاتحاد الأوروبي في القرن الواحد والعشرين.. أوروبا والبحث عن دور، الأهلية للنشر والتوزيع، (الأردن، 2019).

10- عبد الناصر جندلي، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية، دار الخلدونية، (الجزائر، 2007).

11- عبد الوهاب مُحَمَّد العمراني، الاتحاد الأوربي والعلاقة اليمنية الاوربية، دار الشروق للنشر والتوزيع،(عمان، 2011).

12- علي العطار، العولمة والنظام العالمي الجديد، دار العلوم العربية، (بيروت، 2004)، ص100.

13- مُحَمَّد بوعشة، التكامل والتنازع في العلاقات الدولية الراهنة (دراسة في المفاهيم والنظريات)، دار الكتب الوطنية، (ليبيا، 1999).

14- نك بتلر، "الاتحاد الاكمل في المستقبل"، مجلة السياسة الخارجية(النسخة العربية)، دار الوطن، (الكويت، شباط، 2003).

15- هيبة غربي، تداعيات الانسحاب البريطاني على المسألة الامنية في الاتحاد الاوربي، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، (برلين2018).

ثانياً: الدوريات

1- رامي حميد، "الانسحاب البريطاني من الاتحاد الاوربي"، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، المجلد (5)، العدد: (1)، المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية، (الجزائر، 2018).

2- د. سعد أبو عامود، "البناء المؤسسي للاتحاد الاوربي"، مجلة السياسة الدولية، العدد: (142)، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، (القاهرة، أكتوبر،2000).

3- د. نسيمة طويل، "التكامل الدولي: دراسة في المفاهيم والمقتربات النظرية"، مجلة الناقد للدراسات للسياسية، العدد: (3)، جامعة محمد خيضر،(الجزائر، 2018).

ثالثاً: الرسائل و الاطاريح:

1- رقية غربي، "السياسة الخارجية للاتحاد الاوربي بعد الحرب الباردة"، رسالة ماجستير (غير منشورة)"جامعة محمد خضير، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، (الجزائر، 2012).

2- نازك محمد هلال،" التكامل في العلاقات الدولية دراسة حالة العلاقات السودانية – الليبية"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الخرطوم، كلية الدراسات العليا، (الخرطوم، 2006).

رابعاً: الانترنيت

1- د. سيبي فريهان، "هل يمكن ان يتفكك الاتحاد الاوربي فعلاً؟"، دراسة منشورة على موقع المنهل، بتاريخ: 2020/2/6 على الرابط http://www.almanhal.com

2- د. صفاء النعيمي، "9 أسباب وراء خروج بريطانيا من الاتحاد الاوروبي"، مقال منشور بتاريخ: 24-06-2016، على موقع: CNBC عربية الاخباري،
https://www.cnbcarabia.com/news/view/19590/9

خامساً: المصادر الاجنبية

1- Barry Buzan and Ole Weaver, "Region and Power: The Security", Cambridge Studies in International Relations, Cambridge University, Press, (Cambridge,2003.(

الدلالات الإجتماعية في طبعات الأختام الإسطوانية الرافدينيّة

أ. م. د. بركات عباس سعيد
قسم التصميم / كلية الفنون الجميلة / جامعة بابل
Sawsanalali4242@gmail.com
009647711984067

م. د. سوسن هاشم غضبان
المديرية العامة لتربية النجف الأشرف
Bara7515@gmail.com

ملخص البحث

تناول البحث الموسوم (الدلالات الإجتماعية في طبعات الأختام الإسطوانية الرافدينيّة)، جملة الدلالات الإجتماعية التي وثّقها الفنان الرافديني على أسطح الأختام الإسطوانية وعلاقتها بالواقع اليومي الذي تعيشهُ المجتمعات الرافدينية. فالمنظومة الاجتماعية تُعد الركيزة الأساس للأفراد, التي تتضمّن جوانب عدة من مثل: العادات والتقاليد, القيم الأخلاقية, طقوس دينية, رموز كتابية, مفاهيم جمالية, مؤسسات حوارية وثقافية, طرز فنية, موروثات حضارية وحِرَف عملية إبداعية وغيرها من الموضوعات التي تعكس طبيعة ذلك المجتمع ومحدداتهِ الفكرية. وعليهِ تمَّ تقسيم البحث على وفق الآتي: تضمن الفصل الأول منه الإطار المنهجي للبحث متمثلاً بمشكلة البحث التي تحددت بالإجابة عن السؤال الآتي: ما طبيعة الدلالات الاجتماعية التي حَمَلتها طبعات الأختام الإسطوانية الرافدينية ؟ كما تضمّن هدف البحث، المتمثّل بـ (تعرّف الدلالات الاجتماعية في طبعات الأختام الإسطوانية الرافدينية). أما حدود البحث، فقد اقتصرت على دراسة النتاجات الفنية لطبعات الأختام الإسطوانية الرافدينية (الحضارة السومرية انموذجاً) التي تم اكتشافها في مناطق مختلفة من العراق ضمن الحقبة الزمنية من (2850 ق.م-2400 ق.م), ثم يأتي بعدها تحديد المصطلحات. في حين إشتمل الفصل الثاني على الإطار النظري، الذي ضمّ مبحثين الأول:الحياة الاجتماعية السومرية. والثاني: نشأت الأختام الإسطوانية وأهميتها في الحياة اليومية الرافدينية، واختتم الإطار النظري بإعداد جملة المؤشرات للإفادة منها في تحليل عينة البحث. أمّا الفصل الثالث فتضمّن إجراءات البحث المتضمنة إطار مجتمع البحث, عينة البحث, أداة البحث, منهجيّة البحث, ومن ثمّ، تحليل نماذج العيّنة التي بلغت (5) أنموذجاً من طبعات الأختام الإسطوانية الرافدينية (السومرية). وقد اشتمل الفصل الرابع على نتائج البحث والإستنتاجات، ومن اهم النتائج التي توصل إليها الباحثان كالآتي:

1. ارتبطت الدلالات الاجتماعية بموضوعتي الصراع والسلطة فالإنسان منذ ولادته يحيى الصراع في اطر الحياة الاجتماعية ليصبح هو صاحب السيادة والسلطة.
2. التباين والاختلاف في طبيعة الموضوعات الاجتماعية التي وظّفها الفنان السومري وهذا دلالة التنوّع الفكري والثقافي المرتبط في الحياة الاجتماعية السومرية.
3. تجسدت الدلالات الاجتماعية من خلال ظهور قوى اسطورية ومعتقدات وموضوعات ذات طابع ديني مقدس ارتبطت بشكل مباشر بحياة الإنسان السومري من خلال الشكل والمضمون.

ومن جملة الإستنتاجات:

1. استطاع الفنان السومري من إظهار الدلالات الإجتماعية في موضوعات طبعات الأختام الإسطوانية المرتبطة بجوانب الحياة اليومية المختلفة لتصبح هي الأسس الفاعلة التي تعالت والنظم الإقتصادية والدينية والسياسية والثقافية وتنظيماتهم العائلية.
2. ان الفنان السومري هو ذلك الإنسان المبدع والمثقف ذو الفكر الواعي والبراعة الفذّة الذي استطاع ان يحوّل سطح طبعة الأختام الإسطوانية المتناهية الصِغر الى موضوعات متكاملة في شكلها ومضمونها كدلالات على الفاعلية التنظيمية لمجمل جوانب الحياة اليومية الإجتماعية.

كما اشتمل الفصل الرابع على التوصيات، المقترحات. والحُِقَ البحث بالمصادر، وملحق الأشكال.

الكلمات المفتاحية (الدلالات, الإجتماعية, طبعات, الأختام(

Social Implications of Mesopotamian Cylindrical Seals Impressions

Abstract
The research entitled "Social Implications of Mesopotamian Cylindrical Seals Impressions" deals with a set of social implications documented by the Mesopotamian artist on the surfaces of Mesopotamian cylinder seals and their relationship to the daily life of Mesopotamian societies. The social system is the mainstay for individuals, which includes several aspects such as: customs and traditions, moral values, religious rituals, written symbols, aesthetic concepts, dialogue and cultural institutions, artistic styles, cultural legacies and creative process crafts and other topics that reflect the nature of that society and its determinants. intellectual. The research is divided as follows: The first chapter of includes the research methodological framework of represented by the research problem that focuses on providing answer to the following question: What is the nature of the social implications of the Mesopotamian cylinder seals impressions? The chapter also includes the goal of the research, which is identifying the social implications of the Mesopotamian cylindrical seals impressions.
The research is limited to studying the artistic outputs of the impressions of Mesopotamian cylindrical seals impressions (the Sumerian civilization as an example) discovered in different regions of Iraq during the period from (2850-2400 BC). The second chapter includes the theoretical framework, and it includes two topics: the first topic is Sumerian social life, and the second is the origin of cylinder seals and their importance in Mesopotamian daily life. The theoretical framework is concluded by developing a set of indicators for use in the analysis of the research sample. The third chapter includes research procedures that includes the framework of the research population, sample, tool, methodology, and the analysis of five samples Mesopotamian (Sumerian) cylindrical seals. The fourth chapter includes results of the research and conclusions. The most important results reached by the researchers are the following:
1. Social implications have been connected to the issues of conflict and power. Since his birth, man revives the conflict within the frameworks of social life in order to have sovereignty and power.
2. Variation and difference in the nature of the social issues employed by the Sumerian artist. This is the implication of the intellectual and cultural diversity associated with the Sumerian social life.

3. The social implications are embodied through the emergence of mythical forces, beliefs and subjects of a sacred religious nature that are directly related to the life of the Sumerian man through form and content.

Among important conclusions are:

1. The Sumerian artist was able to show the social implications in the subjects of the cylinder seals impressions related to the various aspects of daily life in order for these implications to become effective foundations of the economic, religious, political, cultural systems and family organizations.

2. The Sumerian artist was a creative and educated person who had conscious thoughts and unique ingenuity and was able to transform surface of the micro-impression cylinder seals into subject integrated in their form and content as implications of the organizational effectiveness of all aspects of daily social life.

The fourth chapter includes recommendations and suggestions. The study ends in references and figures.

Key words: Semantics, social, prints, seals

الفصل الأول/ الإطار المنهجي للبحث

مشكلة البحث

تُعد المنظومة الاجتماعية الركيزة الأساس للأفراد, التي تتضمّن جوانب عدة من مثل: العادات والتقاليد, القيم الأخلاقية, طقوس دينية, رموز كتابية, مفاهيم جمالية, مؤسسات حوارية وثقافية, طرز فنية, موروثات حضارية وحِرَف عملية إبداعية وغيرها من الموضوعات التي تعكس طبيعة ذلك المجتمع, حيث تتغير بحسب سلوكيات الافراد او الجماعة, لتصبح تلك السلوكيات هي التنظيم الحقيقي لوجود الفرد وأساس كيانهِ الطبيعي. لقد استطاع الإنسان من ان يكوّن منظومة تفاعلية معقّدة على مر التأريخ بدءاً من تشكيلاتهِ الإبداعية (رسوماتهِ الكهفية) للحيوانات وبعض الظواهر الطبيعية وحتى انجازاتهِ التكنولوجية في أواخر هذا القرن. انها بمثابة تحول مهم في جوهر الخطابات الفكرية والنُظُم الاجتماعية على حدٍ سواء. تمخض عن ذلك تنوّع في المقوّمات الثقافية والاقتصادية والدينية, فضلاً على تنامي ارهاصات جسّدت موضوعات وظواهر مادية (ما يصنعهُ الإنسان) وروحية (علاقة ذلك الإنسان بالطقوس الدينية), بمعنى أن تلك الظواهر الاجتماعية لم تكن إلاّ في هيئة رموز ومعانٍ ومفاهيم ودلالات، وقد حققت تلك النُظُم والدلالات الاجتماعية تواصلاً ومزيداً من التلاقح الفكري والثقافي كعلاقات حوارية انصبت دلالاتها وتبلورت في هيئة قطع طينية مطبوعة صغيرة في حجمها وكبيرة في مضامينها الدلالية اما تقنيات إنجازها فتقع ضمن الاعمال الكرافيكية المليئة بالتجديد وامتزاج نشاطها بمقومات الوعي الاجتماعي.

وبفعل التواصلية بين الأدوار الحضارية المتتالية في بنية الحضارة الرافدينية استُثمِرَت فكرة الأختام الإسطوانية ونتاجاتها المطبوعة, بغية تنظيم حزم المنظومات الفكرية والمفاهيم المتحركة في منظومة الفكر الاجتماعي, فقد وجدت هذهِ الحزم الفكرية دلالاتها وفعلها التعبيري.. بمثل هذهِ الاظهارات الشكلية, انها معادلة التمثيل والإنعكاس بين ما يبلغهُ التشكيل من دلالات والأشكال الفكرية الاجتماعية التي فعّلت تلك الإبداعات. (10-صاحب,2011, ص101) النابعة من صميم الحياة ذاتها, بوصفها نشاطات اجتماعياً تحددت غاياتها في الحياة او الواقع نفسهِ, التي من شأنها ان تتواصل وتؤسس سلسلتها التأريخية المتفاعلة في حِراكها عِبر مراحل تطوّر الفن. (9-صاحب,2016, ص1) وعليهِ يمكن صياغة مشكلة البحث الحالي بالتساؤل الآتي: ما طبيعة الدلالات الاجتماعية التي حَمَلتها طبعات الأختام الإسطوانية الرافدينية ؟

أهمية البحث والحاجة إليهِ:

يهتم البحث الحالي بدراسة الدلالات الاجتماعية في النتاجات الفنية لطبعات الأختام الإسطوانية الرافدينية, فضلاً على ذلك فالموضوعة البحثية تمثل حفراً معرفياً يرفد جملة الدارسين والنقاد والمهتمين بشأن تأريخ الفن العراقي القديم كإرث حضاري غني بإبداعاتهِ وتوجهاتهِ الفكرية, وعلم الاجتماع وجوانب الفكر والفلسفة. في حين تكمن أهمية البحث في كونهِ يمثل الوعاء الوحيد الذي نقل الكثير من جوانب المنظومة الاجتماعية كالأساطير والموضوعات الروحية والعديد من الرموز والعلامات الدالّة عن عراقة الحضارات القديمة واصالتها.

هدف البحث : تعرّف الدلالات الاجتماعية في طبعات الأختام الإسطوانية الرافدينية.

حدود البحث : يتحدد البحث الحالي:

1. الحدود الموضوعية: النتاجات الفنية لطبعات الأختام الإسطوانية الرافدينية (الحضارة السومرية انموذجاً.)
2. الحدود المكانية: تتضمن اعمال طبعات الأختام الإسطوانية الرافدينية (الحضارة السومرية) التي تم اكتشافها في مناطق مختلفة من العراق, والموجودة حالياً في المتاحف العالمية والعراقية, والمقتنيات الخاصّة بالإضافة الى الكتب والمراجع والدوريات.
3. الحدود الزمانية: اعمال طبعات الأختام الاسطوانية الرافدينية. من تأريخ (2850 ق.م-2400 ق.م(

تحديد المصطلحات:

الدلالات: (Signification)

الدلالة (لغة):

الدليل أي ما يستدل به، والدليل: الدال، وقد دلهُ على الطريق أي يَدُله. (26-الرازي,د.ت, ص209) والدلالة: مصدر الدليل, بالفتح والكسر.والدالة: مما يدل الرجل على من له عندهُ منزِلة او قرابةٌ قريبة: شبهُ جراءةٍ منهُ. (27-الفراهيدي,2003, ص43)

الدلالة (اصطلاحاً):

ما يشير بوضوح الى معنى. (25-جوليا,1992,ص211) والدلالة: وظيفة الإشارات, العلامات. " الدلالة ضرورية للعقل, أي لمراسمِ وحتى للعبة الفكر الإنساني المتروّي. مع ذلك, لا يزال العقل اوجب للدلالة". (28-لالاند,2001,ص1294) والدلالة: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم بهِ العلم بشيء آخر, والشيء الأول هو (الدال) والثاني هو (المدلول). (29-وهبة,1998,ص326) ويؤكد (رولان بارت) على ان علم الدلالة يُعالج كل الشفرات التي تمتلك بُعداً اجتماعياً حقيقياً, عندما قال " ومما لا مراء فيهِ ان الأشياء والصور, والسلوكيات قد تدل بل وتدل بغزارة, لكن لا يمكن ان تفعل ذلك بكيفية مستقلة, اذ ان كل نظام دلائلي يمتزج باللغة ". (24-الأحمر,2010,ص91)

تعريف الدلالات الاجتماعية (إجرائياً):

مجموع العلامات والرموز والهيئات الشكلية التي وظّفها الفنان الرافديني (السومري) في نتاجات طبعات الأختام الإسطوانية, كمظاهر جمعيّة تعكس طبيعة ذلك المجتمع ومحدداتهِ الفكرية.

الفصل الثاني/ المبحث الأول/ الحياة الاجتماعية السومرية

يُعد الإنسان كائن اجتماعي بطبعهِ, يميل الى التجمع بأفراد نوعهِ وينفر من العيش منعزلاً عن الآخرين, ليحدث هذا الفعل بطريقة تلقائية لأجل التكامل والتعاون والتآزر, وظهر من خلال هذا العمل (تجمعات الإنسان) منذ بداية التأريخ، حيث لجأت تلك التجمعات حول الأنهار والأماكن الخصبة للزراعة والرعي, فتكاثرت تلك التجمعات الإنسانية وتحوّلت من تجمعات بسيطة الى تجمعات اكبر, ثم أصبحت دولاً. (18-الفائدي,1992,ص113) فالمجتمع السومري, في بداية عهدهِ, يعد مُجتَمعاً مُعقداً منظماً تنظيماً عالياً, من خلال امتلاكهم للأداء العالي من المهارة في الزراعة والصنعة والفنون فضلاً عن المنظومة الاجتماعية ذات المراتب المتفرعة والمتمثلة بالنبلاء ورجال الكهنوت والكتبة والصنّاع والتجّار والجنود والفلاحون. (20-لوكاس,1980,ص12). إذ حقق المجتمع السومري تحولاً حضارياً مهماً في تأريخ الفكر الإنساني, مكونا اول مجتمع متحضِّر ومؤسسة تأريخها ممتلئ بالنشاط والحيوية وحركة الفكر المتجدد بشكلٍ لا مثيل لهُ, حافل بالإبداعات والمفاجآت الحضارية. لقد وُضِعت المرتكزات الفكرية الأولى في العصر السومري المبكّر الذي تمخّض عن ابتكار الكتابة الصورية التي سرعان ما تحوّلت الى طورها الرمزي عندما استثمرت بتدوين شتى المقولات في فعاليات الحياة الاجتماعية المختلفة. (13-صاحب,2017,ص30)

ان الحياة الاجتماعية السومرية أسست تأريخها من خلال نشاط حركة الأفكار المتحولة والمتجددة بشكلٍ متسارع مليء بالمستجدات والإبداعات، لذا جاء اختراع الكتابة ليعلِّم البشرية (الحَرف), انه انتصار معرفي عظيم حفظ تأريخ الإنسانية من الضياع. ان الكتابة في بنيتها نظام من العلاقات الجمالية يتم تسطيرها وانتظام خطوطها وتقنيات حفرها وتناسقها, لذا وصفها (طه باقر 1912-1984) بأنها "كانت كتابة صورية تعتمد على تمثيل صور الأشياء المراد كتابتها".(11-صاحب,2005,ص17-19) هذا الاختراع قد استلزمهُ حاجات التطور الاجتماعي والحضاري في بلاد الرافدين في أواخر عصر السلالات من مثل الحاجة الى تدوين الواردات وضبط الحياة الاقتصادية في المؤسسات المدنية والدينية. كما لجأ السومريون الى

ادخال الكتابة في المراسلات الحكومية منها والخاصة, فضلاً على التنظيم الإداري والقضائي والعسكري والمالي, كما ويظهر ارتباطها مع علاقات الافراد وكيانهم, وأنواع تعلمهم وعاداتهم الاجتماعية. (3-دلو,1989,ص294-297)

ان نشوء الفكر الديني عند السومريين في عهدهم المبكّر يعود لمبدأ: حيوية الطبيعة ,(Animism) حيث قسّموا الوجود بحسب تفكيرهم الى عالمين: احدهما ظاهر محسوس, والآخر يعج بالأرواح والقوى غير المنظورة. امّا فكرة عبادة ظواهر الطبيعة بدأت في شكل مقولات مجرّدة ومتداولة في الفكر الاجتماعي, حين رأوها على تفاعل حقيقي مع سطوح وجدران معابدهم وقصورهم الجميلة. انها وسائل لإستظهار تلك القوى الروحية التي كانت لها أدوار مهيمنة في دراما الطقوس والأساطير الدينية. (12-صاحب,ط1, 2016,ص236) أن الأساطير غالباً ما تتحدث عن كائنات تتصف بصفات متناقضة. وهي في الوقت نفسه وحدة وكثرة مادية وروحية. ومع ذلك يُرجع عالم الاجتماع الفرنسي (إميل دوركهايم 1858-1917) سبب رسوخها في أذهاننا بصورة أزلية لعوامل تاريخية وبالتالي إجتماعية. حيث إنها ترجمة لملاحظات واقعية ورصد لحوادث جارية، وقد نقلت الينا تجارب الأولين وخبراتهم. (14-عبادة,1984,ص262) ان الاسطورة قصة او مجموعة قصص تروي افعال الآلهه او مغامرات الاسلاف البطولية والاسطورة بمجملها اكدت على شيئين اثنين، الأول: ان الاسطورة هي جمع من الافكار والمعتقدات والاحكام النظرية. والثاني: الاسطورة نسيج مضطرب من الخيوط التي تقع خارج التاريخ (المعجزات) ولكن ذلك لا يعني خروج الاسطورة من الواقع التجريبي ولكن بمعنى انها تتناقض معه فتبدو وكأنها تنشئ عالما (خياليا) خارج دائرة التموضع المكاني والزماني الحادث. (5-زيادة,1986,ص 67-68) والفكر الاسطوري يتابع على الدوام خلق اساطير جديدة. حيث لا يُعرَف للاسطورة مؤلف معين, لأنها ليست نتاج خيال فردي, بل ظاهرة اجتماعية جمعية يخلقها الخيال المشترك للجماعة وعواطفها وتأملاتها. اذ تلعب الالهه وانصاف الالهه الادوار الرئيسة في الاسطورة. كما تجري احداث الاسطورة في زمن مقدس هو غير الزمن الحالي ومع ذلك فان مضامينها اكثر صدقا وحقيقة بالنسبة للمؤمن من مضامين الروايات التأريخية. حيث ترتبط الاسطورة بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته وتدخل في صلب طقوسه وهي تفقد مقوماتها, اذا انهار هذا النظام الديني. اذ تتمتع الاسطورة بقدسية وسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم. (8-السوّاح,2001,ص12-14) فلم تكن اسطورية الفكر الديني عندهم لتتحول الى فن, لو لم تكن مرتبطة بحياتهم العملية وبنائهم الاجتماعي. فقد أسست بنية الدين الإسطورية علاقات رمزية بين الأشياء المتشابهه وتعاملت مع هذهِ التداعيات على انها (حقائق) قائمة في الواقع, هذا التعميم الرمزي في بنيتهم الفكرية, قد فعّل خاصية تأويل المفاهيم الى رموز, فأحال التجريدات الذهنية بذات الفاعلية الى إعمامات فنية. (11-صاحب,2005,ص111)

امّا المعبد فهو محور الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية, وهو المنظِّم الرئيس للمقايضة والتجارة والمتكفِّل بالأعمال العامّة (20-لوكاس,1980,ص12), وهذا يشير الى ان المعبد بالإضافة الى اغراضهِ الدينية هو المؤسسة الرئيسة إجتماعياً وإقتصادياً, انهُ المحرك الأول في حياة المدينة ومركز التنظيمات الزراعية والعمالية ومشاريع الري, فضلاً على مركز عبادة الآله والأضاحي المقدَّمة له والتنبؤات والطقوس الدينية ومقر القصر الملكي والخزينة والمحكمة والمحاصيل العامة. لقد احتفظ بنشاطهِ بوصفه مركز إدارة وإنتاج ليبقى احدى المؤسسات الرئيسة في المجتمع السومري. فالمعبد يؤمن كل ما تتطلبهُ الطقوس الدينية وإدارة شؤون المعبد والحفاظ عليهِ.(1-امهز,2010,ص119-120) وعندما تحوّل نظام القرية الى نظام المدينة عند السومريين في عصرهم المبكّر (3500-2800ق.م) تحوّل مزار القرية الصغير الى اعداد كبيرة من المعابد في جميع المدن السومرية, هذا التحول نتيجة تطوّر المعتقدات الدينية وتوسع تداولها في حركة الفكر الاجتماعي، وكذلك تطوّر النشاطات الاقتصادية في المدن السومرية، فنشأ ما يُعرف بالمؤسسة المعبدية التي أدلجت الفن وسخّرتهُ لإعلان افكارها الناشطة في الوعي الاجتماعي. (13-صاحب,2017,ص61).

وعلى نطاق المعبد تنمو موضوعات الدين والعقائد والطقوس, وبحسب (دوركهايم) يُعد الدين منظومة متماسكة من العقائد والطقوس المتصلة بالأشياء المقدّسة تؤلف بين جميع المؤمنين بها, في نطاق طائفة أخلاقية تسمى (المعبد). في حين يُعد المعتقد هو

الاساس الذي يقوم عليه الدين الجمعي, ومع المعتقد المترسخ يظهر (الطقس) المنظم, وهو اقوى اشكال التعبير عن الخبرة الدينية, فمن خلال القربان والرقص والحركات الايمائية, تعمل الجماعة على صهر الاستجابات الانفعالية في بنية سايكولوجية وسلوكية ذات طابع مؤسس عام, ومع المعتقد نفسه تظهر الاسطورة التي تعمل على توضيح الاعتقاد وتجذيره, بعدّهِ فكرة نظرية في الادب الديني, وهي بحاجة الى التجسد والتجسيد, فإذا كان المعتقد حالة ذهنية, فان الطقس حالة فعل من شأنها احداث رابطة, فإذا كان المعتقد منظومة فكرية ترتبط بعالم المقدسات فان الطقس مجموعة من الأفعال المتعلقة بآليات الاقتراب من ذلك المتعالي. وعليهِ فتلك الشعائر الدينية والطقوس والعقائد جميعها حصيلة الحياة الاجتماعية التي ارتبطت بالجانب الروحي في بنية حياة الجماعة.(11-صاحب,2005,ص32-33) كما تميز السومريون بالموسيقى ايضاً وبرعوا بإستعمال آلاتها منها الطبل والناي والجرس والبوق والعود والمزمار إضافة للقيثارة. (7-سكّر,1999,ص84) والدليل على ذلك الشكل (1) كما وُجدت صور للطبول والابواق والاجراس, اذ وُجدت بعض الواح الطين بعضها بهيئة أسطوانات مثقوبة فيها بعض الرموز العربية التي رأى بعض الباحثين فيها انها (نوطة موسيقية) وان احداها تمثل النغمة الخاصة بترتيلة سومرية خاصة بخلق الإنسان. (2-باقر,1955,ص485)

وهنالك أيضاً الطقوس الدينية كأحد اهم المكونات الاجتماعية بِعدّها حصيلة لأنماط السلوك في المنظومة الاجتماعية, التي تحولت الى تقاليد روحية مقدَّسة في حياة المجتمع. أي ان الطقوس الدينية بشعائرها المعقّدة فعّلت نوعاً من الخبرة الاجتماعية لدى كل فرد في المجتمع واقامت عالماً خاصاً من الرموز والكلمات والمفاهيم والمصطلحات ذات الفهم الاجتماعي العميق. وفضيلة الفكر الإنساني في ذلك هو انهُ دشّن حيزاً ثقافياً حوّلَهُ إثْرَ تفكيرهِ وعواطفهِ, الى شكل معبّر عن طقوسهِ ومعتقداتهِ الدينية. (12-صاحب,ط1 ,2016,ص250-251)

لقد انبثقت اقدم الجهود البشرية على مستوى تنظيم الحياة الاجتماعية تلك المتمثلة بالشرائع والقوانين المدونة التي تعود الى عصر فجر السلالات. ولعل ابرز ما امتاز به المجتمع هو تمسكهِ بالقواعد القانونية فكانت المعاملات وجميع الأحوال الشخصية تجري وفق احكام معروفة وقوانين صارمة. انهم كانوا يعدُّون مصدر واصل القوانين من الآلهه, فكانت ملوكهم عندما تُصدر القوانين او ذكرهم نشر العدل وتشريع الشرائع معتمدين بذلك على رغبة الآلهه وارادتها. بمعنى ان الشرائع القديمة مستمدّة من الآلهه, فالقوانين القديمة سواء كانت صادرة من العُرف ام مبنية على الاحكام الصادرة من الملك او الكهنة انما هي احكام آلهة لأن الحاكم يمثّل الإله في هذهِ الأرض فأحكامهِ موحى بها من الآلهه. (2-باقر,1955,ص280-281) والقوانين في بلاد ما بين النهرين هي اقدم شرائع مدونة في تأريخ الحضارات البشرية. وخطوة متقدمة بالنسبة الى العادات والأعراف القبلية التي لها الأثر الواضح في العديد من شرائع البلدان المجاورة كونها وُضِعت لتنظيم العلاقات الاقتصادية والإجتماعية كمصدر أساس في تأريخ العراق القديم. فالقوانين السومرية وقانون حمورابي وغيرها من القوانين تشكل المصادر المهمة لدراسة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ومظاهر السلطة المدنية والعسكرية والدينية والنظام القضائي والعقوبات وغيرها من أمور الحياة في كل من سومر وبقية المدن العراقية. (3-دلو,1989,ص396) إضافة الى ذلك اشتمل القانون السومري على العلاقات التجارية والعلاقات الزوجية والجنسية بوجه عام, وتنظيم شؤون القروض والعقود, والبيع والشراء, والتبني والوصية بكافة أنواعها. (4-ديورانت,د.ت,ص28) ثمّ هناك قانون اخر بالسومرية يساويه في القدم وهو قانون لبت-عشتار, Lipit-Ishtar الذي عثر عليه في أربع قطع بمدينة نبور في آخر القرن الماضي, وهناك قوانين بالسومرية قديمة جداً, ونعني بها قوانين أور- نمو Ur-Nammuمؤسس الدولة الثالثة في أور, التي ترجع إلى حوالي 2050 ق.م, وهنالك الأحكام القضائية, وتقارير عن محاكمات، وحسابات وإيصالات, ووثائق مالية وغير مالية, تكمل منظومة التشريع في أرض الرافدين, وتبين تعقيد النظام القانوني والمستوى العالي الذي بلغه في تطوره. (23-موسكاتي,1986,ص96)

في سياقٍ آخر وعلى صعيد الحياة الاجتماعية, عَدَّت المجتمعات السومرية (القصر) احد المؤسسات ذات الأهمية الكُبرى. إنهُ مقر (الإنسي Ensi) – الذي يشرف على إدارة الدولة, في حين كان الإله يمثِّل الملك الحقيقي ويطلق عليهِ لقب (ملك المدينة), وما الأمير او الحاكم إلاّ وكيل هذا الإله على الأرض. أن (الإنسي) هو من يجسّد المدينة والدولة, الذي فقد دورهُ السياسي عندما ظهر الملك واصبح من اتباعهِ. حينها ظهرت الى جانب الإدارة (الإنسية), الإدارة (المِلَكيَّة) المتمثلة بشخص الملك الذي عُرِف باسم (لوكال Lugal –واصبح نفوذهِ اكثر اتساعاً من نفوذ (الإنسي). فأهمية الحاكم ارتبطت بالظروف السياسية وتطورها وبالأعمال العسكرية التي يقوم بها. (1–امهز,2010,ص121) والملك في الوقت نفسه الرئيس الأعلى للكهنة، وكان بصفته هذه يُشرف على أهمّ الوظائف الدينية، ويتجمع حول سلطة الملك عدد ضخم من الوظائف والموظفين، كما هي الحال في كلّ امبراطوريات الشرق الأدنى القديم، ويديرها وزراء وموظفون ومفتشون وعمّال وكهنة وطوائف اخرى كثيرة. (23–موسكاتي,1986,ص103)

لقد تطورت المنظومة الإقتصادية وبالتحديد فكرة المِلكيّة تطوراً ملحوظاً في أرض الرافدين، إذ حلّت محل السلع المنقولة القليلة التي يملكها سكان الصحراء ممتلكات كالحبوب والذهب والفضة والقوارب وعقارات ثابتة كالبيوت والحدائق والحقول، حيث العقارات الثابتة تسجّل في الوثائق الادارية، وتشهد الحضارة الرافدينية على التقدم العظيم في الحياة التجارية الذي صاحب التوسع الكبير في الملكية، كما تشهد على النظام القانوني الدقيق، ونلاحظ عقود تتعلق بالودائع، والنقل من مكان إلى مكان، وشراء العقار أو بيعه أو تحويله، والقروض التي تؤدي عنها فائدة، والتأجير، والمشاركة، فالزراعة كانت العمل الاساسي للسكان وهي أحد معطيات الحياة الاقتصادية الرافدينية فالأرض بالغة الخصب تسقيها شبكة محكمة من القنوات. فالتوجه الكبير يتمثل في ضبط المياه وتوزيعها، لتمتد تلك العناية لأشجار النخيل، التي كانت المصدر الأكبر لثروة البلاد، إضافة إلى الشعير كأحد أهمّ الحبوب في أرض الرافدين. (23–موسكاتي,1986,ص99)

وفي حدود الحياة الاجتماعية العائلية, فللأب السلطة المطلقة (السلطة الأبوية البطريركية العليا) على زوجتهِ وبنيه وبناتهِ خاصة في مجال زواج البنين والبنات. أمّا الزواج فهو مبدئياً زواج لا يعرف تعدد الزوجات بالرغم من أن القانون يعترف للرجل ان يكون لهُ حريم من السراري المنتمي الى طبقة العَبيد, وفي بعض الأحيان يسمح القانون للرجل بأن تكون لهُ زوجة ثانوية الى جانب زوجتهِ الرئيسة, غير انها لا تتمتّع بحقوق الزوجة الرئيسة. وللزوج الحق طلاق زوجتهِ, إلاّ في حال كون زواجهِ قد فرض عليهِ لتغطية فضيحة فضُّ العذرية, وليس على الزوج عند الطلاق أن يُقدّم اية نفقة لزوجتهِ, بل عليها التخلي عن المجوهرات التي قدمها لها اثناء الزواج, وعليها ان تحتفظ بما أعطاها إياه كمُقدّم عند زواجها كما وتفقد حقها في إرث زوجها. (19–قاشا,د.ت,ص12–13) ويرى اتباع النظرية الإجتماعية الدور الإجتماعي الذي أدّاه المجتمع السومري في تحديد المحتويات الفكرية التي بثّتها تلك التماثيل الفخارية المرتبطة بفكرة الزواج, كونها نابعة من صميم الحياة لذا انحسرت غايتها في ملابسات حياتهم الإجتماعية, فالتمثال المزدوج للزوجين السعيدين هو بمثابة اداة سحرية لمعالجة قلقهما الوجودي من خطر الفناء كونه نوع من الصراع الوجودي بين الذات وعوالمها المغيّبة, فالحب هو الذي جمع الزوجة بزوجها في تمثال واحد. (13–صاحب,2017,ص239) كما في الأشكال (4,3,2)

المبحث الثاني/ نشأت الأختام الإسطوانية وأهميتها في الحياة اليومية الرافدينية

ان الفنون في بلاد وادي الرافدين تمثلت بسلسلة مترابطة من التقاليد والموروث الحضاري. والتواصلية الحضارية المتتالية أدت الى ان طوّر السومريون انتاجهم الإبداعي, ليظهر شكل (الختم المنبسط (Stamp Sealالذي ابدعهُ العراقيون في عصر ما قبل الكتابة, من سطحهِ التصويري ذات المساحة الضيقة الى سطح الختم الاسطواني الدائري الشكل الذي يُعلن بدايتهِ ويهمش نهايتهِ نحو اللامحدود من امتدادات الأشرطة ذات المشاهد التصويرية. واذا كانت منظومة التماثيل والمسلات والألواح النذرية السومرية, خطابات فكرية ارتبطت بأنظمة المدن السومرية, فإن الاختام الاسطوانية تُعد فناً شعبياً يفسر المفاهيم الفكرية لطبيعة مجتمعاتهم في

تلك الحقبة, إضافة الى حالة التعايش مع وسيطهم الحضاري المزدحم بموضوعات الحياة كافة كالاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية. (13-صاحب,2017,ص96)

تُعد الاختام الاسطوانية أحد أهم الأفكار التي سارت موازية للكتابة الصورية في العصر الشبيه بالكتابي عندما استخدمت لتحديد ملكية أو تسجيل اتفاق مُبرم, فظهرت لأوّل مرة في الطبقة الرابعة من الوركاء في عصر الشبيه بالكتابي proto_ literate periodوبوقت معاصر إلى ظهور الكتابة الأولى. وتختلف الأختام في حجمها وشكلها من عصرٍ لأخر, حيث كانت مادة صنعها في العصور الأولى من الأحجار السهلة القطع من مثل الكلس والالباستر والحجر الصابوني الناعم الملمس. والحجر الجيري ثمّ لجأ السومريون إلى استخدام مواد اخرى من مثل حجر الدم, والديورايت الأسود واللازورد والعقيق والبلور الصخري بل وحتى الطين المشوي والصدف والمحار والعاج وغيرها من المواد. (31-الأحمد,1981,ص300- 301) لقد شكلت (الأختام الإسطوانية) ابتكار مذهلاً في تأريخ الفكر الإنساني عندما حلَّت محل الأختام المنبسطة. كما موضح في الشكلين (6,5), التي تُعد وليدة تطوّر الفكر والفعاليات الاقتصادية ورُقي النظم الاجتماعية في تلك المرحلة المبكرة من تأريخ الحضارة العراقية. (13-صاحب,2017,ص92) لما تحويهِ من نقوش بارزة ومشاهد مصوّرة تنوعت موضوعاتها المختارة في العهود البدائية المختلفة وكَثُرت صور الحيوانات كما احتوت على هيئات آدمية نحتت بدرجة عالية من الدّقة, ثم جاءت الموضوعات الدينية المتمثلة بالثيران المقدّسة لدى الآلهه بجانب سنابل القمح. (15-علاّم,2010,ص50) لتسير جميعها موازية للكتابة الصورية في عصر بداية الكتابة.

أنّ السومريين لم يروقهم محدودية السطوح التصويرية للأختام المنبسطة ، فكان إبداعهم للأختام الاسطوانيّة بمثابة الحل, لتوفير فرص تمثيل العديد من الموضوعات ذات الوحدات التصويرية الكثيرة, كي تفي بحاجاتهم. (13-صاحب,2017,ص95) والختم الاسطواني مكوّن من قطعة من مادة صلبة على شكل اسطوانه حُزَّت عليها تصاميم معيّنة, وبقيت ملمحاً مميزاً للفكر الحضاري العراقي. (6-ساكز,2009,ص75) ونتاج الطبعة يكون هو الموضوع الأساس للهيئة الأنشائية المنقوشة بشكل معكوس على السطح الخارجي للختم الإسطواني, كشريط يعود فيلتقي مع بدايتهِ ويتم دحرجتهُ على الطين منتجاً طبعة (إفريزاً) متصلاً. (17-فاضل,2006,ص33) لقد صُنِعَت هذهِ الأختام من الحجارة او الصدف ونُحِتَت بلطف وعلى طرفها المحدّب بأشكال مختلفة شكّلت كما قُلنا افريزاً دقيقاً من الزينة, عند دحرجتها فوق الغضار (الصلصال) الطري. فالتنوّع في الموضوعات وبراعة المعالجة التزيينية تؤكد تحقيقهم لإنجاز لم يضاهيه أي انجاز آخر, وعليهِ وصلت أعمالهم للرُقِي في النقوش النافرة ولم تقتصر على الرسوم الخطيّة بل قاموا بتصميم وتنفيذ الأشكال البشرية. (21-لويد,1939,ص81) كما موضّح في الشكل (7)

أمّا المادّة الأكثر شيوعاً لصناعتهِ هي الأحجار الناعمة, كالرخام كما موضح في الشكل (8) او حجر الكلس. وبعد التغلّب على المشكلات التقنية في قطع الأحجار الصلبة وصقلها, صارت تستخدم الأحجار الصلبة كالهيماتيت والزجاج البركاني وحجر اللازورد بإستمرار فضلاً على استخدام الذهب والفضة في عمل الأختام الاسطوانية, كما موضح في الشكل (9), ويعود السبب في استخدامهم للمواد الثمينة كونها تبقى مادة متوارثة عبر الأجيال. وإنتاج الطبعات وغالباً ما كانت تلك الأختام الإسطوانية تنطوي على وسيلة تُعلَّقْ بها, قد يتم ذلك عن طريق عروه مثقوبة عند احد طرفي الختم, كما موضّح في الشكل (10), واتخذت في بعض النماذج القديمة والى الجانب الأعلى من الختم هيئة حَمْل او حيوان آخر. وبعدها اعتمدوا تثقيب محور الختم طولياً, وكان الموظفون يُغيّرون اختامهم وهم يرتقون السُلم الإداري. (6-ساكز,2009,ص75-76) حينها ظلت الأختام الإسطوانية هي الطابع المميز للحضارة السومرية التي لا توازيها سوى الكتابة المسمارية. انها حققت تطوراً متكاملاً لنفسها, من خلال ذلك اعطتنا مشاهد هائلة من الموضوعات المصوّرة ذات المساحة الصغيرة وبدلالات كبيرة, انهُ المبدأ المميز للتركيب الأجتماعي في الفن السومري. (22-مورتكات,1975,ص40) امّا أنواع الصخور التي كان يفضلها صانع الأختام الاسطوانية لم تكن من بلاد وادي

الرافدين الأمر الذي يدل على وجود علاقات تجارية مع البلدان المجاورة. (21-لويد,1939,ص84) وكون الأختام الاسطوانية مصنوعة من مادة شديدة الصلابة (دائمة) فإنّها نجت من ويلات الحقب التاريخية.

لقد حملت الاختام الاسطوانية بمجملها مشاهد مختلفة لطبيعة الحياة في بلاد ما بين النهرين إضافة إلى إعطاء نظرة ثاقبة لطبيعة ذلك المجتمع وتعاملاته اليومية وصفقاته التجارية لقد اشتملت موضوعات الأختام الاسطوانية على تعددية الأنشطة اليومية كالتجارة والزراعة ومشاهد الآلهة وغيرها.(33- موقع ألكتروني) بمعنى إنّ الأختام الأسطوانية جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية في الحياة الرافدينية القديمة, لأنّه يفصح عن قصة شعب التحمت إبداعاته في بودقة صغيرة, لا تتعدى مساحتها 2-8 سم, وغالباً ما تكون الأختام الاسطوانية معقدة جداً في بنيتها التصميمة. (32- موقع الكتروني)

لقد عَرَف العراقيون الأختام الاسطوانية التي استُخدمت في العصر الشبيه بالكتابي، وهذا الإنجاز يُعد وليد الفكر ونشاط الخيال وتطور التقنيات ونضج النظم بمختلف مجالاتها التي هي بمثابة التوقيع الشخصي. (12-صاحب,ط1, 2016,ص105) حيث قدمت لنا تلك الاختام خير المعلومات والايضاحات عن الاساطير العراقية القديمة, كما قدّمت مراحل مختلفة من قصة واحدة بحيث اذا وُضِعت هذهِ الصور جنباً الى جنب بعضها, تظهر الصورة كاملة. وتتضح أهمية الاختام الاسطوانية في توضيح معالم الدين العراقي القديم, وتأريخهِ الكبير جداً حيث تمّ تصوير الارباب وطقوس عبادتها. وقدّمت لنا صور الاختام ايضاً في الاضاحي المقدّمة الى الأرباب او الى رموزها. ان الصورة الجلية التي قدمتها خير دليل على المِهن المختلفة, والأدوات التي يستعملها أصحاب المِهن ولباسهم. لقد ساعدت الاختام الاسطوانية على معرفة حيوانات ونباتات البلاد. لأن وجود حيوانات ونباتات صلبة في الاختام السومرية الأولى هو دليل نزوح السومريين من منطقة جبلية. (31-الاحمد,1981, ص301-307)

وتظهر عملية الإنتقال من مرحلة الى أخرى في عصر السلالات الباكرة بوضوح في تغيير تصاميم الأختام الإسطوانية. لقد حلّت النزعة الزخرفية بأشكال نباتية وحيوانية بالإضافة الى زخارف بغير ذات معنى. ويشكل الإسلوب التطريزي علامة مميزة للمرحلة الأولى من عصر السلالات القديمة. وفي المرحلة الثانية لجأوا نحو الموضوعات المثيرة والخيالية, والأكثر شهرة من مثل موضوع الصراع بين الحيوانات كهجوم الأسود على القطعان ودفاع الحرّاس عنها, والذي قام بهذا الدور البطل الملتحي والرجل الثور الذي يرتدي حزاماً. لقد صُنِعت نماذج معقّدة من هذهِ الأشكال فكانت متداخلة احياناً ومقلوبة احياناً أخرى. وفي المرحلة الثالثة من عصر السلالات القديمة وصلت صناعة الأختام الإسطوانية الى اوج تطورها, وباتت الأشكال أكثر ضخامة وافضل إتقاناً فالإسود والحراس ظهرت بكامل صورِها, كما قدّمت نماذج اكثر زخرفة من الحيوانات المجترّة بالإضافة الى تصوير مشاهد للصراع وتصاميم مرسومة بنقوش اكثر كمالاً ودقّة, وبشكلٍ بارز او غائر, ومن اكثر المشاهد اثارة الى التصوير هي المشاهد الطقوسية والإحتفالية التي كان البشر والآلهه يشاركون فيها. ثم ان هناك آله الخصب المتربع على عرشهِ والذي يقف امامهً كاهن يسكب الشراب او يُقدِم الأضحيات على طاولة مزخرفة. (21-لويد,1939,ص172-175)

لقد توحّدت جميع اشكال الاختام الاسطوانية في عصر فجر السلالات المبكر, فالختم ألإسطواني بشكله هذا ساعد في التدحرج على سطح اللوح الطيني, حيث اعطت هذه الأختام أشكالاً زخرفية نتيجة تدحرجها على اللوح لمرات عديدة ولحجم الختم الصغير ساعد على حمله بسهولة ونقله إلى مكانات بعيدة مما ساعد على انتشارها وفي الأخير اصبحت هذه الأختام كالطلسمان (لطرد الأرواح الشريرة) بعد ذلك اصبحت إشارة ملك خاص لشخص معين أو لسلالة معينة تحل محل التوقيع. كما ظهر تصوير الانسان على الأختام الأسطوانية لأوّل مرة في بداية الألف الثالث قبل الميلاد، وكانت تلك المشاهد تحمل طابعاً دينياً، فرُسِمَت الأشخاص وهم في حالة العبادة كذلك مشاهد تمثل حلب الأبقار والمواضيع الجانبية الأخرى. وفي هذه الفترة رسم الأشخاص بشكل بديع ودقيق ومتكامل كما ونلاحظ مثل هذه الرسومات على بعض الأواني (الأوعية). (16-فارس,1980,ص40) كما وتتسم هذه الأختام بالبساطة والاتقان النهائي للشكل وذلك من خلال ما صوره الفنان من مشاهد على الأختام الأسطوانية في ذلك العصر

كما نلاحظ أن الفنان استطاع أن يوفق بين النسب بشكل جيد وإظهار بساطة التعبير, ان الشكل الأسطواني فرض على الفنان أن يتقيد بتصوير الشخصيات على سطح الأسطوانة لذلك فقد صوّر جميع المشاهد بوضع عمودي وكأنّها واقفة على أرجلها الخلفية. حيث شغل النقش لصياغة الشكل خاصية من خواص الفن الرافديني في الفترات المبكرة وقد أعطى الفنان اهتمامه الكبير للتكوين الذي لعب دوراً مهماً في تنظيم الشخصيات المتعددة للمشهد. (16-فارس,1980,ص41) كما في الشكل (11(

لقد ارفدتنا الأختام الإسطوانية بالمعلومات والثقافات عن الأساطير العراقية القديمة, فمن الأساطير التي كان لها شعبية بالغة في العراق القديم, إسطورة (زو Zu) والملك (إيتانا) الراعي وحرب مردوخ ومحاضرات كلكامش, كما وتتضح اهمية الأختام الإسطوانية في توضيح معالم الدين العراقي القديم وتأريخهِ الكبير جداً. فالكثير منها صورت الارباب البابلية, اضافة الى ذلك قدمت لنا الاضاحي المقدّمة الى ألأرباب او الى رموزها حيث نرى قرابين كالغزال والاسد والحمل والماعز والسمك. وفي ختم اخر نجد لبؤة مقطوعة الاقدام تقدّم كالتضحية. ومن اختام جمدة نصر نلاحظ مجموعة من الأشخاص على الأكثر من النساء بجدائل يصنعن الأواني واكثرهن يجلسن على حصير او يفترشن الأرض. كما احتوت اختام اخرى على موضوعات كالفلاحين وادوات زراعية مع ملاحظة محراثاً يجرّهُ ثوران مع ثلاثة فلاحين ورّسم احد الفلاحين اكبر حجماً من الإثنين الآخرين وربما يكون رئيسهم. كما شملت بعض الأختام على محراثاً سومرياً يجرُّهُ ثور ويقودهُ رجل ملتحٍ ويسحب المحراث رجل ملتحٍ آخر. (31-الأحمد,1981,ص305-307) أن عناصر الفن في الأختام الاسطوانية لتختلف كثيرا عن فن (الكرافيك) حالياً, حيث نجد أساسيات العمل الكرافيكي هنا في الختم الاسطواني, الرسم, ثم الحفر, ثم الطباعة على الطين, وتكمن الأهمية هنا في مهارة الفنان الرافديني في حفر قطعة حجرية صغيرة جدا لا تتعدى (2-3سم) وحفرها بشكل معكوس وبشكل اسطواني مع ضبط الأشكال المرسومة, وتحقيق الانسجام فيها, وهذا ما يتضح في أشكال الإنسان والحيوان والنبات, والتكوينات المختلفة التي لم تكن مجردة بل ذات وظيفة أو مجموعة وظائف (دينية سياسية اجتماعية), وخير مثال أخير هو الأختام الخاصة بالملك البطل السومري (كلكامش). (30-محمود,2010,ص43)

مؤشرات الإطار النظري:

في ضوء ما طرح في الاطار النظري, يخلص الباحثان الى المؤشرات الاتية-:

1. ان طبعات الاختام الاسطوانيةُ بمثابة خطاب ثقافي واعٍ, نابع من حضارة متكاملة, تميزت بالنشاط والحيوية والتجدد.
2. الإنسان كائن اجتماعي تميز بالطابع الجمعي, تطوّرت قواه المنتجة لتأهيل نفسهِ وسد متطلباتهِ.
3. ان فكرة عبادة الطبيعة, قادت الفكر القديم نحو القوى الاسطورية التي تؤثر مباشرةً في الحياة الإجتماعية.
4. تميز المجتمع السومري بتنظيمهِ العالِ والدقيق في جميع الآداءات وعلى كافة الأصعدة كالفنون والزراعة والتجارة والقوانين والأنظمة.
5. يُعد الدين احد الانظمة الإجتماعية المهمة في نشأة الفنون جميعاً, كونهِ مرتكز اساس في تشكيل حياة البدائيين, حيث سيطرة رجال الدين والسحرة على واقع الحياة العامة وحفلات الأعياد والمراسيم الدينية والزواج والصلح والسلام.
6. يُعد ظهور التصورات الدينية بمثابة مرحلة جديدة في نشوء الاساطير كنتاج مجتمعي قديم ونماذج رمزية عرفها الانسان وجسدها في موضوعات طبعات الأختام الإسطوانية, كون الأساطير نابعة من الخيال المشترك للجماعة وتأملاتها
7. يُعد المعبد هو الاساس للتفاعلات التجارية والاقتصادية والثقافية للمجتمع السومري .
8. أن الآله هي اصل القوانين الموجّهة, والحاكم هو تمثيل لشخص الإله, فالقوانين هي مرتكزات لتنظيم الحياة الإجتماعية.
9. تطوّر المتطلبات الصناعية اللازمة لحفر الاشكال والهيئات على اسطح الاختام الاسطوانية من خلال ادوات بالغة الدّقة.

10. طغيان الموضوعات الاسطورية والطقوس والعقائد الدينية (الروحية) وحملها للتمظهرات الرمزية واخضاعها للمنظومة التأويلية, في محاولة لتأسيس حضارة متكاملة نابعة من التفاعل الانساني للأفراد.
11. التنوع الموضوعي الذي تم توظيفهُ في مشاهد الطبعات الاسطوانية كالاساطير وموضوعات الصراع البيني (بين طرفين), المقدّس, البطل, الصيد, جوانب الزراعة ورعي الاغنام وتغذية الجاموس وغيرها .
12. ان الفنان السومري في سعيهِ لتوظيف موضوعات اجتماعية مختلفة, هو تأكيد ارتقائه الثقافي والابداعي, وادراكهِ لحيثيات وجودهِ الفاعل.
13. تنوعت المشاهد المنفذة على الاختام الاسطوانية وطبعاتها ذات السمة التزيينية, نتيجة الى تنوع الوظائف والغايات.
14. اتسمت طبعات الاختام الاسطوانية ببساطة التعبير وطابعها الشعبي.

الفصل الثالث/ إجراءات البحث

أولاً : إطار مجتمع البحث

يُعد مجتمع البحث القاعدة التأسيسية التي تحتضن عينة البحث, لتؤلف مجتمعاً متكامل التفاصيل يغذي العينة ويظهرها بعد ان يحقق لها مساحة من الرؤية والشمولية, لذا سعى الباحثان جاهدان للإطلاع على جملة المصادر الأجنبية والكتب والمواقع الفنية من خلال الشبكة العالمية (الإنترنت) حيث تم جمع نتاجات طبعات الأختام الإسطوانية السومرية التي تمثِّل مجتمع البحث, والمنتجة في الحقبة الزمنية (2850 ق.م-2400 ق.م), وعليهِ اشتمل اطار مجتمع البحث (62) طبعة ختم اسطواني سومري بما يغطي حدود البحث .

ثانياً : عينة البحث

قام الباحثان بإختيار نماذج عينة البحث البالغ عددها (5) طبعات للأختام الإسطوانية السومرية, متبعين بذلك الطريقة القصدية في اختيار نماذج عينة البحث, وعلى وفق المبررات الآتية :

1. الأعمال الموثّقة توثيقاً علمياً دقيقاً, والتي إتّسمت بالشّهرة وشهدت تداولاً اجتماعياً واسعاً.
2. التنوع في طبيعة موضوعات الحياة الاجتماعية السومرية, التي وظّفها الفنان السومري في نتاج طبعات اختامهِ الإسطوانية .
3. وضوح موضوعات طبعات الأختام الإسطوانية التي تجسّدت فيها الدلالات الاجتماعية, وإستثناء السيء منها.
4. الإبتعاد عن تكرار الموضوعات التي تتشابه في مضامينها الدلالات الاجتماعية.

ثالثاً : أداة البحث

اعتمد الباحثان على مؤشرات الاطار النظري كمحكات اساسية في تحليل نماذج عينة البحث كونها مفاهيم تعاطت مع موضوعة البحث وهدفهُ .

رابعاً : منهجيّة البحث:

اعتمد الباحثان المنهج الوصفي بإسلوب تحليل المحتوى في تحليل نماذج عينة البحث, للوقوف على طبيعة الدلالات الإجتماعية التي حملتها طبعات الأختام الإسطوانية الرافدينية (السومرية).

خامساً : تحليل نماذج عينة البحث

إنموذج رقم (1) طبعة ختم اسطواني سومري / الحضارة السومرية – بلاد ما بين النهرين

اسم العمل/ زورق سومري.

الزمان / 2850 ق.م

المكان / الوركاء .

الابعاد / ـــــ .

الخامة / ـــــ .

العائدية / متحف برلين.

وصف العمل:

أن طبعة الختم الإسطواني المسماة (زورق سومري) وظّف فيها الفنان السومري زورقاً يقودهُ ملاّحان احدهما يقف الى الأمام من القارب ممسكاً بيدهِ بمجداف, والآخر جالس الى الخلف من القارب وهو يقوم بعملية التجديف, مع ملاحظة ان القارب تقوّست نهاياتهِ الأمامية والخلفية لتنتهي بأشكال نباتية رمزية, كإشارة واضحة ودلالة قاطعة على سيادة المعتقدات الدينية في تلك الحقبة من حِراك النُظُم الاجتماعية. كما ويتوسط القارب (مشهد الختم) شخصية بارزة (الحاكم, الكاهن) وهي في حالة وقوف والى الجوار منهُ يقف ثور وحُمِّل على ظهرهِ أشبه بالصناديق المكعّبة, والى الجانب الآخر من الحاكم (يسار العمل) وظف الفنان السومري شكلاً مستطيلاً مشبكاً من الداخل, وهو أشبه ببوابة معبد تم صناعتها من القصب.

تحليل العمل:

أن الفنان السومري اعطى السيادة لهيئة الحاكم (الكاهن) التي تتوسط القارب حيث الوقوف المهيب للحاكم والسيطرة والثبات وكأنّهُ البطل الاسطوري صاحب السلطة في داخل القارب, فالسيطرة والثبات هنا دلالة النظام والإستقرار في جميع نواحي الحياة الاجتماعية والإقتصادية والثقافية. اضافة الى توظيفهِ لهيئة الثور وهذا يوضح اهتمامهم بتدجين الحيوانات وتربية الماشية, أن الثور لهُ دلالات كثروة اقتصادية إضافة الى انهُ نعتاً لإله الخصب الكبير وفعل القوة.

لقد كان الاقتصاد السومري يعتمد بالدرجة الأساس على منظومة الزراعة والصيد وتربية الماشية والنشاطات الصناعية والتجارية,حيث بلغ الجانب التجاري والصناعي درجة عالية من التنظيم والرُقي في التعاملات المادية, والزورق كموضوع مقدّس لدى الآلهة تمّ اللجوء إليهِ في التعاملات التجارية والتبادل السِلعي والصيد كوظيفة نفعية بل وصل ذلك الى نقل الأحجار الكريمة والغالية الثمن الى بلاد ما بين النهرين حيث صناعة وحفر الأختام الإسطوانية بمهارة عالية لا يُضاهيها أي نمط فني آخر, إنهُ ابداع فكري وجمالي بإمتياز, لهُ دلالة حضور الفكر الواعِ وبساطة الصنعة ودقة الأداء.

ان طبيعة المشهد البصري للطبعة برزت فيها الخطوط لتظهر من خلالها تباينات الضوء والظل لتتشكل عبرها حركات وأداءات اكثر فاعلية وارتباطاً بالحياة الإجتماعية, لكن طبيعة هذهِ الخطوط نراها اكثر حدة حيث الهندسية (المربعات والمثلثات والتقاطعات والتقوسات والإستقامة) التي تبعث على الثبات والصرامة. من جانب آخر فقد افتقرت الطبعات الى وجود الألوان نتيجة عدم احاطة الفنان السومري بموضوع اللون وخواصّهِ الكيميائية, لذا نجد ان السائد في التشكيل البصري للطبعة هو الأسود والأبيض .

لقد وظّف الفنان السومري العديد من المفردات المادية في داخل القارب وجعلها تقترب من تلك المشاهد المسرحية فإنبساط القارب وتقوساتهِ الجانبية هي إحالة الى رؤية مشهدية صورية تشبه الى حدٍ ما خشبة المسرح, حيث احتضنت دراما اجتماعية متفاعلة نابعة من علاقات الإنسان مع محيطهِ الاجتماعي. وعليهِ انصهر الفن مع المجتمع ليتحوّل الى منظومة تثقيفية تدخل ضمن حيز التنوع المجتمعي, فضلاً على الوظائف الاجتماعية التي يتفاعل معها الفرد, والفن نتاج اجتماعي تواصلي نابع من ذات الفرد وعلاقتهِ بالمجتمع, لذا أصبحت توجهات الفن مرتبطة بنُظُم الحياة الاجتماعية السومرية, ثم اخذت بالتطّور وفقاً لنُظُمهِ وقوانينهِ.أن التنوع في موضوعات الأختام الإسطوانية جاء نتيجة انفتاح الوعي الفكري والثقافي للفنان السومري , حيث ان اكثر الأفكار شيوعاً وتداولاً في الفكر السومري هي اكثرها دلالة وتعبيراً عن بنية الفكر والحياة الاجتماعية.

إنموذج رقم (2) طبعة ختم اسطواني سومري / الحضارة السومرية – بلاد ما بين النهرين

اسم العمل / مشهد مأدبة.

الزمان / 2600 ق.م.

المكان / مدينة اور .

الابعاد / ـــــ.

الخامة / الختم من حجر اللازورد .

العائدية / المتحف البريطاني– لندن.

وصف العمل:

لجأ الفنان السومري ومن خلال المادة الطينية الى نقل موضوعاتهِ الاجتماعية معتمداً بناء وحدات شكلية ظهرت في الانموذج رقم (2), حيث تم فصل طبعة الختم الاسطواني الى قسمين, علوي وسفلي, بوساطة خطين افقيين متوازيين وعلى القسمين توزع عدد من الشخوص الجالسين على الكراسي مع ملاحظة وجود افراد من الخدم تقدِّم لهم الخدمات.

أن مشهد القسم السفلي يتوزع فيهِ مجموعة من المحتفلين ويتوسطهم طاولة متحركة تحمل فوقها المتطلبات المادية للإحتفال, كالمأكولات والمشروبات (احتساء الجعه), حيث يقوم الخدم بتقديم الجعة الى النخبة من المحتفلين, وفي القسم العلوي نلاحظ وجود رجل وإمرأة يجلسون على الكرسيين ويتوسطون المشهد الصوري للطبعة ووضع بينهما قارورة كبيرة يخرج منها (أربع قصبات), وهذا على وفق التقاليد والعادات الاجتماعية المتبعة لديهم. لقد جعلوا تلك الشخصيتين البارزتين (الرجل والمرأة) في الشريط العلوي من طبعة الختم, حيث المكانة الاجتماعية والسلطة والتمايز الطبقي.

تحليل العمل:

لقد اعتمد الفنان السومري البساطة في تشكيل اعمالهِ وابداعاتهِ ذات المضامين والدلالات المتعددة, فضلاً على ابتعادهم عن المنظور, ان توظيف الهيئات خضع للتسطيح أي ذي بعدين دون اللجوء الى البعد الثالث (العمق). فالرؤية التي جاء بها الفنان السومري في توظيفهِ لجوانب الحياة الشعبية, جاعلاً من مفرداتهِ الحياتية لتتحول هي الى توافقات على مستوى الشكل والمضمون. فمن ناحية التكوين الشكلي لطبعة الختم الإسطواني يطغى عليها التناسق والتنظيم على مستوى توزيع الهيئات الآدمية الجالسة والأشياء المادية التي رُسِمت وفق تشكيلات هندسية وزوايا حادة وخطوط متقاطعة صمّمت وفق مبدأ التسطيح والتبسيط دون الخوض في رسم التفاصيل. ومن مجموع الخطوط والبروزات والإنحناءات تشكّلت الصورة الحقيقية للحركة الإبداعية في تلك الفترة حيث الإبتكار وتنامي الوعي الفكري والثقافي على حدٍ سواء .

ان موضوعات الأختام الإسطوانية بدأت تأخذ طابع التنوّع في توظيف الأشكال وتوزيعها على مجمل سطح الطبعة الطينية ليصوّر المشهد طقوساً احتفالية تقام كالعادة وفي أوقات مختلفة تماماً, عند الزواج وحصاد المحاصيل الزراعية, ولأجل تحقيق الإنتصارات في مناطق الحرب, او تسنُّم سلطة او تتويج حاكم ولاية او في احتفالات رأس السنة السومرية. لذا تعالت الموسيقى واصبح لها الدور الأساس والمرتكز المهم في احياء تلك المأدبة (الجلسات الاجتماعية الحميمة) بين الافراد عامة وطبقات الملوك خاصة .

كما لجأ الفنان الى توظيف مجموعة من الكراسي في هيئة تشكيلات خطية متوازية ومتقاطعه ومائلة عمودية حيث صُنعت تلك الكراسي من الخيزران والأخير له مكانه مميزة لدى سكان وادي الرافدين, إنهُ بدلاله الزراعة والإنتاج والصناعة اليدوية, كنمط اقتصادي فاعل له ابعاد وظيفية ونفعية وانتاجية نابعة من الإنسان وواقعهِ اليومي, فمن القصب شُيدت البيوت والمعابد الأولى في سومر, كما تم توظيف القصب في العزل الحراري وفي تماسك الجدران وعمل التشكيلات المعمارية المقوّسة. وهذا شاهد على وقتنا الحاضر حيث اهتمام مناطق الجنوب (مجتمعات الاهوار) بمادة القصب كمادة أساس في حياتهم المجتمعية. كما وظف الفنان

السومري مادة القصب التي صُنعت منها الكراسي كونها ذات مرتبة عالية واهمية مميزة في صناعة وانشاء العديد من الأشياء والموضوعات, فالقصب لديهم مقدّس ومهم كأهمية القمح, الماء, التمور,انها تشكل مكانة اقتصادية في الحياة المجتمعية السومرية. ومن القصب شكلت أداة بعد ما تم بَرِيَها وتشذيبها لتستعمل في رسم صور الكلمات والمقاطع في (الكتابة المسمارية) كتوجهات ثقافية التي ظهرت في اوروك والعديد من المدن في سومر فيما بعد. وهنالك صورة القصب التي نُقِشت على الاختام بوصفها علامة صورية ذات دلالات, ثم تحوّلت الى علامة مسمارية في فترات لاحقة, وهذهِ العلامة دخلت في تكوين وتشكيل العديد من أسماء الأعلام والأماكن والألقاب, وهنا اشارة الى اسم ألهه تدعى (ننجيدا) التي تعني (سيدة القصب المقدّسة) حيث تمّ وصفها في الأساطير السومرية بأنها اخت (إينانا). ولابد من التطرق الى موضوع الصناعة كإشارة الى وجود وِرش عمل خاصة بحفر المشاهد الصورية للاختام الاسطوانية وصقلها بشكل دقيق ومنتظم, حيث ان تعدد المفردات والمشاهد على ذلك السطح الصغير (الضيق المساحة) هو دلالة اجتماعية تنبع من وعي ثقافي وفكري على جميع الأصعدة. تلك هي عظمة الفكر والوعي السومري القديم الذي ينبع خبرات واحاسيس عكست طبيعة النسق الفني المحمّل بالدلالات والاجتماعية وتطورها المرحلي.

انموذج رقم (3) طبعة ختم اسطواني سومري / الحضارة السومرية – بلاد ما بين النهرين

اسم العمل/ ابقار وسنابل القمح

الزمان / 2600 ق.م.

المكان / مدينة جمدة نصر .

الابعاد / ـــــ.

الخامة / الختم من حجر اللازورد .

العائدية / متحف اللوفر.

وصف العمل:

يظهر في هذا المشهد البصري قطيع حيواني مكوّن من ثلاثة ثيران وهم يسيرون في حركة منتظمة الواحد تلو الآخر, وتجاور كل واحد منهم شكل سنبلة, فالخطاب البصري الذي يقدمهُ الفنان السومري القديم مرتبط دائماً بالدلالات الرمزية, رغم واقعيتها الصريحة, تلك الرمزية التي باتت كلغة متداولة على نطاق الحياة الاجتماعية الجمعية.

تحليل العمل:

ان العمل بتكرار مفرداتهِ يصبح في هيئة مصفوفة كدلاله النظام وتفعيل الالتزام والطاعة وجميعهم مناقض للتمرد والفوضى حيث ان الاختام الإسطوانية تكشف عن بنية متناسقة منتظمة من الثيران التي تسير بخَطى متساوية, فالمسير المتتابع بوتيرة واحدة له دلالات في حركة التقدم المتسارع على المستوى الاجتماعي الجمعي والاقتصادي والثقافي والفكري. فالرؤية التي جاء بها الفنان السومري تفصح عن تحول في البنية الثقافية حيث جمال وتناسق الاشكال ورشاقتها حينما حُفِرت بهيمنة خاصيتي التبسيط والاختزال, دون لجوء الفنان الى ادخال تفصيلات على وحداتهِ الشكلية التصويرية اضافة الى ذلك ترتبط الماشية كالابقار والثيران

بالجانب الاقتصادي, كدلالة للثروة والخير والإنتاج وتربية الماشية ما أدى الى اهتمام المجتمع السومري بقيمة تلك الثروة الإنتاجية ذات الطابع الوظيفي النفعي التي تنظمها المعابد من تلك الحيوانات وغيرها من موجودات الطبيعة التي كان المجتمع السومري يتعامل بها في جوانب البيع والشراء, كما نلاحظ وجود حاجة الى رغبات سحرية تخص كهنة المعبد وحدهم, كما تحمل الاشكال صفات القداسة والمعتقد, من خلال شكل الثيران التي ترمز للقوّة, انهُ يمثل نعتاً لإله الخصب الكبير, وعليهِ يتحول الثور الى موضوع سحري وعقائدي في ظل تنوّع الفكر وفعالياتهِ الاجتماعية. ويمكن ملاحظة التشابه بين مشاهد العجول والثيران والابقار وبين مثيلاتها في قُرى الاهوار الموجودة في جنوب العراق وهذا دلالة التواصل الحياتي والمجتمعي بين كلا الحضارتين القديمة والحالية. ان توالي النسب العددية للأشكال الموجودة في المشهد الصوري وزيادتها هو دلالة على الفاعلية التواصلية لظاهرة التناسل (تكاثر جنس المخلوقات) في مفردة وجودهم الطبيعي, وهذا التناسل بمثابة احالات لإستمرار الوجود وديمومتهِ. ذلك الوجود الذي تشبث بهِ الإنسان السومري مبتعداً بذلك عن التفكير بحياة ما بعد الموت, على النقيض من المجتمع المصري القديم الذي يؤمن بحياة ما بعد الموت.

لقد عمد الفنان السومري الى الإبتعاد عن رسم الخطوط الهندسية والدوائر محاولاً اللجوء الى توثيق التشكيلات الحيوانية والنباتية في كلٍ متكامل والتأكيد على الأثر الفاعل لمبدأ التكرار والحركة الدؤوبة للأطراف السفلية للثيران, بالإضافة الى الحركة المائلة للسنابل وكأنها تتعرّض الى جوٍ عاصف ما يمنحها سمة الميلان وعدم الإستقرار.

لقد وظف الفنان السومري في هذه الطبعة, شكل سنبلة وُضِعَت بصورة مائلة بجوار الثور, لنرى فيها حبات القمح البارزة بشكلٍ كبير, انها دلالة الوفرة والعمل الدؤوب والاهتمام بالزراعة والإنتاج الذي يحتاج الى صناعة الأدوات اللازمة لزراعة المحاصيل وجنيها, فضلاً على منظومة الري كرافد أساس لسقي المحاصيل, فالخطاب الشكلي والابداعي بمثابة دلالات رمزية متداولة على مستوى الأطر الاجتماعية لتتحوّل الى تجارب خبراتية نابعة من حضارة رافدينية عريقة, فالسنابل الأولى هي بواكير للمحصول الذي يُقدّم للآلهة المقدّسة.

ان الفنان السومري بدأ بالتفاعل مع حيثيات رغباتهِ الاجتماعية التي فرضتها شعائرهِ الدينية لتنعكس في موضوعاتهِ ذات الطابع السطحي والمختزل, مع ملاحظة ان جميع فضاءاتهِ قد خلت من جميع تفاصيل موجوداتهِ الطبيعية لتنفرد اشكالهِ الحيوانية والنباتية وتتحول الى قيم اسطورية مقدّسة شغلت حيز فكرهِ المتناغم مع خطاباتهِ الاجتماعية.

انموذج رقم (4) طبعة ختم اسطواني سومري / الحضارة السومرية – بلاد ما بين النهرين

اسم العمل/ اسطورة ايتانا

الزمان / النصف الثاني من الالف الثالث ق.م (2500ق.م).

المكان / ـــــ .

الابعاد / ـــــ .

الخامة / ـــــ

العائدية / متحف برلين– المانيا.

وصف العمل:

تضمن المشهد الصوري للطبعة العديد من المفردات التي تبعثرت يميناً ويساراً, أعلى وأسفل، حيث توزعت الموجودات بطريقة غير منتظمة (عشوائية) ان العمل تسبح فيه مفردات الموجودات في فضاء سكوني غير متحرك، حيث هنالك وإلى اليسار من العمل ثلاثة من الماشية وهن يقفن بصورة منتظمة بهيئة مصفوفة (بدلالة النظام) ويقف إلى الأمام منها والخلف رجلان أحدهما واقف خلف القطيع والآخر إلى الأمام منها, وجميعهم ينظر إلى النسر الطائر الموجود في اعلى يمين العمل، كما نلاحظ أنّ طبعة

الختم توزعت فيها الأشياء المادية الملموسة بطريقة تكاد تكون فوضوية إلى حدّ ما، وإلى الأعلى من القطيع توجد اشكال هندسية تباينت بين الدوائر الصغيرة والخطوط المائلة والمتوازية, والى الأعلى من يمين العمل نلاحظ ان النسر يحلّق الى السماء حاملاً معهُ الملك (ايتانا), والى الأسفل منهم نلاحظ وجود كلبي الملك وهما يقومان بحراسة قطيعهِ.

تحليل العمل:

لقد تنوّعت المفردات البصرية لطبعة الختم الإسطواني المسمى (اسطورة إيتانا) وباتت تعج بالهيئات الآدمية والحيوانية والتشكيلات الهندسية والخطوط المتوازية والدوائر والبروزات التي تُظهر حقيقة تلك الهيئات وعلاقاتها فيما بينها. بالإضافة الى أن الفنان السومري وظّف الخطوط العمودية المتجاورة في يمين ويسار الطبعة وهذا التجاور في الخطوط لهُ دلالة الحركة والقلق وعدم الإستقرار نتيجة التقارب بينهما الذي ينتج عنهُ نوع من الإيهام البصري, كما وظّف الفنان الخطوط المنحنية للتعبير عن الهيئة الخارجية لأجساد الحيوانات بالإضافة الى وجود بعض الدوائر والخطوط المتقاطعة.

إنّ طبعة الختم الأسطواني بطابعها الأسطوري والعقائدي والسحري هذا تروي لنا موضوع اجتماعي وقصة تحمل نوع من الغرابة والتشويق في مسار أحداثها, إضافة إلى تميزها بالنمط المقدس. حيث تفصح القصة بدلالاتها الاجتماعية عن صعود الملك (إيتانا) ملك مدينة كيش الواقعة في الشمال السومري إلى السماء برفقة (نسر مقدس) والهدف من هذا لأجل الحصول على نبات الخصب، لأنّ أمرأتهُ كانت عاقراً. ان ظاهرة الخصب في الطبيعة تنتمي الى عنصرين هما: الذكري والإنثوي, وعليهِ صنفوا قوى وجودهم الطبيعي وادراك ما بينها من علاقات حيث جعلوا لكل قوّة رمزاً, فحولوا تلك الموجودات الى رموز ومفاهيم وجدت لها فهماً اجتماعياً على نطاق واسع, اضافة الى ارتباطها بأدوار الفعل السحري. وهناك مؤشرات تقول إنّ الملك (إيتانا) حصل على مبتغاه من نبات الخصب الذي يساعد على الإنجاب (زيادة النسل) وهذا فيه دلالة في إثبات ملوكيته حيث ورد اسم الملك (بالبخ) ابن الملك (إيتانا) الذي تولّى الحكم من بعده. وهناك معتقد يرى ان الملوكية هبطت من السماء أي ينبع من صلتها مع الألهة, وعليهِ فالملوكية ليست مؤسسة دنيوية من صُنع وابتكار الحضارة الإنسانية وجدليتها, انما هي مؤسسة ذات طابع قُدسي يُعزى ابتكارها للآلهة, والملك ليس شخصاً عادياً مثل بقية الناس, بل هو مختار الآلهة وموضع ثقتها, وهو ينوب عن الآلهة لحكم البشر وإدارة شؤونهم.

إنّ سطح الطبعة الضيق أشبه بجدار غرفة أحد البيوت الطينية البدائية التي علقت عليه العديد من الحاجيات التي يستعملها الملك في دارهِ, كنمط معيشي يومي لا يمكن الاستغناء عنه. لقد مثّل مشهد طبعة الختم الإسطواني هذا موضوعات متعددة منها موضوع الصراع الذي يحدث بين الملك وقوى خفية تتحكم بطبيعة نسلهِ, انها إحالة الى إرادة قوية نابعة من ذات الملك (ايتانا) وفكرهِ الاجتماعي. كما مثلت هذهِ الطبعة مشهداً شعبياً, نابع من القوى الشعورية لمنظومة الفكر الاجتماعي, حيث الخطاب الفكري والمتداول في حيز الحياة الاجتماعية حيث اللحمة والتماسك في البنية الموضوعية للاشكال التي توحي بالبدائية والبساطة في التعبير وحملها جمالاً مميزاً ومتناسقاً. وعليهِ ان وجود الفن ارتبط دائماً بالمنظومة الاجتماعية وتطورت وفقاً لقوانينهِ, ويؤكد التأريخ الاجتماعي للفن ان النتاجات التشكيلية الإبداعية هي تعبير عن تلك النظرة التي يحددها المجتمع تجاه العالم. وعليهِ يخضع الفن لأيديولوجيات خاصة تقوم على أسس إجتماعية.

انموذج رقم (5) طبعة ختم اسطواني سومري / الحضارة السومرية – بلاد ما بين النهرين

اسم العمل/ مشهد الصراع

الزمان / 2400 ق.م

المكان / جمدة نصر.

الابعاد / ـــــ .

الخامة / الكالسيت الأبيض.

العائدية / المتحف البريطاني.

وصف العمل:

إنّ طبعة الختم الاسطواني المسماة "مشهد الصراع" صوّرت بطلين احدهما كلكامش والآخر أنكيدو والأخير نصفه الاسفل في هيئة ثور، والأعلى في هيئة بطل اسطوري له زوج من القرون. وهذا يبدو اكثر تعقيداً من صديقهِ كلكامش امّا الآخر الموجود في وسط الطبعة فيظهر ذلك البطل كلكامش في هيئة بطل اسطوري ايضاً، حيث شعر رأسه مؤطر بست (عكنات) ويحيط خصره حزام عريض يحوي ثلاث حلقات. ويجاور تلك الشخصيتين (البطلين) مجموعة من الحيوانات المفترسة والأليفة وجميعهم في حالة حركة نزاع (صراع) والاشكال الحيوانية صوّرت بطريقة مختلفة ومغايرة تماما لما هو في الواقع حيث نلاحظ أنّها (الحيوانات) واقفة على اثنين من الارجل، والاثنين الاخريات من الأرجل قد دخلت حيز التشابك مع الأطراف الأخرى في مشهد الطبعة .

تحليل العمل:

لقد باتت تلك المساحة الصغيرة من الطبعة هي الحيز المادي الأساس والفاعل لتوثيق الأنشطة الإجتماعية المختلفة التي تخاطب المتلقّي وتفصح عن اظهار تشكيلات مرئية اكثر براعة وإتقان اتسمت بوجود خطوط وبروزات اظهرت القيمة التعبيرية الحقيقية للهيئات ونشاطها الحركي المتداخل فيما بينها. فالمرونة الخطية التي وظّفها الفنان السومري أظفت طابع الحركية والدينامية كإيقاع أساس للهيئات والأشكال, بالإضافة الى إضفاء سمة التناسق والإنتظام والإستمرارية مع وجود العديد من الخطوط والتقوسات المتجاورة التي تضفي سمة الحركية وعدم الإستقرار أيضاً في عين المتلقي وتخلق نوعاً من الإيهام البصري, مع ملاحظة أن الفنان السومري ابتعد عن رسم الخطوط والزوايا الحادة نتج عنهُ وجود تنوّع حقيقي في القيم التعبيرية للموضوعات المرسومة والمحفورة نتيجة تنوع أساليب الإبداع والإبتكار للفنان السومري.

إنّ الهيئة الشكلية لصورة أنكيدو تقترب من الأشكال السريالية حيث الجمع بين العديد من الأشكال في هيئة واحدة. بمعنى ان الشكل يقترب من الفعل الجروتسكي (المسخي) للكائنات. فنلاحظ الشكل أسطورياً أقرب إلى للخرافي، شكل مركب هجين من كائنين. كما نلاحظ إنّ العيون لدى أنكيدو وصديقه كلكامش وباقي الحيوانات الأليفة والمفترسة هي جميعها في شكل دائري، إنّ الطبعة بأكملها تصوّر مشهداً ملحمياً وصراعاً دامياً لحماية عدد من الحيوانات الأليفة حيث أنّ موضوع البطولة في الفكر السومري لها دلالات عن التمايز الطبقي للأفراد في التنظيم الاجتماعي لذا فهي تتسم بالغرابة.كما في الشكل (12) فالمشهد البصري في بنيته الصورية يمثل صراع قوتين هما: قوة الحياة المتمثلة بالبطلين أنكيدو وكلكامش والحيوانات الأليفة. وقوة الفناء أو الموت ورمزها الأسود. فالمشهد الطباعي صوّر وبدقة القانون الحقيقي للحياة برمتها. انّه نوعا من التعالي للدلالات الرمزية مضاف لها دلالات تعبر عن معتقدات ذات طابع سحري خاصة بالإنسان وأفكاره. إنّه بمثابة المعلَم الثقافي المتميز والمهم في بنية الحضارة السومرية. ان الرؤية التي يقدمها المشهد الطباعي اشبه بدراما حركية تكررت وتقابلت فيها العناصر الشكلية مكوّنة مناخ تتصارع فيهِ جملة الكائنات ساعين في ذلك لإحداث منظومة تفاعلية بين قوتين, قِوى تدافع عن البقاء, وديمومة الوجود, وقوة اخرى تسعى للفناء والعدم وكلاهما ساعياً في هدفهِ لغرض القوة والسلطة في حيز الوجود المادي كنشاط فاعل في حركة الفكر الإجتماعي. حيث ان مفهوم البقاء والوجود هي مفاهيم ازلية انبثقت مع ظهور الإنسان في محاولة للسيطرة على مفردات القوى الوجودية. وعليهِ ارتبطت نتاجات طبعات الاختام الإسطوانية كوظيفة جمالية ونفعية بجوهر موضوعات ومفهومات الحياة الاجتماعية. انها أشبه بحوار نسقي متداول بين الافراد, عملت كأداة نشطة وفاعلة وتواصلية تداخلت مع حيز الحياة الإجتماعية عبر ضرب من التناغم العاطفي والوجداني على حدٍ سواء. حيث أن طبعات الأختام الإسطوانية نتاج وعي ثقافي وحراك فكري يحمل دلالات عميقة

الأثر تعكس جملة خطابات ومعاني رمزية وصورية. هو بمثابة منظومة صورية تعبيرية تفصح عن سياقات تشكّلت وطبعت في هيئة موضوعات على سطح مستوي طيني, تنوعت دلالاتها بين التوجُّه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي.

الفصل الرابع/ النتائج والإستنتاجات والتوصيات والمقترحات

نتائج البحث:

استناداً لما جاء من نصوص في تحليل العينة, ومن أجل تحقيق هدف البحث (تعرّف الدلالات الاجتماعية في طبعات الأختام الإسطوانية الرافدينية), توصل الباحثان الى جملة النتائج الآتية:

1. ارتبطت الدلالات الاجتماعية بموضوعتي الصراع والسلطة فالإنسان منذ ولادته يحيى الصراع في اطر الحياة الاجتماعية ليصبح هو صاحب السيادة والسلطة, كما ظهر في النماذج (5,4,1) من العينة.
2. نضوج فكرة البطل الاسطوري كموضوعات ذات اهمية اجتماعية، حينما برزت وتفاعلت مع منظومة الفكر الاجتماعي القديم، كما ظهر في الإنموذجين (5,1) من العينة.
3. سيادة التنظيمات الزراعية والتجارية والانتاجية في مشاهد طبعات الاختام الاسطوانية كدلالات اجتماعية متداولة يوميا, كما ظهر في النماذج (3,2,1) من العينة.
4. تجسدت الدلالات الاجتماعية من خلال ظهور قوى اسطورية ومعتقدات وموضوعات ذات طابع ديني مقدس ارتبطت بشكل مباشر بحياة الإنسان السومري من خلال الشكل والمضمون كما ظهر في جميع نماذج العينة.
5. إنّ تربية الماشية وتدجين الحيوانات كنمطين اقتصاديين مُهِمين يعتمد عليها المجتمع السومري في حياته اليومية الاجتماعية كما ظهر في النماذج (4,3,1) من العينة.
6. طغيان الجانب الوظيفي النفعي في موضوعات الاختام الاسطوانية كدلالة الارتباط بالنظم الاجتماعية، كما ظهر في النماذج (3,2,1) من العينة.
7. إنّ موضوعات الآلهة المقدّسة بِعَدِّها الأكثر شيوعاً وتداولاً واكثرها ارتباطاً بالحياة الاجتماعية السومرية من خلال الشكل والمضمون كما اتضح في النماذج (4,3,1) من عينة البحث.
8. التباين والاختلاف في طبيعة الموضوعات الاجتماعية التي وظّفها الفنان السومري وهذا دلالة التنوّع الفكري والثقافي المرتبط في الحياة الاجتماعية السومرية كما اتضح في جميع نماذج عينة البحث.
9. لجأ الفنان السومري إلى توظيف الموضوعات الشعبية في طبعات الاختام الاسطوانية كأنماط اجتماعية يومية, كما ظهر في الانموذج (2) من العينة.
10. اتسمت الحياة الاجتماعية السومرية بصلتها المباشرة بالجانب التجاري المتمثل بنقل البضائع (السلع) إضافة إلى استيراد الأحجار الكريمة والصخور الغالية الثمن من مناطق بعيدة من اجل عمل اختامهم الاسطوانية.، كما ظهر في الانموذج (1) من العينة.
11. اهتمام الفنان السومري بموضوعات الاحتفالات واحيائها من قبل افراد (مبدعين موسيقيين) وتوظيفها في طبعات اختامهم الاسطوانية ، كدلالة هامة على تفاعلهم وترابطهم الاجتماعي كما ظهر في الانموذج (2) من العينة.
12. إنّ الفنان السومري لجأ لتوظيف الجانب السحري في طبعات الاختام الاسطوانية كونها ذات فاعلية اجتماعية مرتبطة بمنظومة العقائد والقوى الخفية، كما ظهر في الإنموذجين (4,3) من العينة.
13. اهتمام الفنان السومري بالتنظيمات العائلية المتمثلة بموضوع الزواج وزيادة النسل والتقاليد والأعراف الاجتماعية حيث لجأ لتوثيقها في طبعات الأختام الاسطوانية مضموناً. كما ظهر في النماذج (4,3,2) من العينة.

14. تتضح الدلالات الاجتماعية من خلال اهتمام الفنان السومري بالأنظمة والقوانين وتوظيفها في موضوعات طبعات الأختام الاسطوانية شكلاً ومضموناً كما اتضح في النماذج (4,3,2) من العينة.
15. ان الفنان السومري لجأ لتوظيف فكرة الملك لتصبح فاعلة في نطاق وطبيعة الحياة الإجتماعية , كما ظهر في الإنموذج (4) من العينة.

الإستنتاجات:

في ضوء نتائج البحث، توصّل الباحثان الى الإستنتاجات الآتية:

1. استطاع الفنان السومري من إظهار الدلالات الإجتماعية في موضوعات طبعات الأختام الإسطوانية المرتبطة بجوانب الحياة اليومية المختلفة لتصبح هي الأسس الفاعلة التي تعالت والنظم الإقتصادية والدينية والسياسية والثقافية وتنظيماتهم العائلية.
2. ان الفنان السومري هو ذلك الإنسان المبدع والمثقف ذو الفكر الواعي والبراعة الفذّة الذي استطاع ان يحوّل سطح طبعة الأختام الإسطوانية المتناهية الصِغر الى موضوعات متكاملة في شكلها ومضمونها كدلالات على الفاعلية التنظيمية لمجمل جوانب الحياة اليومية الإجتماعية.
3. ان الفنان السومري انتج حضارة متجددة, قوامها تلك المعالم الثقافية الهامّة لبنية الحضارة السومرية تحولت في هيئة علاقات شكلية نُفّذت على مساحات صغيرة افصحت عن إرثاً حضارياً غنياً بالفكر والمادة.
4. ان طبعات الأختام الإسطوانية حملت العديد من الخبرات والافكار الواعية بوصفها وثائق تُنشِد الديمومة الوجودية للفرد السومري بعَدّهِ إنسان فاعل ومتفاعل مع بيئتهِ ومجتمعهِ بدلالة المدركات الفكرية المحرِّكة لذاتهِ.
5. ظهرت طبعات الاختام الاسطوانية كوسيلة فاعلة للتلاقح الثقافي المجتمعي التي اسسوا لها وصاغوها وفق رؤية فكرية فذّة, لتمثل خطاباً توعوياً موجّهاً للمجتمع كافة.
6. ان طبعات الاختام الاسطوانية هي اشبه بوعاء لحركة الفكر الاجتماعي السومري خاصة, والعراقي القديم عامة.

التوصيات:

في ضوء ما أسفر عنهُ البحث من نتائج وإستنتاجات، يوصي الباحثان بالآتي:

ضرورة توثيق نتاجات الفن الخاصّة بالحضارة العراقية القديمة, (اختام اسطوانية, منحوتات بارزة ومجسّمة, جداريات وفنون تطبيقية) بعَدّها تأريخ امة عظيمة وحضارة رائدة ومنبع فكري وثقافي وجمالي.

المقترحات:

إستكمالاً لمتطلبات البحث الموسوم إقترح الباحثان العنوانين الآتيين:

1. الدلالات الاجتماعية في طبعات الأختام الإسطوانية الأكدية.
2. الدلالات الاجتماعية في طبعات رامبرانت الكرافيكية.

المصادر

1. امهز, محمود: في تأريخ الشرق الأدنى القديم, دار النهضة العربية, د.م, 2010.
2. باقر, طه: مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة؛ تأريخ الفرات القديم, ط2, بدون دار نشر, بغداد, 1955.
3. دلو, برهان الدين: حضارة مصر والعراق؛ التأريخ الاقتصادي, الاجتماعي, الثقافي والسياسي, ط1, دار الفارابي, بيروت, 1989.

4. ديورانت ,ويل : قصة الحضارة؛ الشرق الأدنى, ج2, م1, تر: مُحَمَّد بدران, دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع, بيروت, د.ت.
5. زيادة, معن : الموسوعة الفلسفية الدينية , ط 1، معهد الانماء العربي , 1986.
6. ساكز, هـ.و.ف: البابليّون, تر: سعيد الغانمي, ط1, دار الكتاب الجديد, بيروت, 2009.
7. سكر, عزمي: السومريون في التأريخ , ط1, عالم الكتب, بيروت, 1999, ص84.
8. السواح, فراس : الاسطورة والمعنى (دراسات في الميثولوجيا و الديانات الشرقية), ط2, دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة, دمشق, 2001.
9. صاحب, زهير: اسطورة الزمن القريب, دار الجواهري, بغداد, 2016.
10. صاحب, زهير: الفنون البابلية, دار الجواهري, بغداد, 2011.
11. صاحب, زهير: الفنون السومرية, دار ايكال للطباعة والتصميم, بغداد, 2005.
12. صاحب, زهير: تقابل الحضارات؛ دراسة في الحضارتين العراقية والمصرية, ط1, دار ومكتبة عدنان, مكتبة مدبولي, القاهرة, 2016.
13. صاحب, زهير: ملحمة العراق؛ دراسة في فنون عصر فجر الحضارة العراقية, دار الكتب, بغداد, 2017.
14. عبادة, عبد اللطيف: أجتماعية المعرفة الفلسفية ، المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر, 1984
15. علاّم, نعمت إسماعيل: فنون الشرق الأوسط والعالم القديم, دار المعارف, القاهرة, 2010
16. فارس، شمس الدين وسلمان عيسى الخطاط: تاريخ الفن القديم، ط1, دار المعرفة, د.م,1980
17. فاضل, عبد الحميد: تأريخ الفن العراقي القديم, وزارة التعليم العالي والبحث العلمي, العراق, 2006.
18. الفائدي,محجوب عطية:مباديء علم الإجتماع والمجتمع الريفي,ط1,منشورات جامعة عمر المختار,البيضاء 1992.
19. قاشا, سهيل: تأريخ الفكر في العراق القديم, دار التنوير, طرابلس, د.ت.
20. لوكاس, كريستوفر: حضارة الرُقَم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم, تر: يوسف عبد المسيح ثروت, منشورات دار الجاحظ, وزارة الثقافة والاعلام, بغداد, 1980
21. لويد, سيتون: آثار بلاد وادي الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي, تر: مُحَمَّد طلب, ط1, دار دمشق. دمشق. 1939
22. مورتكات, انطون: الفن في العراق القديم, تر: عيسى سلمان و سليم طه التكريتي, مطبعة الأديب البغدادية, بغداد, 1975
23. موسكاتي، سبتينو: الحضارات السامية القديمة، تر: السيد يعقوب بكر، دار الرُقي، بيروت، 1986

المعاجم والقواميس

24. الأحمر, فيصل : معجم السيميائيات, ط1, منشورت الإختلاف, الدار العربية للعلوم ناشرون, بيروت, 2010
25. جوليا, ديديه: قاموس الفلسفة, ط1,تر:فرانسوا أيوب وآخران, مكتبة أنطوان- بيروت , دار لاروس- باريس, 1992
26. الرازي، مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر : مختار الصحاح ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، د.ت
27. الفراهيدي, الخليل بن احمد: العين, ج2,ط1, دار الكتب العلمية, بيروت,2003
28. لالاند, اندريه: موسوعة لالاند الفلسفية, ج3,ط2, تر:خليل احمد خليل, منشورات عويدات, لبنان- باريس,2001
29. وهبة, مراد: المعجم الفلسفي, دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة,1998

الأطاريح والرسائل

30.محمود, ضياء حسن: الموروث الرافديني في التشكيل الحديث بالعراق, أطروحة دكتوراه غير منشورة, جامعة تونس, المعهد العالي للفنون الجميلة, مدرسة الدكتوراه فنون وثقافة, تونس, 2010.

المجلات والدوريات

31.الاحمد، سامي سعيد: الأهمية التاريخية والتراثية للأختام الأسطوانية, مجلة المورد, تراثية فصلية, وزارة الثقافة, بغداد-العراق, العدد/1, 1981.

مواقع الإنترنت

32. j.mark ,Joshua :**cylinder seals in Ancient Mesopotamia–their history and Significanc**, Ancient history encyclopedia,2.December ,2015

حسب الموقع الالكتروني

33. www.historyon thenet.com حسب الموقع الالكتروني

الهوامش:

(*)عالم اثار ولد في العراق, محافظة بابل.سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإكمال دراسة علم الآثار وبعد أربعة سنوات حصل على البكالوريوس والماجستير وكانت العودة للعراق عام 1938، يعد باقر من أشهر العاملين في مجال ترميم الذاكرة العراقية وصلتها بتاريخها الحيوي المتحرك والمنتج. عمل باقر في مجال التاريخ القديم وعلى الأخص تاريخ العراق فالآثار لدى باقر ليست حجراً أصم يؤرخ لأزمان جامدة ومعزولة. انه تعبير متحرك عن واقع بحاجة إلى اغناء مضامينه الإنسانية بالكشف والتنقيب عن إمكانات الإنسان العراقي وقدراته الابداعية. https://ar.wikipedia.org/wiki /طه_باقر

ملحق الأشكال

شكل (1)

شكل (2)

شكل (3)

شكل (4)

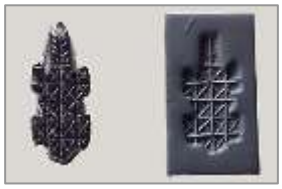

شكل (5)

شكل (6)

شكل (7)

شكل (8)

شكل (9)

شكل (10)

شكل (11)

شكل (12)

النوع الاجتماعي والتنمية السياسية

دة.جليلة مراوحي

دكتورة في اللسانيات الاجتماعية

جامعة ابن طفيل – أستاذة التعليم العالي مساعدة بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالرباط

JALILAMRAOUHI@GMAIL.COM

212664698499

الملخص

يعد تحقيق التنمية السياسية أو التحديث السياسي رهانا تسعى جميع الدول إلى كسبه، في محاولة منها لاحتواء التحولات الكبرى التي تطرأ عليها. يقتضي ذلك رفع مشاركة كل فئات المجتمع في سيرورة بناء الدولة الديمقراطية. في المغرب، ما يفوق نصف السكان بقليل هن نساء، وبالرغم من تبني الدولة مقاربة النوع الاجتماعي في مجموعة من المجالات، فإن مشاركة المرأة في تدبير الشأن العام تظل جد محتشمة.

ترمي الورقة التالية إلى البحث في الأسباب الثقافية والاجتماعية التي تبقي المرأة خارج المنافسة على ممارسة السلطة. في أفق معالجة الإشكال التالي: لماذا لا تنخرط المرأة في الشأن السياسي بنفس القدر الذي يمارس به الرجال السلطة في مؤسسات الدولة؟ وهل من مجال لكي تتحقق التنمية السياسية عبر مقاربة النوع؟ وهل يكون تعليم الفتاة مدخلا مناسبا لإحداث التغيير في السياسة؟

بعد تحليل المعطيات الصادرة عن الجهات الرسمية، تبين بأن الدولة قامت بمجهودات ملموسة في سعيها لتمكين النساء سياسيا، عبر تبني مقاربة النوع، خصوصا في قطاع التعليم. لكن تحليل البرامج المدرسية والمحتويات وتمثلات الأساتذة الساهرين على تنفيذها، يفيد بأن التنزيل الفعلي لمقاربة النوع يصطدم بحاجز الثقافة الاجتماعية والسياسية السائدة، التي تشكل امتدادا للعقلية الذكورية المحافظة.

الكلمات المفتاح

التنمية السياسية– الديمقراطية– مقاربة النوع الاجتماعي– تمكين النساء سياسيا– تعليم الفتاة

Gender and political development

Dr. Jalila MRAOUHI

Education and training professions in Rabat

Ibn Tofeil University

Abstract

Achieving political development or political modernization is a challenge that all countries seek to win. In an attempt to control the major transformations that occur to them. This requires raising the participation of all segments of society in the process of building the democratic state. In Morocco, just half of the population is women, and despite the state's adoption of a gender approach in a range of areas, the participation of women in managing public affairs remains very modest.

The following paper aims to investigate the cultural and social reasons that keep women out of competition to exercise power. On the horizon of tackling the following problem: Why are women not involved in political affairs as men? Is there room for political development to be achieved through a gender approach? Would girls 'education be an appropriate turning point in making a change in politics?

After analyzing the data issued by the official authorities, it became clear that the state has made concrete efforts in its endeavor to empower women politically, by adopting a gender approach, especially in the education sector. However, the analysis of school programs, the contents and the representations of the teachers working on their implementation indicates that the actual performance of the gender approach collides with the barrier of the prevailing social and political culture, which is an extension of the conservative mentality.

Key words: Political development- Democratic state- Gender approach- Girls 'education- Empowering women politically

مقدمة

كشفت المندوبية السامية للتخطيط (2019) على أن عدد النساء في المغرب يفوق عدد الرجال، حيث يقدر عددهن في منتصف سنة (2018) بنحو 17.67 مليون، أي ما يمثل أكثر بقليل من نصف سكان المغرب (50.1٪). لكن المفارقة هي أن من تساهمن في سنّ القوانين لا تشكلن سوى (21٪) من مقاعد المؤسسة التشريعية. ربما لن نأتي بجديد عندما نقول بأن المجتمع الذي يمشي على ساق واحدة ويعطّل عمل الأخرى هو مجتمع محكوم عليه بالتخلف والتأخر عن ركب التنمية، خصوصا وأن الدولة المغربية تضع نصب أعينها، كأولوية الأولويات، صياغة نموذج تنموي يُخرج الجميع من النفق.

يتبادر للذهن سؤال بديهي يفرض ذاته بذاته وهو: لماذا لا تنخرط المرأة في الشأن السياسي بنفس القدر الذي يمارس به الرجال السلطة في مؤسسات الدولة؟ وهل من مجال لكي تتحقق التنمية السياسية عبر مقاربة النوع؟ وهل يمكن أن يكون التعليم مدخلا مناسبا لتعديل الثقافة السياسية بما يخدم قيم المساواة والديمقراطية؟

أهمية البحث

تعيش المرأة في المجتمعات الشرقية وضعا شاذا جدا، لكنه بحكم العادة والتكرار صار يبدو عاديا ومقبولا، بل صارت كل محاولة للتغيير وكل مطلب حقوقي يقوّم الاعوجاج ويُعيد الأمور إلى نِصابها، يجد مقاومة شديدة من المجتمع؛ ذكورا وإناثا. تكمن أهمية هذا البحث في المساهمة في تشكيل وعي بالواقع، يستند على المقاربة السوسيولوجية في بناء تصور عقلاني، قادر على إدراك الآليات المتحكمة في التمثلات والممارسات التي تتحكم فيها العقلية الذكورية، والتي تؤثر سلبا على بلوغ التمكين السياسي للنساء. كما التزم العمل الحالي بالتفكير في منافذ للخروج من هذا الوضع عبر التأثير في الثقافة السياسية من خلال التعليم، وبالأخص تمدرس الفتاة.

أهداف البحث

إن النبش في جذور الفوارق الاجتماعية القائمة بين الجنسين، يكون الهدف منه هو فضح مظاهر استغلال الفروق البيولوجية بينهما للإبقاء على النظام الأبوي (الباطريركي) المهيمن، والذي يبقي على النفوذ والحظوظ كامتياز يمتاز به الرجل، وكأنه حق طبيعي غير قابل للمساءلة والنقاش. إن تعرية هذا الواقع والانخراط في النقاش العلمي الذي يؤطر نظريا أشكال وعينا به، يندرج في أفق زحزحة الصورة النمطية للمرأة التي تجعلها تعتقد بأن مكانها الطبيعي هو المنزل، حيث تقوم بأدوارها التقليدية كأم وربة بيت.

إذا كانت سمة الثقافة بشكل عام والثقافة السياسية على وجه التحديد هي التحول وعدم الثبات، فإن أحد أهداف هذا البحث هي ضبط المتغيرات المتحكمة في تشكيل تلك الثقافة، بحيث تصبح الشروط الثقافية العامة سانحة لإحداث التغيير، ومساندة للمرأة في سيرورة التحول نحو مزيد من الحضور والمشاركة الفعلية والفعالة في المجتمع.

إن إيمان المرأة بقدراتها وتحصيلها لوعي بإمكانات الفعل المطروحة أمامها، سيجعلها تبحث عن موطئ قدم لها داخل الفضاء العمومي والانخراط في تدبير الشأن العام، عبر ممارسة السياسة والإسهام في أوراش بناء الديمقراطية، من خلال الالتحاق بمؤسسات الدولة، فاستكمال مسار الديمقراطية في المغرب مرتبط بتحرر النساء من الخوف ومن التردد الناتج عن عدم الثقة في النفس ومن العادات والتقاليد التي تحد من قدرتها على ممارسة السلطة. فيكون الهدف الأسمى للنضال هو دعم الديمقراطية وللعدالة الاجتماعية.

حدود البحث

جاءت الورقة العلمية التالية في سياق البحث عن إطار نظري يعمل على تقديم فهم أعمق وأدق للأسباب الاجتماعية والثقافية التي تحول دون بلوغ مطلب المناصفة بين الرجل والمرأة في العمل السياسي.وكما هو مسطر في الأهداف، فإن المنحى الذي يتخذه البحث يسير في اتجاه المراهنة على التعليم في أفق تحقيق التنمية السياسية المنشودة عبر مقاربة النوع الاجتماعي. استغرق الجانب النظري حيزا مهما من اهتمامنا، مما جعل التجريد يطغى على الورقة البحثية. نأمل أن يجد هذا العمل امتدادا له في دراسة ميدانية، ترصد إلى أي مدى تمكن تعليم الفتاة اليوم من تغيير وضعها في المشهد السياسي، وكيف خاضت حملتها الانتخابية الأخيرة في ظل المشروع التنموي الجديد الذي يسعى المغرب إلى تفعيل مخرجاته.

فروض البحث

تقوم الدراسة الحالية على الافتراض العام التالي: إن التمييز بين الجنسين على أساس النوع هو نمط من أنماط التنشئة الاجتماعية التقليدية، تمت مأسسته داخل حقل السياسة. بالرغم من أن الثقافة السياسية في المغرب هي ثقافة ذكورية، إلا أنه يمكن اختراقها والتأثير فيها عبر مدخلين: أولهما إرادة سياسية منصفة تستطيع تحقيق التمكين السياسي للنساء، والمدخل الثاني هو التعليم الذي من شأنه أن ينتج وعيا بديلا ومقاوما لثقافة التهميش والإقصاء. وهما الافتراضان الجزئيان اللذان سيوجهان التحليل عبر هذه الورقة.

المنهج وأدوات البحث

لقد اعتمدت الدراسة الحالية المنهج الاستنباطي الذي يقوم على تعيين المقدمات والمسلمات العامة، والتي تبرز العلاقة الوطيدة للتمكين السياسي للمرأة بمقاربة النوع. ثم الانتقال إلى عرض الجزئيات التي تستلزِم عنها، حيث أبرزنا انغماس الثقافة السياسية السائدة في نفس العقلية الذكورية المهيمنة. بعدها انتقلنا إلى تحديد الفروض والنتائج التي نتحقق من جدواها من خلال قراءة في الإحصائيات الرسمية المتعلقة بالانتخابات التشريعية وتتبع تطورها عبر مدى ثلاث مراحل انتخابية متعاقبة، وكذا الأرقام الصادرة عن وزارة التربية الوطنية التي ترصد وضعية المتعلمات في المدرسة، لتحديد مظاهر التحول الذي يعرفه التمكين السياسي للمرأة المغربية في العقد الأخير في علاقته بتمدرس الفتاة. لننتهي إلى خلاصة تركيبية تقف عند معيقات التمكين السياسي وإمكانات التغيير المطروحة.

1. التنمية السياسية

1.1. تعريف التنمية السياسية

ظهرت الإرهاصات الأولى لمفهوم التنمية السياسية (ت.س) في أعقاب الحرب العالمية الثانية أوائل الخمسينات من القرن الماضي، فارتبطت بالدول الحديثة النشأة في إفريقيا والشرق الأوسط وفي آسيا، وكذلك اهتمت بدراسة بعض الدول العتيقة في أمريكا اللاتينية.

يُنظر ل (ت.س) عند (HAGOPIAN 2000: 883) على أنها سيرورة غائية يتم تطبيقها في سياقات ما بعد الاستعمار وامتدت إلى المناطق التي تسير باتجاه التنمية الاقتصادية. الأدوار الجديدة والأدوار المستحدثة للدول السائرة في طريق النمو، وانبعاث الهويات الأخلاقية والصراع مع كل التحديات التي تطرحها على وحدة الأوطان، ومحاولة إرساء مؤسسات ديمقراطية حديثة في إطار الدول الديكتاتورية...، هي كلها أسباب كانت مقنعة لإعادة الحياة لمفهوم التنمية السياسية.

تمت صياغة المفهوم من قبل علماء الاجتماع والاقتصاد، ثم تبناه علماء السياسة لدراسة مختلف الأنظمة السياسية. تُعرَّف (ت.س) باعتبارها تكييف لأنماط الحياة القديمة مع متطلبات العيش الحديثة؛ أي الانتقال من وضع قديم إلى وضع يحمل معطيات جديدة. وقد حصر (Almond, 1960) نوعية التحول في انتقال السلطة. نفس المبدأ يركز عليه (Lerner, 1958) في تعريفه ل (ت.س) عندما اعتبرها أحد الجوانب المتعددة الأبعاد الخاصة بسيرورة التغير الاجتماعي التي تأخذ على عاتقها إحداث عدد واسع من التغيرات في جميع المستويات، أخذا بعين الاعتبار: أداء الدولة ورفاهية الشعب، وأنشطة النخبة والاتجاهات السوسيوقتصادية والثقافية والسياسية التقدمية حسب ما ورد في (Karimi 2014: 68)

وفقا لما ذهب إليه (W. Pye, 1965)، تعد (ت.س) مفهوما أساسيا يدعم الانتشار التدريجي، في جميع أنحاء المجتمعات، لما يسمى بعالم الثقافة. أول ما تسعى إليه (ت.س) هو تطوير الدولة أو الوطن. ويشمل التطوير كل أفراد المجتمع من ساكنة إلى أعلى مستوى في الحكومة ومؤسسات النظام السياسي. يكون أداء الحكومة محترما عندما تدخل (ت.س) في اعتبارها الرفع من قدرة النظام السياسي على تدبير الشؤون العامة والتحكم في النزاعات وحسن تدبير المطالب الشعبية. أما (La Palombara,1963) فيربطها، من جهة، بالتنمية الإدارية والتنمية القانونية التي تلعب فيهما البيروقراطية دورا رئيسيا، ومن جهة أخرى تكون (ت.س) هي عملية بناء الديمقراطية عبر تعزيز قيمها لدى الشعوب.

يرى بعض السياسيين بأن (ت.س) هي مرادفة للتحديث السياسي الذي يقتضي عقلنة السلطة وذلك بتعويض سلطات تقليدية بسلطات سياسية وطنية، والتمييز بين الوظائف السياسية مع تطوير البنية لتصير ملائمة للوظائف الجديدة. كما يقتضي التحديث السياسي رفع مشاركة مجموعات مختلفة من المجتمع. ومن زاوية نظر علماء الاقتصاد، فالتنمية السياسية هي عامل من العوامل الميسرة لرفع الدخل الفردي والمساعدة على النمو الاقتصادي والتطور الصناعي.

في ستينات القرن الماضي، تم اعتماد المقاربة السوسيولوجية في دراسة المفهوم عوض الفلسفة السياسية التي تستوحي أفكارها من دراسة العالم النامي، لأن فهم السياسة في المجتمعات النامية يكون أفضل عبر دراسة المجتمع لا بدراسة الحكومة؛ نظرا لكثرة التغيير الذي تعرفه المؤسسات الحكومية في تلك المناطق. فهي غير قادرة على إعطاء وصف دقيق لأدائها الحالي في أفق التنبؤ بسلوكها في المستقبل.

إنه لمن الأجدى دراسة الثقافات الشعبية (التقليدية) وتأثير الغرب فيها، ومسارات التنشئة الاجتماعية، والممارسات المرتبطة بالتوظيف، والبنيات التحتية السياسية والمجموعات ذات التأثير والأحزاب السياسية ووسائل الإعلام والتواصل.[1] لذلك، ارتأينا في هذه الدراسة الارتكاز على المقاربة السوسيولوجية، بالبحث في مسارات التنشئة الاجتماعية التي أنتجت التمييز بين الجنسين، موضحين العوائق الثقافية التي تحول دون انخراط المرأة في سيرورة التنمية السياسية بشكل فعال.

1.2. خصائص التنمية السياسية

تعتبر المساواة من الخصائص الأساسية التي تميز(ت.س). تقتضي المساواة مشاركة جماهيرية في الأنشطة السياسية واعتبار القوانين من طبيعة كونية، حتى يتسنى تطبيقها على جميع الطبقات ومختلف فئات الشعب. تقوم المساواة، في تصور (Carry, 1959)، على مجموعة من المبادئ حددها فيما يلي: ضرورة توفير لكل شخص فرصة مناسبة لتطوير شخصيته، بحيث لا تمنح جماعة أو طبقة ما امتيازات على حساب الآخرين. يتم توزيع الحقوق بشكل متكافئ بين جميع الأفراد وعلى الجميع التمتع بفرص متكافئة لولوج السلطة.

تتحدد الخاصية الثانية ل (ت.س) في قدرة النظام ومخرجاته ومدى تأثيره في المجتمع والاقتصاد، والحكومة وأدائها ومجموع الشروط التي من شأنها التأثير في عملها؛ فهي مطالبة بالقيام بمداولات وتقديم تبريرات فيما يخص تنفيذ السياسات العامة، كما تقاس قدرة النظام السياسي بدرجة العقلانية التي تسود الإدارة. في حين تكون الخاصية الثالثة المميزة ل (ت.س) هي التميز أو انتشار التخصص؛ فكل هيئة أو مؤسسة هي ملزمة بأداء وظيفة محددة بغرض إتقانها مع الحرص على إدماج جميع المؤهلات كغاية قصوى.

انطلاقا من هذه الخصائص الثلاث، تكون (ت.س) عند (HAGOPIAN 2000/33: 884) مدعوة إلى تحقيق الاستقرار عبر التعديل التدريجي لمخططاتها. فيما يخص المشاركة السياسية، يتوجب عليها البرهنة على قدرتها على تعبئة الجماهير. وعليها تقع مهمة بناء الوطن واستحضار كرامته في الأشغال الدولية. يجب عليها أن تكون مرئية في الساكنة بأكملها وفي الحكومة وفي مؤسسات النظام السياسي.

1.3. مقاربة نظرية للمفهوم

اعتمد الدارسون في دراستهم ل (ت.س)على مقاربات التحديث والبنيوية الوظيفية والنظرة الغائية للتطور.

- **التحديث**

بالنسبة لهذا المفهوم، فهو مستوحى من أعمال ماكس فيبر الذي ينطلق من فكرة أن تطوير الاقتصاد سيتبعه سلسلة من التحولات في النظام الاجتماعي والتي من شأنها تحويل الأنظمة السياسية؛ فمثلا التمدن والهجرات المرافقة له، يمكنها أن تحدث تغييرا على المستوى السياسي. فعوضا من أن يظل الولاء السياسي محصورا في نطاق ضيق لقرية الانتماء وأقوى رجالاتها، فيمكن أن يتحول إلى الوطن وبيروقراطية الدولة الشرعية التي تتولى الحكم.ثم إن الانتشار الواسع لوسائل التواصل بين الشريحة المتعلمة من المجتمع، من شأنه تسريع وثيرة التحديث.

- **البنيوية الوظيفية**

كان النوع الثاني من الدراسات حول(ت.س)، في الستينات من القرن الماضي كثير التأثر بأفكار دوركهايم، حيث قدم مقاربة بنائية وظيفية للسياسة تعمل على صياغة نماذج تضم الخصائص المشتركة بين الدول بهدف إحداث مقارنات واسعة بينها. المقاربة من الفكرة القائلة بأن لكل نظام سياسي بنيات سياسية، مما يعني حاجة جميع الأنظمة إلى تحسين الأداء لنفس الوظائف. تشكل البنيات نوعان: رسمية كالبرلمان والسلطة التنفيذية البيروقراطية والمحاكم، وغير رسمية كالأحزاب السياسية والتجمعات المهمة والعلاقات القائمة على القرابة أو الانتماء لنفس السلالة والانتماء الطبقي والمظاهرات وأعمال الشغب...إلخ. وفقا لهذه المقاربة، تتأتى دراسة (ت.س) انطلاقا من معرفة أي البنيات وجب مقارنتها داخل الأنظمة السياسية المختلفة، لمعرفة ماهي الوظائف الواجب العمل على تحسين أدائها.

- **المنظور الغائي ل (ت.س)**

(ت.س) هي حسب HAGOPIAN (2000/33: 886) حركة النظام السياسي باتجاه تحقيق هدف أو عدة أهداف، غالبا ما تكون جزء من سيرورة التحديث العامة. تضم هذه المقاربة كلا من التنمية السياسية والتنمية الاقتصادية، ويعتبر الغرب هو النموذج الذي يجب أن يحتذى به لتحقيق التنمية في الاتجاهين معا.لكن ما يعاب على هذا المنظور هو محاولته محو التنوع الكبير للقضايا الأساسية التي تشغل الشعوب، وتعزيز نزعة التمركز حول العرق الغربي والتحيز لقيمه، واعتبار التقليد والتحديث وجهان متعارضان، كل منهما يسير وفق نمطه الخاص.

في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، حاولت (ت.س) أن تمضي بشكل غير متساو عبر مختلف المجالات والمناطق. أرادت أن تخلق نوعا من التعايش بين أشكال متعددة من الاجتماعي والتنظيم السياسي. في هذا المستوى، يبدو أن

فهم الأوضاع سواء من حيث الاستقرار أو المساواة...، لا تتم فقط انطلاقا من دراسة تأثير القوى الأجنبية أو المحلية المساهمة في التحديث والتحضر، بل أيضا دراسة المؤسسات السياسية وبنيات الدولة وقوة الاقتراحات السياسية. كما عرفت الفترة مساءلة بعض الفرضيات المعيارية التي تطرحها أدبيات الفترة السابقة؛ فتحولت من التركيز على البنيات والوظائف والأدوار، وعادت من جديد إلى المفاهيم والمؤسسات، وكذا مساءلة النموذج الغربي حول مدى تجانسه ومدى قابليته للتعميم.

1.4. انتقاد (ت.س)

جاءت أهم الانتقادات من الباحثين في أمريكا اللاتينية، عبر مساءلة النموذج الغربي في التنمية ولماذا على دول العالم الثالث اقتراض هذه النماذج الدخيلة أو ما يعرف بنظرية التبعية. إذا كانت دول أمريكا اللاتينية تعاني الفقر، فذلك راجع لعدم عدالة المبادلات التجارية على الصعيد العالمي، حيث يبدو الفرق شاسعا بين ثمن المواد الخام التي يتم تصديرها للخارج والمواد المصنعة التي يتم استيرادها. هذا التفاوت تحديدا ما يوسع الهوة بين دول الغرب النامية ودول أخرى غير نامية.

إن الفكرة القائلة بوجود تعارض بين التحديث والتقليد التي تتبناها أدبيات (ت.س) هي فكرة مرفوضة جملة وتفصيلا، فما هو تقليدي في هذه المجتمعات يصعب إلحاقه بالتحديث، لأن العالم الحديث يحتاج ويستغل العالم القروي والأسواق غير المهيكلة في المجال الحضري لانخفاض تكلفة اليد العاملة وأثمنة المواد الغذائية.

ينفي (Huntington, 1968) بأن يكون التطور الاقتصادي وسيلة لتحقيق (ت.س) وديمقراطية مستقرة. على العكس من ذلك، فهو يرى بأن التحديث السوسيوقتصادي قد يؤدي إلى تزايد الطلبات التي من شأنها خلق نوع من عدم التوازن داخل الأنظمة السياسية بل والسعي في انهيارها. نفس التصور يدافع عنه (O'Donnell, 1973)، الذي ينسب انهيار الديمقراطية في دول أمريكا اللاتينية وتحديدا في المناطق الأكثر تحديثا، حيث تقل الأمية ويكثر التحضر، إلى عوامل اقتصادية بنيوية. فالتحديث بالنسبة له قد يؤدي إلى عدم الاستقرار وإلى مخرجات غير ديمقراطية.

من خلال العرض الذي سبق، يمكن قياس المسافة الفاصلة بين النظام المغربي والديمقراطية التي تبنى على أساسها أية تنمية؛ لأن (ت. س) تشترط لتحقيقها إحقاق المساواة بين جميع فئات المجتمع، وهو الشرط الذي يصعب تحققه في ظل مجتمع يهيمن فيه الذكور وتغيب فيه النساء عندما يتعلق الأمر بصناعة القرار. لتعميق فهمنا لأسباب تهميش المرأة في السياسة، سنحاول فيما يلي البحث في الأسس الاجتماعية والثقافية التي تكرّس هذا الإقصاء.

2. النوع الاجتماعي وأسس الهيمنة

1. 2. تعريف النوع الاجتماعي

يعرّف مفهوم النوع الاجتماعي باعتباره حقل الدراسة الذي ينظر للأشياء بطريقة مغايرة، تأخذ بعين الاعتبار حقيقة وجود أنواع مختلفة في هذا العالم. يدرس الجندر الطرق التي تعمل من خلالها المعايير وأنماط السلوك المنسوبة إلى الذكورة والأنوثة،ويُستخدم كفئات تحليلية لرسم الحدود الفاصلة بين الاختلافات البيولوجية للجنسين، وطريقة توظيفها لوصف الأفعال، وتحديد اختصاصات كل من الذكر والأنثى.

إن هدف البحث وفقا لهذه المقاربة هو فضح مظاهر استغلال الفروق البيولوجية بين الجنسين للإبقاء على النظام الأبوي (الباطريركي) المهيمن، وذلك بجعل المرأة تعتقد بأن مكانها الطبيعي هو المنزل، حيث تقوم بأدوارها التقليدية كأم وربة بيت، وأي محاولة لتبديل تلك الأدوار من شأنها أن تحكم على المرأة بالشقاء والتعاسة كما خلص إلى ذلك (Pilcher & Whelehan 2004: 56-59). تنطبع الأشياء بطابع النوع الاجتماعي عندما تنخرط في سيرورة اجتماعية تنتج وتعيد إنتاج الفروق بين المرأة والرجل، بحيث يعطى الامتياز للذكر ضدا عن الأنثى. إن أهم تفسير تقدمه مقاربة النوع للفوارق القائمة بين الرجل والمرأة، هو طرح مسألة السلطة في المجتمع وتبيان كيف ولم يتم توزيعها بشكل مختلف بين النساء والرجال.

كثيرا ما يتم الخلط بين النوع البيولوجي والنوع الاجتماعي، لذلك نجد من الضروري تعريف النوع البيولوجي حتى يتضح للمهتم الفرق بين المفهومين. فإذا كان النوع الاجتماعي يشير إلى كل ما يرتبط بنظم المجتمع وما يحدَّد للرجل والمرأة من أدوار ومهام، يتم إعداد الفرد للالتزام بها لاحقا من خلال سيرورات التنشئة الاجتماعية، فإن النوع البيولوجي يقصد به نوع الجنس هل هو ذكر أم أنثى؛ فالحديث هنا يكون عن الطبيعة وما وهبته للفرد من خصائص فطرية وعضوية ثابتة وغير قابلة للتغير أو التحول من تلقاء نفسها.

إذا كانت ثقافة الشعوب متمايزة، فذلك يعني بأن الأدوار التي يتم إسنادها إلى كل من الرجل والمرأة، في مجتمعات متباينة، أيضا ستكون متمايزة، إلا أنها تظل قابلة للنقد والتعديل. لا يوجد قانون بيولوجي يلزم المرأة بالقيام بأشغال البيت وحدها دون إشراك الرجل في نفس المهام، ولكن الطبيعة أعدتها وحدها للقيام بوظائف الحمل والإنجاب والإرضاع. يبدو جليا بأن المهام الاجتماعية يمكن إنجازها من طرف كلا الجنسين، لكن الأدوار البيولوجية تخص كل نوع على حدة، أما الأبحاث التي تهتم بقضايا النوع الاجتماعي فيكون الهدف من ورائها هو تحقيق نوع من المساواة بين كل من الرجل والمرأة حتى تصير العلاقة بينهما أكثر إنسانية وأقل تحيزا لأحد الجنسين.

لقد حاولت فلسفة ما بعد الحداثة تصحيح مسار الحركة النسوية بدعوتها إلى التخلي عن فهم الصراع وكأنه صراع الرجل مع المرأة والاستعاضة عنه بالتفكير في مقاربة عادلة للنوع الاجتماعي. فالمطلوب من الحركة النسوية هو توسيع زاوية النظر إلى المجموعتين: "مجموعة النساء" و"مجموعة الرجال" باعتبارهما مجموعات تنتمي إلى نفس المجموعة، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار اختلافاتهم والفروق في السن والطبقة الاجتماعية والعرق والميولات الجنسية...إلخ.

إن هذا التقاطع مع الحركة النسوية وفلسفة ما بعد الحداثة هو ما أنتج ما بعد النسوية. وإذا كان على الحركة النسوية الاستفادة من دروس ما بعد الحداثة، فإن عليها القيام بأبحاث ميدانية تبرز الأثر الذي يحدثه نوع الأفراد في مصادرهم المادية وحظوظ العيش ومجموع التجارب التي يمرون بها.

2.2. أسس الهيمنة الذكورية

انطلاقا من قلب كلي لعلاقة الأسباب بمسبباتها لا يمكن إدراك الهيمنة الاجتماعية، التي تبدو وكأنها نمط من بين أنماط العلاقات المستقلة بشكل كلي عن علاقات القوة. تتحمل الأساطير والطقوس عبء مواءمة القوانين للتقسيم المعد سلفا، فيكرس النظام القائم اللامساواة بجعلها رسمية ومعترف بها لدى الجميع. يدخل التمييز القائم على أساس الجنس ضمن خانة العادي والطبيعي، وقد يصير في بعض الأحيان تمييزا ضروريا ولا بد منه؛ إنه يسكن الأشياء في المنزل، ويستقر في الجسد، وفي العالم الاجتماعي برمته، ويعمل من خلال أنظمة تمس الفعل والتفكير.

إن قوة النظام الذكوري لا تحتاج للتبرير طالما يفرض نفسه كنمط عيش محايد لا يقبل الانخراط في نقاش يشرعن لوجوده. يكمن سر قوة النظام الذكوري في عدم القدرة على إدراك تأثير الميكانيزمات العميقة التي تؤسس التوافق بين البنيات المعرفية والبنيات الاجتماعية. إنها ميكانيزمات خفية يتم فيها إلصاق كل التأثيرات الرمزية للشرعية بتمثلات مدرَكة لاشعوريا.

يشتغل النظام الاجتماعي كآلة رمزية ضخمة تعمل على المصادقة على الهيمنة الذكورية التي تأسست عليها، فتكون النتيجة هي تقسيم الشغل وفقا لجنس المشتغِل. ويُقسَّم الفضاء أيضا تقسيما جنسانيا؛ فيكون السوق هو الفضاء الذكوري بامتياز، بينما يصير المنزل هو الفضاء الخاص بالأنثى، حيث تعمل على إنجاز المهام المضنية والمتدنية القيمة والأجر مثل: الاهتمام بالبيت وحيوانات الإسطبل وجلب الماء والكلأ معالإقصاء من الوظائف النبيلة.

يدرِك العالم الاجتماعي الجسد كواقع مجنَّسٍ يحمل في ذاته مبادئ الرؤية التي تدرك الواقع مشطورا إلى نصفين: عالم الذكور وعالم الإناث. وفقا لهذا التصور يصبح الجسد نفسه مشرِّعا للتمييز؛ فالأعضاء البيولوجية مختلفة والوظائف البيولوجية

كذلك مختلفة. وعليه، فالاختلاف في الوظائف الاجتماعية يصير مقبولا بل مفروضا اجتماعيا. مما يعني خضوع الجسد وتحركاته لصياغة اجتماعية مبهمة متفق ضمنيا بشأنها، غدت تبدو وكأنها معطى طبيعيا لا صناعة ثقافية.

يتحرك الجسد داخل الفضاء العام وفق ضوابط معينة؛ فمقياس شرف الرجل واستقامته يكمن في المواجهة والنظر في الوجه والعينين وأخذ الكلمة أمام العموم، ويكون الخطاب تقريريا وقاطعا ومفكرا فيه. يتموقع الرجل في الفضاء الخارجي والرسمي، وإليه توكل المهام الخطرة (الحرب) والمثيرة (الذبح) لأنه يتسم بالقوة والصلابة، في حين يتحرك جسد المرأة بشكل مغاير امتثالا للثقافة، حيث تميل إلى الانزواء موجهة نظرتها إلى الأسفل، ما يضمن غظ البصر تجنبا للفتنة، منحنية الظهر والأيادي مطوية جهة الصدر.

غالبا ما تُفرض حدود على الجسد باسم "الحرام" (Bourdieu 1998: 21-48)، فيكون اللباس محتشما يوازي مراحل نموها المختلفة وهي: طفلة وعذراء مقبلة على الزواج ثم زوجة وربة عائلة. في هذا السياق نجدها تكتسب عادة شد الحزام ورفع الشعر، ففي ذلك تعطيل لعمل جزء من الجسد أو العمل على إخفائه وهو في حالة حركة. ومن خصائص المرأة المثالية في الثقافة الذكورية اتصافها بالنقص وفقر في المعلومات والأفكار لأن ذكاءها يعد نقمة عليها.

2.3. التنشئة الاجتماعية والتمييز بين الجنسين

إن التمييز بين الرجل والمرأة جاء نتيجة عمل جماعي هائل ودائم ومعَمَّم يسمى التنشئة الاجتماعية، والتي لا تظهر إلا نادرا كفعل بيداغوجي معلَن ومصرَّح به. إنه عمل يشمل الذهن والجسد إن على المستوى النظري أو العملي. تعمل آلية التنشئة الاجتماعية الضخمة على تثبيت الفوارق بين الذكور والإناث عبر طقوس مُمأسِسة للتمييز. ويعد الختان أحد الطقوس التي تزكي فكرة الفحولة الذكورية، كما يتم تشجيع الصبي على ممارسة نوع معين من الألعاب والرياضات التي يبرز فيها فحولته مثل: الرماية والقنص والصيد. ينفصل الولد تدريجيا عن الأم، ويتم ذلك في أعراف بعض القبائل بوضع المولود الذكر على الجانب الأيمن للأم، ثم وضع بينهما سكين كبير أو حجر من أحجار الدار.

يبدأ التنكر للجانب الأنثوي في الذكر بقص الشعر قبل أول دخول له إلى السوق. يتولى الأب عملية القص بأداة حادة يحتكر وحده استعمالها. توضع بيضة نيئة في "قِبّ" الصبي وقفل ومرآة يحملها في يده. يكسر البيضة قبل دخول السوق ثم ينظر في المرآة حتى تدرك الذات ذاتها من خلال عملية الانعكاس. يحيل فعل كسر البيضة وفتح القفل على الفحولة، فهي كلها أفعال شبيهة باختراق جسد المرأة كفعل غريزي صرف يتم الإعداد له اجتماعيا.

ظلت الفوارق بين الذكور والإناث تتعمق إلى أن اختزلت العالم والممارسات في ثنائيات متعارضة تؤسس للأخلاق بل حتى الجمال من بينها: (مرتفع/ منخفض)- (مستقيم/ ملتوي)- (صلب/ مرن)- (مفتوح/ مغلق).

تنحو التربية الأساس إلى تزويد الذكر والأنثى بطرق مختلفة في استعمال الجسد بشكل عام أو جزء من أجزائه؛ فطرق المشي وتعابير الوجه والنظرة...كلها تفاصيل تعبر عن أخلاق وسياسة وفهم معين للكون. بهذا نلقن النساء كيفية التواجد في الأماكن العامة بأشكال مقبولة اجتماعيا والتي يعد الحجاب اليوم هو أحد مظاهرها الأكثر انتشارا، حيث يمثل هذا اللباس نوعا من أنواع الانخراط في النظام القائم دون حاجة إلى نهي أو أمر مباشر أيّا كانت الجهة الآمرة، بل حتى "المتبرجات" لا تستطعن الظهور بحرية داخل الفضاء العام؛ يستشف ذلك من عمليات شدّ التنورة القصيرة نحو الأسفل مع الحرص على جمع الساقين وعدم بسطهما عند الجلوس، أو مواراة القميص الواسع العنق باستعمال اليد...كلها سلوكات تدل على انزعاج المرأة من نظرة الآخر لجسدها وما يتبع تلك النظرة من أحكام قيمة مسيئة لمكانتها في المجتمع.

حاولت النساء التصدي للهجوم الذكوري على حقوقهن وحريتهن في التعبير عن ذواتهن، لكن الآليات التي تبنتها لتحقيق هذا الغرض، لم تأتي متحررة تماما من سطوة الثقافة الذكورية المهيمنة. فأكثر النساء لا تستطعن ممارسة سلطتهن إلا

بالانمحاء الذاتي والاستعانة بقدرتهن على الإنجاب. تلجأ الأم إلى إبراز المعاناة الصامتة أمام الابن الذكر، لبسط نفوذها لاحقا. ينظر الولد لتلك المعاناة كدين يجب تسديده، وضمنيا فهو دين غير قابل للتسديد، مهما توالت المحاولات اللامتناهية لاستيفائه، أو تلجأ النساء إلى الشعوذة وهو ما يعزز دونيتهن ويثبت الصورة النمطية عن المرأة الماكرة أصل الآثام والشرور. إن السحر والحيل والكذب أو إظهار نوع من السلبية داخل غرفة النوم...، ما هي إلا عنفا هادئ تواجه به المرأة العنف المادي أو الرمزي الذي يمارسه عليها الرجل.

أما في عصرنا الراهن، وبعد معارك خاضتها المرأة من أجل تحرير الجسد من هيمنة الذكور، سنجد تحررها لم يتحرر كثيرا من النظرة الذكورية التي انتفض ضدها بظهوره الاستعراضي في الإعلانات، وبلجوئه إلى قوة الإثارة والإغراء التي يتحول من خلالها الجسد إلى موضوع للاستهلاك الانتقائي والتفاخر الذكوري بحيازة الجسد الأكثر أنوثة وجمالا، أو قد يتخذ الصراع منحى المواجهة بين الرجل والمرأة.

لذلك وجدت الحركة النسوية نفسها مدعوة إلى مراجعة منطلقاتها على ضوء منطق مغاير، حيث نبهت فلسفة ما بعد الحداثة إلى ضرورة تخلي الحركة النسوية عن فهم العلاقة وكأنها صراع الرجل مع المرأة، والاستعاضة عنه بمقاربة عادلة وأكثر إنسانية للنوع الاجتماعي. فالمطلوب، في تصور (Pilcher & Whelehan2004: 110-111) هو توسيع زاوية النظر إلى المجموعتين؛ "مجموعة النساء" و"مجموعة الرجال" باعتبارهما مجموعتين تنتميان إلى نفس المجموعة البشرية، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار اختلافاتهم والفروق في السن والطبقة والعرق والميولات الجنسية...

إن التقاطع مع الحركة النسوية وفلسفة ما بعد الحداثة هو ما أنتج ما يصطلح عليه ما بعد النسوية ((post-feminism، التي باتت مدعوة إلى الاستفادة من دروس ما بعد الحداثة عبر القيام بأبحاث ميدانية تبرز الأثر الذي يحدثه نوع الفرد، ذكرا أو أنثى، في موارده المادية وفرص عيشه وخبراته.

3. الفوارق بين الجنسين وتحديات التنمية السياسية

ينص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه لكل شخص الحق في أن يصير عنصرا ضمن أعضاء حكومة بلده. كما أن إعلان بيكين (1995) حول المساواة والنوع الاجتماعي يؤكد على المشاركة المتكافئة للنساء والرجال في اتخاذ القرار السياسي، إذ حصل الاتفاق على أن تحسين المشاركة السياسية للمرأة من شأنه أن يرسي الشفافية ومساءلة الحكومة واستدامة التنمية، شريطة أن تكون المساهمة فعلية وفعالة تضم جميع مراحل وضع السياسات، انطلاقا من دراسة الميزانية إلى التنفيذ ثم التقييم.

يقع مفهوم التمكين السياسي للمرأة في قلب النقاشات التي تطرح مسألة ممارسة السلطة من منظور النوع الاجتماعي، (Sundström 4 Lindberg 2015: . Wang. Pamela.:26-)حيث يقصد به عند

"سيرورة الرفع من قدرة المرأة لتصبح قادرة بشكل واسع على تحديد الاختيارات والانتماء إلى الهيئات والمشاركة في صناعة القرار داخل المجتمع"، بحيث أن كل تفكير في السلطة هو بالأساس تفكير في القدرة على الاختيار لدعم الديمقراطية والعدالة الاجتماعية؛ لذلك يكون تمكين المرأة هو تعديل لعلاقات السلطة التي تحد من إمكاناتها واستقلاليتها.

عادة ما يتحقق التمكين للنساء بتقييم حاجاتهن واهتماماتهن التي تدفعهن للظهور خارج روتين الحياة اليومي؛ فحرية التنقل والخروج من الفضاء الخاص دون الحاجة إلى استئذان هو مؤشر من مؤشرات تمكين المرأة. كما يقتضي تمكينها تحرير الموارد من أية سلطة؛ كالتحرر من العمل الإجباري والانخراط في العمل المؤدى عنه، والحق في الملكية الخاصة، والتمتع بالحريات

الأساسية ثم المعاملة المتكافئة أمام القضاء. إن تحقيق التمكين السياسي للنساء يستلزم توفر آليتين اثنتين: تقتضي الأولى الانخراط في الهيئة وتقوم الآلية الثانية على المشاركة، فماذا نقصد بكل من الآليتين؟ وكيف تعملان على تحقيق التمكين السياسي للنساء؟

3.1. الهيئة

الانتماء لهيئة هو أن تكون عنصرا فاعلا في سيرورة التغيير عن طريق المشاركة الفعالة في وضع الأهداف. تقدم الهيئة بعدا ثانيا للسلطة نظرا لقدرتها على التأثير في الأجندة السياسية، حيث يمكنها طلب دعم الدولة والمساهمة في تغيير المجتمع. ترتبط الهيئة بالصوت؛ فعلاقات السلطة المحددة جندريا قد تعيق المرأة عن التعبير بحرية وطرح المواضيع السياسية للنقاش والانخراط في النقاش العمومي، بينما يقتضي التمكين السياسي للنساء التمتع بحرية التعبير عن أي رأي سياسي في أي منبر إعلامي كان، والحق في تكوين أو المشاركة في أي تجمع سياسي كان.

إن الهيئات الجماعية ونمو المجتمع المدني والمساهمة في برامج التنمية في البلاد، هي آليات بيد النشطاء حتى يتحقق لهم التمكين السياسي، وعلى النساء أن يجدن موقعا خاصا بهن في الإعلام والأدب؛ فعندما يكون القلم رجاليا فهو يعبر عن قضايا الرجال، أما عندما يكون القلم نسائيا فسيكون أقرب إلى التعبير عن هموم النساء.

3.2. المشاركة السياسية

إن أهم خطوة باتجاه التمكين السياسي للنساء هي حيازة مقاعد في الانتخابات السياسية، لأن الجماعات العرقية والاثنية والجندرية...، هي الأكثر ملاءمة لتمثيل نفسها في المسار الديمقراطي؛ فالنساء مطالبات بتوفير العدد الكافي من المواطنات للدخول في صراع سياسي علني أو بغية التأثير عندما يتعلق الأمر بصناعة القرار. لذلك على المرأة المشاركة في احتجاج ما عندما يختص الحزب بتنظيمه، وكذلك الانخراط في جمعيات المجتمع المدني، مع إيجاد موطئ قدم في الصحافة والإصرار على فكرتي السيرورة (process) والتغيير، إيمانا منها بأن التغيير هو سيرورة تستلزم المرور بمراحل متعددة وعلى الذي ينشده أن يتحلى بصفي الثبات والإصرار حتى تتحقق الأهداف المنشودة.

تتأثر المشاركة السياسية بمنسوب الديمقراطية الذي تضخه الأنظمة السياسية في مؤسسات دولها، ويقاس عموما بمدى حماية الحقوق المرتبطة بالحريات، وتحسين المشاركة في الهيئات ومؤسسات المجتمع المدني، مع وجود تأثير ملحوظ لزيادة هامش الحرية الذي تتمتع به المرأة في المجال الخاص والذي ينعكس، حتما، بشكل أو بآخر على مقدار انغماس المرأة في الشأن العام وخصوصا المشاركة السياسية.

لقياس مؤشر المشاركة السياسية يتم اعتماد متغير "توزيع السلطة حسب النوع". وينخفض هذا المؤشر بشكل ملحوظ داخل الدول المنخفضة الدخل لضعف تغطيته، مما يشير إلى وجود علاقة بين الوضع الاقتصادي والتمكين السياسي للنساء، فإلى أي حد يؤثر التطور الاقتصادي وجودة الديمقراطية في مستوى التمكين السياسي للنساء؟

يعتبر التطور الاقتصادي عاملا من العوامل المهمة المساهمة في اللامساواة بين الجنسين. فكلما تحسنت الوضعية المالية للنساء، صار بمقدورهن التحرر أكثر من المهام اليومية والتفرغ للعمل السياسي. كما أن التحول في نمط العيش من اقتصاد الزراعة إلى اقتصاد ما بعد الصناعة، أفرز أيضا تحولا إيجابيا على مستوى القيم، حيث صار التركيز أكثر على استقلالية الفرد وقدرته على التعبير عن ذاته، مما انعكس إيجابا على مستوى تمكين النساء، بعدما ارتفعت نسبة الاستفادة من التعليم وارتفعت نسبة حضورهن ضمن القوى العاملة الرسمية والمؤهلة لشغل مناصب القيادة. لكن، ما تزال الكثير من النساء غير قادرات على اقتحام مجال السياسة نظرا لعدم توفرهن على المتطلبات المالية لخوض الانتخابات وتمويل الحملات الانتخابية.

4. التمكين السياسي وتمدرس الفتاة

تحمل (ت.س) في تعريفها فكرة التكيف مع التغيير الاجتماعي والانتقال من وضع تقليدي إلى وضع حديث يحتاج إلى إدماج المعطى الجديد ضمن بنية قائمة، مع التركيز على مفهوم السلطة التي ستتحول بدورها من سلطة تقليدية إلى أخرى حديثة، قادرة على التأثير في بنيات المجتمع على جميع الأصعدة، الثقافية منها والسياسية والاقتصادية.

إذا كانت (ت.س) مرادفة للتحديث السياسي فهذا يعني فيما يعنيه السعي إلى رفع مشاركة مختلف الفئات الاجتماعية من نساء ورجال عبر تعزيز قيم الديمقراطية ومنح فرص متساوية لكل شخص يسعى إلى تطوير ذاته عبر ممارسة السياسة وولوج السلطة. أما وهي منظور إليها من زاوية الاقتصادي، فإليها توكل مهمة تحسين مستوى عيش الساكنة وتحقيق رفاهيتهم من خلال تزويد دخلهم الفردي.

تطرح في هذا السياق علاقة الثقافة السائدة بالديمقراطية. فالديمقراطية ليست مقولة مجردة منعزلة عن الواقع الذي تمارس فيه. قبل التفصيل في العوامل الثقافية المؤثرة في الديمقراطية وفي التمكين السياسي للنساء، نعرف أولا ما المقصود بالثقافة السياسية. "يقصد بالثقافة السياسية مجموعة من القيم والمعايير السلوكية المتعلقة بالأفراد في علاقتهم مع السلطة السياسية التي تتطور مع تطور العلاقة بين الحاكم والمحكومين.وتعني أيضا لدى (عزت، فوزى باهي، نظير 2017: 107-108)، منظومة المعتقدات والرموز والقيم المحددة للكيفية التي يرى بها مجتمع معين الدور المناسب للحكومة وضوابط هذا الدور".

وفي تعريف آخر نجد بأن "الثقافة السياسية هي مجموع الاتجاهات والمعتقدات والمشاعر التي تعطي نظاما ومعنى للعملية السياسية، وتقدم القواعد المستقرة التي تحكم تصرفات الأفراد داخل النظام السياسي، وبذلك فهي تنصب على المثل والمعايير السياسية التي يلتزم بها أعضاء المجتمع السياسي، والتي تحدد الإطار الذي يحدث التصرف السياسي في نطاقه". كما يمكن الاستعانة بالتعريف الأنثروبلوجي للثقافة الذي قدمه(Berstein 4:1992) باعتبارها مجموع السلوكات الجماعية وأنظمة التمثل وقيمالمجتمع في تعريف الثقافة السياسية، فتكون بذلك هي: "مجموع مكونات الثقافة مطبقة على السياسة، مما يعني قابليتها للتغيير وفقا للمرحلة التاريخية وللنظام السياسي القائم."

يستلزم عن هذه التعاريف قبول بأن عناصر مثل المهارات الاجتماعية والقواعد الأخلاقية ومعايير الجمال والممارسات داخل الفضاء الخاص، تشكل جزء من الثقافة السياسية. والحديث عن نموذج واحد للديمقراطية قابل للتطبيق على الجميع دون مراعاة الخصوصيات الثقافية للشعوب هو تصور متجاوز، كما أن الاختباء وراء مقولة الخصوصية الثقافية قد يكون سوطا من سياط الأنظمة الكليانية الذي تجلد به شعوبها، لذلك فإن التحدي المطروح هنا هو البحث عن ضوابط كونية وقيم إنسانية يخضع لها الجميع: كحقوق الإنسان وقيم العدالة والتضامن...مع مراعاة طبيعة القيم والمعايير السائدة على الصعيد المحلي.

إن المجتمع المغربي له خصوصيته الثقافية التي تميزه عن غيره. لكنه يشترك مع مجتمعات أخرى فيما يتعلق بعلاقات السلطة المحددة جندريا. فالملاحظ هيمنة الذكور على الإناث وتكريس اللامساواة القائمة على النوع. ذلك ما توصلنا إليه من خلال بحثنا في أسس الهيمنة الذكورية، حيث خلصنا إلى أن المرأة تتشكل اجتماعيا وفقا للنموذج الأبوي الذي يحدد لها المنزل كفضاء مقبول للعيش، والأمومة وما يرتبط بها من عناية الزوج والأطفال كوظيفة مع وسم هذه الأدوار بالدونية.

في السنوات الأخيرة، بدأنا نلاحظ التحاق المرأة بسوق الشغل في مجموعة من المجالات، لكن الثقافة السائدة لا ترى في ذلك محاولة لتحقيق الذات أو سعيا لإثبات الشخصية واستقلاليتها بقدر ما تبرره بالضرورة الاقتصادية، على أساس أن عمل المرأة هو وسيلة لتيسير الزواج، شريطة أن لا يتعارض مع وظيفتها الأساسية في المنزل.

يتعرض جسد المرأة إلى رقابة صارمة تفرضها عادات وتقاليد المجتمع الذكوري، ما يجعلها تميل إلى الانزواء والتواري عن الأنظار استجابة لمنظومة القيم المحافظة. كما أن المرأة المثالية، وفقا لنفس النموذج، لا يجب أن تبدي ذكاء ملحوظا ولا دراية

بالأمور، لأنه يوحي بكثرة تجاربها في الحياة وهو أمر يتعارض مع النموذج المطلوب. لذلك، يجب أن يكون تفكيرها بسيطا ومحدودا، وأكثر ما يثير اهتمامها كيفية الاعتناء بالجسد معقل الإثارة والشهوة.

جاء الخطاب الديني محاصرا للجسد، فنجده في صيغته المتشددة يدعو إلى حرمان المرأة من كافة الحقوق، وفي صيغته المعتدلة يرى بأن الإسلام لم يحرمها من حقوقها السياسية عدا رئاسة الدولة، في حين يرجع الموقف المعاصر المسألة إلى الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. إذا كانت التنشئة الاجتماعية قد أعدت الرجل للاستحواذ على الفضاء العام، وزودته بما يكفي من الآليات لكي يقتحم السلطة ومجالاتها منذ الطفولة إلى سن الرشد، فإن المرأة لم تعد لذلك؛ لأن ممارسة السلطة لا تعتبر من الأساس دورا من أدوارها. وقد تمكنت الثقافة السائدة من نشر هذا الوعي وجعلت المرأة تقتنع تمام الاقتناع به، وهو ما أفقدها الثقة في نفسها وغيب دعمها لنساء أخريات في الانتخابات، فهي لا تستطيع ممارسة سلطتها إلا بالاستعانة بقدرتها على الإنجاب أو باستعمال أساليب ملتوية كاللجوء إلى الخرافة والشعوذة، والسؤال المطروح هو: هل يعد واقع النساء قدر محتوم لا مجال لتغييره؟

رأينا في الفقرات السابقة بأن سمة الثقافة السياسية هي التغيير والتحول لارتباطها بالمعايير العامة والاتجاهات السائدة في المجتمع، لذلك وجب إيجاد المتغيرات المتحكمة في تلك الثقافة والعمل على ضبطها بالشكل الذي يمكّن المرأة من ممارسة السياسة تماما مثلها مثل الرجل. فهل يكون التعليم مدخلا من مداخل إحداث التغيير في السياسة؟

4.1 نصيب الفتاة من السياسة

بدلت الدولة مجهودا ملحوظا من أجل محو الفوارق بين الذكور والإناث في المجال السياسي. بنفس النفس ستعمل على الرفع من تمثيلية النساء وطنيا وجهويا ومحليا، ويتأكد ذلك انطلاقا من التدابير والإجراءات التي اتخذتها الإرادة السياسية في هذا المجال، والتي يعد من أهمها:

- التنصيص على ألا تتضمن كل لائحة من لوائح الترشيح اسمين متتابعين من نفس الجنس،
- إحداث دائرة انتخابية على صعيد كل عمالة أو إقليم أو مقاطعات موجهة حصريا للنساء، على ألا يقل عدد المقاعد المخصصة لها عن الثلث،
- إحداث دائرة انتخابية إضافية على مستوى المجالس الجماعية مكونة من مقعدين على الأقل، موجهة للنساء،
- وضع الحكومة إجراءات تحفيزية للأحزاب السياسية من أجل تخصيص مراكز متقدمة للنساء،
- وضع لائحة ترشيح وحيدة تشتمل على جزأين: يتضمن الأول أسماء للمترشحين والمترشحات، والثاني أسماء مترشحات فقط.
- إدماج مقاربة النوع الاجتماعي عند وضع الجماعات الترابية أنشطتها وبرامجها التنموية لسنة 2015، مع إحداث هيئات ترابية استشارية تهتم بقضايا المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع،
- إشراك النساء في اللجن المحلية للتخطيط وتفعيل لجان المساواة وتكافؤ الفرص،
- إحداث صندوق الدعم لتشجيع تمثيلية النساء من خلال المساهمة في تمويل البرامج والأنشطة المعتمدة من طرف الأحزاب السياسية والمجتمع المدني على الصعيد الوطني والترابي،
- عقد شراكات مع مجلس أوروبا للرفع من إدماج النساء في الحياة العامة وعملية صنع القرار والسياسات،
- ضمان لكل مواطنة ومواطن الحق في التصويت وفي الترشح للانتخابات والتمتع بالحقوق المدنية والسياسية،

لقد أدت الإصلاحات الدستورية، خصوصا، تلك التي تلت احتجاجات الحركات النسائية عقب الربيع العربي، إلى إحداث تغيرات مهمة في نظام الانتخابات في المغرب، كان من نتائجها أن تضاعف عدد المقاعد الوطنية المخصصة للنساء،

فانتقل العدد من 30 إلى 60 مقعدا من أصل المجموع البالغ 395 مقعدا، وذلك بنسبة (15 في المائة). وأدى القانون الجديد إلى زيادة كبيرة في عدد المرشحات في انتخابات (2011)، فانتخبت 67 امرأة في البرلمان. وفي انتخابات (2016)، وفقا لِ **(اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)2017 : 42)**، فازت 81 امرأة وذلك (بنسبة 21 في المائة) من مقاعد المؤسسة التشريعية.

بعد الانتخابات الأخيرة (شتنبر 2021)، تؤكد النتائج الرسمية الصادرة عن وزارة الداخلية المغربية **(فضاء الانتخابات، 2022)**، فوز 96 سيدة، أي بنسبة (24.3 في المئة). أما الحكومة الجديدة المتكونة من 24 وزيرا فقد حظيت النساء منها بستة حقائب وزارية، ولأول مرة تمكنت المرأة من الإشراف على وزارات ذات حساسية مثل وزيرة الاقتصاد والمالية، ووزيرة إعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان وسياسة المدينة، ووزيرة السياحة والصناعة التقليدية والاقتصاد الاجتماعي والتضامني ووزيرة الانتقال الطاقي والتنمية المستدامة، والوزيرة المنتدبة لدى رئيس الحكومة المكلفة بالانتقال الرقمي وإصلاح الإدارة، ووزيرة التضامن والإدماج الاجتماعي والأسرة. كما تم تعيين كاتبة دولة واحدة. إنه مد تصاعدي باتجاه رفع تمثيلية النساء في السياسة، لكنه حتما يظل بعيدا عن تحقيق مطلب المناصفة التي حث عليها الدستور في الفصل 19.

بالرغم من المجهود المبذول والذي يؤكد وجود إرادة سياسية حقيقية لدمج المرأة المغربية في الحياة السياسية، إلا أن النتائج المحصلة تبقى دون انتظارات الحركات النسائية ولا ترقى إلى تحقيق مشاركة سياسية نسوية فعلية كما أرادها المشرع أن تكون. تتحكم في هذا الواقع مجموعة من المعيقات منها الذاتية والموضوعية؛ فالنساء عموما يبخسن من دورهن في العمل السياسي، لأن المجتمع جعلهن يعتقدن بأن السياسة هي شأن رجالي وأن التفريط في الحقوق هو فضيلة تحسب لهن بتزكية من العادات والأعراف السائدة، فنجدهن منسحبات طوعا من مجال المنافسة، خصوصا مع انتشار الفقر والأمية بين أعداد كثيرة منهن.

ورغم تبني القوانين الداعمة لحق المرأة في النشاط السياسي، فالفجوة بين الواقع والمأمول تظل عميقة؛ بالنظر لغياب الديمقراطية داخل الأحزاب السياسية التي تعمل على إقصاء العنصر النسوي من مواقع صناعة القرار، وبالنظر أيضا للاختلالات التي تعرفها العملية الانتخابية برمتها والتي جعلت المواطن المغربي يفقد الثقة في المؤسسات بشكل عام.

لن تستطيع النساء بلوغ مطلب المناصفة بحضور شكلي يؤثث قبة البرلمان ما لم يتهيأ المجتمع بأكمله لقبول المرأة في مجال ممارسة السلطة، الأمر الذي يستدعي نشر ثقافة مجتمعية مغايرة وقادرة على استيعاب الحاجيات المتجددة لجميع الأفراد في أفق تحقيق التنمية السياسية بالمغرب. ويقع على التعليم ثقل نشر ثقافة مدرسية تمهد للثقافة السياسية البديلة التي ستعمل على دمج الفتاة بتغيير نظرتها لنفسها ولوظيفتها داخل المجتمع. فهل تستطيع فعلا المدرسة المغربية الحالية الفوز بالرهان؟

4.2 نصيب الفتاة من التعلم

إن إقصاء الفتاة من التعليم يعتبر تمييزا ضدها، وهي ممارسات اجتماعية عانت منها الكثير من الفتيات في الماضي وما تزال تعاني منها فئة ليست بالقليلة، خصوصا تلك المتواجدة في القرى، وهو الأمر الذي يؤكده عبد الله عبد الدائم في ثمانينات القرن الماضي (1984: 30) في قوله:"وكان الفتيان وحدهم فيما يظهر، يتعلمون القراءة والكتابة. أما الفتيات فكن يتعلمن الغزل والحياكة وتهيئة الطعام ورعاية الشؤون المنزلية والغناء والرقص أيضا."

في إطار جهودها لتدارك الفجوة التي عمّقتها الثقافة بين الجنسين، اتخذت الدولة مجموعة من التدابير مكنت من تحسن المؤشرات المرتبطة بتمدرس الفتيات، أدرجها تقرير صادر عن(2020 (CEDAW/C/MAR/5-6,

وهي كما يلي:

- تنفيذ مبدأ التعليم الإجباري إلى غاية 15 سنة،
- عرفت نسب تمدرس الفتيات ارتفاعا ملحوظا في جميع مستويات التعليم الأساسي، قاربت (99,1%) سنة 2017،
- بلغ عدد المستفيدين من المطاعم المدرسية في التعليم الأساسي العمومي بجميع مستوياته سنة (2017-2018)، (1114353) تلميذا (48.5 %) منهم فتيات،
- بلغ عدد المستفيدين من الداخليات (111321) تلميذا (49 %) منهم فتيات،
- بلغ عدد المستفيدين من المنح الدراسية (136764) تلميذا على المستوى الوطني بالتعليم الأساسي العمومي بجميع مستوياته (47.5%) منهم فتيات و(80551) مستفيدا بالوسط القروي (47%) منهم فتيات،
- وصل عدد المستفيدين من النقل المدرسي سنة (2017-2018)، (153180) طفلا (46%)،
- منذ سنة (2009-2010) استفاد أزيد من 4 مليون تلميذا سنويا من مبادرة "مليون محفظة"، 1,8 مليون منهم فتيات، حوالي (45,5 %) في المتوسط،
- وصل عدد المستفيدين من برنامج "تيسير" سنة (216 -2017) إلى (859.975) تلميذا ضمنهم (45%) فتيات،
- دعم تمدرس الفتيات في العالم القروي من خلال المدارس الجماعاتية ومؤسسات الرعاية الاجتماعية (دار الطالبة) التي توفر التغذية والإيواء، ودروس الدعم والمخيمات الصيفية والأنشطة الثقافية والرياضية. بلغ عدد المستفيدات موسم (2018-2017)، (31078) مستفيدة، بنسبة (51%) من العدد الإجمالي للمستفيدين،
- إعداد خارطة طريق للفترة (2014-2020) لمحاربة الأمية في صفوف النساء، بلغ عدد النساء منهم (2.533.208) بنسبة (85.60 %)،
- مكن تنفيذ البرنامج الوطني لتزويد العالم القروي بالماء الصالح للشرب من رفع نسبة التزود إلى97 % سنة (2018)، مما ساهم في تحسين تمدرس الفتيات وتوفير وقت إضافي للنساء للقيام بأنشطة مدرة للدخل،
- كهربة القرى واستعمال الآلات الكهربائية في الأشغال المنزلية، أدى إلى ربح الكثير من الوقت الذي يستغل في زيادة تعليم الفتيات القرويات ومحاربة الأمية وتشجيع الأنشطة المدرة للدخل (إنشاء تعاونيات) وتعلم مهارات جديدة، وتحسين الوعي الصحي عبر الانفتاح على وسائل الإعلام،
- تنفيذ البرنامج الوطني الأول للطرق القروية مكن من فك العزلة عن (2.885) مليون نسمة من الساكنة القروية تمثل فيها النساء نسبة (50.7%).

يبدو من خلال الأرقام أعلاه بأن جهود الدولة تركزت حول الجوانب المادية والبنيات التحتية المساعدة على تمدرس الفتاة في الوسطين الحضري والقروي، من مطاعم مدرسية وداخليات وتوفير النقل المدرسي والمنح المحفزة...، خصوصا في الوسط القروي. لكن الملاحظ بأن أعداد المتمدرسات تكون مرتفعة في المستويات الدنيا وتنخفض في القرى كلما وصلت الفتاة إلى مستويات متقدمة في الدراسة. كما أن المهن التي تلجها الفتيات في سوق الشغل تخضع أيضا للتمييز؛ حيث يسهل على المرأة الحصول على مهنة سكرتيرة أو مدرّسة أو ممرضة أكثر من المهن الأخرى المرموقة اجتماعيا والمرتفعة دخلا.

هذا ما توصلت إليه أحدث الدراسات في المجال، والتي تؤكد بأن (Slaoui, Belghiti: 35 9 (1)2018) التوزيع الجندري للأدوار قد اختلف عما كان عليه في السابق، إلا أن التغيير انحصر فقط في الولوج بشكل متكافئ للمدرسة

ومعاملة المرأة، نسبيا، باحترام مع الإبقاء على الأدوار التقليدية. إذا افترضنا جدلا بأن النظام التعليمي غير متحيز لجنس المتعلم، فإن العادات والتقاليد تعمل على تعميق الفوارق بين الجنسين بدءا بالأسرة، ويتكرّس ذلك في المدرسة وعبر وسائل الإعلام.

ففي المدرسة، قد تبدو الأمور متكافئة بصيغة الأرقام، لكن تحليل البرامج والمحتويات يفيد بأن التنزيل الفعلي لمجموعة من المضامين الدراسية لا يخدم المبادئ التي تقوم عليها مقاربة النوع الاجتماعي، وخير مثال على ذلك الكتب المدرسية بما تحتويه من نصوص لا تعكس بشكل جلي الفاعلية والإبداع النسائي، وكذلك الصور المرافقة لها التي نلمس فيها نوعا من التحيز للثقافة السائدة.

هذا ما رصدته دراسة لعينة من الكتب المدرسية خلصت إلى (Ait Bouzid 2019 7(2):219–227) التي وجود عدم توازن بين الذكر والأنثى على مستوى عدد الأسماء والألقاب التي تستعمل للدلالة على كل من هما، حيث نلاحظ هيمنة أسماء الذكور والضمائر المحيلة عليها في النصوص، مما يوحي بتفوق الذكر على الأنثى. نفس التفوق سنلمسه فيما يخص عدد الشخصيات التي تبرزها الصور المعروضة في الكتب المدرسية المعتمدة، مع الإبقاء على الصورة النمطية التي تحتجز المرأة في الأدوار الكلاسيكية المعتادة داخل الفضاء الخاص.أما الذكور، فمازال الكتاب المدرسي يقدمهم في صورة المحارب والشرطي والرياضي وكل ما يشترط القوة والشجاعة والإقدام.

في محاولة للتدارك، يعرض الكتاب المدرسي بعض الصور لنساء تزاولن مهام غير اعتيادية كرئيسة دولة أو رئيسة وزراء أو رائدة فضاء، خصوصا في الوحدة المعنونة ب:"المرأة والسلطة"، ويقدم الرجال في وظائف غير اعتيادية كسكرتير مثلا. لكن رغم المجهود المبذول، إلا أننا نجد في بعض الوحدات إسناد أدوار ثانوية تكون المرأة فيها تابعة للرجل الذي يمتلك السلطة.

أما تمثلات المدرسين الساهرين على تنفيذ البرامج الدراسية، فتكاد تكون أكبر عائق أمام تحقيق مطلب المساواة الحقيقية بين الجنسين، لأن أغلب المدرسين يشكلون امتدادا لنفس العقلية المحافظة، فهم نتاج لها ويعيدون إنتاجها فيما يروجون له من أفكار وما ينجزونه من أعمال وتصرفات داخل الفضاء المدرسي، خصوصا تلك الفئة منهم المكلفة بالتدريس بالمراحل الأولى من تنشئة الأطفال.

نفس الموقف سجله الناجي (2013: 40) الذي يرى بأن الفوارق بين الجنسين يتم تكريسها في المدرسة عبر تمثلات الأساتذة لكل من الجنسين (الأحكام المسبقة والصور النمطية) مع غياب مقاربة النوع في الكتب الخاصة بالأساتذة. صحيح، تم إدراج محور مقاربة النوع في برامج تكوين الأساتذة المقبلين على مزاولة المهنة، لكننا نلمس مقاومة عنيدة لمفاهيم المقاربة، خصوصا في صفوف المدرسين الذكور، لأنها تحاول خلخلة نظام أبوي طالما منحهم امتيازات ليسوا على استعداد للتخلي عنها.

خلاصة

يفترض في التنمية السياسية أن تجعل من السلطة التنفيذية في البلد، سلطة قادرة على حسن تدبير الشأن العام بمختلف مطالبه الشعبية، وأن تجعل من الديمقراطية وقيمها فكرا وممارسة متجذرة في كل الأفراد. إنه لمن الصعب التخطيط لتنمية سياسية دون إشراك كل المجموعات المختلفة من المجتمع، تحقيقا لرفاهية الجميع.

وإذا كان من خصائص (ت.س) إقرار المساواة بين جميع الفئات ومنح فرص متكافئة لتطوير الذات، فإن دراستنا لوضع المرأة في المجال السياسي بالمغرب، تؤكد وجود فوارق بين الجنسين تمنع من تحقيق المساواة الفعلية في ممارسة السلطة والمساهمة في تدبير الشأن العام. ثم إن عجز النظام على تحقيق مطلب المناصفة رغم إقراره في الدستور، يؤكد مرة أخرى على بعد المسافة

عن (ت.س) المنشودة. وهو الأمر الذي يتأكد من جديد بالنظر إلى ضعف المؤسسات على تعبئة الجماهير خاصة من فئة النساء.

تمكنا من الوقوف في هذا العرض على أحد المعيقات الأساسية لتحقيق التنمية السياسية في البلاد، هو عدم تمكين النساء سياسيا. ويرجع الوضع إلى سيادة ثقافة اجتماعية ذكورية ترخي بظلالها على السياسة، فتحدد الكيفية التي يجب أن يتصرف وفقها الأفراد داخل النظام السياسي. لم تستسلم النساء لهذا الواقع، بل حاولت وبضغط من الحركات النسوية البحث عن منافذ للخروج من حالة الإقصاء والتهميش السياسي ولعل أهمها هو التعليم.

تحقق بالفعل إدماج مقاربة النوع في السياسة التعليمية للبلد، وبدلت الدولة مجهودا محمودا على مستوى الرفع من أرقام المتمدرسات، خصوصا في العالم القروي، وتشجيع بقائهن في المدرسة بتوفير البنيات التعليمية والظروف المادية، لكن البحث في البرامج والمحتويات وفي تمثلات الأطر التربوية المكلفة بإنجازها، يؤكد بأن مقاربة النوع لا تملك آليات التنزيل الجيد لمفاهيمها على مستوى الواقع، مما يجعل إدراجها صوريا لا يلامس عمق المشكل ولا يستطيع زحزحة الثقافة الذكورية الموروثة عن عرشها. لذلك، فالمطلوب هو مراجعة البرامج وتحيين الكتب المدرسية بما يحقق الهدف المنشود من إدراج المقاربة، والمتمثل في تغيير الثقافة السائدة واستبدالها بثقافة تعترف بمؤهلات النساء وبقدرتهن على الريادة وممارسة السلطة تماما كما يفعل الرجال، دون إغفال الاشتغال على تمثلات المدرسين والعمل على تقويمها، حتى يصير العنصر البشري مؤهلا للقيام بالأدوار التربوية والتعليمية المنوطة به.

لائحة المراجع باللغة العربية

- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا) (2017)، **التمثيل السياسي للمرأة في المنطقة العربية**، الأمم المتحدة، بيروت،
- الموقع الرسمي لوزارة الداخلية المغربية، **فضاء الانتخابات**، تاريخ الزيارة: 2022/01/15
- عبد الله، عبد الدائم (1984) **التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين**، دار العلم للملايين، بيروت،
- منى، عزت. أحمد، فوزى. ريهام، باهي. مروة، نظير (2017) **المشاركة السياسية للمرأة**، مؤسسة فريدريش إيبرت، مصر

لائحة المراجع باللغة الأجنبية

- Ait Bouzid, Hassan. (2019). Research in English Language Pedagogy. *Gender issues in select Moroccan ELT textbooks*, July, RELP, 7(2), 209-231
- Berstein, Serge. (1992). L'historien et la culture politique. *Vingtième Siècle*, revue d'histoire, (35), 67-77
- Bourdieu, Pierre. (1998). La domination masculine, Paris, Editions du Seuil
- CEDAW/C/MAR/5-6. (2020). *Combined fifth and sixth periodic reports submitted by Morocco under article 18 of the Convention due in 2014,* Advance unedited version

- Hagopian, Frances. (2000). Political Development. Revisited. *Comparative Political Studies*. ©2000 Sage Publications, Inc, 33(6/7), 880-911
- Karimi, Maryam. (2014), Political Development Concept by Looking Briefly at the Iran's Mohammad Reza Pahlavi Rule. *Journal of Public Administration and Governance*. Macrothink Institue. (4), 67-78
- Souad, Slaoui. Karima, Belghiti (2018). Promoting Gender Equality in Moroccan Educational Institutions: Reality or Illusion?. KULTŪRA IR VISUOMENĖ. Socialiniųtyrimųžurnalas, 9 (1)
- Sundström Aksel. Pamela, Paxton. Wang,Yi-ting. I. Lindberg (2015). Staffan *Women's Political Empowerment: A New Global Index, 1900-2012*. University of Gothenburg ,Sweden
- Pilcher, Jane & Whelehan, Imelda. (2004) *Fifty Key Concepts in Gender Studies*. London • Thousand Oaks • New Delhi, SAGE Publications Ltd.

"مستثنيات القواعد الفقهية الكلية ومقاصدها في الشريعة الإسلامية"

د.مُحَمَّد براز
وزارة التربية الوطنية . المغرب
berrazmohammed@gmail.com
6000212 91 79 81 06

الملخص

يعتبر موضوع "الاستثناء في القواعد الفقهية الكلية ومقاصده الشرعية" أحد الأبحاث الهامة في مجال الفقه وعلومه، باعتباره موضوعا يبحث في فقه الاستثناء وأسبابه وأحكامه ومقاصده الشرعية، ويُبيّن الأهداف والغايات والمقاصد التي من أجلها استثنيت بعض الأحكام عن مسائلها الأصلية وقواعدها الكلية، مما يدلّ دلالة واضحة أن فقه الاستثناء لا ينفك عن علم المقاصد، فخروج بعض الأحكام الاستثنائية عن مسائلها الفقهية لوجود حكمة أو علّة تقتضي ذلك الإخراج، يجعل الحكم الاستثنائي فيها أقرب إلى مقاصد الشريعة في تحقيق العدالة وجلب المصالح ودرء المفاسد ورفع الحرج، مما يجعل الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، غير عاجزة عن مواكبة مستجدات العصر ومتطلباته، بفضل اعتبارها الخاص للظروف المستجدة العارضة والأحوال الطارئة المتغيرة، فالأحكام الاستثنائية شرعت للحفاظ على المصالح أن تنخرم، أو يفضي تطبيق القواعد الفقهية الكلية إلى نتائج ومآلات مخالفة لأحكام الشريعة ومقاصدها، وهذا خير دليل على مرونة الدين الإسلامي ووسطيته واعتداله، وأن أحكامه مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد كأصل ومبدأ كلّي مقرر، وأنه ما من كلّي أدى القول به والوقوف عن عمومه إلى حرج ومشقة إلا وُجدت له استثناءات كحلول استحسانية تحقّق المقاصد السامية للتشريع الإسلامي، مما يدل دلالة قاطعة على رعاية الدين الإسلامي الأغر بكلياته وجزئياته لما فيه مصلحة العباد في جميع تصرفاتهم ومعاملاتهم الدينية والدنيوية.

الكلمات المفاتيح: لاستثناء – القاعدة الفقهية– المقاصد– الغاية –المصالح – المفاسد – لأحكام الفقهية – لأصول– الفروع– الكلي– الجزئي.

Exceptions to the general jurisprudence rules and their purposes in Islamic Sharia

Dr : mohammed berraz
Specialization : Islamic Fiqh
Faculty of Letters and Human Sciences Fez-Sais-Morocco
Workplace : Ministry of National Education - Morocco

Abstract

The topic of "Exception in the General Jurisprudential Rules and its Islamic Purposes" is considered one of the important researches in the field of jurisprudence and its sciences. It is a topic that examines the jurisprudence of exception and its causes and religous purposes, and shows the goals, objectives and aims for which some cases were excluded from their original issues and general rules. This clearly indicates that the "jurisprudence of exception" is inseparable from the "science of the purposes". so the separation of some exceptional rules from their jurisprudential issues, because there is a wisdom or a reason that requires that separation, makes the exceptional rule, in this case, closer to the purposes of Sharia in achieving justice, achieving interests and warding off corruption. Hence, it makes Islamic Sharia valid for every time and place coping with the novelty of the present time. This is thanks to its special consideration of the emerging and changing circumstances. These exceptional rules aim to preserve the benefits and guarantee that the general jurisprudential rules are applied within Sharia boundaries. This clearly relfcts Islam´s moderation and that its rules are based on achivening benefits and warding corruption as a general principle of this religion. Indeed, the "science of expcetion purposes" allows trenscanding the difficulties that arose from applying the religious text´s general meaning. This is a crystal clear indication of the care of Islamic religion, in its entirety and parts, for the interest of the people in all their religious and worldly behavior.

Keywords : the exception −jurisprudence rule − Aims and goals −the aim − interests−spoilers − jurisprudence rulings − assets − branches − total− partial

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإن البحث في علوم الشريعة الإسلامية سواء كان دراسة أم تحقيقا أم تصنيفا، يجب أن يكونَ له غاية يرومها وهدف يصبو إلى تحقيقه، وهذا ما قصدت فعله ـ بإذن الله تعالى ـ في هذا البحث.

1 ـ التعريف بموضوع البحث:

يعتبر علم الفقه من أهم علوم الشريعة الإسلامية التي نشأت لفهم النص الشرعي وفقهه واستنباط الأحكام الشرعية منه، لتطبيقها على نوازل ومستجدات كل عصر، وحلّ قضاياه سياسة كانت أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية أو فكرية أو غيرها حلاّ يستند إلى شرع الله الحكيم وتوجيهه القويم.

وعلم الفقه لم ينشأ دفعة واحدة، بل مرّ بفترات ومراحل كانت مليئة بالأحداث والوقائع الاجتماعية، جعلته ينمو ويتطور حتى اكتملت معالمه، وكثرت مسائله، وتفرعت إلى فروع كثيرة أضحى من الصعب حصرها، وضبط عددها، وهذا ما دفع بفقهاء الشريعة الإسلامية إلى وضع قواعد فقهية كلية، تجمع كل واحدة منها مجموعة متجانسة ومتشابهة من فروع ومسائل تستوعبها وتندرج فيها، وتلم شتاتها، وتربطها بالكليات والأصول، وكان من نتائج هذا العمل الجليل والمجهود الجبار، ظهور علم جديد ألا وهو **"علم القواعد الفقهية"**.

إن هذا العمل العظيم الذي قام به الأولون ذلل الكثير من الصعوبات التي تقف في طريق الفقهاء والعلماء، وذلك بضبط هذه الكثرة من الفروع الفقهية وحصرها في قواعد كلية تندرج تحت كل منها مجموعة متجانسة يضبطها حكم واحد، فصارت هذه القواعد الفقهية هي عصارة الفقه وزبدته، واحتلت مكانة مركزية مما جعل الكثير من العلماء والفقهاء يؤكدون على تحصيلها واعتبروا من لا يهتم بها مفرطا في الفقه غير ضابط له، حتى قال الإمام القرافي (ت684هـ) رحمه الله: "وهذه القواعد مهمة في الفقه عظيمة النفع، وبقدر الإحاطة بها يعظم قدر الفقيه ويشرف ويظهر رونق الفقه ويعرف وتتضح مناهج الفتوى وتكشف، فيها تنافس العلماء، وتفاضل الفضلاء (...) ومن جعل تخريج الفروع بالمناسبات الجزئية دون القواعد الكلية تناقضت عليه الفروع واختلفت، وتزلزلت خواطره فيها واضطربت، وضاقت نفسه لذلك وقنطت، واحتاج إلى حفظ الجزئيات التي لا تتناهى، ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات، لاندراجها في الكليات، واتحد عنده ما تناقض عند غيره". (القرافي، 1421هـ. 2001م، ج1 ص: 3)

وهذه القواعد الفقهية هي أحكام أغلبية غير مستمرة دائماً، وذلك لأنها تصور الفكرة الفقهية المبدئية التي تعبر عن المنهاج القياسي العام في حلول القضايا وترتيب أحكامها، والقياس كثيراً ما يتخلف وينخرم ويعدل عنه في بعض المسائل إلى حلول استحسانية استثنائية لمقتضيات خاصة بتلك المسائل، تجعل الحكم الاستثنائي فيها أقرب إلى مقاصد الشريعة الإسلامية لتحقيق العدالة وجلب المصالح ودرء المفاسد ورفع الحرج عن المكلفين، ولأجل ذلك كانت القواعد الفقهية قلما تخلو إحداها من مستثنيات في فروع

الأحكام التطبيقية خارجة عنها، إذ يرى الفقهاء أن تلك الفروع المستثناة هي أليق بالتخريج على قاعدة أخرى، أو أنها تستدعي أحكاما استحسانية خاصة.

ومن خلال ما سبق يتضح أن الاستثناء في القواعد الفقهية هو: إخراج لمسألة أو أكثر أو لصورة أو أكثر من حكم القاعدة لسبب يقتضي هذا الإخراج تحقيقا لمقاصد الشريعة الإسلامية في جلب المصالح ودرء المفاسد.

وكون القاعدة الفقهية أغلبية تَرِد عليها بعض المستثنيات لا يعني عدم جواز الاستدلال بها، لأنّ الاستثناء من القاعدة لا يُضعف من حجيتها وقوتها، فالعبرة للغالب وليس للنادر، وإنّ الاستثناء عندما يَرِدُ على قاعدة ما، إنما يكون استناداً إلى قاعدة أخرى راجحة في مقام الاستثناء خاصة وليس خروجاً عن أصل القاعدة ودليلها.

2 . مشكلة البحث:

إن نيل هذه القواعد الفقهية وإدراكها والبحث في مقاصد مستثنياتها من أصعب المباحث الفقهية، فعلم القواعد الفقهية فنّ بديع لا يقدر على ممارسته إلا من أوتي موهبة فذة في الفكر والنظر، وعلما غزيرا في اللغة، وفقها واسعا في الدين، وملكة خاصة في إدراك تلك الاستثناءات ومقاصدها وعِلَلِها على خفائها ودقّتها، حتى قال الإمام السيوطي (ت911هـ): "ولعمري إن هذا الفن لا يدرك بالتمني، ولا يبلغه إلا من كشف عن ساعد الجد وشمر، واعتزل أهله وشد المئزر"(السيوطي، 1427هـ / 2006م، ص: 2).

وبناء على ما تقدم، يتحدد الإشكال المركزي في قلة الدراسات والبحوث التطبيقية التي تناولت موضوع الاستثناء في القواعد الفقهية، حيث لم أعثر على دراسات أو بحوث معاصرة تناولت الموضوع بالتحليل والدراسة، خاصة الجانب المتعلق بمقاصد الاستثناء في القواعد الفقهية، وهذا ما سنبيّنه بإذن الله تعالى عبر الأسئلة الآتية:

ما المقصود بالاستثناء في القواعد الفقهية؟ وما علاقته بالمقاصد الشرعية؟ وكيف يمكن تنزيل فقه الاستثناء على مستجدات العصر ونوازله؟

3 . أهمية البحث:

تتجلى أهمية موضوع . **مستثنيات القواعد الفقهية الكلية ومقاصدها في الشريعة الإسلامية** . في الحفاظ على الميزان المقاصدي للشريعة الإسلامية، فخروج بعض المسائل الجزئية عن حكم القاعدة الفقهية لوجود حكمة أو مقصد يقتضي ذلك الإخراج، يجعل الحكم الاستثنائي أقرب إلى جلب المصالح ودرء المفاسد، وهذا ما يجعل الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان غير عاجزة عن مواكبة مستجدات العصر ومتطلباته.

ثم إن الموضوع يزداد أهمية لكونه في القواعد الفقهية الكلية التي يكاد يرجع إليها جميع مسائل الفقه، فهي أصل لما سواها من القواعد، وأصل لسائر الفروع والجزئيات، ولهذا المعنى قال السيوطي: "القواعد الخمس التي ذكر الأصحاب أن جميع مسائل الفقه ترجع إليها" (السيوطي،1427هـ / 2006م، ص: 5).

فموضوع القواعد الفقهية من أهم المواضيع التي تحتاج إلى الدراسة لما لها من أهمية قصوى وقيمة علمية في مجال تنظيم الأحكام الفقهية المبثوثة في كتب الفقه، وإذا أمكن للفقيه أن يستوعب القواعد أمكن له تطبيقها على ما يعرض له من أحكام فرعية جزئية، ثم إن استيعاب الفقيه للقواعد يُعمِّق عقليته ويُوَسِّع أفقه ويولد لديه ملكة فقهية تمكنه من جمع شتات الجزئيات وضبطها.

4 . أهداف البحث:

بناء على الأهمية القصوى للقواعد الفقهية، وبالإضافة إلى شغفي وحبي للبحث في الفروع الفقهية الذي نشأت عليه، حدا بي . لما تعين علي إعداد بحث أتقدم به للمشاركة في **المؤتمر العلمي الدولي الثامن، المجتمع وعاء الإنسان والعلوم، محور العلوم الشرعية** . أن أتوجه مباشرة إلى هذا الجانب، لأن ضبط الفروع وضمها إلى كلياتها والبحث في مقاصد مستثنياتها، يعطي تصورا أعمق لهذا العلم.

وقد لفت نظري موضوع: **"مستثنيات القواعد الفقهية الكلية ومقاصدها في الشريعة الإسلامية"** إذ مع كثرة البحوث المقدمة في القواعد الفقهية ظلت مسألة **"مقاصد الاستثناء في القواعد الفقهية"** نقطة غامضة تُثير تساؤل كل من يريد الإطلاع أو دراسة هذا الجانب الفقهي، إذ لم تُطْرق من قبل الباحثين إضافة إلى أنها لم تتناول بشكل خاص وموسع فيما بين أيدينا من مصنفات المتقدمين، فرغبت أن أبحث في هذا الموضوع، وأكون بذلك قد سَلَّطت الضوء على جزئية لطالما ظلّت غامضة، وقدمت مساهمة متواضعة تضيف لبنة جديدة إلى هذا العلم.

5 . الدراسات السابقة:

إن أغلب المصنفين في القواعد الفقهية، صنّفوا هذه القواعد في كتب الأشباه والنظائر، واهتم آخرون بشرحها كغمز عيون البصائر للحموي، وشرح القواعد الفقهية للزرقا من المعاصرين، وكان عملهم في ذلك محصورا في شرح القاعدة والتطبيق عليها، وفي بعض الأحيان يُشيرون إلى بعض المسائل التي تخرج عنها استثناء دون ذكر مقاصد هذا الاستثناء أو سببه أو ذكر تفسير لذلك، وهذا هو المنهج العام الغالب في هذا النوع من المصنفات، باستثناء بحث للأستاذة سعاد أوهاب، تحدثت فيه عن المسائل المستثناة من القواعد الفقهية بوجه عام.

أما المصنفات التي تناولت موضوع الاستثناء في القواعد الفقهية بوجه خاص وبعناوين يدل ظاهرها على معالجة هذه الجزئية، إنما تشير في أحسن الأحوال إلى الاستثناء دون ذكر أسبابه ومقاصده، إضافة إلى أنها مصنفات مذهبية، فالإمام البكري مثلا في كتابه: "الاستغناء في الفرق والاستثناء" يذكر القواعد مع الضوابط ويذكر المسألة المستثناة كل ذلك وفق المذهب الشافعي.

6 . منهج وخطة البحث:

اعتمدت في معالجة هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، ذلك أن الأمر يتوقف على تتبع القواعد الفقهية والوقوف على المسائل المستثناة منها واستخراج مقاصدها، وقد أملت علي طبيعة الموضوع أن أتناول الحديث عنه في مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة، أدرجت تحت كل مبحث أمثلة تطبيقية، وضمّنتها مطالب إذا اقتضى الأمر ذلك.

أما المقدمة: فتناولت فيها التعريف بموضوع البحث، ومشكلته، وأهميته، وأهدافه وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج خطته.

وأما المبحث الأول: فقد عنونته بـ "تاريخ نشأة القواعد الفقهية"، والمبحث الثاني: اهتم بـ "فقه الاستثناء في القواعد الفقهية"، والمبحث الثالث: اهتم بـ "الاستثناء في القواعد الفقهية الكلية ومقاصده في الشرعية"، وقد قسمته إلى خمسة مطالب: اهتم المطلب الأول: بقاعدة "الأمور بمقاصدها"، والثاني: بقاعدة "اليقين لا يزول بالشك"، والثالث: بقاعدة "المشقة تجلب التيسير"، والرابع: بقاعدة "لا ضرر ولا ضرار" أو "الضرر يزال"، والخامس: بقاعدة "العادة محكمة".

وأما الخاتمة: فتحدثت فيها عن أهم النتائج العامة التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، والمقترحات والتوصيات التي أراها مناسبة لتوظيفه وتطويره.

وحتى تستكمل الدراسة جوانبها الفنية، ذيلت هذا البحث بجملة من المراجع والملاحق التي لابد منها لتيسير قراءته ومطالعته، وذلك لتُلقي أضواء كاشفة عن موضوعاته وأهم محتوياته.

وأسأل الله السداد في القول، والرشد في الفعل، والصواب والتوفيق في الأمر كله، إنه وليي، وهو حسبي ونعم الوكيل.

المبحث الأول: تاريخ نشأة القواعد الفقهية

نشأت القواعد الفقهية إبان عصر الرسالة ومنبع التشريع، فقد كانت أحاديثه ﷺ في كثير من الأحكام بمثابة القواعد العامة التي تنطوي تحتها الفروع الفقهية الكثيرة، كقوله: "الخراج بالضمان" و "لا ضرر ولا ضرار" و "البينة على المدَّعِي واليمين على المدَّعَى عليه"، وما سواها من جوامع الكلم وبدائع الحِكَم التي خصّ الله تعالى بها نبيّه عليه الصلاة والسلام، فأصبحت عند الفقهاء قواعد ثابتة مستقلة وجرت مجرى القواعد الفقهية.

وهذه القواعد الفقهية لم تنشأ دفعة واحدة وفي وقت معين، وإنما مرّت بمراحل عديدة من حيث وضعها وتنسيقها ثم تأصيلها، فتكونت مفاهيمها وصيغت نصوصها بالتدرّج في عصور ازدهار الفقه ونهضته على أيدي كبار فقهاء المذاهب من أهل التخريج والترجيح استنباطا من دلالات النصوص الشرعية العامة وأدلتها، ومبادئ أصول الفقه، وعلل الأحكام، وأسرار التشريع، والمقررات العقلية، فقد كانت تعليلات الأحكام الفقهية الاجتهادية ومسالك الاستدلال القياسي عليها، أعظم مصدر لتقعيد هذه القواعد وإحكام صيغها خاصة بعد استقرار المذاهب الفقهية الكبرى، وانصراف الفقهاء والعلماء إلى تحريرها وترتيب أصولها وأدلتها.

المبحث الثاني: فقه الاستثناء في القواعد الفقهية

إن الشريعة الإسلامية راعت أحوال المكلفين كلها سواء كانت عادية أو استثنائية، لأن الناس تختلف أحوالهم من صحة إلى مرض، ومن إقامة إلى سفر، ومن يسر إلى عسر، ومن أمن إلى خوف، ومن سلم إلى حرب، ومن سعة واختيار إلى ضيق واضطرار، ومن شباب وقوة إلى شيخوخة وضعف وغير ذلك، لهذا تنوعت أحكامها إلى أحكام أصلية وأخرى استثنائية، وبتعبير أهل الاصطلاح الفقهي إلى عزيمة وهي ما شرع أولاً غير مبني على الأعذار، ورخصة وهي ما شرع ثانيا مبنيا على الأعذار.

ومن يتتبع أحكام التشريع في القرآن الكريم والسنة النبوية يجد أمثلة كثيرة للاستثناء يتضمن النص الشرعي في كل صورة حُكْمين، أحدهما للحالة العادية، وثانيهما لظرف طارئ يقتضي التخفيف من الحكم الأول، لما يترتب على تطبيقه من حرج شديد أو مشقة بالغة قد تصل إلى الهلاك، ولا يُعقل أن يُشرع الحكيم سبحانه وتعالى أحكاما جاءت أول الأمر للمحافظة على أمور ضرورية منها النفس، ثم يهدر هذه النفوس من غير جناية من أصحابها.

والحاصل أن الاستثناء طريق من طرق الكشف عن مقاصد الشارع وحِكمه، إذ لا يمكن أن يقع الاستثناء في القواعد الشرعية وغيرها إذا لم يكن القصد من ذلك تحقيق مقصود الشارع في جلب المصالح ودرء المفاسد، ومعرفة المستثنيات واستخراج عِللها ومقاصدها ليس أمراً هيّناً ولا سهل المنال ولا يتيسّر لكل أحد، بل يحتاج إلى أهلية بالغة وعقلية نادرة، ودراية تامة بالأصول وما تشتمل عليه ومعرفة شرائطها وعلاقة بعضها ببعض، وبالتالي فإن الاهتمام بمعرفة مقاصد ما يستثنى من القواعد الفقهية يعتبر أمرا في غاية الأهمية، ويحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة والدراية.

يقول الإمام البكري في مقدمة كتابه: "الاستغناء في الفرق والاستثناء" مبينا سبب إعراض أهل العلم عن البحث في الاستثناء: "... لأني قد رأيت أهل العلم قد زهدوا في طلبه، ولم يجعلوا لهم إليه طريقا، ومع ذلك جوهره في قعر بحر عميق، وطالبه نائم لا يفيق، همته داثرة، ورغبته قاصرة، ومستفيده قليل، والحفيظ له كليل، يبعد عن الجمع الكثير، ويرغب في الجمع القليل"(البكري، 1408هـ. 1988م، ج 1 ص: 109).

المبحث الثالث: الاستثناء في القواعد الفقهية الكلية ومقاصده في الشرعية

المطلب الأول: قاعدة "الأمور بمقاصدها

فقاعدة "**الأمور بمقاصدها**" على وجازة لفظها وقلة كلماتها، تعتبر من جوامع الكلم، لأن مصدرها الحديث النبوي الصحيح "**إنما الأعمال بالنيات**"، فمكانتها بمكانة ما بنيت عليه وشرفها بشرفه وأهميتها بأهميته، ومعناها يفيد أن التصرفات الصادرة من الإنسان من قول أو فعل تختلف أحكامها باختلاف مقصود فاعلها، إذ الحكم المترتب على أمر ما يكون بحسب هدف صاحبه منه، فالدافع المنبعث من القلب هو الذي يترتب الجزاء على وفقه في كل الأعمال دنيوية كانت أو أخروية، وفي هذا الصدد يقول مصطفى الزرقا: "إن أعمال المكلف وتصرفاته من قولية أو فعلية تختلف نتائجها وأحكامها الشرعية التي تترتب عليها باختلاف مقصود الشخص وغايته وهدفه من وراء تلك الأعمال والتصرفات" (الزرقا،1986م، ج 2 ص: 965).

لكن لا ينبغي أن يفهم مما تقدم أن تبدّل القصد يقتضي في كل حال تبدّل الحكم الشرعي، فهناك بعض الأحكام الشرعية التي لا تتبدّل أحكامها نظراً للقصد والنية، وتعتبر من المسائل التي تستثنى من قاعدة "**الأمور بمقاصدها**".

ومن أمثلة ذلك: **النظر إلى مآلات الأفعال من غير نظر إلى البواعث والنيات**: كمن قصد الشر بفعل المباح: يكون آثما فيما بينه وبين الله، ولكن ليس لأحد عليه من سبيل، ولا يحكم على تصرفه بالبطلان الشرعي، كمن يرخص في سلعته ليضر بذلك تاجراً ينافسه، فإن هذا بلا شك عمل مباح، وهو ذريعة إلى إثم هو الإضرار بغيره وقد قصده، ومع ذلك لا نحكم على عمله بالبطلان بإطلاق، ولا يقع تحت التحريم الظاهر الذي ينفّذه القضاء، فإنّ هذا العمل من ناحية النية ذريعة للشّر، ومن ناحية

الظاهر قد يكون ذريعة للنفع العام والخاص، فإن البائع بلا شك ينتفع من بيعه ومن رواج تجارته ومن حسن الإقبال عليه، وينتفع العامة من ذلك الرَّخص، وقد يدفع إلى تنزيل الأسعار.

ومن مستثنيات قاعدة "الأمور بمقاصدها" كذلك: من قصد الحرام فوقع فعله على شيء مباح له: أي أن يكون موافقا للشارع في الفعل مخالفا له في القصد، وهو لا يعلم بالموافقة الفعلية، كمن نوى الزنا فوقع على زوجته يظنّها أجنبية عنه، فهذا لا يُحدُّ حدَّ الزاني رغم قصده الزنا، إلا أنّه يأثم لنيته فعل الحرام لجرأته على الله تعالى.

ويستثنى كذلك من حكم هذه القاعدة: الهازل والمستهزئ فإنهما وإن كانا غير قاصدين حقيقة إلى ما ينشئانه من عقود وتصرفات إلا أنهما يعاقبان بلزوم عقودهما، لأن الهزل والاستهزاء ليسا من الأعذار المسقطة للتكليف بل هما من منهيات الشرع، قال تعالى: "وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا" (القرآن الكريم، البقرة: 229)، وقوله: "وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ"(القرآن الكريم، التوبة: 65).

فإن نكاح الهازل وصريح طلاقه ورجعته واقع بإجماع العلماء وهو المحفوظ عن الصحابة والتابعين أخذا من الحديث النبوي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد، النكاح، والطلاق والرجعة**" (أبي داود،1969م/ 1970م، رقم: 2194).

المطلب الثاني: قاعدة اليقين لا يزول بالشك

إن قاعدة "**اليقين لا يزول بالشك**" من أمهات القواعد الفقهية الكبرى، وهي أصل شرعي عظيم عليها مدار كثير من الأحكام الفقهية، يتمثل فيها مظهر من مظاهر اليسر والرأفة في الشريعة الإسلامية، حيث فيها تقرير لليقين باعتباره أصلا معتبرا، وإزالة للشك الذي كثيرا ما ينشأ عن الوسواس لاسيما في باب الطهارة والصلاة، كما تعد من أكثر القواعد تطبيقاً، قال السيوطي: "اعلم أن هذه القاعدة تدخل في جميع أبواب الفقه، والمسائل المخَرَّجة عليها تبلغ ثلاثة أرباع الفقه وأكثر" (السيوطي، 1427هـ / 2006م، ص:55).

وهذه القاعدة يدعمها القرآن والسنة والإجماع، فقد اتفقت كلمة الفقهاء على الاعتداد بها، قال القرافي: "... فهذه قاعدة مجمع عليها، وهي أن كل مشكوك فيه يجعل كالمعدوم الذي يجزم بعدمه" (القرافي، 2001م، ج1،ص:111).

وقد تتبّع بعض العلماء الأفذاذ المسائل والفروع في الفقه، فتوصلوا إلى أن هناك مسائل معدودة تستثنى من قاعدة: "**اليقين لا يزول بالشك**"، فوجدوا تلك المسائل اليسيرة خرجت لأدلة خاصة أشاروا إليها، فقالوا: "إن حكم اليقين لا يزال بالشك، فكل من شك في شيء هل فعله أم لا ؟ فهو فاعل في الحكم، ولا يزال حكم اليقين بالشك إلا في مسائل، وقد صدق من قال: "هذه قاعدة مطردة لا يخرج منها إلا مسائل يسيرة"(النووي،1417هـ / 1996م، ج1، ص:205).

ومن مستثنيات هذه القاعدة: استثناء الشك في الحدث عند المالكية: فمن بين الخلافات الفقهية الخاصة بالطهارة التي نجدها مبثوثة في كتب الفقه، الخلاف الواقع في الشك في الحدث هل يمكن اعتباره ناقضا من نواقض الوضوء أم لا؟

في هذه المسألة ترى كل المذاهب الفقهية أن الذي يتطهر ويحصل له يقين بطهارته، ثم يحدث له شك فهو باق على طهارته ولا يضر حصول الشك، فمن تيقن الطهارة وشك في الحدث فهو متطهر، ومن تيقن الحدث وشك في الطهارة فهو غير طاهر، إعمالا لقاعدة "**اليقين لا يزول بالشك**"، ولم يخالف في ذلك إلا المالكية الذين اعتبروا الشك في الحدث ناقضا من نواقض الوضوء، حيث أزالوا اليقين الذي هو الطهارة بالشك الذي هو الحدث.

فالمالكية يرون أنه من توضأ وشك في الحدث، وجب عليه إعادة الوضوء حتى يدخل الصلاة وليس في قلبه شك، فإن الشك ينافي الخشوع الذي يعد فيها الركن الأسمى، فرغم أنهم متفقون مع الجمهور في العمل بهذه القاعدة إلا أنهم خالفوهم في هذه المسألة.

ومن مستثنيات هذه القاعدة كذلك: الإشارة المعهودة أي المعلومة المعتادة للأخرس الأصلي بعضو من أعضائه، كَيَدِه، أو رأسه، أو عينه، أو حاجبه، معتبرة كالبيان باللسان، وهي بمنزلة نطقه فتعتبر، ولذلك قال الفقهاء: "الإشارة المعهودة للأخرس كالبيان باللسان" (مجلة الأحكام العدلية، 1405هـ، ص: 70).

إلا أنه: لا تُقبل إشارة الأخرس في الحدود لأنها تدرأ بالشبهات، لقوله ﷺ: "**ادرؤوا الحدود بالشبهات**" (البخاري، 1414هـ/1994م، رقم: 6438).

ففي الحدود يقدّم الشك على اليقين، وهذا يخالف منطوق القاعدة، أي أن ما كان ثابتا متيقنا لا يرتفع بمجرد طروء الشك عليه، ويصبح المستثنى هو: "**اليقين يزول بالشك في الحدود**"، ومن مقاصد من هذا الاستثناء ما يلي:

1 . حماية الفرد من الضرر وافتراض براءته أولا، وتفسير الاحتمال لصالحه ثانيا، وهذا يدل على حرص الشريعة الإسلامية على إنصاف المتّهمين في الجرائم المنسوبة إليهم.

2 . أنه يجعل القاضي المسلم على بيّنة من حق الفرد في الأمن، بحيث لا يقضي بالإدانة إلا بعد ثبوت دليل الإدانة لديه ثبوتا يقينيا قطعيا لا ريب فيه.

3 . يعتبر مبدأ درء الحدود بالشبهات من المبادئ الأساسية في الإثبات الجنائي في الشريعة، فيقصد به تفسير الدليل عند الشبهة أو الشك فيه لصالح المتّهم، وهي إسقاط عقوبة الحد متى قامت لدى القاضي شبهة حول ثبوت ارتكاب الجريمة الموجبة لهذه العقوبة.

فكان الهدف من مخالفة منطوق قاعدة: "**اليقين لا يزول بالشك**" هو أن الأمر يتعلق بإلحاق ضرر على النفس، ولا يمكن أن نطبق حداً حتى يحصل اليقين القاطع التّام الذي لا يصاحبه أدنى شك، مخافة ظلم المتهم وافتراض براءته، وهذا من أهم مميزات الشريعة الإسلامية العادلة وخصائصها التي تحرص كل الحرص على إنصاف المتهمين في الجرائم المنسوبة إليهم، وبهذا تفوقت على كل النظم والقوانين الوضعية مهما تطور واضعوها وأوغلوا في المدنية والحضارة.

المطلب الثالث: قاعدة المشقة تجلب التيسير

تعتبر قاعدة "**المشقة تجلب التيسير**" من القواعد الفقهية الكلية التي تبين لنا سماحة الدين الإسلامي ومرونته وتقديره لأحوال العباد في يسرهم وعسرهم، جاهضة بذلك كل الآراء المشككة في سماحة هذا الدين على أنه دين التكاليف الشاقة التي تقف عائقا أمام حركة الإنسان وتطوره، فهي قاعدة مقطوع بصحتها لا ينازع في ثبوتها مسلم لتوفر أدلتها من الكتاب والسنة والإجماع، وهي أصل

عظيم من أصول الشرع لأن معظم الرخص منبثقة عن هذه القاعدة، بل إنها إحدى الدعائم التي يقوم عليها صرح الفقه الإسلامي، وقد تواطأت أقوال العلماء على أن جميع رخص الشرع وتخفيفاته في العبادات والمعاملات تتخرج عن هذه القاعدة، قال الإمام السيوطي: "يتخرّج على هذه القاعدة جميع رخص الشرع وتخفيفاته" (السيوطي، 2006م، ص: 77).

ومن المشاق التي لا أثر لها في جلب تيسير ولا تخفيف، وتعتبر من مستثنيات قاعدة "**المشقة تجلب التيسير**": مشقة التكاليف الشرعية: كمشقة الوضوء والغسل في فصل الشتاء، ومشقة إقامة الصلاة في الحر والبرد ولاسيما صلاة الفجر، ومشقة الصوم في شدة الحر وطول النهار، ومشقة الحج التي لا انفكاك عنها غالبا، ومشقة الاجتهاد في طلب العلم والرحلة فيه، وكذلك المشقة في رجم الزناة، وإقامة الحدود على الجناة، فإن في ذلك مشقة عظيمة على مقيم هذه العقوبات لما يجده من الرقة والرحمة، ولمثل هذا قال تعالى: "الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ" (القرآن الكريم، النور: 2).

فهذه المشاق كلها لا أثر لها في إسقاط العبادات والطاعات ولا في تخفيفها، لأنها لو أثرت لفاتت مصالح العبادات والطاعات في جميع الأوقات أو في غالبها، ولفات ما يترتب عليها من المثوبات الباقيات ما دامت الأرض والسموات.

. وفي هذا ردٌّ فقهي ومقاصدي على أولئك الذين اتخذوا مسألة اليسر في الإسلام ذريعة للتهاون الذي قد يؤدي إلى التنصُّل من التكاليف الشرعية، فاليسر ورفع المشقة في الشريعة الإسلامية راجع إلى التوسط والسهولة، وهو ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة لطاعة الله تعالى على أحسن وجه ممكن، ولذلك فإن متصيد التخفيفات ومتتبع رخص المذاهب لا كلام معه هنا، لأنه متّبع لهوى نفسه وليس تابعا لمقاصد الشريعة الإسلامية.

وإذا تقرر هذا فالشارع لم يقصد من التكاليف والأفعال المأمور بها المشقات التي تلابسها، وإنما قصد المصالح المترتبة عليها العائدة على المكلف عاجلا أم آجلا، فليس المقصود من الصلاة مثلا إتعاب الجسم وحصر الفكر، وإنما الغرض تهذيب النفس وخشوعها لله، وكونها سبيلا للامتناع عن الفحشاء والمنكر، وليس المقصود من الصوم إيلام النفس بالجوع والعطش وحرمانها من طيبات الرزق، وإنما الهدف هو التقوى وصفاء الروح وسموها وتنمية عاطفة الرحمة والإنسانية فيه، وما الشارع في هذا كالطبيب يعطي المريض الدواء المر لا يقصد إيلامه، ولكنه يقصد أن يزيل علته، وهذا واضح في سائر التكاليف الشرعية.

والحاصل أن التكاليف الشرعية من صيام وصلاة وحج ونحوها، وعقوبات الجرائم من قصاص وحدود، كل هذه الأمور تتضمن نوعًا من المشقة والألم، فهذه المشقة لا تُسقط العبادة، ولا تُوجب التخفيف فيها بالترخُّص، لأن هذه المشقة تقرَّرت مع هذه التكاليف، وإنما الذي يقتضي التخفيف بالترخُّص، هي المشاقُّ التي تنفكُّ عن هذه التكاليف، فليس لأحد أن يُفْطر في رمضان لشعوره بشدة الجوع، كما أنه ليس لأحد قَدَرَ على نفقات الحج وهو صحيح البدن أن لا يحج لما في الحج من مشقة السفر والبعد عن الأهل والوطن، فمثل هذا النوع من المشقة لا أثر له في إسقاط الواجبات أو تخفيفها، لأن المشقة المعتادة في التكاليف الشرعية لا أثر لها في جلب تيسير ولا تخفيف، لأن جميع الأعمال والتكاليف الشرعية لا تخلو من المشقة.

المطلب الرابع: قاعدة "لا ضرر ولا ضرار" أو "الضرر يزال"

فقاعدة "**لا ضرر ولا ضرار**" قاعدة نبوية مروية بسند مرفوع إلى النبي ﷺ، وهي من جوامع كلمه، بنيت عليها أبواب كثيرة من الفقه واندرجت تحتها من المسائل الفرعية ما لا يكاد يحصى، وأضحت هذه القاعدة شعارا إسلاميا للعدل ورد العدوان، والتعاون البناء، وتحقيق الأمن، ونشر السلام بين الناس.

ومعناها أنه لا يجوز شرعاً لأحد أن يلحق بآخر ضرراً ولا ضراراً، وقد سيق ذلك بأسلوب نفي الجنس ليكون أبلغ في النهي والزجر، وهي أساس لمنع الفعل الضار وميزان عند القاضي في تقرير القضايا والأحكام، كما أنها سند لمبدأ الاستصلاح في جلب المصالح ودرء المفاسد، ومن ثم فإن اعتبار الفقهاء لهذه القاعدة كواحدة من القواعد الفقهية الكبرى التي بني الفقه عليها، هو إدراك منهم أن لها من الشواهد والنصوص الشرعية التي توصلها مرتبة القطع في ثبوت معناها، وأن اختيارها هو اختيار لأصل تقرر في الشريعة الإسلامية.

ومن المعلوم أن لكل قاعدة استثناء، وهذا ما ينطبق على قاعدة "**الضرر يزال**" أو "**لا ضرر ولا ضرار**" حيث حصر الفقهاء لهذه القاعدة استثناءات تخرج عنها تحقيقا لمقاصد الشريعة الإسلامية في جلب المصالح ودرء المفاسد.

ومن مستثنيات هذه القاعدة: إذا كان إزالة ضرر شخص يتطلب إدخال ضرر مثله أو أكثر منه عن شخص آخر، فلا يجوز ذلك شرعا، فإن الموازنة تقضي بعدم إزالة ذلك الضرر بارتكاب ضرر آخر، فهنا نقول: "**الضرر لا يزال**"، لأن الناس جميعهم مخلوقات الله تعالى متساوون في جميع الحقوق والواجبات.

فالضرر لا يزال بضرر مثله، وهذا قيد لقاعدة "**الضرر يزال**"، أي أن الضرر يزال في الشرع إلا إذا كانت إزالته لا تتيسر إلا بإدخال ضرر مثله على الغير، فحينئذ لا يرفع ولا يزال بضرر مثله، ولا بما هو فوقه بالأولى، وفي مثل هذه الحالة يجبر الضرر بقدر الإمكان، فإن تعذر جبره، فإنه يترك على حاله، كما إذا لم يجد المضطر لدفع الهلاك جوعاً إلا طعامَ مضطرٍّ مثله أو بدن أدميٍّ حيٍّ فإنه لا يباحُ تناولهما، وكما لو تعسّرت ولادةُ المرأة والوَلَدُ حيٌّ يضطرب في بطنِها وخِيفَ على الأمِّ فإنَّه يمتنع من تقطيع الولدِ لإخراجه لأنّ مَوْتَ الأمِّ به أمرٌ مَوْهُومٌ" (الزرقا، ج 1، 1414هـ/1993م، ص:195).

ومن مستثنيات قاعدة "الضرر يزال" كذلك: قاعدة: "**يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام**": تضمنت فيها أحكاما متعددة، منها أن المصلحة العامة تقدم على المصلحة الخاصة، فالفرد عليه أن يضحي بمصالحه الشخصية في سبيل النفع العائد على المجتمع، ولو أدى ذلك إلى لحوق ضرر به، كمن هُدم بيته لوصل أو توسعة طريق، فضرره هذا لا يزال، فالقاعدة تقتضي إزالة الضرر العام بتحمل الضرر الخاص.

كما يجوز معاقبة المجرمين وإن ترتب على العقوبة ضرر بهم، لأن فيها عدلا ودفعا لضرر أعم وأعظم، ومن ذلك: مشروعية القصاص، والحدود، وقتل البغاة وقاطع الطريق، ودفع الصائل ولو أدى إلى قتله، ففي كل هذه الأمور الضرر لا يزال عن هؤلاء، لأن ضررهم الخاص يعارض الضرر العام، وفي مثل هذه الحالات لا تطبق قاعدة "**الضرر يزال**"، وإنما يعدل إلى قواعد أخرى وهي: "ارتكاب أخف الضررين" أو "الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف" أو "يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام"، تحقيقا لمقاصد الشريعة الإسلامية في جلب المصالح ودرء المفاسد.

ففي كل هذه الأمور شرع الإسلام ارتكاب أخف الضرَرَيْن، ففي القصاص مثلا: مفسدة قتل القاتل أخف من ضرر نشر الجريمة في المجتمع، حقنا للدماء وتحطيما لكل مظاهر الهمجية، والحد من شهوة الانتقام والأخذ بالثأر، فالشريعة الإسلامية عند تشريعها للقصاص هدفها هو إقامة العدل وصون الحياة الشريفة لكل مسلم، حتى يعُمَّ الأمن بين أفراد المجتمع مصداقا لقوله تعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (القرآن الكريم، البقرة: 179).

المطلب الخامس: قاعدة العادة محكمة

فقاعدة "**العادة محكمة**" من القواعد الكلية الخمس الكبرى في الفقه الإسلامي، وهي من الحجج الشرعية المعتمد عليها، إذ أنّ العرف والعادة إحدى حُجج الشّرع فيما لا نصّ فيه، لكن رغم ما يملكه العرف من سلطان في تحديد وتحديد الأحكام العملية فيما يستجد للناس من أقضية، غير أنه لا يتم تحكيمه ولا اعتباره إلا باستيفاء شروط تبين حدوده، وتحدد إطاره حتى لا يتعارض مع أصول الشريعة وثوابتها.

فالعرف لا يكون له أثر في التشريع إذا كان مخالفا لنص شرعي من الكتاب أو السنة أو الاجماع، كتعارف الناس في وقت من الأوقات على إقرار بعض المحرمات كشرب الخمر، وأكل الربا، وغير ذلك مما ورد تحريمه نصا فهو مردود لا اعتبار له، ولا يجوز أن يراعى في تقنين أو فتوى أو قضاء، فالعرف في مثل هذه الأمور غير معتبر، لأن اعتباره إهمال للنص واتباع للهوى وإبطال للشرائع، فما جاءت الشرائع لتقرير المفاسد، وإنَّ تكاثر الأخذ بها يدعو إلى مقاومتها لا إلى إقرارها، ويقتضي ذلك أن تكون عادات الناس منسجمة وموافقة للأحكام التي جاءت بها الأدلة الشرعية، وإن خالفتها بطل اعتبارها وبطل تحكيمها، وهذا من مستثنيات قاعدة العادة محكمة.

ولهذا ألغى التشريع الإسلامي كثيرا من أعراف العرب الفاسدة التي تعارفوا عليها قبل الإسلام، كوأد البنات والتعامل بالربا والطواف بالبيت عراة، وشرب الخمر ولعب الميسر، والاستقسام بالأزلام والأصنام، وكل ما كان باطلا من عادات الجاهلية، فالإسلام لم يعتبر هذه العوائد والأعراف الفاسدة لما فيها من شرك بالخالق تعالى، وما فيها من أضرار جسيمة على العباد.

والحاصل، أن العرف إنما يعمل به في حدود الحرية التي تركها للمكلفين في ميادين الأعمال والالتزامات، دون الحالات التي تولى الشرع فيها تحديد الأحكام على سبيل الإلزام، وإلا لأمكن أن تقلب الأعراف على مر الزمن أسس التشريع كلها رأسا على عقب، فتنقرض الشريعة بتاتا، ومن هنا يمكن القول: بأن النص الشرعي الخاص الآمر هو المعتبر المحترم، ولو صادمه عرف عام، فلا يعتبر أي عرف أو عادة أو أي اتفاق على خلافه.

خاتمة:

بعد الانتهاء من عرض محاور بحث "**مستثنيات القواعد الفقهية الكلية ومقاصدها في الشريعة الإسلامية**"، فإني أضع في هذه الخاتمة أهم النتائج التي توصّلت إليها والمقترحات والتوصيات التي أراها مناسبة لتوظيفه وتطويره لتكون بداية لبحوث أخرى تغنيه وتثريه.

. النتائج والحلول والمقترحات:

1 . تبين لي من خلال البحث في القواعد الفقهية الكلية المأثورة في الفقه الإسلامي أنها لم توضع كلها جملة واحدة كما توضع النصوص القانونية في وقت معين على أيدي أناس معلومين، بل تكونت مفاهيمها وصيغت نصوصها بالتدريج في عصور ازدهار الفقه ونهضته على أيدي كبار فقهاء المذاهب من أهل التخريج والترجيح، استنباطا من دلالات النصوص التشريعية العامة، ومبادئ أصول الفقه وعلل الأحكام والمقررات العقلية.

2 . تمتاز أمهات القواعد الفقهية الكبرى بالاتساع والشمولية والاستقلالية، وتعتمد النصوص الشرعية مصدرا لها، وأنها محل اتفاق لدى فقهاء المذاهب الأربعة، وتتفرع عنها قواعد أخرى جامعة لمسائل وفروع كثيرة في مختلف أبواب الفقه.

3 . إن القاعدة الفقهية يمكن أن تكون مستندا للقضاة والمفتين في تخريج المسائل التي لم ينص عليها الفقهاء مما تشملها القاعدة ولم يقطع بأنها خارجة عنها، لذلك أرى أنه من المجدي تصنيف القواعد الفقهية على شكل مواد دستورية أو قانونية تعتمد في القضاء تسد ذلك النقص الذي قد يحصل في القوانين الوضعية.

4 . إن البذرة الأولى للقواعد الفقهية بدأت تَنبتُ إبان عصر الرسالة ومنبع التشريع، حيث كانت أحاديث الرسول ﷺ في كثير من الأحكام بمثابة القواعد العامة التي تنطوي تحتها الفروع الفقهية الكثيرة، وذلك كقوله عليه السلام: "الخراج بالضمان" و "لا ضرر ولا ضرار" و "البينة على المدَّعِي واليمين على المدَّعَى عليه"، وما سواها من جوامع الكلم وبدائع الحِكَم التي خصّ الله تعالى بها نبيّه عليه الصلاة والسلام.

5 . إن معظم هذه القواعد الفقهية هي مستنبطة أو مضمون آية قرآنية أو حديث نبوي شريف، صيغت في شكل قواعد فقهية نحو قاعدة: "**العادة محكّمة**" فهي مأخوذة من قوله تعالى: "خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ" (القرآن الكريم، الأعراف: 199)، ومثل قاعدة: "**الأمور بمقاصدها**" فهي مضمون الحديث الصحيح: "**إنما الأعمال بالنيات**"، أو نص حديث مثل قاعدة: "**لا ضرر ولا ضرار**"، وأحيانا تكون القاعدة قولا لبعض الأئمة المجتهدين كقاعدة: "**إذا ضاق الأمر اتّسع**"، فإنّه قول الشافعي رحمه الله (السيوطي، 1427هـ / 2006م، ص: 83).

6 . رغم اختلاف الباحثين عن بداية نشأة القواعد الفقهية، إلا أنني أرجح في الجملة أنّ القواعد الفقهية المستنبطة من النصوص القرآنية والحديثية أسبق في الوضع من القواعد الفقهية المستنبطة من المسائل الفقهية المتشابهة، ووجه ذلك: أنّ النصوص الشرعية من القرآن والسنة سابقة في الوجود للمسائل الفقهية، ومن جهة أخرى فإن القواعد الفقهية تختلف من ناحية واضعها، فبعضها نصَّ أهل القواعد على أنّ واضعها هو العالم الفلاني، وبعضها الآخر مجهول واضعها.

7 . إن ترتيب القواعد والضوابط ذات الموضوع الواحد على شكل نظريات يعطي تصورا جيدا لموضوعها ويرسي أسسا قويمة في بحثها، ويسهل دراسة الفقه بتجميع شتاته، فكما كان للقواعد الفقهية دورا بارزا في تيسير الفقه الإسلامي ولمّ شتاته عن طريق نظم الفروع المتناثرة في سلك واحد فلا ريب أن توسيع البحوث وفق منهجية النظريات الفقهية، تخرج الفقه الإسلامي في ثوب جديد توظف فيه الضوابط والقواعد الفقهية في الموضوع الواحد بصورة أشمل وأوسع، لأن الدراسات العلمية المعاصرة في مختلف التخصصات تدعو لمثل هذا الأمر، وليس هذا تغيير في مضمون الفقه الإسلامي وإنما في طريقة عرضه.

8 . إن مسألة الاستثناء في القواعد الفقهية وُجدت بوجود القواعد ونشأت بنشأتها للتلازم الواقع بينهما، فقد حرص العلماء على توضيح ما يدخل من الفروع ضمن مشتملات القاعدة وما يخرج عنها، غير أن إفراد هذا الباب بالتأليف لم يكن مقصودا للعلماء في القديم ولا في الحديث، فقد كان تناول الاستثناء من القواعد يرد تبعا ولم يكن مقصود المؤلفين.

9 . إن البحث في الاستثناء في القواعد الفقهية ومقاصده في الشريعة الإسلامية ليس بخارج عن المنظومة الفقهية العامة القائمة على عملية الاستدلال والاستنباط والتي ترجع إلى أصول الفقه العامة، لذلك ينطبق عليها ما ينطبق على هذه المنظومة من الخلاف الفقهي بأسبابه المعروفة، وهذا الذي يجري على النصوص يجري على القواعد الاستقرائية أيضا، إذ يعمد كل فقيه إلى ما قوي لديه من الأدلة، وقد يجمعون على استثناء جزئية من حكم كلي وهذا أقوى أسباب الاستثناء، ويكون مستند إجماعهم إما على النص كما رأينا في أحكام الهازل، أو على العرف كتضمين الصناع.

10 . إن مسألة الاستثناء رغم ما قيل في سلبيتها من حيث تأثيرها على كلية القاعدة، غير أنها دليل ناصع على مرونة الشريعة الإسلامية، وأنها مبنية على درء المفاسد وجلب المصالح كأصل ومبدأ كلّي مقرر، وأنه ما من كلّي أدى القول به والوقوف عند عمومه إلى حرج إلا ووُجدت له استثناءات كحلول استحسانية تحقق مقاصد الشرع، وهذا دليل على رعاية الشريعة الإسلامية الغراء بكلياتها وجزئياتها لما فيه مصلحة العباد في جميع تصرفاتهم ومعاملاتهم.

وبعد هذه الجولة في محاور هذا البحث والنتائج المتحصلة من خلاله، أرجو أن أكون قد حققت الهدف المرجو منه وهو تسليط الضوء على موضوع "**الاستثناء في القواعد الفقهية الكلية ومقاصده الشرعية**" الذي لم ينل حظه من الاهتمام لا في القديم ولا في الحديث، رغم الدراسات التي تظهر من حين إلى آخر في هذا العلم، فإن كنت وفقت فيه للصواب فهو من فضل الله العليم القدير وفيض كرمه، وإن قصرت فهذا مبلغ جهدي، أسأله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

لائحة المصادر والمراجع:

- ✓ **القرآن الكريم.**
- ✓ **البخاري أبو عبد الله مُحَمَّد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، الطبعة الأولى: 1414هـ/1994م.**
- ✓ **البكري بدر الدين الشافعي، الاستغناء في الفرق والاستثناء، تحقيق: سعود مسعد الثبيتي، مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، الطبعة الأولى: 1408هـ . 1988م.**
- ✓ **الحافظ أبي داود، سنن أبي داود، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، دار الحديث، حمص سورية، نشر وتوزيع: مُحَمَّد علي السيد حمص، الطبعة الأولى: 1969م/ 1970م.**
- ✓ **الزرقا مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام لمصطفى، مطبعة طربين، دمشق، الطبعة العاشرة: 1387هـ/1986م.**

- السيوطي جلال الدين، الأشباه والنظائر في الفروع، تحقيق: مُحَمَّد تامر وحافظ عاشور حافظ، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة– مصر، الطبعة الثالثة: 1427هـ / 2006م.
- الشيخ أحمد، شرح القواعد الفقهية، بقلم مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى: 1414هـ/1993م.
- القرافي شهاب الدين، أنوار البروق في أنواء الفروق" ، دراسة وتحقيق مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، دار السلام، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى: 1421هـ. 2001م.
- مجلة الأحكام العدلية، حرّرتها: لجنة من العلماء في عهد الدولة العثمانية برئاسة أحمد جودت باشا، المطبعة العثمانية، قسطنطينة، الطبعة الثانية: 1405هـ.
- . النووي محيي الدين، المجموع شرح المهذب، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى: 1996م.

أثر العمل عن بعد على مستوى البطالة بين الخريجين في الوطن العربي (قطاع غزة ودولة ليبيا) نموذجاً

د. كامل أحمد أبو ماضي
محاضر غير متفرغ – الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية – غزة – فاسطين
Kmady122@gmail.com
00967259968068

د. عز الدين عبد الله سويد
استاذ مساعد – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة طرابلس – ليبيا
ezzidinswed@yahoo.co.uk

الملخص

هدفت الدراسة إلى تحديد اثر العمل عن بعد على مستوى البطالة بين الخريجين في الوطن العربي، كما هدفت الدراسة إلى تحديد العوائق التي تواجه العاملين عن بعد، وتحديد العوامل التي تساعد على تسهيل العمل عن بعد. استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناسب مع طبيعة هذه الدراسة، كما استخدم الباحثان اسلوب المقابلة مع العاملين عن بعد، وبعض الخبراء الاقتصاديين لجمع البيانات حول موضوع الدراسة، وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن العمل عن بعد يوفر فرصاً للخريجين، كما توصلت نتائج الدراسة إلى وجود عقبات في طريق وصول الأموال للعاملين عن بعد بسبب القيود المفروضة على دخول الأموال إلى قطاع غزة، كما توصلت نتائج الدراسة إلى أن العمل عن بعد يمثل نافذة لمواجهة الحصار المفروض على قطاع غزة، وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود بطالة مقنعة في ليبيا تزيد عن المستوى المقبول وفقاً للمعايير الدولية، وكذلك جاءت معدلات البطالة مرتفعة جداً عن الفئات العمرية الصغيرة (15–34) سنة.

The effect of telework on the unemployment ratio among graduated people in the Arab world (Gaza Strip and Libya) as a model

Kamel Ahmed Ibrahim Abu Mady

Abstract:

This study aimed to specify the effect of telework on the level of unemployment percentage among the graduated students in Arab world, also this study aimed to specify the barriers which face the teleworkers, and specify the factors which facilitate telework. The researcher used the descriptive analytical methodology, which suites this study. The researchers used the interview with teleworkers, and economic experts to collect data about the subject of this study. The study concluded that the telework provides opportunities for graduated people, the study also concluded that there are many barriers face the teleworker to gain their money because of barriers which are imposed on money entrance on the Gaza Strip. The study also concluded that the telework can be a way to face the siege which is imposed on the Gaza Strip, also the study came to that there is a very high ratio of hidden unemployment in Libya, with unaccepted level according to international measures, also the levels of unemployment were very high in young age groups (15-34) years.

مقدمة:

تعاني المجتمعات العربية من قضية البطالة بشكل كبير، كما أن فئة الشباب هي الشريحة الأكثر معاناة؛ خاصة في المناطق التي تشهد توترات سياسية؛ فقد بلغت نسبة البطالة في الأقطار العربية للعام 2016 (14.9%) وذلك حسب التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام 2017، أما في فلسطين فقد بلغت نسبة البطالة 25.3% لعام 2020م، ووصلت نسبة البطالة في قطاع غزة إلى (45.1%) أما في الضفة الغربية فقد وصلت نسبة البطالة إلى (14.6%)، مما يعني أن نسبة البطالة في قطاع غزة تساوي ثلاثة أضعاف نسبة البطالة في الضفة الغربية وذلك بسبب ظروف الحصار المفروض على قطاع غزة (الجهاز المركزي الفلسطيني، 2021: 74)، كما أن نسبة البطالة في ليبيا عام (2012) وصلت إلى (19.0%)، وهي نسبة مرتفعة، واستمرت هذه النسبة حتى عام (2015)، مما يعني استمرار نسبة البطالة في نفس المعدل منذ سنوات، أما نسبة البطالة في صفوف الشباب فقد بلغت (47.7%) عام (2015) (BTI, 2018).

ويعاني خريجو الجامعات من البطالة حيث سجلت نسبة البطالة ارتفاعاً عالياً في صفوفهم، فقد بلغت نسبة البطالة بين الخريجين في الضفة الغربية (43.02%) أما نسبة بطالة الخريجين في قطاع غزة فقد بلغت (75.32%) وهي نسبة عالية (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2019).

وفي الفترة الأخيرة كانت ظاهرة العمل عن بعد متنفساً للخريجين العاطلين عن العمل، وذلك في ظل ثورة المعلومات والاتصالات التي كانت سمة ظاهرة من سمات العصر الحديث، كما ظهرت مصطلحات مثل التجارة الالكترونية، والأعمال الالكترونية، والتسويق الالكتروني، والإدارة الالكترونية، والتعليم الالكتروني وكل ذلك يأتي بمعنى انجاز المهمات الموكلة للشخص العامل دون الحاجة للتواجد في مكان واحد (نجم، 2018: 1).

وبالنظر إلى ظاهرة البطالة المتفاقمة في صفوف الخريجين، والأعداد المتدفقة إلى سوق العمل، وعدم قدرة سوق العمل على استيعاب هذه الأعداد، وفي ظل ظهور مصطلح العمل عن بعد، وما يوفره من فرص عمل للخريجين، فقد ووجد الباحثان أن يقوما بهذا البحث لما له من أهمية.

أولاً: مشكلة الدراسة: يعاني الخريج الفلسطيني من البطالة حيث تتزايد أعداد الخريجين سنوياً، وفي ذات الوقت تقل فرص العمل لهم، في ظل ظروف اقتصادية صعبة، وفي ظل اجراءات من طرف الاحتلال الاسرائيلي، كما يعاني قطاع غزة من حصار دام لمدة تزيد عن (15) عاماً، كما تعد البطالة من المشكلات الصعبة التي تواجه المجتمعات الانسانية، فإذا اضيفت لها مشكلة الحصار تكون المشكلة أكبر، وأكثر تعقيداً، وقد بلغ عدد الخريجين الجامعيين في قطاع غزة بين العامين (2015 – 2016) (21,508) طالباً وطالبة (الكتاب الاحصائي السنوي، 2018: 70)، وهي أعداد كبيرة تحتاج إلى استيعاب، وفي ذات الوقت فإن سوق العمل لا يستوعب مثل هذه الاعداد. وفي ظل الثورة التكنولوجية ظهر نظام العمل عن بعد، وهو أن يؤدي الشخص المهمة المكلف بها دون الحاجة إلى التواجد في مكان العمل، وقد أطلق البعض عليه مصطلح "الثورة المستقبلية في سوق العمل"، ونظراً لتفاقم مشكلة البطالة في قطاع غزة، فقد توجه الخريجون لهذا المجال، وقد وجد فيه البعض فرصة للخروج من إطار البطالة، وعليه فإن مشكلة الدراسة تتمثل في السؤال الرئيس التالي: ما أثر العمل عن بعد على مستوى البطالة لدى الخريجين في العالم العربي؟

ثانياً: أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من النقاط التالية:

1- مساعدة متخذ القرار لدعم العمل عن بعد.

2- نشر فكرة العمل عن بعد.

3- التخفيف من أثر البطالة بين الخريجين.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

توجد العديد من الأهداف التي يسعى الباحثان لتحقيقها وهي على النحو التالي:

1- تحديد أثر العمل عن بعد على مستوى البطالة.

2- تحديد العوائق التي تواجه العاملين عن بعد.

3- تحديد العوامل التي تساعد على تسهيل العمل عن بعد.

رابعاً: حدود الدراسة:

1- الحدود الموضوعية: العمل عن بعد والبطالة.

2- الحدود الجغرافية: قطاع غزة.

3- الحدود الزمانية: شهر فبراير 2022م.

خامساً: فرضيات الدراسة:

1- يوجد أثر إيجابي للعمل عن بعد على نسبة البطالة في قطاع غزة.

2- توجد عوائق أمام انتشار العمل عن بعد في قطاع غزة.

3- تساعد المؤسسات المالية في تسهيل التدفقات النقدية إلى قطاع غزة.

سادساً: الدراسات السابقة: تعددت الدراسات حول العمل عن بعد بالرغم من أنه موضوع حديث، مما يعكس مدى الاهتمام به، إضافة لضرورة وأهمية هذا البعد في حياة الأفراد والشعوب، فقام الباحثان بمراجعة العديد من الدراسات السابقة التي تتعلق بالعمل عن بعد، والبطالة في العالم العربي، وكانت الدراسات على النحو التالي:

1- الدراسات التي تتعلق بالعمل عن بعد:

دراسة جراد وبغدادي (2020): حيث هدفت الدراسة إلى تقديم نموذج مبني على المتطلبات الأساسية لتطبيق أسلوب العمل عن بعد من خلال تحديد المتطلبات القانونية اللازمة، كما هدفت الدراسة إلى التعرّف على طبيعة المتطلبات التنظيمية التي يلزم توفيرها لاتباع أسلوب العمل عن بعد مع عرض بعض ممارسات الموارد البشرية التي تشجع الأفراد للعمل عن بعد، وقد توصلت نتائج الدراسة إلى الحاجة إلى التعبئة المالية للبنية الأساسية من خلال تأسيس بنية تحتية متطورة من شبكات المعلومات التي تعتبر أساسية ومساعدة لتأكيد قدرة العاملين عن بعد على ممارسة العمل بشكل فعلي، كما توصلت نتائج الدراسة إلى أهمية توفير المناخ الإداري والتنظيمي قبل البدء في تنفيذ نظام العمل عن بعد من خلال إجراء تغييرات تنظيمية للتحول من الهيكل التنظيمي التقليدي إلى هيكل مرن يستطيع العاملون عن بعد ممارسة عملهم، وتوفير الحرية لهم لاتخاذ القرارات المناسبة.

دراسة نجم (2018): هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى قابلية العمل عن بعد لدى خريجي الجامعات العاملين في شركات تكنولوجيا المعلومات الفلسطينية، كما هدفت إلى المساهمة في معرفة الصعوبات التي تواجه العاملين عن بعد، وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن العمل عن بعد يعتبر بديلاً اقتصادياً ناجحاً للأفراد، وقد يساعد في تخفيف نسب البطالة المتفاوتة وتخطي إدراج العاملين عند بعد تحت مسمى عاطل عن العمل، كما قد يكون بديلاً عن الوظيفة التقليدية، كما أظهرت نتائج الدراسة أن العمل عن بعد يعتبر جديداً في قطاع غزة بحيث فترة عمل معظم العاملين عن بعد تتراوح ما بين (3-5) سنوات كموظفين عاملين عند بعد ويحصلون على ما يقارب نصف دخلهم من العمل في الوظائف التقليدية، حيث إن فترة عمل الموظف عن بعد تقارب (31) ساعة أسبوعياً، كما يساعد العمل عن بعد في زيادة الدخل وتطوير المهارات.

دراسة عبد القادر وشومان (2017): هدفت الدراسة إلى تحديد مستوى وعي الشباب بنظام العمل عن بعد، كما هدفت إلى وصف اتجاهات الشباب نحو نظام العمل عن بعد، ودوره في تحقيق التنمية المستدامة، وكذلك تحديد متطلبات العمل عن بعد لتحقيق التنمية المستدامة، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن العمل عن بعد يوفر الجهد والطاقة مما يساعد على النماء والعطاء؛ مما يؤكد على وجود الوعي لدى الطالبات ووجود اتجاهات إيجابية نحو هذا النظام، كما توصلت نتائج الدراسة إلى وجود توجه قوي لدى الطالبات نحو العمل عن بعد لتحقيق التنمية المستدامة.

دراسة أبو ماضي (2015): هدفت الدراسة إلى تقييم طبيعة العمل عن بعد في قطاع غزة، وتحديد التحديات التي تواجه العمل عن بعد، وكذلك وضع التوصيات التي يمكن أن تساهم في تطوير العمل عن بعد في قطاع غزة، وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن مستوى التجربة المتاحة للعمل عن بعد في قطاع غزة يعدُ متوسطاً حيث بلغ (67%)، ويرجع السبب إلى حداثة النظام في قطاع غزة وعدم انتشاره بشكل كبير مما يساعد على خوض تجارب عديدة في العمل عن بعد؛ حيث ظهر القصور جلياً، فقد توجد الكثير من فرص العمل عن بعد في قطاع غزة، ولكن التحديات التي تواجه العاملين عن بعد في قطاع غزة تحد من هذه الفرص، كما يتضح وجود عقبات في طريق العمل عن بعد مثل الكهرباء والاتصالات ونقص الخبرة لدى الشركات العاملة في ذات المجال.

دراسة الجمعة (2015): هدفت الدراسة إلى التعرّف على العمل عن بعد والاستفادة من الخبرات والتجارب المحلية والاقليمية والدولية في مجال العمل عن بعد، كما هدفت إلى تحليل الوضع الراهن للعمل عن بعد في محافظة الخرج بالمملكة العربية السعودية، وذلك من منظور تقني للخروج بتوصيات ومقترحات وأفكار يمكن تطبيقها على أرض الواقع مما ينعكس إيجاباً على العمل عن بعد، وقد توصلت نتائج الدراسة إلى ارتفاع نسبة غير العاملات والباحثات عن العمل حيث وصلت النسبة إلى (34%)، كما أن نسبة اللاتي كان مستوى تعاملهن مع الحاسوب وتطبيقاته وملحقاته إلى ممتاز، مما يعني وجود مهارات التفاعل مع الحاسوب وتطبيقاته لانتشار العمل عن بعد.

دراسة بن عسكر (2014): هدفت الدراسة إلى التعرف على اتجاهات الطالبات الجامعيات السعوديات نحو اسلوب العمل عن بعد، كما هدفت إلى التعرف على رؤية الفتيات السعوديات حول أهمية العمل عن بعد، وإيضاح رؤيتهنَّ كذلك حول أهم مجالات العمل عن بعد التي يمكنهن المشاركة فيها، وتوصلت نتائج الدراسة إلى التأكيد على أهمية العمل عن بعد في المجتمعات الحديثة والنامية، كما توصلت نتائج الدراسة إلى وجود علاقات ارتباطية بين متغيرات الدراسة التعليمية والاجتماعية والأسرية من جهة ومن جهة أخرى أهمية العمل عن بعد.

2- الدراسات التي تتعلق بالبطالة في العالم العربي:

دراسة الجروشي وأرباب (2017): هدفت الدراسة إلى تحليل وقياس معدلات البطالة وأبعادها في الاقتصاد الليبي، كما هدفت للتعرُّف على حجم البطالة في الاقتصاد الليبي، ومعرفة أنواع البطالة كما هدفت للوصول إلى نتائج وتوصيات تساعد صانعي القرار على تخفيض معدلات البطالة في ليبيا، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن ارتفاع كل من معدلات البطالة الصريحة (الفعلية)، ومعدلات البطالة الحقيقية في الاقتصاد الليبي خلال فترة الدراسة، بلغ معامل الاختلاف لمعدل البطالة في الاقتصاد الليبي خلال فترة الدراسة (55%)، كما توصلت نتائج الدراسة إلى أن بعض العوامل الاجتماعية ساهمت في تعميق مشكلة البطالة في ليبيا المتمثلة في النظرة الدونية من قبل العمالة المحلية لبعض المهن والأعمال.

دراسة ارميص (2015): هدفت الدراسة إلى محاولة تحليل أسباب تفشي البطالة من خلال توظيف البيانات الإحصائية عن مؤشرات البطالة في ليبيا، كما هدفت الدراسة إلى تحليل الأبعاد والانعكاسات السلبية من هذه الظاهرة في المستقبل المنظور، والاختلالات الهيكلية في سوق العمل، وتحديد الدور الذي تقوم به السياسات الحكومية في تفاقم هذه المشكلة على الاقتصاد الليبي، وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن جميع الخطط التنموية التي قامت بها الدولة لم تساهم مساهمة جادة في التغلب على مشكلة البطالة أو التخفيف من آثارها السيئة على الاقتصاد الليبي.

دراسة غانم (2014): هدفت الدراسة إلى إيجاد جيل ريادي من خريجي كليات العلوم الإدارية والاقتصادية من خلال تطبيق النموذج المقترح لمشروع التخرج لطلبة هذه الكليات، كما هدفت الدراسة إلى تمكين خريجي هذه الكليات من الاعتماد على أنفسهم بعد التخرج من خلال التوظيف الذاتي، بالإضافة إلى المساهمة في الحد من مشكلة البطالة بين خريجي هذه الكليات من خلال خلق فرص عمل جديدة، ودعم التنمية الاقتصادية، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن للمشاريع الصغيرة فوائد كبيرة بالإضافة إلى دورها في المساعدة على حل مشكلات تعجز عنها دول قائمة.

دراسة قلالوة (2012): هدفت الدراسة إلى التعرف على تقديرات نسبة البطالة لدى الخريجين في الجامعات الفلسطينية العاطلين عن العمل في محافظة جنين من وجهة نظر الخريجين أنفسهم، كما هدفت إلى التعرف على انعكاسات البطالة عليهم من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن محافظة جنين هي الأكثر تهميشاً في مجال توظيف الخريجين كما توصلت نتائج الدراسة إلى أن معظم الخريجين العاطلين عن العمل كانت معدلاتهم متوسطة وليسوا من أصحاب المعدلات العالية، كما توصلت إلى غياب العدالة في التوظيف حيث لا يتم تعيين الموظفين في المؤسسات العامة بناء على الخبرة والكفاءة.

دراسة البريفكاني وآخرون (2010): هدفت الدراسة إلى تحديد وتشخيص أسباب عدم إمكانية حصول الخريج على فرصة عمل مناسبة، كما هدفت إلى التعرف على نوع البطالة التي يتعرض لها هؤلاء، وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن النسبة الأكبر من العاطلين البالغة (77%) يعود السبب فيها إلى تخلف القطاعات الاقتصادية؛ مما يسبب عدم قدرة هذه القطاعات على استيعاب ما هو موجود في سوق العمل، كما توصلت نتائج الدراسة إلى أن وجود فرصة عمل لا يعني ذلك حصول الشخص المتعطل عن العمل على هذه الفرصة ولكن لا بد من أن تكون الفرصة مناسبة له من ناحية الأجر، ومن الناحية الاجتماعية.

3- التعليق على الدراسات السابقة:

من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة ومراجعتها فقد تبين للباحثين بأن العديد من الدراسات ناقشت العمل عن بعد، كما ناقشت البطالة بين صفوف خريجي الجامعات، ولكن من الملاحظ وحسب علم الباحثين فإنه لم يتم مناقشة العمل عن بعد وأثره على مستوى البطالة في قطاع غزة وليبيا، ومن تتميز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات التي أجريت في ذات السياق.

سابعاً: ادوات الدراسة: عمل الباحثان على الوصول إلى المعلومات اللازمة للدراسة من خلال مراجعة المصادر الثانوية مثل الكتب والمجلات والدراسات السابقة، ومن خلال المصادر الأولية مثل المقابلات مع بعض العاملين عن بعد، وبعض الخبراء الاقتصاديين.

ثامناً: منهجية الدراسة: استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليل الذي يتناسب مع طبيعة هذه الدراسة.

تاسعاً: الاطار النظري للدراسة:

تعريف العمل عن بعد:

تعددت التعريفات للعمل عن بعد ولكنها تجمع بين طياتها انفصال العامل عن مكان العمل، واستخدام التكنولوجيا الحديثة في العمل، وفيما يلي بعض هذه التعريفات:

هو نوعية الأعمال التي يتم انجازها باستخدام وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المعاصرة، وما توفره هذه الأدوات من خدمة تسهيل العمل وتنفيذه بدون وجود الموظف في مكان العمل (الزومان وآخرون، 2004: 58).

كما عرّفته أبو ماضي (2015: 10) بأنه انجاز عمل ما من موقع بعيد عن مكان العمل الأساسي أو المؤسسة باستخدام التكنولوجيا مثل الحاسوب، والشبكة العنكبوتية أو الأجهزة الذكية.

كما عرّفه نجم (2018: 23) بأنه إمكانية إنجاز المهمات المطلوبة من الموظف من مكان بعيد عن مقر المؤسسة، سواء كانت طبيعة العمل ذات دوام كلي أو جزئي، حيث يتم العمل بطريقة الكترونية باستخدام وسائل التكنولوجيا والاتصالات الحديثة.

كما عرّفته منظمة العمل الدولية بأنه نظام عمل قائم في مكان بعيد عن المكتب الرئيسي أو موقع الانتاج، ويكون العامل في هذه الحالة منفصلاً عن الاتصال الشخصي بزملائه في العمل مستخدماً التكنولوجيا المعاصرة في انفصال العامل عن مكان عمله الرئيسي من خلال تسهيل عملية الاتصال (عسكر، 2014: 91).

أما الخطيب (2012: 13) فقد عرّفته بأنه نظام يتم بموجبه منح الموظفين قدراً أكبر من الحرية في كيفية برمجة ساعات عملهم التقليدية المعيارية بأسلوب يمكنهم من القيام بالالتزامات المكلفين بها.

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن القول بأن العمل عن بعد هو إنجاز مهمات محددة من قبل موظف أو عامل في مكان بعيد عن مكان العمل الرسمي باستخدام ادوات التكنولوجيا والاتصالات المعاصرة.

أنواع العمل عن بعد:

يشمل العمل عن بعد كافة المستويات الوظيفية في المؤسسة سواء في مجال القطاع الخاص أو القطاع العام، ويعتبر العمل عن بعد او الحلول التي يمكن مواجهة البطالة من خلالها، كما أن العمل عن بعد يعتبر متنفساً للطلبة الخريجين الذين يعانون من أزمة البطالة، وفيما يلي أنواع العمل عن بعد (نجم، 2018: 29):

1- العمل عن بعد من المنزل: حيث يتصف هذا النوع بالمرونة وقلة التكلفة بالنسبة للمؤسسة المشغّلة، ويتحمل العامل عن بعد تكلفة توفير جهاز الحاسوب والانترنت.

2- العمل عن بعد المتجول: حيث يقوم العامل بإنجاز المهام الموكلة إليه في المنزل، أو في السيارة، أو في الطائرة أثناء السفر.

3- العمل عن بعد المركزة: حيث يتم انجاز العمل من مكاتب هؤلاء الأفراد بعيداً عن مكان العمل.

4- العمل عن بعد بدوام كامل: حيث تم انجاز المهام الموكلة للأشخاص خارج مكان العمل من خلال ربطهم بخادم (Server) مع المكتب الرئيس وهذا يؤثر على خفض التكاليف من قبل المؤسسة.

5- العمل عن بعد بدوام جزئي: حيث يخصص الموظف جزءاً من وقته يوم أو ساعات محددة في الأسبوع ومن إيجابيات هذا النوع من العمل توفير المساحات في مكاتب العمل.

6- العمل عن بعد بالطلب: ويكون هذا النوع من العمل بصورة منتظمة، ويتم الاستعانة بالموظف البديل لإنجاز أمر معين خلال فترة زمنية محددة وذلك بسبب وجود أمر طارئ.

أهداف العمل عن بعد:

توجد العديد من الأهداف للعمل عن بعد وهي وقد أوردت الهيئة الاتحادية للموارد البشرية الحكومية (2020: 4) عدة أهداف وهي على النحو التالي:

1- توفير خيارات عمل متعددة للموظفين وخاصة في حالات الطوارئ وانتشار الأوبئة والاجراءات الاحترازية.

2- مراعاة ظروف الموظفين وضمان الاستمرارية في العمل تحت مختلف الظروف خاصة وقت الطوارئ.

3- تقديم الخدمات الحكومية في ظل الظروف الطارئة.

أبعاد العمل عن بعد:

توجد ثلاثة أبعاد رئيسية للعمل عن بعد وهي (الخطيب، 2021: 25-29):

1- البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات وتشمل اجهزة الحاسوب والكاميرات والسماعات ولوحات المفاتيح والبرمجيات، ويعد هذا البعد من أهم أبعاد العمل عن بعد.

2- التوازن النفسي والاجتماعي: حيث يتم تحقيق التوازن في حياة العامل الوظيفية والشخصية، كما أنه من المعلوم أن من أكبر المشاكل التي تواجه العامل وصاحب العمل هي مسألة التوازن النفسي والاجتماعي.

3- مرونة ساعات العمل: ويتم ذلك من خلال قيام المؤسسة بترتيب ساعات دوام موظفيها بطريقة تحقق المرونة في العمل ويمكن للعامل أن يؤدي ساعات عمله المطلوبة منه إما من خلال ساعات محددة في الاسبوع، أو العمل لأيام بالكامل أو العمل بشكل جزئي، وكل ذلك لتحقيق مصلحة الموظف والمؤسسة في ذات الوقت.

فوائد العمل عن بعد:

يحقق العمل عن بعد العديد من الفوائد والايجابيات وهي على النحو التالي (نجم، 2018: 24):

1- التركيز في العمل.

2- التخفيف من ضغوط العمل.

3- توفير الوقت.

4- مهارات وظيفية عالية.

5- توفير الجهد والمال.

6- توفير الطاقة المستهلكة في المواصلات والتنقل من مكان السكن إلى مكان العمل.

7- تقليل نسبة البطالة وتكافؤ فرص العمل.

تجارب في مجال العمل بعد:

هناك العديد من المشاريع التي اقيمت وأثبتت جدارتها في مجال العمل عن بعد، فهناك مشروع باسم "شركة هوية" وآخر باسم "شركة سمارت"، وهناك منصة العمل الحر للمستقلين في العالم العربي، وموقع كورة، وشركة خمسات (أبو ماضي، 2015: 51-58).

مجالات العمل عن بعد:

تتعدد أشكال العمل عن بعد فمنها الترجمة، والبرمجيات، والأعمال المحاسبية والمالية، وتصميم ومواقع الانترنت، وأعمال الدعاية والإعلان، والطباعة، والترجمة والكثير من الأعمال الأخرى (الزومان وآخرون، 2004: 61)، وفي ظل التطورات العالمية في مجال الاتصالات حيث اصبحت تكلفة الاتصال مع دولة أخرى نفس تكلفة الاتصال داخل المدينة الواحدة، مما يزيد من مجالات العمل عن بعد وتطويرها.

البطالة في قطاع غزة وليبيا:

مفهوم البطالة وتعريفها:

تعتبر مشكلة البطالة التي انتشرت في أغلب دول العالم وخاصة في الآونة الاخيرة من المؤشرات المهمة على مستوى الاقتصاد الكلى, واصبحت التغيرات في معدلات البطالة الشغل الشاغل لدى وسائل الإعلام في عناوينها الرئيسية، حيث يزداد الاهتمام بهذا المعدل كأحد أهم المؤشرات على الأداء الاقتصادي، وتعتبر البيانات المتعلقة بالعمالة والبطالة من أهم البيانات الاقتصادية التي تهتم بها كافة الدول، وتوفر لها الإمكانيات والأجهزة المتخصصة لجمعها وتنسيقها، فمعدل البطالة يعتبر مؤشراً واضحاً ورئيسياً لحالة الاقتصاد (نجا، 2005 ، 10).

ويعاني قطاع غزة وليبيا من مشكلة البطالة كبقية مناطق العالم العربي، فقد بلغت نسبة البطالة في قطاع غزة (45.1%)، وفي ليبيا بلغت (19.0%)، وهذه من النسب العالية، وتتطلب جهداً كبيراً لمعالجة السلبيات الناتجة عنها.

مفهوم البطالة وأنواعها:

وفقاً للمفهوم العام السائد فإن البطالة تعني عدم تقاضى الموظن مرتباً، حيث تقترن مع المرتب ولا تتعلق بالإنتاج والعمل خلال فترة زمنية معينة عند مستويات المرتبات السائدة، وبالتالي فإن حجم البطالة هو عبارة عن الفرق بين عرض العمل، والطلب عليه في سوق العمل، وذلك عند مستوى معين من المرتبات (نجا، 2005 ، 31)، كما عرّفها الشيخ حسين (2007) بأنها الوضع الذي لا يستعمل المجتمع قوة العمل المتوفرة لديه استعمالاً كاملاً، أو بالطريقة المثلى، مما يؤثر على الناتج القومي بشكل سلبي (البغدادي، 2014: 44).

كما يمكن تصنيف الشخص ضمن إطار البطالة إن لم يكن موظفاً، وسبق أن بحث عن وظيفة خلال مدة 4 أسابيع سابقة، كما يكون جاهزاً للالتحاق بأي فرصة عمل إن وجدت، ولا بد للشخص أن يتخذ خطوات فعلية للحصول على فرصة العمل (Samuelson & Nordhaus, 2010: 595).

من خلال التعريفات السابقة للبطالة يتطلب أن تتوافر ثلاثة معايير لكي يعد الفرد عاطلا عن العمل خلال فترة البحث وهي :

1- أن يكون الفرد بدون عمل، سواء أكان العمل بأجر لحساب الغير، أو العمل الذاتي لحساب نفسه.

2- أن يكون الفرد متاحا للعمل وقادرا عليه.

3- أن يكون الفرد باحثا بشكل جدي عن العمل.

كما أن وضع المعايير التي سبق أن تم ذكرها هي محاولة لوضع الأساس لتعريف محدد وشامل للبطالة، على أن يكون هذا التعريف قابلاً للتطبيق في دول العالم، كما يمكن من خلاله قياس معدلات البطالة، مما يسهل المقارنة بين الدول من حيث مستوى البطالة (نجا، 2005: 7-5).

ومن الملاحظ أن المفهوم سالف الذكر وبالرغم من كثرة استخدامه، إلا أنه توجه له العديد من الانتقادات وهي على النحو التالي (عطية ومقلد، 2005: 225):

1. لا تدخل البطالة المقنعة والبطالة الجزئية في إطار هذا المفهوم.
2. هذا المفهوم لا يربط بين العمل وإنتاجيته.
3. لا يعتبر الأشخاص الذين توقفوا عن البحث عن العمل بسبب اليأس ضمن هذا المفهوم، وهو ما يطلق عليه البطالة المحبطة، وأسماؤهم لا تكون ضمن السجلات التابعة لمراكز العمل.

ووفقاً لتعرّف منظّمة العمل الدوليّة (ILO) فإن البطالة تعرّف على أنّها: حالة الفرد القادر، والراغب، والباحث عن العمل دون جدوى في العثور على الفرصة المناسبة والأجر المطلوب.

وعرفت أيضاً بأنها الحالة التي لا يتم فيها استخدام قوة العمل في المجتمع استخداما كاملا، وهو ما يعنى بقاء جزء من قوة العمل معطلاً مما يجعل الناتج الفعلي أقل من الناتج الممكن أو المحتمل أو الطبيعي. وهو ما يؤدى إلى تدنى مستوى الرفاهية في المجتمع عن المستوى الذي يمكن الوصول إليه(خليل، 1994 ، 59). ويميز هذا المفهوم بين بعدين للبطالة، البعد الأول: ويتمثل في الاستخدام الغير كامل لقوة العمل في المجتمع، وهذا البعد يشمل كلا من البطالة الكاملة، والبطالة الجزئية، أما البعد الثاني: فهو يتمثل في الاستخدام الغير الأمثل لقوة العمل، وهي استخدام الفرد في عمل تكون إنتاجيته في هذا العمل منخفضة، والتي تتمثل في انخفاض الإنتاجية المتوسطة لقوة العمل، وهذا البعد يمثل البطالة القاهرة, والبطالة المقنعة.(عطية ومقلد، 2005 ، 228)

ومن منطلق هذا التعريف نجد أن البطالة في ليبيا لها أنواع عدة (مُحَمَّد مؤمن في 17 2019)، فمنها:

1- البطالة الكاملة: وهي التوقّف الكامل عن العمل، وعدم وجود فرص لمزاولة الأنشطة العمّالية. هذا النوع من البطالة، والعامل الأبرز في تحديدها هو "الرغبة" بمعنى أنّ الشخص يرغب في العمل ويبحث عنه ولكنه لم يجده.

2- البطالة الجزئية: وهي توقف العامل عن العمل بعد أداء عمله سواء كان عمله بدوام جزئي أو تناوبيّ. وهذا النوع تحدّده "القدرة" بمعنى أنّ العامل بإمكانه العمل لفترات أطول، ولكن نطاق العمل متشبّع أو محدود، فلا يطلب منه إلا عملا جزئيا.

3- البطالة القاهرة: وهي الناجمة عن خروج الشركات العالمية من البلاد مما أدّى إلى توقف العامل عن العمل بسبب الأوضاع الأمنية، وانهيار عجلة الاقتصاد والتنمية في البلاد. هذا النوع يجد العامل فيه نفسه خارج سوق العمل بين عشيّة وضُحاها، مرغما على البطالة دون رغبة منه.

4. **البطالة المقنّعة:** وهي تعني زيادة عدد العاملين عن الحاجة الفعليّة في سوق العمل، ممّا يسبّب وجود فائض عمّالي لدى الجهات العامة، وهذا النوع من البطالة يطغى على الأنواع السابقة، فنكاد لا نرى جهة عامّة سواء في مؤسسات القطاع العام أو المنظمات الحكومية إلا ولها ملاك وظيفي بالآلاف. ويُقاس عليه، أولئك الذين يتقاضون مرتّبا وهم لا يذهبون إلى عملهم ولا يقدّمون أيّ إنتاج في أعمالهم. هذا النوع من البطالة يؤدّي إلى زيادة الأعباء والتكاليف الإدارية على المؤسّسة المشغّلة للعاملين، ممّا ينتج تدنّيا في المستوى الإنتاجي يصحبه ضعف في الكفاءة وتدريب العاملين، وهذا بدوره يؤدي إلى هجرة الكفاءات والعقول لعدم توفير الاحتياجات النفسية والمادية والاجتماعية لهم، فنكون بصدد منظمة يطغى عليها الفساد والمحاباة والواسطة.

أسباب البطالة:

أن لكل مجتمع خصوصيّاته التي تؤثر على أسباب البطالة مثلها مثل أي ظاهرة أخرى, لذا فأن قياس البطالة يكون أكثر صعوبة في الدول النامية عنه في الدول المتقدمة نتيجة للأسباب التالية:(نجا، 2005: 10-12، مالكوم وآخرون، 1995: 318- 320، مُحَمَّد مؤمن, 2019: 3-4)

1- عدم توفر البيانات الصحيحة والسليمة لدى الجهات والأجهزة التي تقوم بجمع بيانات الاستخدام، والبطالة في البلدان النامية.

2- وجود ما يسمى بالاقتصاد الخفي، والذي يكون أكبر حجما في الدول النامية، وأنشطة هذا الاقتصاد لا تدخل في الإحصاءات الرسمية.

3- التوقف عن تعيين حملة الشهادات, وشغل العامل في غير تخصّصه.

4- عدم العدالة في قيمة المرتبات لدى الجهات الحكومية، والانتقاء الصعب وعامل الخبرة.

5- تتميز أسواق العمل في الدول النامية بوجود قطاع حضري غير منظم، يشمل المؤسسات الصغيرة، والورش والمحلات المختلفة، والحرفيين وغيرهم، وهذا القطاع لا تتوفر عنه بيانات دقيقة.

6- التقويم الخاطئ لحاجيات السوق من اليد العاملة المؤهلة.

7- التوسع الكمي في حملة الشهادات العليا.

8- الحروب والصراعات في السنوات الأخيرة.

9- لا توجد في هذه البلدان برامج التأمين ضد البطالة والإعانات الاجتماعية الشائعة في الدول المتقدمة, والتي تحفز الأفراد للتسجيل في مراكز البحث عن العمل، وبالتالي يظل الكثير من الأفراد العاطلين عن العمل غير مسجلين.

10- السّياسة الاقتصادية في البلاد، فهي تعتمد بشكل كبير على الاستيراد دون التصدير, مما أدى إلى ضعف الطلب الخارجي على اليد العاملة المؤهلة.

واقع البطالة في ليبيا:

تعتبر دولة ليبيا كغيرها من الدول التي زادت فيها نسبة البطالة في السنوات الأخيرة, على الغم من أتباع الدولة سياسة التعيين للعمالة المحلية , حيث وصل عدد العاطلين عن العمل إلى (358.3) ألف فرداً موزعين بين (196.2) ألف ذكور وبنسبة

(54.8%), و(162.2) ألف إناث وبنسبة (45.2%), على مستوى البلاد، وهؤلاء من مجموع السكان الذين أعمارهم تزيد عن (15) سنة، وهم الذين يطلق عليهم المواطنين في سن العمل أو الناشطين اقتصادياً أي القادرين على العمل والراغبون فيه ويبحثون عنه, ويتم تصنيفهم إلى فئتين هما:

1. المشتغلون: وهم الذين يشاركون مشاركة فعلية في إنتاج السلع والخدمات في الاقتصاد الوطني الذين يعملون خلال اسبوع سواء كانوا يعملون لدي الغير أو لحسابهم أو لدي الاسرة بأجر أو بدون أجر ولو عملوا ساعة واحدة ، وتشمل هذه الفئة أولئك الذين لديهم عمل ولكن لم يمارسوه بصورة مؤقتة خلال اسبوع الإسناد (بسبب تواجدهم في إجازة على سبيل المثال) والموفدون في دورات تدريبية أو مهام عمل من جهة عملهم.
2. الباحثون عن عمل : وهم الذين لديهم الرغبة والقدرة على العمل ويبحثون عنه خلال الأسبوع الأخير المنتهي بيوم الزيارة وقاموا بخطوات جادة في سبيل البحث عن عمل ولكن لم يجدوه ولا ينتظروا البدء في عمل تم الوعد الجاد به (باحثون عن العمل أول مرة , والباحثون عن عمل سبق لهم العمل).

بينما فئة اير العاملين اقتصادياً يقصد بهم باقي السكان في سن العمل الذين لا يزاولون أي نشاط ولا يبحثون عنه وغير راغبين فيه وتشمل (طلبة متفرعون للدراسة, ربات البيوت المتفرغين لأعمال المنزل, متقاعدون).

أ- البطالة حسب المناطق:

جدول (1) البطالة ومعدلات البطالة حسب المناطق والجنس

المناطق	التوزيع	العددي	المجموع	معدلات	البطالة	المجموع
	ذكور	إناث		ذكور	إناث	
طبرق	7.4	5.1	12.5	19.7	26.9	22.1
درنة	1.5	2.9	4.4	4.6	12.0	7.6
الجبل الأخضر	3.1	6.7	9.9	8.0	23.0	14.4
المرج	8.6	13.0	21.6	20.2	48.3	31.1
بنغازي	16.3	11.5	27.9	11.5	21.2	14.2
الواحات	6.8	6.1	13.0	17.5	36.0	23.2
الكفرة	0.5	0.3	0.8	5.4	5.7	5.5
سرت	3.4	2.6	6.1	12.9	24.6	16.3
الجفرة	2.1	1.0	3.1	17.4	11.1	14.6
مصراته	21.4	4.1	25.5	18.9	14.7	18.1
المرقب	16.4	12.5	28.8	16.8	35.5	21.8

المناطق	التوزيع	العددي	المجموع	معدلات	البطالة	المجموع
	ذكور	إناث		ذكور	إناث	
طرابلس	33.7	25.1	58.8	13.9	23.8	16.9
الجفارة	20.0	14.6	34.6	20.5	22.6	21.3
الزاوية	9.6	12.0	21.6	14.9	27.4	19.9
النقاط الخمس	10.2	9.8	19.9	15.7	19.5	17.4
الجبل الغربي	19.0	14.2	33.2	26.0	32.5	28.5
نالوت	3.2	4.1	7.3	15.3	24.7	19.4
سبها	4.8	4.6	9.5	20.2	29.0	23.7
وادي الشاطي	2.4	3.7	6.1	14.7	23.5	19.0
مرزق	2.4	3.1	5.5	14.0	22.3	14.8
وادي الحياة	2.5	3.3	5.8	13.4	23.5	17.8
غات	0.7	1.7	2.4	14.1	40.6	25.6
ليبيا	196.2	162.1	358.3	15.8	25.0	19.0

من الجدول السابق يتضح ان توزيع العاطلين عن العمل ساهم في معرفة المناطق الأكثر معاناة من ظاهرة البطالة، كذلك مستويات البطالة حسب العمر, كما ساعد في معرفة مستويات التوظيف للموظفين بكل منطقة, واتضح أيضاً أن معدلات البطالة مرتفعة جداً وتزيد عن المستوى المقبول وفقاً للمعايير الدولية, وكان اقل معدل للبطالة في منطقة الكفرة بنسبة (5.5%), بينما كان أعلى معدل في منطقة الجفارة بنسبة وصلت إلى (31.7%).

أ- ترتيب المناطق حسب معدلات البطالة:

جدول (2) ترتيب المناطق حسب معدلات البطالة لكل من الذكور والإناث

ذكور		إناث		المجموع	المعدل
المنطقة	المعدل	المنطقة	المعدل	المنطقة	
درنة	4.6	الكفرة	5.7	الكفرة	5.5
الكفرة	5.4	الجفرة	11.1	درنة	7.6
الجبل الأخضر	8.0	درنة	12.0	بنغازي	14.2
بنغازي	11.5	مصراته	14.7	الجبل الأخضر	14.4
سرت	12.9	الناط الخمس	19.5	الجفرة	14.6

ذكور	إناث	إناث	المجموع	المعدل
المنطقة	المعدل	المنطقة	المعدل	المنطقة
وادي الحياة	13.4	بنغازي	12.2	سرت	16.3
طرابلس	13.9	مرزق	22.3	طرابلس	16.9
مرزق	14.0	الجفارة	22.6	النقاط الخمس	17.4
غات	14.1	الجبل الأخضر	23.0	مرزق	17.8
وادي الشاطي	14.7	وادي الشاطي	23.5	وادي الحياة	17.8
الزاوية	14.9	وادي الحياة	23.5	مصراته	18.1
نالوت	15.3	طرابلس	23.8	وادي الشاطي	19.0
النقاط الخمس	15.7	سرت	24.6	نالوت	19.4
المرقب	16.8	نالوت	24.7	الزاوية	19.9
الجفرة	17.4	طبرق	26.9	الجفارة	21.3
الواحات	17.5	الزاوية	27.4	المرقب	21.8
مصراته	18.9	سبها	29.0	طبرق	22.1
طبرق	19.7	الجبل الأخضر	32.5	الواحات	23.2
المرج	20.2	المرقب	35.5	سبها	23.7
سبها	20.2	الواحات	36.0	غات	25.6
الجفارة	20.5	غات	40.6	الجبل الغربي	28.5
الجبل الغربي	26.0	المرج	48.3	المرج	31.1
ليبيا	15.8	ليبيا	25	ليبيا	19.0

من الجدول السابق يتضح أن منطقة درنة جاءت في المرتبة الأولى من حيث أدنى معدل للبطالة بنسبة قدرها(4.6%), بينما سجلت منطقة الجبل الغربي اعلى معدل للبطالة بنسبة (26%)، هذا بالنسبة للذكور، أما فيما يخص الإناث فقد سجلت منطقة الكفرة أقل معدل للبطالة بنسبة(5.7%), بينما سجلت منطقة المرج أعلى معدل لبطالة بنسبة قدرها(31.3%).

ج- البطالة حسب فئات العمر والجنس

جدول(3) معدلات البطالة حسب فئات العمر والجنس

فئات العمر	العاملين	اقتصاديا	(عرض العمل)	الباحثون	عن	العمل	معدلات	البطالة	
	ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع
24-15	138.9	56.6	195.5	56.7	38.4	95.1	40.8	67.8	48.6
34-25	421.4	268.1	689.5	100.4	87.9	188.3	23.8	3.8	27.3
44-35	366.6	223.1	589.7	30.1	25.8	55.9	8.2	11.6	9.5
54-45	221.8	87.0	308.8	7.7	8.4	16.1	3.5	9.7	5.2
64-55	78.5	11.5	90.0	1.1	1.4	2.5	1.4	12.2	2.8
65+	8.4	0.5	8.9	0.2	0.2	0.4	2.4	40.0	4.5

يتضح من الجدول السابق أن معدلات البطالة جاءت مرتفعة جداً عند الفئات الصغيرة (15-34سنة), حيث بلغت للفئة (15-24سنة) حوالي (48.6%) للجنسين معاً، أما الفئة العمرية(25-34سنة) فقد سجل معدل البطالة ما نسبته (27.3%) للذكور والإناث, وهذه النسبة تعتبر مرتفعة إذا ما تم مقارنتها بما يوفره هذا الاقتصاد من فرص عمل منتجة لغير الليبيين, ويدل ذلك على ضعف الإعداد والتأهيل وعزف الشباب الليبي لامتهان بعض الوظائف الحرفية واليدوية, واتجاههم للوظيفة العامة مما زاد في معدلات البطالة المقنعة.

د- البطالة حسب فترة الانتظار:

جدول (4) التوزيع العددي للعاطلين عن العمل حسب مدة التعطل وفئات العمر

فئات	الفترات				بالشهر		
العمر	0-6	7-12	1-2	2-3	3+	غير مبين	المجموع
15-24	4.5	6.7	17.5	32.0	34.2	0.3	95.2
25-34	4.4	5.4	14.4	36.9	126.3	0.9	188.3
35-44	0.3	2.6	3.0	6.7	43.0	0.2	55.8
45-54	0.1	0.6	1.6	2.8	10.8	0	16.0
55-64	0.0	0.1	0.6	0.4	1.3	0	2.6
65+	0.1	0	0	0	0.3	0	0.4
المجموع	9.5	15.4	37.2	78.8	215.9	1.4	358.3

جدول (5) التوزيع النسبي للعاطلين عن العمل حسب مدة التعطيل وفئات العمر

فئات	الفترات				بالشهر		
العمر	0-6	7-12	1-2	2-3	3+	غير مبين	المجموع
15-24	4.8	7.6	18.4	33.6	35.9	0.3	26.6
25-34	2.3	2.8	7.7	19.6	67.1	0.5	52.6
35-44	0.5	4.6	5.4	12.0	77.0	0.4	15.6
45-54	0.5	4.1	10.0	17.8	67.6	0	4.5
55-64	1.8	4.7	24.9	16.9	51.6	0	0.7
65+	30.4	0	0	0	69.6	0	0.1
المجموع	9.5	15.4	37.2	78.8	60.3	0.4	100.0

من الجدولين (4 - 5) يتضح أن ما نسبته (89.2%) من الباحثين عن عمل هم فئة الأعمار (15-34) أي فئة الشباب, ويدل ذلك عاى أن الشباب أكثر فئة تعرضاً لظاهرة البطالة، وهؤلاء يكاد يكون معظمهم من الخرجين من المؤسسات التعليمية والتدريبية مع نسبة من المنقطين عن التعليم إضافة إلى نسبة صغيرة اضطرتهم ظروفهم المعيشية للبحث عن عمل.

هـ- البطالة والحالة التعليمية:

جدول (6) المشتغلون والباحثون عن عمل ومعدلات البطالة حسب الحالة التعليمية

الحالة التعليمية	العاملين اقتصاديا	الباحثون عن عمل	معدل البطالة
أمي	30.5	8.3	27.4
يقرأ ويكتب	42.0	10.8	25.6
ابتدائية	169.0	35.0	20.7
اعدادية أو ما يعادلها	293.4	65.6	22.4
الثانوية أو ما يعادلها	672.8	118.6	17.6
فوق الثاوية وما دون الجامعة	207.4	33.2	16.0
جامعية	467.3	86.9	18.8
المجموع	1882.4	358.3	19.0

من الجدول السابق يتضح أن الحالة التعليمية التي تعاني أكثر من غيرها من ظاهرة البطالة هي المستويات الأدنى تحصيلاً, وهذا مؤشر مهم جداً لتأكيد أن التحصيل العلمي كلما أرتفع كلما كان له حظوظ أفضل في الحصول على فرص العمل، كما نلاحظ أن الحاصلين على مستوى فوق الثانوي ودون الجامعي هم الأقل تأثيراً بظاهرة البطالة، وهذا يعتبر مؤشر مهم يشير إلى أن الطلب على خريجي التعليم المهني والتقني هو الأكثر انتعاشاً في سوق العمل الوطنية.

واقع البطالة في فلسطين:

بلغت نسبة البطالة في فلسطين عام (2020) (25.9%) بواقع (22.5%) بين الذكور، وبنسبة (40.1%) بين الإناث، وقد تركزت أعلى نسبة للبطالة بين الشباب في الفئة العمري (15-24) سنة لكلا الجنسين؛ حيث بلغت النسبة (42.1%)، بواقع (36.6%) للذكور، و(70.0%) للإناث، أما على صعيد المناطق فقد بلغت نسبة البطالة في الضفة الغربية (15.7%) بواقع (13.2%) بين الذكور و(27.0%) بين الإناث، كما تركزت نسبة البطالة بين الشباب في الفئة العمرية (15-24) سنة لكلا الجنسين، حيث بلغت (28.1%)، بواقع (23.6%) بين الذكور، ونسبة (54.9%) بين الإناث (الجهاز المركزي الفلسطيني، 2021: 33-34).

جدول () يبين توزيع البطالة حسب المحافظات في فلسطين

الضفة الغربية	نسبة البطالة	قطاع غزة	نسبة البطالة
جنين	21.3	شمال غزة	42.3
طوباس والاغوار الشمالية	11.1	غزة	40.9
طولكرم	12.7	دير البلح	51.7
نابلس	14.8	خانيونس	49.2
قلقيلية	7.4	رفح	74.8
سلفيت	16.4		
رام الله والبيرة	9.5		
أريحا والأغوار	12.3		

الضفة الغربية	نسبة البطالة	قطاع غزة	نسبة البطالة
القدس	6.8		
بيت لحم	22.9		
الخليل	16.5		
النسبة الكلية	%14.6	النسبة الكلية	%45.1

المصدر: الجهاز المركزي الفلسطيني، 2021، 76

البطالة في قطاع غزة:

من خلال مراجعة نتائج المسح التي أجراها الجهاز الإحصائي الفلسطيني تبين أن أعلى نسبة للبطالة كانت بين الخريجين الحاصلين على مؤهل علمي بكالوريوس فما فوق، وقد بلغت نسبة البطالة في صفوف لحاصلين على المرحلة الأساسية (42.9%) بين الخريجين الحاصلين على الدبلوم المتوسط، وقد بين المسح وجود فروقات بين الذكور والاناث، حيث إن نسبة البطالة بين الذكور الحاصلين على درجة البكالوريوس أقل من نسبة البطالة بين الإناث من ذات الصفة (شمعة، 2017: 35)، ومع استمرار الحصار لقطاع غزة فقد ازدادت نسبة البطالة حتى وصلت إلى نسبة (45.1%) (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2021: 76)، وهي نسبة عالية.

وفي ظل الحصار المفروض على قطاع غزة والذي استمر لمدة تزيد عن (15) عاماً، فإن نسبة البطالة تزداد في المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة بشكل عام، وفي صفوف الخريجين بشكل خاص، وقد بلغت نسبة البطالة في صفوف الخريجين في الضفة الغربية (43.2%) وفي قطاع غزة بلغت (75.32%) (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2019، تقارير غير منشورة)، كما بلغ عدد الطلاب الخريجين في مؤسسات التعليم العالي في قطاع غزة للعام (2015 – 2016) (21,508) طالباً وطالبةً، منهم (11,601) طالباً، و(9,907) طالبةً موزعين على كافة مراحل التعليم العالي (شمعة، 2017: 40).

أهمية الربط بين التعليم وسوق العمل:

أصبح من الضروري أن يتم مواجهة مشكلة البطالة التي تواجه الخريجين بشكل عام، وفي قطاع غزة بشكل خاص، كما لا بد من تأهيل الكوادر البشرية وتطويرها بما يتناسب مع سوق العمل، كما لا بد من الربط بين الجوانب النظرية والجوانب العملية، وصقل تجارب الخريجين بما يتناسب مع متطلبات سوق العمل (حبيب، 2007: 26).

ويرى الباحثان أن تركز الجامعات ومؤسسات التعليم العالي على تطوير كفاءة الخريجين في العمل عن بعد من خلال التركيز على التقنيات اللازمة للعمل، كما يرى الباحثان أهمية تركيز مؤسسات التعليم العالي على اكساب الطالب الخريج مهارات التعامل مع متطلبات العمل عن بعد. كذلك لابد للجهات المسؤولة من تطوير شبكات الانترنت لتتناسب مع متطلبات العمل عن بعد.

عاشراً: مناقشة النتائج وفرضيات الدراسة:

من خلال المقابلات التي قام الباحثان بإجرائها مع عدد من موظفي مصلحة الإحصاء والتعداد، وكذلك بعض موظفي وزارة العمل والتشغيل، تم الحصول على المعلومات والبيانات التي تم الاستفادة منها في هذا البحث، وبعد مراجعة المقابلات التي تمت مع

العاملين عن بعد سواء كانوا في ليبيا أو في قطاع غزة، والمقابلات التي تم إجراؤها مع الخبراء الاقتصاديين، فقد كانت نتائج الدراسة على النحو التالي:

أ- مناقشة فرضيات الدراسة:

تبين من خلال الدراسة، وفحص الفرضيات ما يلي:

1- يوجد أثر إيجابي للعمل عن بعد على نسبة البطالة في قطاع غزة وليبيا، وهذا يتفق مع آراء العديد من العاملين عن بعد أثناء إجراء المقابلات معهم، كما يتفق مع دراسة نجم (2018) التي أفادت بأن العمل عن بعد يعتبر بديلاً اقتصادياً ناجحاً للأفراد، وقد يساعد على التخفيف من نسب البطالة في المجتمع.

2- يوجد عوائق أمام انتشار العمل عن بعد في قطاع غزة وليبيا، من خلال نتائج المقابلات التي أجريت مع العاملين عن بعد تبين وجود عوائق أمام انتشار نظام العمل عن بعد، ويتفق هذا مع دراسة

3- تساعد المؤسسات المالية في تسهيل التدفقات النقدية إلى قطاع غزة وليبيا، بخصوص هذه الفرضية، فإن قطاع غزة يعاني من حصار دام فترة تزيد على (15) عاماً، وهناك اجراءات تقوم بها البنوك تفرضها سلطة النقد الفلسطينية، واجراءات "إسرائيل" على البنوك الفلسطينية، مما يعيق دخول الاموال إلى قطاع غزة، وتبين اتفاق جميع العاملين عن بعد الذين تمت مقابلتهم حول هذه النقطة.

ب-العمل عن بعد في قطاع غزة:

1- توصلت نتائج الدراسة إلى أن العمل عن بعد يوفر فرصاً للخريجين، وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة دراسة نجم (2018) حيث وفّر العمل عن بعد فرصاً للخريجين للعمل، كما تتفق هذه النتيجة مع آراء الذين تمت مقابلتهم من العاملين عن بعد.

2- تبين وجود عقبات في طريق وصول الأموال للعاملين عن بعد بسبب القيود المفروضة على دخول الأموال إلى قطاع غزة بسبب الحصار المفروض عليه، ويتبين ذلك من خلال القيود التي تفرضها المؤسسات المالية الفلسطينية، حيث إن بعض المؤسسات المالية تعيق دخول الأموال للجمعيات الخيرية، وفي نفس الوقت تعيق اجراءات دخول الأموال للعاملين عن بعد، كما يتفق ذلك مع رأي العديد ممن تم اجراء المقابلات معهم.

3- توصلت نتائج الدراسة إلى أن من المشاكل التي تواجه العاملين عن بعد حفظ الحقوق، وانهاء العقود بدون سابق إنذار من المشغلين، بالإضافة لضعف شبكة الانترنت في قطاع غزة، وانقطاع التيار الكهربائي، وصعوبة تحويل الأموال إلى قطاع غزة بسبب الحصار، وتتفق نتائج هذه الدراسة مع دراسة (أبو ماضي، 2015) نظراً لانقطاع التيار الكهربائي لمدة (8)، وما يشكله هذا من عبئ على العاملين عن بعد، كما أن ضعف شبكة الانترنت يمثل مشكلة أخرى للعاملين عن بعد.

4- توصلت نتائج الدراسة إلى أن البنوك في قطاع غزة لا تساعد على تحويل الأموال إلى العاملين عن بعد، وتضع العراقيل في طريق ذلك، وتبين ذلك من خلال المقابلات التي أجراها الباحثان مع العاملين عن بعد، كما أن الملاحظات الشخصية التي حصل عليها الباحثان تتفق مع نتائج هذه الدراسة.

5- تبين أن العمل عن بعد يعتبر نافذة لمواجهة الحصار على قطاع غزة، ولكن يتطلب ذلك تذليل العقبات من طريق تحويل العملة إلى قطاع غزة، وتتفق هذه النتيجة مع رأي د. عمر شعبان (مقابلة) حيث يرى أن العمل عن بعد يعتبر أحد الآليات

لمواجهة الحصار، أما بخصوص تذليل العقبات فهذا جانب منطقي تتحمل الجهات المسؤولة في قطاع غزة، وفي ليبيا مسؤولية ذلك من خلال تسهيل دخول الأموال إلى قطاع غزة، وتحسين ظروف الكهرباء، وتحسين شبكة الانترنت.

6- توصلت نتائج الدراسة إلى أن عدد العاملين عن بعد يزداد وذلك بسبب البطالة في قطاع غزة، وحاجة الخريجين للعمل، وتتفق هذه النتيجة مع ما ورد في دراسة (النباهين، 2020) حول انتشار نظام العمل عن بعد، وإقبال عدد كبير من المؤسسات الأهلية والجامعات على إنشاء حاضنات وبرامج لتدريب الشباب على العمل عن بعد.

7- لا توجد متابعة للعاملين عن بعد لمساعدتهم أو تسهيل عملهم، ولكن هناك متابعة للحوالات من اجل الجانب الأمني فقط، وهذا يتفق مع النتيجة التي توصلت لها دراسة (أبو ماضي، 2015) من أن الجهات المسؤولة سواء وزارة الاقتصاد ووزارة الاتصالات، وشركة الاتصالات، وشركة جوال لا تساهم في تسهيل دور العمل عن بعد في قطاع غزة، كما أن هذه الجهات لا تساهم في نشر ثقافة العمل عن بعد.

8- تبين من خلال الدراسة أن شبكة الانترنت ضعيفة وتحتاج إلى تطوير ليواكب ذلك ازدياد عدد العاملين عن بعد، وقد اتفقت هذه النتيجة مع رأي د. عمر شعبان خبير اقتصادي بأن شبكة الانترنت تعتبر احد المعيقات للعمل عن بعد، كما اتفقت هذه النتيجة مع دراسة (النباهين، 2020) حول ذات الموضوع.

9- توصلت نتائج الدراسة إلى أن التحويل عبر (Western Union) أو (Money gram) هو الافضل، كما يمكن التحويل إلى الحسابات الشخصية، أو عبر مكاتب الصرافة، ويتبين ذلك من خلال الملاحظة الشخصية للباحثين.

ج- العمل عن بعد في ليبيا:

1- بينت الدراسة أن معدلات البطالة، خاصة المقنّعة منها مرتفعة جداً، وتزيد عن المستوى المقبول وفقاً للمعايير الدولية، والجدول رقم (1) يوضح ذلك الارتفاع

2- توصلت نتائج الدراسة إلى أن معدلات البطالة جاءت مرتفعة جداً عند الفئات الصغيرة العمرية الصغيرة (15-34) سنة، والجدول رقم (3) يوضح ذلك.

3- بينت الدراسة أن للحالة التعليمية دوراً هاماً في تقليل معدلات البطالة، والجدول رقم (6) يوضح ذلك.

4- أوضحت الدراسة ضعف السياسات والتشريعات التعليمية، وعدم تركيزها على التعليم المهني (الحرفي).

حادي عشر: التوصيات

توصلت الدراسة إلى العديد من التوصيات وهي على النحو التالي:

في قطاع غزة:

1- تعزيز ثقافة العمل عن بعد من خلال وسائل الاعلام والتركيز على ذلك.

2- تسهيل المعاملات المالية بخصوص العاملين عن بعد وتوفير وسائل حصولهم على حقوقهم المالية بدون عقبات.

3- وضع وزارة العمل والجهات القانونية أنظمة لحماية العاملين عن بعد وتوفير الاستشارات القانونية والفنية لهم.

4- اقناع البنوك بتسهيل حصول العاملين عن بعد على حقوقهم من خلال آليات تتفق البنوك مع أصحاب القرار عليها.

5- عقد ورشات عمل وأيام دراسية للمساهمة في نشر وتعزيز نظام العمل عن بعد.

6- قيام الوزارات ذات العلاقة بدورها في تسهيل العمل عن بعد من خلال توفير بنية تحتية للعمل عن بعد.

7- توفير شبكة انترنت مناسبة وإلزام شركة الاتصالات بتطوير خدماتها المقدمة للجمهور.

8- تعزيز الدراسات حول العمل عن بعد والتشجيع على ذلك من خلال الجامعات والمعاهد العلمية.

في ليبيا:

1- إعادة النظر في السياسات والتشريعات المتضمنة لسوق العمل.

2- إعادة التأهيل للخريجين بما يتناسب مع متطلبات سوق العمل.

3- الشراكة بين القطاع العام والخاص وتعزيز الثقة بينهما.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

أبو ماضي، تسنيم. (2015). تقييم تجربة العمل عن بعد في قطاع غزة التحديات والمستقبل – دراسة تطبيقية على الشركات التجارية العاملة في قطاع غزة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
ارميص، علي سالم. (2015). البطالة ا لشبابية في الاقتصاد الليبي، المجلة الدولية للتنمية، م2، ع1، 123-138.
البريفكاني، أحمد مُحَمَّد إسماعيل وخمي، ناصر رشيد والارتوشي، جاسم مُحَمَّد سلو (2010). طاهرة البطالة بين خريجي كليات جامعة داهوك – الأسباب والمعالجات، تنمية الرافدين، م33، ع100، 215-229.
بن عسكر، منصور عبد الرحيم. (). عمل المرأة عن بعد من وجهة نظر الطالبات الجامعيات السعوديات – دراسة اجتماعية على عينة من طالبات جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بالرياض، مجلة التسيير والاقتصاد، م2، ع2، 89-109.
الجروشي، علي عبد السلام وأرباب، مصعب معتصم. (2017). قياس معدلات البطالة في ليبيا – دراسة تطبيقية على الاقتصاد الليبي خلال الفترة (1962-2012)، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، م1، ع1، 80-96.
الجمعة، عبد الله بن عبد الله ونغميش، أحمد الحسن السيد وأبو زيد، ناهد عصري. (2015). العمل عن بعد كتوجه حديث لتعزيز دور المرأة وذوي الاحتياجات الخاصة في تنمية المجتمع المحلي – دراسة من منظور تقني، المجلة العربية الدولية للمعلوماتية، م3، ع8، 25-33.
الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (2019). كتاب فلسطين الإحصائي السنوي، رقم (20)، رام الله، فلسطين.
الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (2020). كتاب فلسطين الإحصائي السنوي، رقم (21)، رام الله، فلسطين.
الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (2021). مسح القوى العاملة الفلسطينية، التقرير السنوي 2020، رام الله، فلسطين.
حبيب، مجدي عبد الكريم (2007). آفاق التعليم الجامعي العربي في ضوء المستجدات العالمية المعاصرة في سوق العمل، المؤتمر القومي السنوي الرابع عشر، آفاق جديدة في التعليم الجامعي العربي، القاهرة، مصر.

الخطيب، علا عيسى. (2021). أثر تطبيق العمل عن بعد على انتاجية الموظفين في القطاع الهندسي – الاستشارات والتصميم الهندسي – في الأردن خلال جائحة (كوفيد 19)، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن.
خليفة، أنسام علي. (2018). دور منصات العمل الحر عبر الانترنت في انتشار ثقافة العمل الحر في قطاع غزة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
الزعانين، رائد حسين عبد الكريم. (2019). البطالة بين الخريجين في قطاع غزة وسبل علاجها، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، المركز الديمقراطي العربي، برلين، المانيا، ع4، 250 -
الزومان، عبد العزيز والعقيلي، مُحَمَّد والسلامة، عبد العزيز والرسيني، ماجد. (2004). العمل عن بعد عالمياً ومجالات تطبيقه في المملكة العربية السعودية، المؤتمر الوطني السابع عشر للحاسب الآلي للمعلوماتية في خدمة ضيوف (الرحمن)، جامعة الملك عبد العزيز، المدينة المنورة ابريل 2004، 57-76.
شاهين، وليد. (2020). أثر جائحة كورونا على النساء العاملات عبر الانترنت، ورقة بحثية مقدمة إلى مركز شؤون المراة.
شمعة، مُحَمَّد وليد مُحَمَّد (2017). دور الإرشاد الوظيفي في دمج خريجي الجامعات الفلسطينية في سوق العمل – دراسة حالة: مركز الإرشاد الوظيفي – قطاع غزة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
عبد القادر، أسماء أبو بكر وشومان، إيمان. (2017). تنمية الوعي الاجتماعي للشباب بنظام العمل عن بعد ودوره في تحقيق التنمية المستدامة – دراسة مطبقة على الطالبات الخريجات بقسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، جامعة الامام عبد الرحمن بن فيصل، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، م1، 204-294.
قلالوة، إنتصار أمين. (2012). مشكلة البطالة لدى خريجي الجامعات الفلسطينية العاطلين عن العمل في محافظة جنين بين الانعكاسات على التنمية المجتمعية وسبل المواجهة من وجهة نظر الخريجين، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين.
منظمة التعاون الاسلامي. (2020). تقرير منظمة التعاون الإسلامي حول سوق العمل، مركز الأبحاث الاحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية (سيسرك).
نجا، علي عبد الوهاب. (2015). مشكلة البطالة وأثر برنامج الاصلاح الاقتصادي عليها – دراسة تحليلية تطبيقية، الدار الجامعية، الاسكندرية، مصر.
نجم، على رزق. (2018). قابلة خريجي الجامعات للعمل عن بعد وعلاقته بالإنتاجية، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين.
الهيئة الاتحادية للموارد البشرية الحكومية. (2020). دليل العمل عن بعد في الحكومة الاتحادية وارشادات اجرائية في الظروف الطارئة، دولة الامارات العربية.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Bacsi, Zsuzsanna (2014). Essential Economics, National Development Agency, Hangaria.
Bertelsmann Stifung (BIT). (2018). Country Report, Libya, Published by Cutersloh.
Samuelson, and Nordhaus (2010). Economics, Mc Graw – Hill, Irwin, 19th edition, NY. U.S.A. Schwarzer, and Jerusalem.

ظاهرة التنبُّؤ بالغيب وتجلِّياتها في الشعر الأندلسي

م.د. مُحَمَّد كاظم عجيل
العراق / وزارة التربية / المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار
البريد الإلكتروني : mkadm1184@gmail.com
رقم الموبايل : +964 7831875102

الملخص :

يهتم هذا البحث بتتبُّع جذور ظاهرة التنبؤ بالغيب بأشكالها ووسائلها المختلفة عند عدد من الأمم السابقة ، وبيان أبعاد ذلك في المجتمع العربي في العصور القديمة ، مع تركيز الجهود على بواعث تفشِّي هذه الظاهرة في البيئة الأندلسية ، والبحث عن تجلِّياتها في الشعر الأندلسي ، عبر استعراض مواقف عدد من الشعراء سواء كانت رافضة لهذه الظاهرة ، أم تلك التي جنحت نحو التنبؤ بأحداث المستقبل ، فهناك عدد من الشعراء الأندلسيين أعلنوا رفضهم الأعمال المرتبطة بالغيب ولا سيما موقفهم الرافض للتنجيم ، فيما مارس شعراء آخرون التنجيم واشتهروا به ، وقد وثَّق عدد منهم ذلك في أشعارهم ، فيما اعتمد شعراء آخرون على الفراسة والقراءة الدقيقة للأحداث . فضلاً عن ذلك فقد كان الشعر المغنى وسيلة تعبيرية عملت على بث رسائل خاصة تضمَّنت شيئاً من التنبؤ بمصير عدد من القائمين على الشأن السياسي ، وقد تجلَّى ذلك في عصر الطوائف . فيما شكَّلت الأشياء اللاشعورية نافذة من نوافذ التنبؤ بالغيب . وقد تم دراسة ذلك في مبحثين ، اهتم المبحث الأول بدراسة (المسار التاريخي للتنبؤ بالغيب عبر العصور) . فيما اختصَّ المبحث الثاني بالوقوف على أبرز مظاهر (التنبؤ بالغيب في الأندلس) التي جاءت بأساليب وممارسات مُتنوِّعة تمثَّلت بـ (التنجيم ، والغناء ، والفراسة والقراءة الواعية للأحداث ، والأشياء اللاشعورية) .

الكلمات المفتاحية : التنبؤ بالغيب ، الشعر الأندلسي ، التنجيم ، الغناء ، الفراسة .

The Phenomenon of Predicting the Presence and its integrations into Andalusian Poetry

Lecturer Dr. Mohammed Kadhum Ajeel
Ministry of Education in Iraq, Head Directorate of Education in Thee Qar Province

Abstract::

This research is concerned with tracing the Phenomenon of Predicting the unseen in its various forms and means in a number of previous nations, and an explanation of the dimensions of that in Arab Society in ancient times, with the focus of efforts on the causes of the spread of this phenomenon in the Andalusian environment and the search For its manifestation in Andalusian Poetry, there are number of Andalusian poets who declared their rejection of astrology while others practiced astrology and become famous for it . In addition to that, the suny poetry was an expressive means that worked to broadcast special messages that included some prediction about the fate of a number of those in charge of political affairs, and this was evident in the era of sects . The first topic concerned itself with studying the historical path of predicting the unseen through the ages, while the second topic concerned itself with the prediction of the unseen in Andalusia in various forms and means.

Key words : Prediction of the unseen, Andalusian Poetry, Astrology, Singing, Physiognomy **.**

مشكلة البحث :

تعد ظاهرة التنبؤ بالغيب من الظواهر الاجتماعية الشائعة في معظم الأمم والشعوب قديماً وحديثاً ، بفعل تأثير مجموعة من العوامل الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية ، لذلك فهي تشكِّل جزءاً من ثقافة الشعوب ، ودراستها يجعلنا نقف على جانب كبير من المعتقدات والتقاليد الاجتماعية التي شائعة في العصور القديمة ، فضلاً عن إلقاء الضوء على الطريقة التي كانت تتَّبعها السلطات الحاكمة آنذاك في إدارة الشأن السياسي ، ومعرفة الكيفية التي يتم عبرها التعامل مع الأحداث ولا سيما في أوقات الأزمات ، ودرء الأخطار الداخلية والخارجية .

أهمية البحث :

إنَّ من أهم ما يثير الانتباه في ظاهرة التنبؤ بالغيب هو مدى الاهتمام الكبير الذي كانت توليه السلطات الحاكمة سابقاً لمعرفة ما سيحصل من أحداث في المستقبل ، ومن ذلك تقريب المنجِّمين والاعتناء بهم ، واتِّخاذهم وسيلة يتم عبرها استقراء الأخطار المحتملة ، من أجل الاستعداد لها ومعالجتها ، فضلاً عن بث الأمل ولا سيما في الأوقات التي تسبق الدخول في المعارك . وهذا ما تجلَّى في بلاد الأندلس التي كانت تمثِّل ميداناً لتنامي الأعمال المتعلِّقة بالتنبؤ بالغيب بأشكاله المختلفة ، نتيجة لوقوعها تحت تأثير بعض المؤثرات الخارجية والداخلية ، وقد حفظت لنا كتب التراث الأندلسي جانباً من تلك الأعمال والممارسات .

أهداف البحث :

بعد الاطِّلاع على كتب التاريخ والأدب والتراجم والطبقات التي اهتمَّت بجمع التراث الأندلسي وجدنا أنَّ بلاد الأندلس لم تكن بمنأى عن ممارسة التنبؤ بالغيب ، إذ شهدت انتشار هذه الظاهرة ، وكانت هناك دوافع كثيرة قادت الأندلسيين إلى الاهتمام بها ، لعل من أبرزها عوامل الخوف والقلق الناتجة عن كثرة الصراعات والفتن ، سواء ما كانت تشعر به السلطات الحاكمة آنذاك وهي تواجه الخطر الخارجي ، أم ما يتعلَّق بالانقسام والصراع الداخلي ، وانعكاس ذلك على أبناء المجتمع . الأمر الذي حفَّزنا إلى دراسة جوانب التنبؤ بالغيب المختلفة في الأندلس ، وتتبُّع ما ورد من ذلك في أشعار بعض الشعراء الأندلسيين .

منهج البحث :

لقد تركَّزت جهود الباحث على تتبُّع ظاهرة التنبؤ بالغيب ، والبحث عن جذورها ، والوقوف عند أبرز مظاهرها في البيئة الأندلسية ، ورصد أبرز تجلِّياتها في الشعر الأندلسي . وتم اختيار المنهج التحليلي ليكون الأداة النقدية في قراءة الروايات التاريخية والنصوص الشعرية الأندلسية التي يغلب عليها طابع التنبؤ بأحداث المستقبل .

هيكلية البحث :

لقد تم تقسيم البحث على مبحثين هما :

المبحث الأول (المسار التاريخي للتنبؤ بالغيب عبر العصور) .

المبحث الثاني (التنبؤ بالغيب في الأندلس) . وقُسِّم على فقرات هي :

1- التنجيم .

2- الغناء .

3- الفراسة والقراءة الواعية للأحداث .

4- الأشياء اللاشعورية .

المقدمة :

إنَّ لظاهرة التنبؤ بالغيب بواعث كثيرة ، يأتي في مقدمتها الهروب من الواقع المؤلم في حالات كثيرة ، بحثاً عن أشياء جديدة تعمل على التخفيف من آثاره الضاغطة ، وتمنح الإنسان السعادة والاطمئنان ، وتعيد له الثقة بنفسه وبقدراته الذاتية ، وتقوّي إرادته ، وتشد من أزره . وفي حالات أخرى يكون عامل الاستعجال وعدم الانتظار دافعاً نحو الولوج إلى عالم الغيب ، فيقع عدد من الناس تحت تأثير الرغبة الملحَّة التي تقودهم في بعض الأحيان إلى معرفة ما سيحدث لهم في المستقبل من تغييرات وفي مختلف مجالات الحياة . لذلك فالتنبؤ بالغيب فعالية إنسانية تكون عبر التوجُّه نحو المستقبل ، بحثاً فيما خبأته الأقدار من أحداث ، يطمح كثير من الناس أن تكون سعيدة ، وتدعو إلى التفاؤل والأمل ، من أجل إعادة التوازن إلى الحياة ، وتحقيق الاستقرار النفسي . وفي مواقف كثيرة يلجأ بعض الأشخاص إلى التنبؤ ، ويتشبَّث بنتائجه ؛ لأنَّه يجد فيه الفضاء القادر على استيعاب طموحاته وأفكاره ورؤاه ، حينما لا يجد في الواقع المعيش ما يلبّي رغباته ، فيضطر إلى البحث عن فضاء ملائم يحقِّق له آماله وتطلعاته ، فيجد مبتغاه في المستقبل ، فيقوم بالبحث عمَّن يرشده لذلك ، ويفتح له الآفاق التي قد تكون ضاقت أمامه بفعل زحمة الحياة ، وقلَّة الفرص المتاحة ، والمنافسة والصراع مع الآخرين . فيعمل على ملاحقة المشتَغِلين بالتنبؤ لعلَّهم يسهمون في تحقيق ما يصبو إليه ، فيعيش على وقع تنبؤاتهم في أجواء حالمة مفعمة بالأمل والتفاؤل إذا سمع ما يسرُّه ، ويعمد إلى الانكفاء إذا جاءت عملية التنبؤ على عكس ما يشتهيه ، ويطمح إليه . وقد تكون الغاية من التنبؤ حب الاطِّلاع ، وفك طلاسم المجهول ، بحثاً عن الإثارة والتشويق ، وكسر الرتابة والجمود ، وإبعاد الملل والضجر ، في ظل أحداث يعيشها الإنسان قد تكون مُكرَّرة ، فتجعله يشعر بالإحباط والضيق ، فيعمل على مغادرة حالة الانكماش والسكون ، وإزالة رواسبها العالقة . فيما تكون عملية استشراف المستقبل ، والتنبؤ بما يحصل فيه ميداناً لاستعراض المهارات والقدرات في قراءة الأحداث ، واستخلاص الحلول ، وربط ما يحصل لبعض الأشخاص بناء على معطيات الواقع .

المبحث الأول / المسار التاريخي للتنبؤ بالغيب عبر العصور :

يعد التنبؤ بالغيب ظاهرة قديمة ضربت أطنابها في أعماق التاريخ ، فكانت ممارسة إنسانية شائعة ومتداولة في أمكنة وأزمنة مختلفة ، إذ عرفتها معظم الأمم السابقة . فقد حملت الأساطير القديمة الرومانية والإغريقية اعتقاداً قديماً آمنت سائر الشعوب به ، متمثِّلاً بالتكهُّن بالغيب بين بني البشر ، ومعرفة ما يخفيه المستقبل من أحداث ، وهو ملكة خاصة اقتصرت على بعض الناس ، ولم تكن متاحة أمام الجميع . وقد عُدَّ في المعتقدات القديمة أنَّ قدرة من يملكونها تدنو من قدرة الآلهة دنواً ملحوظاً . ومارسها الآشوريون ، إذ مكَّنتهم سعة السهول التي سكنوا على أديمها ، ومنظر السموات المكشوفة التي تمتد على مد البصر من أن يلاحظوا مسالك الكواكب ، ويرقبوا حركتها ، فنقلوا إلى الأجيال التي تلتهم ما تحمله حركات الكواكب من دلالات على حظوظ الناس . وهو الأمر الذي سار عليه الكلدانيون ، فاستغلُّوا مشاهداتهم لحركة الكواكب في إقامة علم يمكِّنهم من التنبؤ بحظوظ الناس ، ومعرفة المصير الذي قُدِّر لهم . فيما كان يعتقد بعض سكان آسيا من (الكيليكيين ، والبيسيديين ، والبامفليين) اعتقاداً لا يقبل الشك أنَّ المستقبل تكشفه أغاريد الطيور ، وحركاتها في الجو . أمَّا الإغريق ، فقد كانوا لا يقومون بأيَّة هجرة حتى يستشيروا الكاهنة (بيثيا) ، أو يتلقَّوا الوحي من (دودونا) أو (جوبتر آمون) . ولم يدخلوا الحرب قبل أن يلتمسوا نصح الآلهة أولاً (

شيشرون ، 1946 : 35 – 36) . وكان قسس الفرس هم أهل العيافة ، وأصحاب التنبؤ بالغيب ، وكانوا يجتمعون في المعبد للعبادة والتشاور . فيما لم يكن في وسع امرئ أن يتولَّى الحكم إلا إذا عرف عمل الكهَّان نظرياً وعملياً . وكان الكلدانيون في سوريا قد عُرِفوا بحدة الذهن ، فكانوا على معرفة تامة بعلم الهيئة . وكان أهل أتروريا كذلك ينمازون بالبراعة في ملاحظة الصواعق ، وتأويل معانيها ، ومعرفة المغزى الذي يحمله كل رمز ، وما ينطوي عليه كل نذير زاجر (شيشرون ، 1946 : 96 – 97) . والأمر يطول في استعراض اهتمام الأمم القديمة بالغيب ، وبيان الممارسات والأنشطة التي قاموا بها في هذا المجال ، بما لا يترك مجالاً للشك أنَّ عوامل سياسية واجتماعية ودينية مختلفة كانت باعثاً من بواعث التنبؤ بالغيب ، مثل البيئة الطبيعية ، وما تشتمل عليه من سماء وكواكب وأرض وطيور ورعد وبرق وغير ذلك ، فعوامل عدم الاستقرار والخوف من المجهول ، كان لها الأثر البالغ في التوجُّه نحو قراءة ما يخبئه المستقبل ، فضلاً عن ذلك فإنَّ بعض الممارسات المرتبطة بالتنبُّؤ كانت تجري في المعابد فيتم فيها استغلال الأجواء العبادية من أجل تحقيق غايات مُعيَّنة ، منها فرض الهيمنة على أبناء المجتمع ، وإخضاعهم للسلطة الحاكمة .

ولم يكن المجتمع العربي في العصور التي سبقت ظهور الإسلام بمنأى عن ذلك ، إذ ازدهر التنبؤ بالغيب في تلك الحقبة ، فظهرت فئة تدَّعي التنبؤ ، ومعرفة الأشياء الغيبية ، وهم الكهَّان ، الذين كانوا يمثِّلون سلطة دينية واجتماعية ، انطلاقاً من النظرة الاعتقادية السائدة آنذاك ، وهي أنَّ لكل كاهن رئياً من الجن ، يأتيه بأخبار السماء . لذلك كانوا يوهمون الناس بامتلاكهم قوة خارقة ، تمكِّنهم من استكناه خفايا المستقبل ، وكشف الغيب ، وتأويل الرؤيا . وكان سبيلهم في التعبير عن تلك القوة الغامضة استخدام أساليب خاصة موحية ، يُترَك فيها الأمر للاحتمالات أن تفعل فعلها في نفس المتلقي . وقد صاغوا تنبؤاتهم في قوالب فنية عُرِفت باسم (سجع الكهان) ، فعمدوا إلى تضمينه العبارات المبهمة المعماة ، وتشكيل الجمل الغامضة ، ابتعاداً عن الحرج (إبراهيم ، 2003: 161 – 162) .

أمَّا بعد ظهور الدين الإسلامي ، فقد وقفت الشريعة الإسلامية موقفاً حازماً من قضايا الغيب ، إذ جعلت الأمور الغيبية بيد الله سبحانه وتعالى ، وقد ورد ذلك في آيات قرآنية متعددة مُتمثِّلةً بقوله تعالى : ((**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ**)) (آل عمران : 179) . وقوله تعالى : ((**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**)) (الأنعام : 59) . وقوله تعالى : ((**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**)) (الأعراف : 188). وقوله تعالى : ((**وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**)) (يونس : 20) . وقوله تعالى : ((**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**)) (النمل : 65) . وقوله تعالى : ((**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا**)) (الجن : 26) . وهنا لا نريد أن نخوض في مسألة الغيب ؛ لأنها كانت وما زالت مثار جدل ، وموضع خلاف بين علماء المسلمين ، فمنهم من رفضها رفضاً قاطعاً ، وجعل الغيب بيد الله جلَّ وعلا . ومنهم من يرى أنَّ الله سبحانه وتعالى يطلع من يختاره من عباده على أمور الغيب . لكنَّهم اتَّفقوا على تحريم التنجيم القائم على السحر والشعوذة والكذب ، مستندين في ذلك إلى أقوال النبي

الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلَّم) وهو يحذِّر من التنجيم في أحاديث متعددة ، منها ما جاء في قوله : ((**مَا اقْتَبَسَ رَجُلٌ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ إِلَّا اقْتَبَسَ بِهَا شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ مَا زَادَ زَادَ**)) (ابن حنبل، 1999 : 3 / 454) .

إلا أنَّ ذلك لم يقضِ على ظاهرة التنبؤ بالغيب بشكل نهائي ، فقد ذكرت كتب التاريخ روايات كثيرة تشير إلى تسلُّل التنجيم إلى قصور الخلفاء والولاة والقادة في العصرين الأموي والعباسي ، وكان له أثر كبير في تدبير الشؤون السياسية والاجتماعية وغيرها . والشواهد على ذلك كثيرة منها ما نقله المؤرخون من أنَّ الخليفة الأموي (عبد الملك بن مروان) كان يصحب معه المنجّمين في معاركه ، ويستمع لتنبؤاتهم . فيما كان (الحجاج بن يوسف الثقفي) يهتم بالتنجيم ، فقد استدعى مُنجِّماً قبل وفاته ، وأخبره بقرب موته . أمَّا خلفاء بني العباس فكانوا يولون المنجّمين أهمية كبيرة ، ومثال ذلك (أبو جعفر المنصور) فقد عمل على تقريب المنجّمين واستشارتهم في أموره ، وكان يصحب معه المنجّم (نوبخت الفارسي) وابنه (أبا سهل) (الطويل ، 1945 : 132 – 133) ، وقد سار بعده عدد من الخلفاء العباسيين على هذا المسار ، والأخبار في ذلك كثيرة ومتنوِّعة . الأمر يؤكد مدى استغلال الماسكين بالسلطة في العصرين الأموي والعباسي للتنجيم ، واتِّخاذه وسيلة تهدف إلى رصد الأخطار المحتملة ، لكي يتم العمل على معالجتها ، والقضاء عليها . وكذلك البحث عن التنبؤات السارة التي تجلب الفرح ، وترفع من الحالة المعنوية ولا سيما في المواقف التي تسبق الدخول في المعارك .

وعلى الرغم من أنَّ أفعال التنبؤ بالغيب – ولا سيما التنجيم – قد أخذت مساحة من الانتشار في العصرين الأموي والعباسي ، إلا أنَّها جُوبِهت بالرفض في مواقف عدد من الشعراء الذين وقفوا بالضد من أفعال المنجّمين ، وقد تجلَّى ذلك في أشعارهم التي جاءت صدى لتوجُّهاتهم وأفكارهم ، وشواهد ذلك كثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال ما قاله الخليل بن أحمد :

أبلغا عنِّي المنجِّمَ أنِّي كافرٌ بالذي قضتهُ الكواكبْ
شاهدٌ أنَّ من تكهَّنَ أو نجَّ مَ زارٍ على المقاديرِ كاذبْ
عالمٌ أنَّ ما يكونُ وما كا نَ قضاءٌ من المهيمنِ واجبْ

(القرطبي ، (د.ت) : ق2 / 116) . وما قاله الشاعر أبو تمام الطائي :

والعلمُ في شُهَبِ الأرماحِ لامعةٌ بينَ الخميسينِ لا في السبعةِ الشُّهُبِ
يقضونَ بالأمرِ عنها وهي غافلةٌ ما كانَ في فلكٍ منها وفي قُطُبِ

(القرطبي ، (د.ت) : ق2 / 116) . وما قاله أبو الطيب المتنبي :

فتبًّا لدينِ عبيدِ النُّجومِ ومن يَدَّعي أنَّها تعقلُ

(القرطبي ، (د.ت) : ق2 / 116) . وهناك مواقف كثيرة لشعراء آخرين تسير بهذا الاتجاه المعارض للتنجيم ، لكن الأمر لا يقتصر على الشعراء فحسب ، وإنَّما كان لعدد من علماء الدين والمفكرين والفلاسفة وغيرهم آراء رافضة ، لا يسمح المقام لذكرها هنا ، وسنقوم في صفحات البحث القادمة بدراسة ظاهرة التنبؤ بالغيب في بلاد الأندلس ، والوقوف عند أبرز العوامل التي أدَّت إلى ظهورها وانتشارها .

المبحث الثاني / التنبؤ بالغيب في الأندلس :

ممَّا لا شك فيه أنَّ أغلب الأمم والشعوب قد عرفت ظاهرة التنبؤ بالغيب ، وتمَّ تعلُّمها وممارستها على نطاق واسع ، سواء كان ذلك عبر التنجيم بأشكاله وأساليبه المختلفة أم الفراسة والقراءة الواعية للأحداث ، وبمرور الوقت أصبحت هذه الأفعال حالة

اعتقادية مألوفة شكَّلت جزءاً من ثقافة الشعوب . وبما أنَّ لكل أمة ظروفها التي تدفعها إلى التوجُّه نحو التنبؤ بما يخفيه المستقبل من أحداث ، فإننا سنقوم في هذه الدراسة ببيان طبيعة التجربة الأندلسية في ممارسة التنبؤ بالغيب ، والوقوف عند الدوافع التي قادت الأندلسيين إلى الاهتمام بهذه الظاهرة ، وتتبُّع تجلّياتها على المستويين السياسي والاجتماعي عبر محاور متعدِّدة منها (التنجيم ، والغناء ، والفراسة والقراءة الواعية للأحداث ، والأشياء اللاشعورية).

أولاً / التنجيم :

لقد كانت بلاد الأندلس مناخاً ملائماً لازدهار التنبؤ بالغيب بأشكاله المختلفة ، ولا سيما التنجيم إذ شهد رواجاً كبيراً ، وزاد الاهتمام به ، الأمر الذي جعل عدداً من النابهين والشعراء يتسابقون إلى دراسة علم النجوم ومعرفة مواقع الكواكب وحركتها ، من أجل الحصول على مكان لهم في قصور السلطات الحاكمة آنذاك . وعلى الرغم من بروز اتجاه ناقم على ممارسات المنجمّين وأفعالهم التنبؤية ، إلا أنَّ ذلك لم يكن له تأثير كبير في إيقاف مظاهر التنبؤ بالغيب المتمثِّلة بالتنجيم ، وخير من مثَّل الاتجاه الرافض الشاعر ابن عبد ربَّه الأندلسي ، الذي أبدى انزعاجه وامتعاضه من عمل المنجّمين ، ويتجلَّى ذلك في قوله : ((دخلت على الوزير جهور بن الضيف ، وكان القحط قد ألح ، والغيث قد احتبس واغتمَّ الناس لذلك ، وتحدَّث المنجّمون بتأخُّر الغيث مدة طويلة ، فوجدت عنده ابن عزرا المنجّم وجماعةً من أصحابه ، وقد أقاموا الطالع وعدلوا ، وقضوا بتأخير الماء شهراً . فقلت للوزير : إنَّ هذا من أمور الله المغيَّبة ، وأرجو أن يكذِّبهم الله بفضله ، ثم خرجت عنه وأتيت داري ، فجاء أول الليل والسماء قد تغيَّمت ، ونمتُ ساعة ، فما أيقظني إلا نزول الماء ، فقمت وقرَّبت منِّي المصباح ، ودعوت بالدواة والقلم ، فما رفعت يدي حتى نسخت هذه الأبيات ، ثم صابحت بها الوزير ، فسرَّ بها واستحسنها ، وهي :

مـا قـــــدَّرَ اللهُ هو الغالبُ	ليسَ الذي يحسبُهُ الحاســـبُ
قد صدَّقَ اللهُ رجـــاءِ الوَرى	ومـــا رجـــاءٌ عندَهُ خائـبُ
وأنزلَ الغيـــثَ على راغـبٍ	رحمـــتَهُ إذ قنـطَ الراغـــبُ
قلْ لابنِ عـزرا السخيفِ الحجا	زَرَى عليكَ الكوكـــبُ الثاقـبُ
ما يعلمُ الشاهـــدُ من حُكمِنا	كيفَ بأمرٍ حُكـــمُهُ غائـبُ
وقـــلْ لعـــبَّاسٍ وأشـــياعِهِ	كيفَ ترى قولَكُـــمْ الكـــاذبُ
خـــانكم كيوانُ فـــي قـــوسِهِ	وغَرَّكم فـــي لـــونهِ الكـــاتبُ
فكلُّكُمْ يكـــــذْبُ في عِلْمِهِ	وعلمكُمْ فـــي أصلِهِ كـــاذبُ
مـــا أنتمُ شـــيءٌ ولا عِلْمُكُمْ	قد ضَعُفَ المطلوبُ والطالـــبُ
تُغالُبونَ اللهَ فـــي حُكْـــمِهِ	واللهُ لا يغلـــبُهُ غـــالبُ
محبوبٌ الحَـبْرُ الذي مالَـــهُ	في فهـــمِهِ نِدٌّ ولا صاحـــبُ
قـــد أشهدَ اللهَ على نفسِهِ	بأنَّهُ مـــن جهلِكُمْ تائـــبُ))

(ابن عبد ربه ، 1979 : 30 – 31) . وهنا ضمَّن ابن عبد ربه رؤيته الناقمة على التنجيم ، فخطابه الشعري يشتمل على نزعة حجاجية هدفها إقناع الآخرين بسوء أفعال المنجّمين ، فعمل على عرض حججه العقلية والنقلية التي عبَّرت عن ذات

غاضبة أثارها ما يقوم به المنجّمون من أعمال تخالف العقل وتعاليم الدين الحنيف . وقد وظّف أسلوب السخرية بهدف تعريف أبناء المجتمع بقبح ممارسات المنجّمين ، وحثّهم على الابتعاد عنهم ، وعدم التصديق بما يطلقونه من تنبؤات .

وقد تكرّر موقف ابن عبد ربّه الرافض للتنجيم في موضع آخر ، إذ رأى فيه إفكاً وكذباً على الله تعالى ، لذلك عمد إلى تعرية أفعال المنجّمين ، وبيان عجزهم وضعفهم أمام قدرة الله جلّ وعلا في تدبير شؤون الخلق ، بقوله :

فـــأينَ الزّيـــــجُ والقانو ... نُ والأركندُ والكـــمَّـــــهْ
وأينَ السِّـــــنْدُ هِنْدُ البا ... طلُ الجدولُ هـــــل ثَمَّهْ
سِوى الإفْكِ علـــى اللهِ ... تعالـــــى مُنْشِرُ الرِّمَّـــهْ
إذا كانَ أخـــــو النَّجْمِ ... يرى الغَيْبَ بمـــا ضَمَّهْ
فَلِمْ ذاَ يطْلُـــــبُ الرِّزْقَ ... طِلابَ العاجِـــزِ الهِمَّهْ
وهذي الأرضُ قد وارتْ ... كُنُوزاً عـــــــدَّةً جَمَّهْ
فلا واللهِ مـــــــا لِلَّهِ ... خَلْقٌ يحـــتوي عِلْمَـــهْ

(ابن عبد ربه ، 1979 : 158 – 159) . وهناك أصوات أخرى أعلنت عن موقفها الرافض لممارسات المنجّمين ، ومن ذلك ما ذكره ابن عبد البر النمري القرطبي بقوله : ((أنشدني عباس بن يحي بن قزمان لعمه عيسى بن قزمان :

هذا بإذنِ اللهِ مـــــــا شاءَ قدَّرَهُ ... وليسَ فيمـــــا قضى كيوانُ والقمرُ
تقيه أنجـــــمه صرف الزمان فلا ... يأتي عليه ولا يفني لـــــــــه عمر
هيهات ذلكَ أمـــــرٌ لا يطاقُ ولـ ... ـكنَّ الفتى ينتهي حيثُ انتهى القدرُ
لو كانَ عندَ النُّجومِ السابحاتِ بما ... يجري على الخلقِ من أبنائِهم خبرُ
لـم يحتلِلْ بذراهُـــمْ ريبُ حادثةٍ ... بل كـــانَ يُنجيهمُ الإنذارُ والحذرُ
ما كـــانَ ينجلُ منهم عالـمٌ ولداً ... في ساعةٍ مـــا بها نحسٌ ولا كدرُ))

(القرطبي ، (د.ت) : ق2 / 120) . وقال ابن ليون التجيبي :

خلِّ المُنجِّمَ يهذي فـــي غوايتِهِ ... واقصدْ إلى اللهِ ربِّ النَّجمِ والفلكِ
لو كانَ للنَّجمِ حكمٌ لم تجدْ أحداً ... يخالفُ النَّجمَ إلا انهدَّ فـــي درَكِ

(بهنام ، 2013 : 253) . لكن ما ذكره ابن عبد ربّه وغيره من الشعراء الأندلسيين لا يعني أنَّ التنبؤ بالغيب القائم على التنجيم قد خفت ضوؤه في الأندلس ، بل على العكس من ذلك ، فقد ازدهر ازدهاراً كبيراً ، ومرد ذلك إلى العناية التي أولتها السلطة الأموية للتنجيم في الأندلس ، إذ عملت على تقريب المنجّمين ، ومنحتهم قدراً كبيراً من الرعاية والاهتمام ، فكان الأمراء والخلفاء الأمويون في الأندلس يبحثون عن النابهين والأذكياء الذين بإمكانهم قراءة الأحداث ، وفهم ما يدور ، وما يمكن حدوثه ، وصولاً إلى استخلاص التنبُّؤات الصحيحة ، من أجل التهيُّؤ وأخذ الحيطة والحذر ، وتلافي الأخطار المحتملة في أغلب الحالات . وقد كان كثير من أفعال السلطة آنذاك وتوجُّهاتها وقراراتها مرهوناً بما يقوله المنجّمون . لذلك شكّل ذلك عملاً إغرائياً ، وفرصة ثمينة للباحثين عن الشهرة والأموال والمنزلة الرفيعة ، والعمل بالقرب من أصحاب القرار السياسي ، فاشرأبّت لها الأعناق ، وتاقت

إليها النفوس ، إذ لم يتردَّد عدد من الأندلسيين في اقتحام ميدان التنجيم ، وعرض بضاعتهم أمام أمراء الأندلس وخلفائها وملوكها .

أمَّا فيما يتعلَّق بالعوامل التي كانت وراء لجوء السلطة الأموية في الأندلس إلى منح التنبؤ بالغيب هذه المساحة الكبيرة من الاهتمام ، فبعضها يعود إلى طبيعة البيئة التي عاشها العرب المهاجرون من أوطانهم ، واستيطانهم في بيئة تختلف عن بيئتهم في جوانب مختلفة (اجتماعية وثقافية ودينية وسياسية) ، وهي لم تكن على وئام معهم ، إذ كانت مليئة بالأخطار والتحديات في أحيان كثيرة ، ممَّا ولَّد شعوراً بالقلق والخوف ، ظلَّ مخيماً عليهم لعصور طويلة . وقد كان أصحاب السلطة الأموية يعون حجم التحديات ، وصعوبة الظروف المحيطة بدولتهم الناشئة ، فأظهروا إصراراً كبيراً على البقاء والصمود ومواجهة التهديدات ، مستندين في ذلك على ما يملكونه من إرث سياسي وإيديولوجي وثقافي امتدَّ لعقود في إدارة الدولة الإسلامية في المشرق ، فعملوا على استيحاء تجارب أجدادهم ، والإفادة منها في بناء دولة قوية قادرة على الوقوف بوجه الصعاب ، فأثبتوا جدارتهم في بسط نفوذهم على بلاد الأندلس ، ولم يتردَّدوا في استخدام مختلف الوسائل المشروعة وغير المشروعة في معالجة المواقف الصعبة ، ودفع الأذى ، وتصفية الخصوم والمناوئين . لذلك فإنَّ عملية استشراف المستقبل ، وسبر أغواره ، وكشف ما يشتمل عليه من أحداث ، كانت من الأشياء التي تأتي ضمن محاولاتهم الرامية إلى تقوية عزيمتهم وإصرارهم ، ودفع غوائل الأشرار ، في سبيل تثبيت أركان دولتهم ، وتعظيم شأنها ، وحمايتها من التآكل والانهيار . فعوَّلوا كثيراً على المنجِّمين في معالجة الأخطار المحدقة بهم في تلك الأوقات ، التي كانت تهدِّد الوجود العربي والإسلامي في الأندلس ، الأمر الذي جعل من التنبؤ وسيلة ذات أبعاد سياسية ، هدفها تحقيق مكاسب وإنجازات سياسية وعسكرية ، والمحافظة عليها قدر الإمكان . ويبدو أنَّ ما قام به الأمويون في الأندلس من اهتمام كبير بالتنجيم أصبح عرفاً سائداً في العصور اللاحقة . وتحوَّل الأمر إلى ممارسة شائعة في الفكر السياسي الأندلسي ، ليشكِّل جزءاً من ثقافة الماسكين بزمام السلطة السياسية الحاكمة .

ومن تجليات اهتمام القائمين على السلطة بالتنجيم في عصور الحكم الأموي في الأندلس ما ذُكِر عن الأمير الأموي (هشام بن عبد الرحمن) ، فقد منح التنجيم عناية خاصة ، وتمثَّل ذلك بإحضار المنجِّمين ، وإجبارهم على ممارسة عملهم واصطياد التنبؤات المناسبة ، وهنا نورد ما قاله المقري : ((ولما ولي هشام أشخص المنجم المعروف بالضبي من وطنه الجزيرة الخضراء إلى قرطبة ، وكان في علم النجوم والمعرفة بالحركات العلوية بطليموس زمانه حذقاً وإصابة ، فلمَّا أتاه خلا به وقال له : يا ضبي ، لست أشك أنّه قد عناك من أمرنا إذ بلغك ما لم يدّع تجديد النظر فيه ، فأنشدك الله إلا ما نبأتنا بم أظهر لك فيه ، فلجلج وقال : أعفني أيُّها الأمير ، فإنّي ألممت به ، ولم أحقّق النظر فيه لجلالته في نفسي ، فقال له : قد أجّلتك لذلك ، فتفرَّغ للنظر فيما بقي عليك منه ، ثمّ أحضره بعد أيّام ، فقال : إنَّ الذي سألتك عنه جدّ مِنّي ، مع أنّي والله ما أثق بحقيقته ، إذ كان من غيب الله الذي استأثر به ، ولكنّي أحبُّ أن أسمع ما عندك فيه ، فالنفس طلعة ، وألزمه الصّلة أو العقوبة)) (التلمساني ، 1968 : 1 / 334 – 335) . وبعد أن رضخ المنجِّم للضغوط التي مارسها الأمير هشام عليه قام بالإعلان عن تنبؤاته للمرحلة القادمة من حياة الأمير ، إذ قال : ((أعلم أيُّها الأمير أنّه سوف يستقر ملكك ، سعيداً جدّك ، قاهراً لمن عاداك ، إلا أنَّ مدّتك فيه فيما دل عليه النظر تكون ثمانية أعوام أو نحوها ، فأطرق ساعة ثمّ رفع رأسه وقال : يا ضبي ما أخوفني أن يكون النذير كلّمني بلسانك ، والله لو أنَّ

هذه المدّة كانت في سجدة لله تعالى لقلّت طاعةً له ، ووصله وخلع عليه ، وزهد في الدنيا ، والتزم أفعال البرّ)) (التلمساني ، 1968 : 1 / 335) . والخبر السابق يبيّن مدى تأثير المنجّمين في الحياة السياسية ، وقدرتهم على ممارسة دورهم في تغيير أفكار السلطة وأفعالها .

ومن الذين مارسوا التنجيم في بلاد الأندلس ، وبرعوا فيه الشاعر (عباس بن فرناس التاكرني) ، فقد ذكر ابن حيان ((أنَّه نجَّم في عصر الحكم الربضي ، ووصفه بأنه حكيم الأندلس الزائد على جماعتهم بكثرة الأدوات والفنون . وهو مولى بني أمية ، وبيته في برابر تاكرنا . وكان فيلسوفاً حاذقاً ، وشاعراً مفلقاً ، مع علم التنجيم)) (المغربي ، (د.ت) : 1 / 333) .

أمَّا عبد الله بن الشمر بن نمير القرطبي ، فقد كان له حضور واسع وتأثير كبير في عالم التنجيم في الأندلس ، وذاع صيته كثيراً ، فقد ((جعله الحجاري رئيس المنجّمين بالأندلس ، إلى ما حباه الله به من حسن الخلال ، التي بأقلّها يبلغ الكمال)) (المغربي ، (د.ت) : 1 / 127) . فقد كان يتمتَّع بصفات وعلوم ومعارف مختلفة ، قام باستثمارها في تحقيق أهدافه وطموحاته ، فنقلت الروايات ((أنَّه كان نسيج وحده مجموعاً له من الخصال النبيلة ما فرَّق في عمر من جميع التعاليم والأدب والشعر والنثر . وكان لطيفاً حلواً يغلب على قلب من شاهده)) (المغربي ، (د.ت) : 1 / 124 – 125) . وقد أبدى مهارة كبيرة في عرض بضاعته المتمثلة بالتنجيم كلَّما سنحت الفرصة أمامه ، بحثاً عن الجاه والمال ولا سيما في حضرة الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، وقد كان قريباً منه في عهد والده الحكم ، و((لما صار الأمر إليه وفى له ونادمه)) (المغربي ، (د.ت) : 1 / 125) . والشواهد على أفعاله في التنجيم كثيرة ، فقد أورد عدد من المؤرخين أخباراً عدة ذكروا فيها ما قام به المنجّم ابن الشمر ، منها ((أنَّه كان قد بشَّر عبد الرحمن بأنَّ الأمر سيصير إليه من جهة التنجيم ، فلمَّا كان ذلك أحسن جزاءه ، وأجرى عليه رزقاً للشعر ورزقاً للتنجيم)) (المغربي ، (د.ت) : 1 / 125) . وقد استغلَّ ابن الشمر شغف الأمير عبد الرحمن بالتنجيم ، فعمل جاهداً على أن يكون مقدماً على غيره من المنجّمين ، وإبعاد المنافسين له ، فضلاً عن تجميل صورة التنجيم ، بوصفه عملاً لابد منه ، ولا يمكن الاستغناء عنه مهما كانت الظروف ، والعمل على إقناع الأمير بقيمة عمله ، إذ لم يتردد في استعراض قدراته ومعرفته بقضايا التنجيم ، من أجل أن لا يفقد دوره وموقعه بالقرب من السلطة الحاكمة ، فيذكر المؤرخون أنَّ عبد الرحمن بن الحكم ((وغض يوماً من علم المنجّمين ، وقال : إنَّه مخرقة ورجم بالغيب ، فأراد ابن الشمر أن يقيم له برهاناً على صحته : بأن قال للأمير ، اختبر في مقامك بما شئت؟ فقال : إن أنبأتني على أي باب من أبواب هذا المجلس أخرج في قيامي صدقت بعلمك ، فكتب ابن الشمر في ورقة مختومة ما اقتضى له الطالع ، ودعا الأمير من فتح له باباً محدثاً في غارب المجلس الذي يلي مقعده ، ثم خرج منه وترك الخروج من أبواب المجلس الأربعة وفتح الورقة ، فوجد فيها ما فعله الأمير، فتعجب ، ووصله)) (المغربي ، (د.ت) : 1 / 126) . وفي حادثة أخرى نقل ابن حيان ما تنبأ به ابن الشمر بعد أن أخبره الأمير عبد الرحمن بنواياه في دخول إحدى المعارك ، فيروي قائلاً : ((ونزل بفحص السرادق أعلى قرطبة وقد قفل من غزاة مزمعاً على الدخول إلى قرطبة صبيحة غده في تعبئة كاملة ، فقال له ابن الشمر : لتعلم أنَّك مغلوب على ذلك ، ولا بد لك الليلة من المبيت في قصرك ، فقال : والله لأدخلنه ، فقال : والله لتدخلنه مكرهاً ، ولأكونَّ في هيئتي شبهك في طريقك إليه ، وسوف ترى .

فغضب ووكل به ، وكان ذلك اليوم مشمساً صائفاً ، فما هو إلا أن دنا المساء ، فانهمل من المطر وهبَّ من الريح ما ضجَّ له الناس ، وتداعوا للدخول لقرطبة ، ولم يجد الأمير بداً من مبادرة قصره ، وركب في نفر من خاصته ، وابن الشمر إلى جانبه يسايره ، فوطئت دابة ابن الشمر مسماراً فلم تنهض ، فأمر له بفرس من جنائبه بسرجه ولجامه ، فركبه ، وشكا نفوذ الماء لغفارته التي كان يتوقاه بها ووصله إلى جسده ، فأمر له الأمير بمطر خز من مماطره ، وقنزعة من قنازعه ، صُبَّا عليه ، فاستوى والأمير في لبوسه ، ومضى يسايره . فلمَّا نزل قال له : يا مولاي كيف رأيت قولي؟ فقال : انطلق بما عليك وتحتك ، والصلة لاحقة بك)) (المغربي ، (د.ت) : 1 / 126 – 127) .

ومن المنجِّمين الذين كانوا يسيرون في ركاب السلطة الأموية في الأندلس ، ويحظون بعطائها المنجِّم الشاعر (مروان بن غزوان) ، فيُروَى أنَّه ((كان متصلاً بعبد الرحمن الأوسط ، وخرج في بعض سفراته ، فبشَّره بالسلامة ، وافتتاح ثلاثة معاقل من بلاد العدو ، فكان ذلك ، وأعطاه ألف دينار)) (المغربي ، (د.ت) : 2 / 22) .

ويعد الشاعر يحيى بن حكم الغزال من منجِّمي الأندلس البارزين في ذلك الوقت ، فينقل المقري أنَّه كان ((حكيم الأندلس ، وشاعرها ، وعرّافها)) (التلمساني ، 1968 : 2 / 254) . وكان قد عاصر خمسة من أمراء بني أمية في الأندلس ، وهم (عبد الرحمن الداخل ، وهشام بن عبد الرحمن ، والحكم بن هشام ، وعبد الرحمن بن الحكم ، ومُحَمَّد بن عبد الرحمن) ، إلا أنَّ نجمه قد بزغ في عهد (الحكم بن هشام ، وعبد الرحمن بن الحكم ، ومُحَمَّد بن عبد الرحمن) . وكان مهتماً بدراسة النجوم والكواكب ، وهناك مواقف كثيرة أفصح فيها الغزال عن مهارته ، وقدرته على التنبؤ بمستقبل بعض الأشخاص ، فتذكر الأخبار ((أنَّ الغزال أنذر بهُلك نصر الخصي هذا من طريق النجم قبل وقوعه بمدة ، فقال :

قُـــلْ للفتى نصـــرَ أبي الفتحِ ... إنَّ المقاتلَ حـــــلَّ بالنَّطـــحِ
وأراهُ قهـــقـــرَ فيه ثم مضـــــى ... قُـدمـــاً ومُدَّبِراً إلـــــى الرُّمـــحِ
وأرى النُّحوسَ لـــــهُ مساعـــدةً ... فـــانظُـرْ لنفسكَ واقْبَلَنْ نُصـحي
ووجـــدتُ ذلكَ إذ حسبتُ لـــهُ ... ممَّا يدلُّ علـــــى غَـــلا القمحِ
ونزولِ أمـــــــرٍ لا أفـــوهُ بهِ ... لو كـــــانَ يبلغُ بي إلـــى الرِّبحِ
وإذا رأيـــتَ البدرَ فـــي بُلَـــعٍ ... نزلَ القضـــــاءُ بأبـــرحِ البَرْحِ
يا رُبَّ طـــالعـــةِ العشاءِ أتَتْ ... بخـــلافِ ذاكَ طوالـــعُ الصُّبحِ
ولـــربَّ رافـــلـــــةٍ عَشِيَّتُهـــا ... في الوشي أضحتْ وهي في المِسْحِ
تبكي على مـــن كـــانَ يُكرمها ... نحَّـــــــاء بين نوادبٍ نُـــحِّ))

(الغزال ، 1993 : 44) .

أمَّا في عصر الخلافة الأموية في الأندلس فقد سار عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر على خطى أسلافهما من أمراء الأندلس في إيلاء عناية كبيرة بالتنجيم ، فتذكر الروايات ((ومِمَّا يلحق بهذا النشاط العلمي كثرة الأطباء وعلماء التنجيم ، الذين تجمَّعوا حول الناصر والمستنصر)) (عباس ، 1960 : 47) .

ولم ينقطع التنجيم في المدة التي تلت الخلافة الأموية وما تلاها في عهد الفتنة التي عصفت ببلاد الأندلس ، وقد نقلت كتب التراث خبراً يتضمَّن ما تنبأ به المنجمّ في عهد الحكم المستنصر (أحمد بن فارس) بعد ولادة (الملك المظفر) ، إذ يقول : ((لم يولد بالأندلس مولود أسعد منه على أبيه وعلى نفسه وعلى حاشيته ، نعم! وعلى أهل الأندلس طراً ، وعلى أرضها طراً ، فضلاً عن ناسها ، وأنَّها لا تزال كذلك حال حياته ، وإذا هلك فما أراها إلا بالضد)) (ابن الأبَّار ، 1985 : 1 / 270) . وقد تحقَّق ما جاء به ابن فارس المنجِّم ، وأكَّد ابن الأبَّار ذلك بقوله : ((فأمَّا أبو مروان عبد الملك المظفر منهم ، فقام بالدولة مقام أبيه ، وأغنى في غزو العدو ، إلا أن مدته لم تطل . وبلغت الأندلس في أيامه نهاية الكمال ، وكان على أهلها أسعد مولود)) (ابن الأبَّار ، 1985 : 1 / 269 – 270) .

وفي عهد المنصور بن أبي عامر أظهر الحزم والشدة تجاه بعض العلوم والممارسات ، ومنها التنجيم ، فيذكر المؤرخون أنَّه كان ((أشد الناس في التغير على من علم عنده شيء من الفلسفة والجدل في الاعتقاد ، والتكلم في شيء من قضايا النجوم وأدلتها ، والاستخفاف بشيء من أمور الشريعة . وأحرق ما كان في خزائن الحكم من كتب الدَّهريَّة والفلاسفة ، بمحضر كبار العلماء)) (المراكشي ، 1980 : 2 / 291 – 292) . ويذكر المراكشي ما أوقعه المنصور بأحد المنجِّمين بقوله : ((وممَّن أوقع به المنصور في مثل هذه المعاني المنكَرة : محمَّد بن أبي جمعة ؛ بلغه عنه قول من الإرجاف في القطع على انقراض دولته ؛ فقطع لسانه ، ثم قتله وصلبه ؛ فخرست ألسن جميعهم لذلك)) (المراكشي ، 1980 : 2 / 291 – 292) .

أمَّا في عصر الطوائف فقد عاشت الأندلس حالة من الاضطرابات والانقسامات ، بفعل الأخطار الخارجية التي كانت تهدد الوجود العربي والإسلامي ، فضلاً عن الصراعات الداخلية ، والفتن التي ألمت بها ، وقد ألقى ذلك بظلاله على الحياة الاجتماعية ، فما أن تهدأ الأجواء ويعم الاستقرار حتى تعلو أصوات الحرب ، الأمر الذي ينذر بقدوم الويلات والنكبات والكوارث ، التي تركت الأسى والحزن يخيِّم على أبناء المجتمع الأندلسي في حالات كثيرة ، وفي ظل تلك الظروف الخانقة لجأ بعض الناس إلى البحث عن وسائل تعيد لهم الأمل ، وتشعرهم بالأمان . فضلاً عن ذلك فإنَّ الصراع على السلطة والتنافس السياسي قد جعل من التنجيم سوقاً رائجة ، فزاد الاهتمام بالمنجِّمين ، وتم الاستماع إلى تنبؤاتهم حتى أصبحت الفيصل في كثير من المواقف ولا سيما في الأوقات التي تسبق الدخول في المعارك ، وكشف الخطر الذي يهدِّد السلطة ، من أجل الاستعداد له ، والتخفيف من آثاره المحتملة ، مثلما حدث مع المعتمد بن عبَّاد ، فقد كان يستعين كثيراً بمنجِّمه المعروف أبي بكر الخولاني ، ويذكر ابن بسَّام في ذخيرته ذلك بقوله : ((حينما كانت جيوش المسلمين بالأندلس مع حليفهم يوسف بن تاشفين تستعد لخوض معركة الزَّلاقة ، أمر المعتمد منجِّمه أبا بكر بن يحيى الخولاني بأخذ طالع الوقت والنظر فيه ، فوجده أوفق طالع ، فكتب المعتمد إلى يوسف بهذه الأبيات :

غـــزوٌ عليكَ مـــباركٌ ... في طيِّه الفتحُ القريـــبْ
للهِ ســـيـــفُـــــكَ إنَّه ... سُخطٌ على دينِ الصَّليبْ
لا بدَّ مـــن يومٍ يكـــو ... نُ لـــــه أخٌ يومَ القَلِيبْ))

(ملك إشبيلية ، 2000 : 53) . أمَّا إذا جاءت الأمور بالضد ممَّا يخبر به الخولاني ، فإنَّ المعتمد يعمد إلى زجره وتوبيخه ، ومن ذلك حينما دخل عليه الملثَّمون ، فخاطب منجِّمه أبا بكر الخولاني قائلاً :

أرَمَــدْتَ أم بنجُومِكَ الرَّمدُ؟ قد عـــــادَ ضدًّا كلُّ ما تَعِدُ
هـــــل في حسابِكَ ما تُؤمِّلُهُ أم قـــــد تَصَرَّمَ عندكَ الأمَدُ
قد كنتَ تَهمِسُ إذْ تُخاطِبُني وتخــطُّ كَرهاً إنْ عَصَتْكَ يَدُ
فالآن لا عــينٌ ولا أثـــــرٌ أتُراكَ غيَّــبَ شخصَكَ البلدُ
وتراكَ بالعذراءِ فــي عُــرُسٍ أم إذ كذبتَ سَطَا بكَ الأسَدُ
المُلْكُ لا يَبقى على أحــدٍ والموتُ لا يَبقى علـى أحــدُ

(ملك إشبيلية ، 2000 : 87) . وتذكر الروايات أنَّ التنبؤ بالغيب قد امتد إلى عصر الموحدين ، فمؤسس الدولة الموحدية (مُحَمَّد بن تومرت) كان كثير الاهتمام بالتنجيم وغيره من الأفعال والممارسات التنبؤية ، ومن ذلك ما ذكره أحد المؤرخين ، إذ ينقل أنَّه خرج في أحد الأيام ((متوجهاً إلى المغرب فنزل بضيعة يقال لها ملالة على فرسخ من بجاية وبها لقيه عبد المؤمن بن علي وهو إذ ذاك متوجه إلى المشرق في طلب العلم ، فلمَّا رآه مُحَمَّد بن تُومَرت عرفه بالعلامات التي كانت عنده ، وكان ابن تومرت هذا أوحد عصره في علم خط الرمل ، مع أنَّه وقع بالمشرق على ملاحم من عمل المنجِّمين وجُفور من بعض خزائن خلفاء بني العباس ؛ أوصله إلى ذلك كله فرط اعتنائه بهذا الشأن ، وما كان يحدِّث به نفسه)) (المراكشي ، 2006 : 137) . وبذلك نجد أنَّ الطموحات السياسية كانت تضغط على عدد كبير من الراغبين بالوصول إلى السلطة ، فتدفعهم إلى التشبُّث بأي وسيلة كانت من أجل بلوغ الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها ، ومن ذلك التنبؤ بالغيب .

ثانياً / الغناء :

يبدو أنَّ الغناء في الأندلس لم يكن مقتصراً على التسلية والطرب فحسب ، وإنَّما كان يتأثَّر بما يجري على الساحة السياسية من أحداث وتطورات ، فقد ذكرت كتب التراث الأندلسي أخباراً تظهر دور بعض المغنِّين في ميدان التنبؤ بالغيب ، وقراءة بعض أحداث المستقبل ، وكشف ما يحمله من تحولات في الشأن السياسي ، ولا سيما التنبؤ بمصير عدد من ملوك عصر الطوائف ، ومن ذلك ما جرى مع ملك طليطلة المأمون بن ذي النون حينما بنى قصراً كبيراً وجميلاً ، فتذكر الأخبار أنَّه ((أتقنه إلى الغاية ، وأنفق عليه أموالاً طائلة ، وصنع في وسطه بحيرة ، وصنع في وسط البحيرة قبّة من زجاج ملوَّن منقوش بالذهب ، وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون ، فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطاً بها ويتّصل بعضه ببعض ، فكانت قبة الزجاج في غلالة ممَّا سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجري ، والمأمون قاعد فيها لا يمسُّه من الماء شيء ولا يصله ، وتوقد في الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب ، وبينما هو فيها مع جواريه ذات ليلة إذ سمع منشداً ينشد :

أتبني بناءَ الخـــــالدينَ وإنَّما بقاؤكَ فيها لـــو علمتَ قليلُ
لقد كانَ في ظلِّ الأراكِ كفايةً لمن كُـــلَّ يومٍ يقتضيه رحيلُ

فنغَّص عليه حاله ، وقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، أظن أنَّ الأجل قد قرب ، فلم يلبث بعدها غير شهر وتُوفِّي ، ولم يجلس في تلك القبّة بعدها ، وذلك سنة 467هـ)) (التلمساني ، 1968 : 1 / 528 – 529) .

وفي مواقف أخرى أوردت المصادر التاريخية أخباراً تشير إلى استماع ملوك بني عبَّاد للغناء ، وتفاعلهم مع ما يسمعونه من تنبؤات يذكرها بعض المغنّين ، ولا سيما إذ كان الأمر يتعلَّق بزوال ملكهم ، لذلك فإنَّ خوفهم من المستقبل المجهول ، وما يحمله من أخطار قد شكَّل عامل إرباك وقلق لهم ، فما أن يسمعوا أحداً يتنبَّأ بمصيرهم ، أو يشير إلى شيء يذكِّرهم بنهايتهم من باب التطيُّر ، فإنَّهم لا يتأخرون في إظهار الحزن والأسى ، ومن ذلك ما أورده المؤرخون عن المعتضد بن عبَّاد ، فعندما ((تصرَّمت أيامه ، وتدانى حمامه استحضر مُغنّياً يغنّيه ليجعل ما يبدأ به فألاً ، وكان المغنّي السوسي ، فأول شعر قاله :

نطوي المنازلَ علماً أن ستطوينا فشَعْشعِيها بماءِ المُزْنِ واسقينا

فمات بعد خمسة أيام ، وكان الغناء من هذا الشعر في خمسة أبيات)) (التلمساني ، 1968 : 4 / 96) .

أمَّا المعتمد بن عباد فقد شهد في أيام حكمه الأخيرة حالة من الاضطراب والتشتُّت والقلق ، إذ عبثت به التنبؤات ، وزادت من تأزُّمه النفسي ، وأصبح لا يطيق سماع ما يشير إلى زوال ملكه . لذلك لم يتردّد في ممارسة العنف والإيذاء الجسدي بحق من يتنبَّأ بخلاف ما يريده ، وهنا أوردت كتب التراث الأندلسي أنَّ أمير المرابطين ((يوسف بن تاشفين أهدى إلى المعتمد جارية مغنية قد نشأت بالعدوة ، وأهل العدوة بالطبع يكرهون أهل الأندلس ، وجاء بها إلى إشبيلية وقد كثر الإرجاف بأنَّ سلطان الملثمين ينتزع بلاد ملوك الطوائف منهم ، واشتغل خاطر ابن عباد بالفكر في ذلك ، فخرج بها إلى قصر الزاهر على نهر إشبيلية ، وقعد على الراح ، فخطر بفكرها أن غنَّت عندما انتشى هذه الأبيات :

حملوا قلوبَ الأسْدِ بينَ ضلوعِهم ولَـــوَوا عمائمَهمْ على الأقمارِ
وتقلَّدوا يومَ الوغـــــــى هِنْديَّةً أمضى إذا انتُضِيَتْ مـن الأقدارِ
إن خَوَّفُوكَ لقيتَ كـــــلَّ كريهةٍ أو أمَّنوك حللتَ دارَ قَـــــرارِ

فوقع في قلبه أنَّها عرَّضت بساداتها ، فلم يملك غضبه ، ورمى بها في النهر ، فهلكت)) (التلمساني ، 1968 : 4 / 275 – 276) . وقد ترك ما قالته المغنية أثراً كبيراً في الواقع السياسي في مدينة إشبيلية آنذاك ، ((فقدَّر الله تعالى أن كان تمزيق ملكه على يدهم تصديقاً للجارية في قولها :

إن خوَّفُوكَ لقيتَ كلَّ كريهةٍ

وحصره جيوش لمتونة الملثمين حتى أخذوه قهراً ، وسيق إلى أمير المسلمين)) (التلمساني ، 1968 : 4 / 275 – 276) .

وقد تكرَّر هذا المشهد المأساوي مع الرشيد بن المعتمد ، إذ لم يعد قادراً على احتواء الموقف بعد سماع ما قاله أحد المغنّين ، فتذكر المصادر التاريخية ما قاله ابن اللبانة : ((كنت بين يدي الرشيد بن المعتمد في مجلس أنسه ، فورد الخبر بأخذ يوسف بن تاشفين غرناطة سنة 483هـ ، فتفجَّع وتلهَّف ، واسترجع وتأسَّف ، وذكر قصر غرناطة فدعونا لقصره بالدوام ، ولملكه بتراخي الأيام ، وأمر عند ذلك أبا بكر الإشبيلي بالغناء ، فغنَّى :

يا دارَ مَيَّةِ بالعَلْياءِ فـــالسَّندِ أقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأمدِ

فاستحالت مسرَّته ، وتجهَّمت أسرَّته ، وأمر بالغناء من ستارته ، فغنَّى :

إن شئت أن لا ترى صبراً لمصطبرٍ فانظرْ على أيّ حالٍ أصبحَ الطَّلَلِ

فتأكَّد تطيُّره ، واشتدَّ ارتداد وجهه وتغيُّره ، وأمر مُغنّية أخرى من سراريه بالغناء ، فغنَّت :

يا لهفَ نفسي علـــــى مالٍ أفرّقُهُ على المُقلّينَ من أهـــــلِ المروءاتِ

أنَّ اعتذاري إلى مـــــن جاء يسألني ما لست أملك من إحدى المصيبات

قال : فتلافيت الحال بأن قلت :

محـــلُّ مكرمـــــــةٍ لا هُـدَّ مبناهُ وشَمْـــلُ مـــــأثرةٍ لا شتَّتَ اللهُ

البيتُ كالبيتِ لكـــن زادَ ذا شرفـــاً أنَّ الرشيدَ مـــع المُعتَّـدِ ركـــناهُ

ثاوٍ على أنجـــــمِ الجوزاءِ مقـــعدُهُ وراحـــــلٌ في سبيلِ السَّعدِ مَسراهُ

حتمٌ على الملكِ أن يقوى وقد وصلَتْ بالشَّرقِ والغربِ يُمْـناهُ ويُسْـــراهُ

بأسٌ توقَّـــــدَ فاحمرَّتْ لواحِـظُهُ ونائلٌ شـبَّ فـــاخضرَّتْ عـــذاراهُ

فلعمري لقد بسطت من نفسه ، وأعادت عليه بعض أنسه ، على أنّي وقعت فيما وقع فيه الكل لقولي "البيت كالبيت" . وأمر إثر ذلك أبا بكر بالغناء ، فغنَّى :

ولمَّا قضينا من منىً كلَّ حاجةٍ ولـم يَبْقَ إلا أن تُزَمَّ الرَّكـائبُ

فأيقنا أنَّ هذا التطير ، يعقبه التغير)) (التلمساني ، 1968 : 4 / 94 – 96) .

وبذلك عكس الغناء طبيعة الأوضاع السياسية المضطربة في عدد من المدن الأندلسية ، ولا سيما مدينة إشبيلية ، وكشف عن مدى الأثر النفسي المؤلم الذي خيَّم على ملوك بني عبَّاد ، فألقى بظلاله على أدائهم ، إذ لم يتمكَّنوا من إخفاء قلقهم وخوفهم من الأخطار التي كانت محيطة بهم ، الأمر الذي أفقدهم السيطرة على ردود أفعالهم ، فغلب عليها الطابع الانفعالي حينما أثارهم المغنُّون .

ثالثاً / الفراسة والقراءة الواعية للأحداث :

لقد منح الله جلَّ وعلا عدداً من الأشخاص مواهب وقدرات عقلية معيَّنة تجعلهم أكثر فطنة وذكاء من غيرهم ، الأمر الذي مكَّنهم من قراءة ما يدور حولهم من أحداث ، والبحث عن ارتباطها بالمستقبل ، ومدى تأثيرها في تشكُّل أحداثه ، وخير شاهد على ذلك ما حصل مع الأمير عبد الرحمن الداخل في أحد المواقف ، فقد كان دقيقاً في عرض تصوراته لواقع السلطة والحكم الأموي في بلاد الأندلس في عصره وفي قادم الأيام ، فقد نقل المؤرخون ذلك : ((ولما استقامت له الدولة بلغه عن بعض من أعانه أنَّه قال : لولا أنا ما توصَّل لهذا الملك ، ولكان منه أبعد من العيوق ، وأنَّ آخر قال : سعده أعانه لا عقله وتدبيره ، فحرَّكه ذلك إلى أن قال :

لا يُلْـفُ ممتنٌّ علينا قـــائلٌ لولايَ مـــا ملكَ الأنامَ الداخلُ

سَعْدي وحَزْمـــي والمُهنَّدُ والقَـنا ومَقادرٌ بلغَـتْ وحـــالٌ حائلُ

إنَّ الملوكَ مـــع الزَّمانِ كواكبٌ نجمٌ يطالعُنا ونجـــمٌ آفـــلُ

والحزمُ كلُّ الحـــزمِ أن لا يغفلوا ... أيرومُ تدبيرَ البريّةِ غـافـــــــــلُ
ويقولُ قـــــومٌ سعـدَهُ لا عقلَهُ ... خيرُ السَّعادةِ مـــــا حماها العاقلُ
أبني أميَّة قـــــد جبرْنا صدعَكُم ... بالغربِ رغـــــماً والسُّعودُ قبائلُ
مـــا دامَ مـــــن نسلي إمامٌ قائمٌ ... فالملكُ فيكـــم ثابـتٌ متواصـــلُ))

(التلمساني ، 1968 : 3 / 42 – 43) . فالنص الشعري السابق كشف عن مدى وعي عبد الرحمن الداخل وفطنته في مواجهة الأحداث المحيطة به ، وقدرته على معالجة المواقف التي يمكن أن يكون لها تأثير على زعزعة أركان سلطته ، التي أراد لها أن تدوم طويلاً في بلاد الأندلس ، سواء في عهده أم في عهد من يأتي بعده من أبنائه وأحفاده . لذلك تنبَّأ بتواصل الحكم الأموي واستمراره ، وربط الأمر بمدى الالتزام بنصائحه ونهجه ، واستيحاء تجاربه في التعامل مع الأحداث ، التي من أبرزها إظهار الحزم وعدم الغفلة والتهاون مع العابثين ومثيري الفتن . وقد تحقَّق ما قاله ، واستمرَّ الأمويون في السلطة لعقود كثيرة رغم الصعاب والفتن والتهديدات الخارجية .

أمَّا الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر فقد كانت له رؤية خاصة للمستقبل ، فهو يعتقد أنَّ البناء الشامخ وحده من يخلِّد الإنسان ، لذلك سخَّر جهوده من أجل بناء مدينة الزهراء ، وقد منحها كثيراً من وقته وأمواله ، غير مبالٍ بما يقوله الآخرون ، وهنا تذكر الروايات : ((وكان منذر ابن سعيد قاضي الناصر وخطيبه كثيراً ما يُقرّعه فيما أسرف فيه من مبانيه ، ويعظه ، ودخل عليه يوماً وهو مكب على البنيان ، فوعظه ، فأنشده الناصر قوله وهو عالي الطبقة :

هممُ الملوكِ إذا أرادوا ذكـــرَها ... من بعدهـــــمْ فبألسنِ البُنيانِ
أو ما ترى الهرمينِ قـد بَقِيا وكمْ ... مُلْكٍ مَحَاهُ حـــــادثُ الأزمانِ
إنَّ البناءَ إذا تَعاظَـــــــمَ شأنُهُ ... أضحى يدلُّ علـى عظيمِ الشانِ))

(المغربي ، (د.ت) : 1 ، 179 – 180) . فالخليفة الأموي جعل همَّه مُوجَّهاً نحو تشييد بناء يكون شاهداً على عظمته ، من أجل أن يخلد اسمه على مر الأجيال ، فهو يعتقد أنَّ لغة البنيان هي من لها السطوة والهيمنة ، ولا يمكن لأي لغة أخرى أن تدانيها ، فوجهة نظرة كانت تتمحور حول فكرة الخلود ، التي يرى فيها أنَّ الجسد فانٍ والبناء باقٍ ، يخلِّد صاحبه على مر العصور ، مستدلَّاً على ذلك بخلود الهرم وشموخه رغم تعاقب الملوك الذين أفناهم الدهر وبقي البناء شاهداً على إنجازاتهم .

فيما كان للشاعر (ابن الأبَّار البلنسي) موقف من أحداث عصره ، إذ كان يشعر بالضيق والحزن في تونس ، نظراً لاضطراب الأوضاع السياسية آنذاك ، وكثرة الحسَّاد والمناوئين الذين أوغروا صدور الحكام الحفصيين حقداً عليه ، فأعلن عن عزمه على الرحيل عن بلاد تونس ، فكتب نصاً شعرياً عبَّر فيه عن استيائه وتبرُّمه من البقاء فيها ، وقد ضمَّنه رؤيته التنبؤية بما سيحدث فيها ، إذ يقول :

وإمَّا رأيـــتَ الرُّسُومَ امَّحَتْ ... ولم يُرْعَ حَـــقٌّ لذي مَطْلَبِ
فَخُذْ في التَّرحُّلِ عـن تُونُسٍ ... وفـــارقْ مَغَانِيها واذْهَـــــبِ
فَسَوفَ تَكُـــــونُ بِهَا فِتْنَةٌ ... تُضِيفُ البَرِيء إلـى المُذْنِبِ

(البلنسي ، 1999 : 453) . وهنا يكشف النص عن حالة من عدم الاستقرار قد وصل إليها الشاعر ، وشعوره بالتشظي الذاتي في ظل غياب العدالة ، وعدم الاهتمام بالحقوق وضياعها ، وهو بذلك يوجه نقداً للسلطة الحاكمة ؛ بسبب الإهمال وعدم الاستماع من أصحاب المطالب ، الأمر الذي ألقى بظلاله السلبية على الشاعر ، الذي لم يحتمل الواقع المعيش ، فأعلن عن موقفه الرافض ، وأظهر نقمته على المكان / تونس ، عبر تتابع أفعال الأمر (خذ ، وفارق ، واذهب) ، التي مثَّلت علامات دالة على مدى ضجر الشاعر ، وتأزمه النفسي ، وشعوره بعدم الرضا ، بعد أن تبدَّدت آماله ، وتمزَّقت وشائج الوئام والانسجام مع المكان ، على الرغم من جماله ، لكن ضيق الحالة النفسية ، وتداعياتها المؤلمة أجبره على التفكير بمغادرة تونس ؛ لأنَّه كان يشعر بأنَّ إهمال السلطة لأبناء المجتمع ، وظلمها لهم ، سيؤدي إلى حدوث فتن مدمِّرة تأتي على المذنب والبريء على حد سواء .

رابعاً / الأشياء اللاشعورية :

لا يمكن لنا أن نتجاهل الأشياء اللاشعورية بأي حال من الأحوال ، فارتباطها كبير بما نقوم به من أفعال وممارسات ، فتظهر آثارها جلية في بعض التصرُّفات ، فهي ((مستودع الآمال والآلام والرغبات المكبوتة)) (العيسوي ، (د.ت) : 43) ، الأمر الذي يجعلها تتجلَّى في بعض الحالات على شكل تنبُّؤات بما سيحصل لنا في المستقبل ، ومن ذلك ما نسمعه بين اليقظة والمنام من أصوات قد تكون ذات دلالة معينة ، أو ما نراه في المنام ، ومثال هذا الأمر ما حدث مع الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر ، إذ ((حُكِيَ عن بعض الأمويين أنَّه قال لما كمُل بنيان الزهراء وسكنها عبد الرحمن الناصر أخذه في بعض لياليه أرَقٌ وغلب عليه قلق ، فجعل يطوف على مبانيها ويصعد على علاليِّها ولا يستقر به مكان إلى أن صار في أعلى علية مشرفة على الجبل والبطحاء والليل ، فاستلقى على ظهره في فرشها ، فإذا بهاتف يقول :

يا صاحبَ القصرِ العظيمِ الذُّرى ... اسمَعْ إلـــــى وعظي بحرفَيْنِ

يوشِكُ أن تُنقَلُ منهُ إلـــــــى ... أهـــــويَّةٍ فـــــي ضيقِ شِبْرَينِ

فاستوى جالساً وقال مجيباً له :

لو دامتِ الدُّنيا لمن قبلنا ... لدامـــــتِ الدُّنيا لاثنينِ

أعني سليمـانَ وذاكَ الذي ... سدَّ علـــى يأجوجَ بابينِ))

(عبد البديع ، 1955 : 301 – 302) . ويبدو هنا أنَّ ما جاء في الخبر السابق يؤكد قوة الأشياء اللاشعورية في تنبيهنا على بعض الأمور التي قد نغفل عنها ، بفعل زحمة الحياة ، والانشغال بها ، وقد كان للهاتف الذي سمعه الخليفة الناصر تأثير كبير في إيقاظه من غفلته بعد أن اتَّبع أهواءه ، وأذعن لرغباته في بناء مدينة الزهراء ، فكان لابد من وخزة تعيد له صوابه ، وتذكره بمصيره ، ورحيله عن الدنيا ، وقد تجلَّى أثر ذلك في خطابه الشعري ، الذي جاء مليئاً بدلالات الحكمة والموعظة ، تجلَّت في تأكيد الرؤية الرامية إلى عدم الركون إلى الدنيا ، فكل شيء فيها زائل ، ولا يمكن لها أن تدوم على حال . والاتعاظ من العظماء الذين كان لهم ملك كبير ، ولا سيما النبي سليمان (عليه السلام) ، وذو القرنين .

وممَّا لا شك فيه أنَّ ما يراه الإنسان في المنام في كثير من الحالات له ارتباط وثيق بما سيحدث له في اليقظة ، فقد يكون نذيراً بأحداث المستقبل ، وهذا الأمر قد يكون سارَّاً في بعض الحالات ، وحزيناً في حالات أخرى ، لذلك يلجأ عدد من الناس إلى تأويل رؤياهم لعلَّها تحمل الخير لهم ، الأمر الذي شجَّع بعض العلماء إلى تعلُّم القضايا المرتبطة بتفسير المنامات . ومن تمظهرات التنبؤ عبر المنام ما ذكره ابن بشكوال في كتاب (الصلة) ، إذ أورد مناماً تضمَّن تنبؤاً بنهاية حياة أبي عمر الطلمنكي ، فيذكر قائلاً : ((أخبرني أبو القاسم إسماعيل بن عيسى بن مُحَمَّد الحجاري عن أبيه قال : خرج علينا أبو عمر الطلمنكي يوماً ونحن نقرأ عليه فقال : اقرؤوا وأكثروا فإنِّي لا أتجاوز هذا العام . فقلنا له : ولِمَ ؟ يرحمك الله ! فقال : رأيت البارحة في منامي منشداً ينشدني :

اغتنمـوا البرَّ بشيخٍ ثوى ترحمُـــهُ السُّوقةُ والصِّيدُ

قد ختمَ العمرَ بعيدٍ مضى ليسَ لهُ من بَعْـــدِهِ عيدُ

قال : فتوفي في ذلك العام)) (ابن بشكوال ، 1989 : 1 / 84 – 85) .

لقد حمل المنام أبعاداً تنبؤية ارتبطت بمصير أبي عمر الطلمنكي ، إذ أشارت أحداثه إلى قرب رحيله عن الدنيا ، فأذعن لما رآه في منامه ؛ لأنَّه وجد فيه ما يسرُّه بعظم الشأن وسمو المنزلة ، وقد تجلَّى أثر ذلك في النص الشعري الذي ورد في المنام ، إذ جسَّد حالة من الاطمئنان النفسي التي تشكَّلت بعد التبشير بدلالات الفيض الإلهي المتمثِّلة بالرحمة والثواب والجزاء الحسن .

الخاتمة :

وممَّا سبق ذكره يتَّضح أنَّ الأعمال والممارسات المتعلقة بالتنبؤ بالغيب كان لها صدى واسع في أروقة السلطات الحاكمة في بلاد الأندلس آنذاك ، حتى أصبحت ظاهرة تثير الانتباه ، وتستدعي التوقف عندها ، ودراسة بواعثها ، ومعرفة أشكالها ، وبيان مدى تأثيرها اجتماعياً وسياسياً . فتعلُّم التنبؤ بالغيب وممارسته كان شائعاً في عدد من عصور الأندلس ، ولا سيما في عصور الحكم الأموي ، إذ شهد التنجيم رواجاً كبيراً ، وقد تجلَّى ذلك عبر قيام أغلب أمراء بني أمية وخلفائهم بتقريب المنجِّمين ، ومنحهم قدراً واسعاً من العناية والاهتمام ، الأمر الذي حفَّز كثيراً من النابهين إلى اقتحام ميدان التنجيم ، بحثاً عن الشهرة والأموال . إلا أنَّ هذا الأمر شهد تراجعاً في بعض الأوقات ، إذ تم محاربة ظاهرة التنجيم ، وكان ذلك في عهد المنصور بن أبي عامر ، لكن هنالك عوامل مختلفة قادت إلى عودة التنجيم في بعض المدن الأندلسية ، منها تنامي ظاهرة التنافس والصراع الداخلي ، والشعور بالأخطار الخارجية ، ففي مدينة إشبيلية أولى ملوك بني عبَّاد اهتماماً بالمنجِّمين ، وتم الاعتماد على ما يطلقونه من تنبؤات . ولم يقف الأمر عند عصور الحكم الأموي والطوائف ، بل امتدَّ لعصور الأندلس الأخرى .

وقد عثرنا على أخبار كثيرة تضمَّنت رؤى تنبؤيَّة قيلت في مواقف مختلفة ، غلب على أكثرها البعد السياسي ، إذ كان يجري بعضها بمباركة السلطة الحاكمة وفي عصور مختلفة . وبعضها الآخر كان مُوجَّهاً ضدَّها ، الأمر الذي جعل من تعامل القائمين على السلطة مع ما يصدر من المنجمِّين محكوماً بطبيعة تنبؤاتهم ، ومدى انسجامها أو مخالفتها لتوجُّهاتهم السياسية ، فحينما تكون الأمور متوافقة مع مصالحهم وأهدافهم السياسية فإنَّهم يظهرون الفرح والرضا ، ويسارعون إلى إغداق الأموال على المنجِّمين ، أمَّا إذا عارضت التنبؤات ما يصبون إلى تحقيقه ، وعكَّرت صفو بالهم فإنَّهم لا يتردَّدون في إظهار غضبهم وحزنهم ، فيعمدون إلى توبيخ المنجِّمين ومعاقبتهم جسدياً ، وقد يصل الأمر إلى قتلهم .

وكشفت لنا الدراسة دور الشعراء في قضايا التنبؤ بالغيب ، فقد كانت لهم مواقف مختلفة في هذا المجال وردت بعضها في أشعارهم ، منها ما كان رافضاً لهذه الظاهرة ، ومنها ما حمل أبعاداً تنبؤية ، فهناك عدد من الشعراء الأندلسيين أعلنوا عن رفضهم التام للأعمال المرتبطة بالغيب ولا سيما موقفهم الناقم على التنجيم ، ومنهم (ابن عبد ربّه ، وعيسى بن قزمان ، وسعيد بن العاص المرواني ، وابن ليون التجيبي) ، فيما مارس شعراء آخرون التنجيم واشتهروا به ، ومن أبرزهم (عباس بن فرناس ، ويحيى بن حكم الغزال ، وعبد الله بن الشمر) وغيرهم ، وقد وثّق بعضهم في أشعاره جوانب من رؤاه التنبؤية .

فضلاً عن ذلك فقد كان الشعر المغنّى وسيلة تعبيرية عملت على بث رسائل خاصة تضمّنت شيئاً من التنبؤ بمصير عدد من القائمين على الشأن السياسي ، بهدف إيصالها إلى الآخر المقصود بالخطاب ، وقد تجلّى ذلك في عصر الطوائف ، ولا سيما ما حدث مع (المعتضد بن عبّاد ، وابن ذي النون ، والمعتمد بن عبّاد ، والرشيد بن المعتمد) .

وقد اعتمد شعراء آخرون على الفراسة والقراءة الدقيقة للأحداث ، منهم من كان في دائرة السلطة ومن أبرزهم (عبد الرحمن الداخل ، وعبد الرحمن الناصر) ، ومنهم من عمل مع السلطة واكتوى بنارها وهو (ابن الأبّار البلنسي) .

فيما كانت القضايا اللاشعورية حاضرة في فضاء للتنبؤ ، ولا سيما ما يسمعه المرء سواء في اللحظات التي تكون بين اليقظة والمنام أم ما يراه في منامه بوصفه واحة تعبيرية تعكس مدى الارتباط بين عالمي اليقظة والمنام ، فما يراه الرائي في منامه يتكئ في كثير من جوانبه على ما يتردَّد في عالم اليقظة من أحداث .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم
- إبراهيم ، عبد الله ، 2003 ، **النثر الجاهلي حضور النبوءة وهيمنة المحمول الديني** ، بحث منشور ، المجلة الجامعة ، ع5 .
- ابن الأبّار ، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658 هـ) ، 1985 ، **الحلة السيراء** ، تحقيق : حسين مؤنس ، دار المعارف ، ط2 .
- ابن بشكوال ، 1989 ، **الصلة** ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب المصري – القاهرة ، دار الكتاب اللبناني – بيروت ، ط1 .
- ابن حنبل ، أحمد ، 1999 ، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط2 .
- ابن عبد ربه ، 1979 ، **ديوانه** ، تحقيق : د. مُحَمَّد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 .
- البلنسي ، أبو عبد الله مُحَمَّد بن الأبّار القضاعي ، 1999 ، **ديوان ابن الأبّار** ، تحقيق : عبد السلام الهرّاس ، مطبعة فضالة – المغرب ، (د.ط) .
- بهنام ، أ.د. هدى شوكت ، 2013 ، **دواوين شعرية لشعراء أندلسيين (أبي جعفر بن الأبّار – أبي عامر مسلمة – أبي بكر بن القوطية – ابن ليون التجيبي)** ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ط1 .
- التلمساني ، أحمد بن مُحَمَّد المقري ، 1968 ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ، (د.ط) .

- شيشرون ، فيلسوف الرومان وخطيبهم ، (د.ت) ، **علم الغيب في العالم القديم** ، ترجمة : د. توفيق الطويل ، مكتبة الآداب بالجماميز ، مطبعة الاعتماد بمصر ، (د.ط) .
- الطويل ، د. توفيق ، 1945 ، **التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام** ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي وشركاه ، (د.ط) .
- عباس ، إحسان ، 1960 ، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة** ، دار الثقافة ، بيروت ، ط1 .
- عبد البديع ، د. لطفي ، 1955 ، **قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كُور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة** ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، مايو .
- العيسوي ، د. عبد الرحمن ، **أصول البحث السيكولوجي علمياً ومهنياً** ، (د.ت) ، دار الراتب الجامعية ، بيروت – لبنان ، (د.ط) .
- الغزال ، يحيى بن حكم ، 1993 ، **ديوانه** ، تحقيق : د. مُحَمَّد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر – بيروت ، دار الفكر – دمشق ، ط1 .
- القرطبي ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر النمري (ت 463 هـ) ، (د.ت) ، **بهجة المجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس** ، تحقيق : مُحَمَّد مرسي الخولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د.ط) .
- المراكشي ، ابن عذاري ، 1980 ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق : ج.س. كولان – إ. ليفي بروفنساني ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، ط2 .
- المراكشي ، أبو مُحَمَّد عبد الواحد بن علي ، 2006 ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، تحقيق : د. صلاح الدين الهوَّاري ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ط1 .
- المغربي ، ابن سعيد، (د.ت)، **المغرب في حلى المغرب** ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط4 .
- ملك إشبيلية ، المعتمد بن عبَّاد ، 2000م ، **ديوانه** ، جمعه وحقَّقه: د. حامد عبد المجيد ، د. أحمد أحمد بدوي ، راجعه : طه حسين ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ط3 .

آليات مكافحة الفساد المالي والإداري في الاردن

أحمد ارشيد نصير

طالب دكتوراة / كلية الاقتصاد والمعاملات/ جامعة العلوم الإسلامية الماليزية/ ماليزيا

ahmad_nusair@yahoo.com

00962799455028

الملخص

يعد الفساد المالي والإداري من الظواهر السلبية على الفرد والمجتمع لما له من آثار إجتماعية وإقتصادية وسياسية، خاصةً بعد حدوث الأزمة المالية في العديد من الدول و المؤسسات العالمية، حيث ترجع هذه الأزمات والإنهيارات في غالبيتها إلى ما يعرف بالفساد المالي والإداري، لذا جاءت هذه الدراسة للتعرف على أهم الجوانب المتعلقة بآليات مكافحة الفساد المالي والإداري في الاردن والعمل على تسليط الضوء على ظاهرة الفساد المالي والإداري وأنواعه ومسبباته وتأثيراته السياسية والإقتصادية وبيان أهمية الأجهزة الرقابية في الاردن والآليات المتبعة في مكافحة الفساد وتقديم المقترحات والتي من شأنها إصلاح مؤسسات الدولة والنأي بها عن الفساد، وذلك من خلال إستخدام الباحث المنهج الوصفي من أجل الوصول إلى توضيح الأفكار المطروحة في الدراسة.

الكلمات المفتاحية: مكافحة الفساد، الفساد المالي، الفساد الإداري، الجهات الرقابية، الاردن

Mechanisms to combat financial and administrative corruption in Jordan

Ahmad ErshaidNusair

PHD Student in the Faculty of Economics and Muamalat, University Science Islam Malaysia

Abstract

Financial and administrative corruption is one of the negative phenomena on the individual and society because of its social, economic and political effects, especially after the financial crisis occurred in many countries and global institutions, most of these crises and collapses are due to what is known as financial and administrative corruption, Therefore, this study came to identify the most important aspects related to the mechanisms of combating financial and administrative corruption in Jordan and work to shed light on the phenomenon of financial and administrative corruption and its types, causes and political and economic impacts and to show the importance of the regulatory bodies in Jordan and the mechanisms used in combating corruption and to submit proposals that would reform state institutions And to distance it from corruption, through the researcher's use of the descriptive approach in order to reach the clarification of the ideas in the study.

Keywords: combating corruption, financial corruption, administrative corruption, Regulators, Jordan

المقدمة

يعد الفساد من الظواهر السلبية والتي يعاني منها معظم دول العالم، حيث أصبح الفساد آفة من الآفات المجتمعية في العالم، حيث لا يمر علينا يوم من الأيام دون أن تخرج علينا وسائل الاعلام المرئية او المكتوبة أو حتى مواقع التواصل الاجتماعي عن هذا المرض الخطير.

والفساد ظاهرة في جميع دول العالم لا تخص دولة معينة، بل وتعرضت لها معظم الدول على مختلف العصور والأزمان، فهو من الظواهر الخطيرة التي أقلقت المجتمعات البشرية والحكومات منذ العصور الازلية، لأن الفساد أضحى من الأوبئة التي تهدد هذة المجتمعات بالإكتساح على أوسع نطاق، وهو آفة ذات جذور عميقة لها أبعاد سياسية واجتماعية واقتصادية، وتظهر في المجتمعات كافة ولكن بمستويات مختلفة بين مجتمع وآخر، بناءاً على درجة الوعي الديني والأخلاقي ودرجة الإلتزام بالقيم والمبادئ الأخلاقية والمجتمعية(الصرايرة، 2017).

تشير نتائج مؤشر دركات الفساد للعام 2020 أن النقاش المتزايد في الفساد يسير ببطء وثبات نحو الإصلاح الهيكلي، هذا وقد اكتسب الفساد في المؤسسات شرعية خاصة، حيث يتم الأن مواجهه الفساد بشكل واضح باعتباره انه العقبة الأولى التي تقف أمام عجلة التنمية.

هذا وقد سجّل الأردن تقدمًا مقدارة درجة واحدة على مؤشر مدركات الفساد لعام 2020 حيث حصل على درجة 49 /100 مقارنة مع عام 2019 حيث كانت درجته آنذاك 48 / 100 وذلك بحسب التقرير الذي أصدرته منظمة الشفافية الدولية، حيث حلّ الأردن في المرتبة 60 عالميًا من بين 180 دولة والخامس عربيا(موقع جريدة الغد الاردنية، 9 نوفمبر 2021).

هذا وقد استضاف الأردن المؤتمر الأول للدول الموقعة على إتفاقية مكافحة الفساد، وإقرار قوانين جديد للحد من الفساد مثل قانون هيئة مكافحة الفساد وقانون مكافحة غسيل الأموال وإشهار الذمة المالية ومركز النزاهة الشفافية، والتي أسهمت في الحد من الفساد، ونظراً لأهمية مكافحة الفساد المالي والإداري جاءت هذه الدراسة للكشف عن آليات مكافحة الفساد المالي والإداري في الأردن.

2. المنهجية

2-1. مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث بأن الفساد المالي والإداري ليست بالمشكلة البسيطة في سوء إدارة أملاك الدولة بل بما يترتب عليها من الآثار السلبية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي و السياسي، حيث إن الفساد يُحمل الدولة الكثير من التكاليف والأعباء المادية والمعنوية مما يحد من إستقرارها وتحقيق أهدافها في التنمية، لذا يتعين علينا بذل المزيد من الجهود للحد من الفساد المالي والإداري، ولذلك يعتقد الباحثان أن ظاهرة الفساد المالي والإداري في الأردن مشكلة عظمى ويجب مكافحتها وبيان آليات مكافحتها.

2-2. أهمية البحث

يكتسب البحث الحالي أهميته من خلال معالجته لموضوع في غاية الأهمية يمس قيم المجتمع وأعرافه ويهدد الإستقرار الإقتصادي والسلم المجتمعي، لذا بات البحث في سبل معالجته أمراً حيوياً يحتاج إلى تظافر جهود الأطراف ذات العلاقة للوقوف بوجهه والحد من آثاره السلبية على الوضع الإقتصادي والإجتماعي في الدولة.

2-3. أهداف البحث

1- تسليط الضوء على ظاهرة الفساد المالي والإداري وأنواعه ومسبباته وتأثيراته السياسية والإقتصادية.

2- بيان أهمية الأجهزة الرقابية في الأردن والآليات المتبعة في مكافحة الفساد.

3- تقديم مجموعة من التوصيات التي من شأنها إصلاح المؤسسات والنأي بها عن الفساد.

2-4. منهجية البحث

في إطار الترابط ما بين التفكير في مشكلة الدراسة وأهدافها وأهميتها، وحيث أن البحث ذا أهمية نظرية فإن الباحثين استفادوا من المنهج الوصفي للمعطيات ذات الصلة بالبحث، ومن ثم إستخلاص النتائج والأفكار التي تثبت آليات مكافحة الفساد المالي والإداري في الاردن، باعتباره أساس مهم في التنمية الإقتصادية والإجتماعية والسياسية.

3. الإطار النظري

3-1. الفساد ومفهومه

يتضمن مصطلح الفساد معاني عديدة ومتنوعة، والفساد موجود في كافة القطاعات حيث لا يخلو منه أي تنظيم،بوجود شخص له قوة مسيطرة أوقوة احتكار على شيء ما ولتحديد معنى الفساد، سنقوم باستعراض مفهوم الفساد وفقاً لما هومحدد في اللغة والإصطلاح.

الفساد في اللغة: ورد في معاجم اللغة عن الفساد ومفردة (فسد) أي ضد الصلح، وفساد الشيءأي بمعنى بطلانه وتلفه، وقد ورد ذكرة في القرأن الكريم وفي دلالته عدة معاني كما في قوله تعالى

"ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"(سورةالروم،آية:41) وجاءت هنا بمعنى (القحط)، وقوله تعالى"إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (سورة المائدة : آية 33) وجاء الفساد في هذة الاية بمعنى العصيان ، نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى ذكر في القرأن الكريم الفساد في أكثر من سورة وذلك تشديد على تحريم الفساد بكافة أشكاله ومعانية ومواضعة.

الفساد في الإصطلاح: لا يوجد تعريف محدد للفساد إصطلاحاً، حيث تنوعت المصادر والكتب والأدبيات والمؤسسات التي تناولت مفهوم الفساد حيث عرفت موسوعة العلوم الإجتماعية الفساد بأنه الخروج عن القوانين والأنظمة العامة وعدم الإلتزام بها وذلك من أجل تحقيق مصالح اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية خاصة تخص فرد معين أو مجموعة من الأفراد(بن الصديق،2014).

في حين اعتبر البنك الدولي (1997) الفساد على أنه يعتبر من أشكال الخيانة للأمانة أو جريمة يقوم بإرتكابها شخص ما أو عدة أشخاص أو مؤسسة يتم تكليفها بمركز سلطة، وذلك من أجل الحصول على المزايا أو المنافع الغير مشروعة أو إساءة لاستخدام تلك السلطات لصالح الفرد أو مجموعة من الأفراد أو المنظمة(World Bank,1997). بينما عرف مايكل جونستون (2008) الفساد بأنه سوء استخدام الأطراف أو الأفراد للادوار والموارد العمومية من أجل إستخدامها لأغراض ومنافع شخصية غير مشروعة. كما عرف الفسادمن قبل منظمة الشفافية الدولية (1995) على أنه كل عمل يتضمن سوء استخدام المنصب العام لتحقيق مصلحة فردية أو مصلحة تخص جماعة www.transparency.org

ومما لا شك فية أن التعريفات السابقة عن الفساد تفيد بأن الفساد هو سوء إستخدام المال أو السلطة من أجل تحقيق مصالح شخصية لا تمت للمصلحة العامة بصلة.

3-2. أسباب الفساد المالي والاداري في الاردن

يوجد عدة أسباب للفساد المالي والاداري في الاردن ومن أبرزها غياب القانون واحترام سيادته وذلك فيما يتعلق بالجوانب المالية واستغلالها والإعتداء على المال العام وتهريبه، كذلك اجتهادات البعض في تفسير القوانين وتطبيقها(ياسين، وحسين، 2021). بالإضافة إلى الأسباب الإجتماعية والبيئية والتي من أهمها الأسباب السلوكية والتربوية المتمثلة بعدم الإهتمام بغرس

القيم والسوكيات والتعاليم الدينية، كذلك الأسباب الإقتصادية المتمثلة بأن الغالبية العظمى من الموظفين في دول النامية تتقاضى رواتب زهيدة وامتيازات قليلة مما ينتج عن نقص هذه الرواتب عدم وفاء الموظفين بمتطلباتهم المعيشية، مما يدفعهم إلى البحث عن مصادر أخرى غير مشروعة لجلب المال مثل الرشوة(اللامي، 2007). وأيضاً الأسباب السياسية نتيجة ضعف اداء السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية، و غياب في القدرة السياسية، و الإفراط في مركزية الادارة في الوحدات الحكومية(ياسين، وحسين، 2021).

3-3. أشكال الفساد المالي والاداري

هناك العديد من أشكال الفساد المالي والاداري وذلك تبعاً لتنوع الأعمال وتعددها والتصرفات غير المشروعة التي يمارسها الشخص أثناء الوظيفة، ولعل أهم هذه الأشكال ما يلي

1- الرشوة وتعد من أخطر الجرائم وأكثرها إضراراً بالمصلحة العامة، لانها تعد اعتداء على شرف الوظيفة والمهنة، وهي من الجرائم التي تخل بالوظيفة العامة ومن أشد أنواع الفساد، حيث يقوم الموظف بمخالفة الانظمة والقواعد والتعليمات من أجل الحصول على مكاسب مادية أو عينية بطرق غير صحيحة و غير مشروعة(المحمدي، 2012).
2- التزوير وهي تغيير الحقيقة في سند أو وثيقة عن قصد من شأنه إحداث أضرار بالمصالح العامة أو الافراد(الشديدي،2010)، أن تغيير الحقيقة هو جوهر عملية التزوير والذي يعتبر كذب مكتوب، حيث أن خطورته تكمن في أضراراه بالمصالح والأموال العامة، وزعزعة الثقة بين المواطن ومؤسسات الدولة.
3- إختلاس المال العام وهي أعتداء الشخص أو الموظف على الأموال العامة والتي تعود ملكيتها للمجتمع، حيث تكون هذه الأموال مخصصة لمشاريع أنتاجية أو خدمات للموظفين، حيث تعتبر خطورتها كالرشوة تماماً (ياسين، وحسين،2021)
4- الأبتزاز وهو سلوك سيء يقوم بممارسة بعض الموظفين أو المسؤولين في مؤسسات الدولة على الأفراد أو المراجعين وأبتزازهم وتهديدهم لأرغامهم على دفع مبالغ مالية أو أشياء عينية دون وجه حق (نضيف، 2012).
5- المحسوبية والواسطة حيث يمكن تعريف الواسطة على أنها التدخل لفرد ما دون مراعاة لأصول العمل أو كفاءة الشخص. أما المحسوبية فهي استغلال الفرد لمنصبه أو مكان عمله لتنفيذ أعمال معينة دون وجه حق لصالح أفراد أو جماعات(السكارنة،2011)

3-4. آليات مكافحة الفساد المالي والاداري في الاردن

هناك عدة آليات لمكافحة الفساد المالي والاداري في الاردن والتي من اجلها تم انشاء جهات رقابية سواء كانت جهات رقابية داخلية او جهات رقابية خارجية تقوم بالاشراف والمراقبة من أجل مكافحة الفساد والتي من أهمها

1- وحدات الرقابة الداخلية

وهي الوحدات التي تم انشاؤها في الهيكل التنظيمي داخل الوحدات الحوكمية وذلك بموجب نظام الرقابة الداخلية رقم(3) للعام (2011)، حيث تعمل هذه على الرقابة المالية والادارية داخل الوحدات الحكومية للتأكد من التزامها بالقوانين والأنظمة والتعليمات، ويكون ارتباطها بشكل مباشر في الوزير المعني.

وقد تم تعريف الرقابة الداخلية على أنها الإجراءات التي تتبناها إدارة الوحدة من أجل الوصول إلى الأهداف المطلوبة مثل حماية الأصول وعدم التلاعب والغش(المطارنة،2013) ، وقد أشار التقييم العام لوحدات الرقابة الداخلية الخاضعه لرقابة ديوان المحاسبة الاردني بإستثناء البلديات ومجالس الخدمات المشتركة والصادر عن ديوان المحاسبة عام 2020 إلى أن عدد هذه الوحدات 154 وحدة.

وقد ورد في المادة (8) من نظام الرقابة الداخلية إلى أن الهدف الأساسي لوحدات الرقابة الداخلية في الدوائر والوحدات الحكومية هو المحافظة على رأس المال العام والموجودات العامة والتأكد من حُسن إستخدامها بالشكل الامثل، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف تتولى وحدات الرقابة الداخلية مجموعة من المهام والتي أهمها

- التحقق من القيود المحاسبية والعمليات المالية التي يتم تنفيذها.
- التأكد من كافة العمليات المالية المتبعة و كفاءتها.
- المحافظة على المصادر المالية والاصول من سوء الإستعمال.
- التحقق من الالتزام في الانظمة والتشريعات الناظمة من اجل تقليل الأخطاء واكتشاف أي خطأ حال حدوثة.
- القيام بالإلتزام بأي سياسة مالية معتمدة في المؤسسات الحكومية .
- ممارسة كافة أشكال الرقابة من أجل تحقيق الدائرة والوحدة الحكومية لكافة السياسات وأهداف الدائرة والوحدة الحكومية من خلال مراجعة أي قرار إداري صادر فيما يخص هذا الشأن.

2- ديوان المحاسبة

تم إصدر القانون الخاص بديوان المحاسبة رقم (28) لعام 1952م حيث قام الديوان بمواكبة كافة التطورات على الساحة الإقليمية والدولية في مجالات الرقابة، وما يتعلق بصميم عمله من أجل الوصول إلى كافة الأهداف التي يسعى جاهداً من أجل تحقيقها اقتراناً بالأجهزة الرقابية في دول العالم المتقدم.

وهناك عدة أنواع من الرقابة التي يمارسها ديوان المحاسبة الأردني

- **الرقابة المالية**: وتُعرف بأنها نهج يقوم على أُسس علمية تتطلب تكامل بين المفهوم القانوني والاقتصادي والمالي والمحاسبي والإداري، حيث تعتبر من الحزم الرقابية المتعددة والتي يمكن ممارستها نفي نفس الوقت ، من اجل التحقق من صحة كافة العمليات المالية من جميع نواحي هذه العمليات، وذلك من أجل القيام بالمحافظة على المال العام والمساهمة في استخدامة بكفاءة وفعالية من اجل تحقيق النتائج المرجوة في عملية الإنفاق او التحصيل.
- **رقابة إدارية**: تقوم رقابة الادارة على مادتين 13 و 14 من قانون الديوان رقم 28 من سنة 1952 حيث تسمح المادة13 للرئيس أن يلفت نظر في أي نقص في اي تشريع سواء مالي او اداري وله علاقة بأي أمر مالي، كما تسمح المادة 14 للرئيس أن يقوم بالإطلاع على كافة تقارير المفتش سواء مفتش مالي او اداري، وعلى تقارير التحقيقات في اي مخالفة تمس الامور المالية والطلب في تزويدة بما يريد للاطلاع عليه من أي معلومة أو إيضاح من أي دائرة حكومية يمس بأعمال هذه الدائرة مثل الرقابة على تعيينات اي دائرة أو وزارة او مؤسسة حكومية وايضاً فيما يتعلق بالترفيع والترقية.
- **رقابة فنية أو الرقابة على الأداء**: حيث يقوم الديوان بمراقبة سير العمل في اي مشروع انمائي أو اي تأخير أو تعثر و يقوم بلفت النظر إلى أي اختلال أو إنحراف يراه فيه، ويقوم ديوان المحاسبة بهذ النوع من الرقابة من خلال المراقبات الديوان على كافة الجهات الخاضعة لعملية رقابته حيث تقوم بمراقبة سير الاعمال في اي مشروع انمائي تقوم به اي جهة من هذه الجهات وذلك بإعلام ديوان المحاسبة عن أي تأخير أو تباطؤ أو تعثر في أي مشروع يجري العمل به ومخاطبة أي دائرة مختصة في ذلك، من أجل بيان سبب التعثر أو التأخير لمحاسبة المنفذين واتخاذ الإجراء المناسب التي تحقق أهداف هذه المشاريع للاستفادة منها بالطريقة الأمثل، كما يقوم ديوان المحاسبة بالرقابة الفنية في مركزه وذلك عند متابعة الدوائر الهندسية للمشاريع وبيان كيفية سير وتقدم العمل بهذه المشاريع أو أي مشكلة تتعلق بتنفيذ هذه المشاريع.

- **الرقابة الاقتصادية:** يقوم ديوان المحاسبة بعمل مراجعة لنشاط مؤسسات ودوائر الدولة لكافة جهات انفاقها الانمائية ومراقبة الانفاق على المشاريع الكبرى، والاهتمام بقضايا الانفاق الكبرى ومشاركة لجان تبحث وتناقش كافة القضايا الإقتصادية العامه.
- **الرقابة المحاسبية:** حيث يتم في الرقابة المحاسبية العمل على التدقيق بشكل تفصيلي على المعاملات المالية، وكافة تفاصيل عملية التحصيل للايرادات وعملية الحساب للنفقات وسلامة القيود والعمل على مطابقتها لكافة القواعد والاطر المحاسبية او ما يعرف بالرقابة المستندية او الحسابية.
- **الرقابة القانونية:** حيث يتم في الرقابة القانونية العمل على المطابقة للآثار المالية للقانون لأغلب قواعد القانون التي تحكمه شكلاً وموضوعاً. ويندرج تحت الرقابة القانونية صلاحيات ديوان المحاسبة في اعادة النظر في أي نقص يوجد في التشريع الاداري او المالي وله علاقة بالأمور المالية والتأكد من أن هناك قوانين وانظمة وتعليمات متعلقة بالأمور المالية والحسابية يتم العمل بها بدقة وتحديد كافة صلاحيات الديوان بالجهات التي سيقوم بالمراقبة عليها بموجب المادة 4 من قانون الديوان لتشتمل على ما يلي:

- كافة الوزارات ودوائر الحكومة والمؤسسات العامة الرسمية
- مجالس البلديات والقرى ومجلس الخدمات المشتركة
- أي جهه تقرها رئاسة الوزراء وتكلف الديوان بتدقيقها

3- هيئة النزاهة ومكافحة الفساد

تم إنشاء هيئة النزاهة ومكافحة الفساد من قانون هيئة مكافحة الفساد رقم (62) لعام 2006, حيث باشرت اعمالها في شهر آذر من العام 2007، ثم استدعت الحاجة والمعطيات الجديدة إجراء تعديلين عليه ، الأول كان عام 2012 وبموجب "القانون الذي تم تعديلة رقم 10 من عام2012" حيث ضمت هذة التعديلات مواداً قانونية خاصة بتوفير حماية الشهود والمبلغين والخبراء في قضايا الفساد ومنح الهيئة صلاحية ايقاف عمل أي عقد أو الاتفاقات أو الامتيازات تم الحصول عليها نتيجة فعل الفساد ، كما استثنى التعديل أيضاً جرائم الفساد والعقوبات الخاصة بها من السقوط بالتقادم . أما التعديل الثاني فكان بموجب "قانون رقم 16 لعام 2014" ومن خلاله تمت إدراج قضايا غسل الأموال والكسب غير المشروع ، وعدم الإعلان أو الإفصاح عن الاستثمارات أو الممتلكات أو المنافع قد تؤدي لتعارض المصالح وكان من شأنها تحقيق منفعة شخصية مباشرة أو غير مباشرة للممتنع عن إعلانها، ومع اهتمام الاردن في عملية الإصلاح والعمل على ترسيخ للقيم كالنزاهة والالتزام بسيادة القانون تم العمل على تشكيل لجنة ملكية من اجل وضع ميثاق وطني مرتبط بالنزاهة، كان "قانون النزاهة ومكافحة الفساد رقم 13 لعام 2016 " أحد مخرجات الميثاق والذي من خلاله تم دمج هيئة مكافحة الفساد مع ديوان المظالم في هيئة واحدة تم اطلاق عليها اسم هيئة النزاهة ومكافحة الفساد للعمل على خلق بيئة وطنية لمكافحة الفساد.

وتمارس هيئة النزاهة ومكافحة الفساد اعمالها باستقلالية دون التدخل في اعمالها او التأثير عليها، حيث يتكون في ادارتها مجلس مكون من اربع اعضاء ورئيس من ذوي الخبرة والدراية، ومن خلال المادة(4) من قانون الهيئة حيث تهدف الهيئة لتفعيل المنظومة السلوكية للقيم في الإدارة العامة وضمان تكاملها.

- التحقق من أن الادارة العامة تقوم بتقديم الخدمات للمواطنين بشفافية وجودة وعدالة.

- التأكيد على التزام وتطبيق الإدارة العامة لمبادئ الحوكمة، ومعايير المساواة والجدارة والإستحقاق وتكافؤ الفرص والتأكد من الالتزام من السلطة التنفيذية بمعيار الشفافية عند وضع اي سياسة او اتخاذ القرار وضمان حق المواطنين في الاطلاع على اي معلومة وفقاً للقانون.
- التأكيد على أن الادارة العامة تقوم بتطبيق التشريعات بكل شفافية من اجل تحقيق المبادئ كالعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص.
- التأكيد على وجود أطر قانونية تنظم مساءلة المسؤولين وأصحاب القرارات في الإدارة العامة و العمل على محاسبة المقصرين منهم.
- الكشف عن كافة اشكال الفساد ، واكتشاف أي مخالفة أو تجاوز والعمل على جمع كافة الاثباتات والادلة و أي معلومة خاصة بذلك من أجل مباشرة التحقيق والسير في الإجراء الإداري والقانوني اللازم لذلك.
- الملاحقة القانونية لكل شخص يقوم بارتكاب أي فعل من أفعال الفساد وحجز الأموال المنقولة وغير المنقولة ومنع الشخص من السفر بقرار من الجهات القضائية المختصة وايقافة عن العمل الجهات المعنية ووقف راتبه وجميع مستحقاته.
- التأكد من قيام مؤسسات الرقابة على القطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني بوضع معايير الحوكمة الرشيدة وسلامة تطبيقها هذا وقد سجل سجّل الأردن تقدمًا مقدارة درجة واحدة على مؤشر مدركات الفساد لعام 2020 حيث حصل على درجة 49 /100 مقارنة مع عام 2019 حيث كانت درجته آنذاك 48 / 100 وذلك بحسب التقرير الذي أصدرته منظمة الشفافية الدولية، حلّ الأردن في المرتبة 60 عالميًا من بين 180 دولة والخامس عربيا.

ويعود ذلك التقدم بسبب تظافر الجهود في الاردن بين الهيئات والجهات الرقابية مثل وحدات الرقابة الداخلية وديوان المحاسبة وهيئة النزاهة مكافحة الفساد.

الإستنتاجات والتوصيات

ولذلك يجب ان تتظافر الجهود وتتكاتف من أجل مكافحة الفساد على الصعيدين المالي والاداري، والقضاء عليه ومكافحته من خلال أجهزة الدولة الرقابية سواء كانت رقابة داخلية مثل الأقسام الرقابية أو رقابة خارجية مثل ديوان المحاسبة وهيئة مكافحة الفساد .

في ضوء ما تم عرضه سابقا توصل الباحث الى ما يلي

1- أن ظاهرة الفساد المالي والاداري ظاهرة منتشرة في كافة دول العالم النامي وخصوصاً في الأردن.

2- الفساد المالي والإداري آفة من آفات المجتمع والتي اذا تفشت في المجتمع تدمرة لأن الفساد يوقف عجلة التنمية في أي مجتمع.

3- الفساد المالي والإداري يؤثر سلباً على كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فهو يدمر أي دولة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً.

4- للفساد المالي والإداري عدة أسباب والتي من أهمها ضعف القوانين والأنظمة والقصور في تطبيقها بالاضافة إلى وجود أسباب اجتماعية وسياسية واقتصادية.

5- هناك عدة آليات لمكافحة الفساد المالي والإداري في الاردن والتي من أجلها تم إنشاء جهات رقابية سواء كانت جهات رقابية داخلية و جهات رقابية خارجية تقوم بالإشراف والمراقبة من أجل مكافحة الفساد.

6- تظافر الجهود في مكافحة في الأردن بين الهيئات والجهات الرقابية مثل وحدات الرقابة الداخلية وديوان المحاسبة وهيئة النزاهة مكافحة الفساد.

من خلال الإستنتاجات السالفة الذكر نقترح ما يلي:

1. نشر الوعي بين أفراد المجتمع عن الآثار السلبية للفساد المالي والإداري من خلال نشرات التوعية والإعلانات على شبكات التواصل الإجتماعي وتوفير الآليات المناسبة لزيادة الوعي حول مخاطر الفساد.

2. اشراك مؤسسات المجتمع المدني مع المؤسسات الرقابية في العمل سوياً من أجل مكافحة الفساد المالي والإداري .

3. إتباع الإستراتيجيات و الأساليب الحديثة والتي تتبعها الدول المتقدمة والتي أثبتت فعاليتها في الحد من الفساد المالي والإداري.

4. القيام بالمزيد من الدراسات والبحوث حول مخاطر الفساد المالي والإداري وآثارة السلبية على المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً .

المراجع

القران الكريم
بن الصديق، رشيد(2014)،السياسة الجنائية في مواجهة ظاهرة الفساد -"دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون، مذكرة لنيل شهادة الماسترفي العلوم الإسلامية تخصص الشريعة والقانون،جامعةالوادي.
جونستون، مايكل (2008) متلازمات الفساد : الثروة، و السلطة، و الديمقراطية الرياض، السعودية : العبيكان للنشر.
خشمان، مخلد توفيق،(2009) مشكلة الفساد الاداري في ضوء التشريعات والقوانين الاردنية، رسالة ماجستير غير منشورة.
خميسي، بن رجم محمد،(2016) الفساد المالي والاداري في الجزائر: أسبابه، آثاره وإستراتيجيات مكافحته، بحث منشور، المجلد(13)، العدد(40) مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية.
د. جون و د. سوليفان الكسندر شكولنكوف مكافحة الفساد ومنظورات وحلول القطاع الخاص اصدار مركز المشروعات الدولية الخاصه.

الدلاهمة، صفوان عبد المجيد، والعساسفة، رامي (2021)، دور المؤسسات الرقابية الأردنية في الحد من مشكلة الفساد الإداري" دراسة تطبيقية على المؤسسات المعنية، بحث منشور، العدد(189)، الجزء(3)، مجلة كلية التربية جامعة الازهر .
سكارنة، بلال خلف، 2011 الفساد الاداري ، الطبعة الاولى، دار وائل للنشر، عمان.

الشديدي، مرتضى نوري(2010) الاستراتيجية العامة لمكافحة الفساد المالي والاداري في العراق، مجلة المفتش العام، السنه الاولى.

الصرايرة، رياض محمود (2017)اتجاهات النخب الأردنية نحو الفساد المالي في المملكة الأردنية الهاشمية دراسة تحليلية ، بحث منشور، العدد(2)، المجلد (20)، البلقاء للبحوث والدراسات.
اللامي، مازن زاير جاسم، (2007) الفساد بين الشفافية والاستبداد، بغداد.
المحمدي، احمد عباس، وعودة، سوسن جبار،(2012) الفسادالمالي والإداري وأثره على الاقتصاد العراقي بعدالاحتلال (الاسباب والمعاجات)، بحث منشور، العدد (75) مجلة كلية التربية الاساسية.
المطارنة، غسان فلاح(2013)، المدخل الى تدقيق الحسابات المعاصرة (ط1)، زمزم للنشر والتوزيع

نضيف، نشأت احمد (2012)، الفساد المالي والأداري وسبل مكافحته، مجلة الجامعة العراقية، العدد 33، الجزء الاول .

ياسين، فيان عبدالرحيم، وحسين، ابتسام علي (2021) آليات مكافحة الفساد المالي والاداري في العراق وجهود اجهزة الرقابة العليا في الحد منه، بحث منشور، العدد64، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية.
ياسين، فيان و حسين،(2021) ابتسام آليات مكافحة الفساد المالي والاداري في العراق وجهود أجهزة الرقابة العليا في الحد منه ، بحث منشور، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية.

المراجع باللغة الأجنبية

Dimant, Eugen; Tosato, Guglielmo (1 January 2017). "Causes and Effects of Corruption: What Has Past Decade's Empirical Research Taught Us? a Survey". Journal of Economic Surveys 32 (2): 335–356.

World Bank (1997), World development report , Washington D.C. Oxford (1) University P:102

Perceptions Index 2002 , Press officer Jana , Berlin, 2002, P6 . Web site:

www.transparency.org

مواقع الانترنت

https://jordan
وع للعام 2014

نظام الرقابة الداخلية وتعديلاته رقم (3) لسنة2011 http://www.undp-aciac.org

ديوان المحاسبة الاردني https://www.audit-bureau.gov.jo

Artistic frameworks for metaphorical images in the poetry of the Islamic and Umayyad era

An analytical study

Assist. Prof. Dr.Entiha Abbas Aliwi

University of Al-Mustansiriya /Atmospheric Sciences DepartmentIraq

Enteaaabbas@uomustansiriyah.edu.iq

In the Name of God the Most Gracious the Most Merciful

Abstract

Metaphor means a graphic method to create a rhetorical image through a figurative texture, and studies the literary text for being an artistic product, through which the text's capabilities and energies are understood and its impact on persuading and entertaining the listener through artistic performance, and its impact on the recipient, the writer, by exploiting the possibilities of the available language and forming it in a way that reflects his thinking, his taste and his vision of things, dyes his speech with his individual character, and creates for himself a special artistic portrayal that is not repeated by others, so any reader can distinguish, the word gains its strength from its proportionality with each other in expressions that have had an impact on the souls, so the importance of the metaphorical image is the tool that sits above all other rhetorical tools, by its presence or absence, it is judged by this speech, which we call graphically aspect , because it is the most influential tool in the soul, and the most capable of stabilizing the idea and feeling in it. As it is the artistic or tangible aspect of the imagination, it evokes emotions and moves them from their places, and is based on the emission of emotion in the recipient, as the metaphorical image is a way to establish the emotional effects of poetry in our souls, and most of it is that the Islamic and Umayyad poet realized through it the beauty of things, and employed its images In his literature, and invested various scenes and colors to convey his experiences and draw its frameworks, and for the importance of studying them in Islamic and Umayyad poetry and to stand on some artistic aspects in it, the research included three topics preceded by an introduction, and topic one was the diagnostic image, topic two was embodiment, and topic

three was the anthropomorphic image, I used the analytical description method, and I ended my research with the conclusion of the research and its most important sources.

الطبيعة عند شعراء الفرسان في العصر الاموي

أ .م. د. انتهاء عباس عليوي
الجامعة المستنصرية/ قسم علوم الجو
العراق –بغداد
Enteaaabbas@uomustansiriyah.edu.iq

إنَّ النص الشعري العربي من النصوص الادبية مليئة بالصور الطبيعة المختلفة الصامتة والمتحركة ، التي تمنح الدارس صيغاً ادبياً للبحث والاستقصاء ، فكل جانبٍ من جوانب هذه الطبيعة يمكن أن تكون محض اهتمام الباحثين، فالدراسات الحديثة أعطتْ مساحة واسعة للبحث في صورها بسياقات جديدة، فالدراسات الحديثة مثلاً أغدقت من مفاهيمها الشيء الكثير ، فَاجْتُلِبَتْ تلك المفاهيم إلى عالم الطبيعة الصامتة والمتحركة ، إذْ شجعت على ذلك ذوبان الحدود بين الاجناس الادبية وعالم الطبيعة ، فلم يعد السرد والحوار ، بل تعدّى ذلك إلى الطبيعة المحيطة بنا ، لا كعناصر طبيعية مقحمة ،بل كعناصر مشكّلة للهيكلية الادبية وبنية الشعرية فلا نتفاجأ . إذن . إذا ما وجدنا دراسات في سيمائيات شعر الفرسان في العصر الاموي ، وما إلى ذلك من صور البلاغية تصبُّ في هذا الاتجاه نفسه .والتصوير . كتقنية حوارية . يمكننا أن نلج به إلى عالم الفرسان في العصر الاموي بلا قيود ،وذلك انطلاقاً من شيوعها في سياق الشعري للفرسان ، إذ لا تكاد تخلو قصيدة شعرية و مقطوعة و بيت شعري من حوار أو وصف او الحركة او السمع يشكل مشهداً منفرداً أو مركباً يغري الباحثين للخوض في الدراسة والبحث ... وهذا ما شجّعني لاختيار هذا الموضوع عنواناً لبحثي (الطبيعة عند شعر الفرسان في العصر الاموي)،دراسة تحليلية وقد جعلته في مبحثين يسبقهما مقدمة عرضتُ فيه مفهوم الطبيعة بوصفها تقنية فنية ، على نحوٍ موجز وسريع. فجاء المبحث الأول تحت عنوان الطبيعة الصامتة عند شعراء الفرسان في العصر الاموي ، وفي المبحث الثاني الذي كان تحت عنوان (الطبيعة الصامتة عند شعراء الفرسان في العصر الاموي) تناولتُ الطبيعة المتحركة وعلاقتها بالشخصيات الفروسية فدرستُ تلك العلاقة باستفاضة من خلال حركة الشخصيات وحوارها وانصهار الطبيعة معها ، ثمَّ أشفعتُ البحث بخاتمة ، أبرزتُ فيها أهم الخطوط العامة لنتائج البحث، واتبعتُ هذه الخاتمة بقائمة للمصادر والمراجع ، واقتضى المنهج الذي سرت عليه ،المنهج التحليلي.

Research Questions:-

1-Do **metaphorical images** in Islamic and Umayyad poetry have a positive role in developing the recipient's critical taste.

2- Are the suggestive connotations in the diagnostic images a cognitive, cultural and aesthetic tool?

3- Do the artistic frameworks in the **metaphorical images** in Islamic and Umayyad Arab poetry play an effective role in developing the aesthetic sense of the reader

4-Is reading the aesthetic frameworks in describing metaphors a means of acquiring skills of criticism, taste and artistic analysis for poetic and literary reading?

Research Objectives:

The research aimed at the following:

1- Clarifying the elements of the symbolic frameworks in which the poet was employed in his metaphorical images.

2- Suggestive analytical reading of Arabic literature by studying the true meaning of the metaphorical image in forming the structure of the poem. 3 - Developing an artistic taste for poetic texts of the Islamic and Umayyad era.

4- Explaining the extent to which the poet was affected by the life surrounding him as part of his poetic life

5-Standing on some aspects of aesthetics in Islamic and Umayyad Arabic poetry, which are associated with mentioning the metaphorical image in the poetry of the poets of the Islamic and Umayyad era. It is a tool for imagination, its means, and its inspiration material in which it is practiced, and through which the beauty of the poetic image emerges with the depth of imagination, which is the character with which poets can compose their artistic images, Therefore, the metaphorical image is full of great luck in poetry, because of its ability to illuminate the reader's imagination, by giving it spaces for imaginary suggestions and linking discordant things, related to sensation, The metaphorical image goes through two stages represented by perception, so the metaphorical image takes a semantic direction, because the poetic image is a tool that displays hidden meanings combined with direct words to suggestive perception based on

graphic employment, and it liberates the poetic energy latent between the folds of the poetic verses, because the poetic image is a tool that displays an important relationship in semantic change. Which adopts the metaphorical image of all kinds to raise the recipient to the level of viewing, through which the poets translated their artistic experiences, marking their psychological dependents and embodying their emotional experiences, as they are related to the material to be full of suggestive and multi-significance.

Research Methodology:

The researcher used the descriptive analytical approach, the descriptive approach based on collecting information from references and relevant sources to build the theoretical framework for the research, the deductive analytical approach to what was mentioned in the relevant intellectual and critical literature to reach the research results.

The importance of the research:

The contribution of our research to the sources of the metaphorical image in the poetry of Islamic and Umayyad poets lies in the absence of an independent and comprehensive study to study the employment of the metaphorical image in the poetry of Islamic and Umayyad poets, As well as standing on the aesthetic features in the imagination of the Arab poet for his poetic images.

Research problem:

The metaphorical image in Islamic and Umayyad poetry has not received a specialized study of this kind until this time, and perhaps this reluctance to repeat it in the location , but the lesson does not lie behind the abundance of poetry: the description of the metaphorical image and its lack as much as its poetry contains quality, originality and creativity, Even if the studies depended on the abundance of their descriptions; to neglect the study of many poets

Keywords: metaphorical image. Islamic era, Umayyad era, poets

Introduction

Standing on some aspects of aesthetics in Islamic and Umayyad Arabic poetry, which are associated with mentioning the metaphorical image in the poetry of the poets of the Islamic and Umayyad era.

It is a tool for imagination, its means, and its inspiration material that is practiced, and through which the beauty of the poetic image emerges with the depth of imagination, which is the essence with which poets can compose their artistic images.

Therefore, the metaphorical image has a great deal of luck in poetry, because of its ability to illuminate the reader's imagination, by giving it spaces for imaginative suggestions and linking discordant things, related to sensation.

The metaphorical image has received a great deal of attention from ancient and modern critics, because it is one of the important elements on which the poetic text is built, as feelings are embodied and emotions are personified ,Poetry is an artifact and a type of textile, and a type of.

Imagery(*Al Haiawan: 3/132*). It is also different in preference and differs according to different people in their images and voices. *(The caliber of poetry: 1*0). If the poet expresses those mental images that occur in perception, he establishes the expression expressing the form of that image. of the mentality in understanding the minds of the listeners and attracting their attention (*The curriculum of the rhetoricians and the* Siraj *of the writers: 25*), with an integrated framework within the overall structure of the text on aesthetic foundations that carries with it different, undefined connotations that express the essence of a particular experience, taking an important place in the overall structure of the text *(The construction of the artistic poem in ancient and contemporary Arabic criticism :52),* through the relationship between the image and the overall context of the of the poetic experiment , to produce that literary effect that opens up the literary work and illuminates its dimensions for the recipient: (*The dialectic of invisibility and manifestation: 2*1) Through his imaginative and aesthetic perceptions, then the poetic images are a drawing of words charged with feeling and emotion *(The poetic image: 69*). In a moment from the time (*the theory of literature: 195*), it settles in our minds until we consider it a real thing.(*Psychological Interpretation of Literature: 66-74)*, so the image is the means of the poet and the writer in conveying his experiences in life,

Here, the poet's creativity process appears in showing the embodiment of his ideas in wonderful images formed by his imagination from multiple data. the tangible world is at the forefront, because most of his images are derived from his real experiences in life and the source of the success of his poetic text. Our research will be those images and their sources, as the metaphorical image takes a semantic direction, because it is a tool that displays hidden meanings combined with direct words to suggestive perception based on graphic employment ,It releases the latent poetic energy between the folds of the poetic verses, and takes the image, which adopts the metaphorical image of all kinds to raise the recipient to the level of comprehensive vision, not the ideas of the creator, through which the poets translate their artistic experiences and draw

their psychological and embodiment of their emotional experiences. . So the art of the metaphorical image, and its importance lies in establishing a relationship of interrelationship and interaction, and harmony between discordant things, and adds to it the feelings and emotions of the poet, through (unifying between the material, the sensory, the intellectual, and the moral, and ascribing the artificial borders between them, so that sense is in harmony with thought without separation of it or distinguish it from it. (*The image in the critical and rhetorical heritage, Jaber Asfour: 29)* the metaphorical image is one of the components of the graphic text, but it does not stand alone, it must be coherent and consistent with the other elements of the poetic text of imagination, emotion, thought and used by the poets of the Islamic and Umayyad era have many sensory images filled with suggestive images that convey their feelings to us in a pictorial manner. There are methods used by the poets of the Islamic and Umayyad era when they built their metaphorical images as follow;

-Diagnosis, 2- Embodiment, 3- Anthropomorphism1

Diagnosis……

Diagnosis is one of the most important tools for building a metaphorical image because of its superior ability to suggest and represent, creating in the mind of the recipient astonishment and drawing attention. (*Principles of Literary Criticism: 300*). Diagnosis is one of the means of constructing a metaphorical image, as you see inanimate objects is living and speaking, and non-Arabs eloquently, and mute bodies are constructed, and hidden meanings are clearly visible. (*Secrets of Rhetoric: 47*) . Here, things are raised to the level of man, borrowing his qualities and feelings, by creating inanimate sensory materials or natural phenomena and giving them the qualities of man and his actions and spirit emotions(The artistic image in the poetry of Abi Tammam: 168-169) , i.e. imparting the qualities of what is living or human to inanimate things.(*The psychological foundations of Arabic rhetorical styles: 177-178)* .

In order to influence the recipient's psyche and provoke his emotions by diagnosing abstract meanings in sensory images, the diagnosis plays a prominent role in building the metaphorical image, and among those images that embodied this concept is the saying of Zaid Al-Khail, as in his saying (Al-Diwan: 194): [from the abundant}

I knew that my sword It is foul every time you are called to fight

The poet wanted to describe the speed of his sword strikes in the battle, so he used the diagnosis to draw us this painting. The diagnosis here is kinetic, as he likened the movement of his sword to the movement of the speed of the human

hand. Thus, the recipient's mind focused on the speed and regularity of the movement of his sword, and proceeded to use the already-similar letter (is); to make the characterization more coherent when his sword made a human being who does not fear death whenever he is called to fight in combat, so other tribes fear him for his courage and strength.

And another personal picture of Abu Najeed Imran bin Al-Husayn bin Obaid bin Khalaf, in his saying (*The Poetry of the Veterans and the Impact of Islam on it: 98)*

On the eve of Khosrau, the soldiers are stationed

at a saint's door that ends with trumpets

But my people supported me with their spears

in the evening they blew with spears

We see that the poet resembles the image of the spears of his people as a human being who supports him and strengthens his determination to confront his enemies and achieve victory, producing for us a musical depiction, creating an organized rhythm similar to the movement of the spears, so that the diagnostic imaging turns into a vibrant musical representation with its regular vocal rhythms, keeping pace with the moral significance in the context of the text, to be more resonant in the mind of the recipient.

And another diagnostic picture of *our* poet Nafi' bin Al-Aswad in his saying *(The Poetry of the Veterans and the Impact of Islam on It": 99)*:

And I turn away from the Sunnahs of desires

And my spear comes back after Rayyan Nahil

Nafi' ibn al-Aswad attributed his spear to a human act, which is the movement of return as well as the act of thirst and fullness. The diagnostic image in the depiction of the scene is return and perspiration to indicate the extent of friction and intertwining with the enemy, with the poet's hand, he organized his diagnostic image on the activation of (Bahr al-Taweel), as well as the vocal performance by repetition of the letter(Ya)(Ramhi, Rayan, Yarja', Alkeesh, and Wani), all of these ingredients give us a musical rhythm, giving the diagnostic image an aesthetic dimension due to the consistency of its semantic and rhythmic elements.

Among the images of the manifestations of nature, he painted for us diagnostic images, as in his saying (*The Poetry of the Veterans and the Impact of Islam on It": 381)*

Watered by thunder from a summer

And if from autumn, it will not be destroyed

The aesthetic elements in the text have had an impact on consolidating the meanings of the diagnostic metaphor; Because the partial alone does not achieve the full meaning except through its interdependence with the aesthetic elements that are mentioned in the text. Al-Nimr ibn Tawlab gave the attribute of generosity that a generous person is shown on the rainy clouds, likening that person to his generosity. In addition to the repetition of the letter (from) twice, with the succession of the words (summer and autumn), a form of internal balance that builds an important rhythm that attracts hearing to the text, as well as the repetition of the letter (From) with the succession of the words (summer and autumn), an internal balance is formed and builds an important rhythm that attracts the audience to the text, as well as the repetition of the letter (alif) that enhances the rhythm affecting on the recipients, the aforementioned text is closer, full of duplication and more appealing to artistic beauty*(The artistic depiction in Imam Ali's sermons, 34*)and he performed a verbal sentence watered by the thunder, which suggest its importance to the recipients; to establish in the minds the meanings of generosity and goodness, as well as to confirm the meanings required to be conveyed to the addressees.

Among the texts in which metaphor was one of its elements is diagnosis, as in the saying of Zaid al-Khail Ali, which is speech. He wished that it would be uttered so that the image would embody for us the meanings of courage and heroism in the face of enemies, as in his saying (*Al-Diwan: 156)* [From the abundant]

And if she spoke the land of Qais

Kilab You would complain to Bani

Here he borrowed a human characteristic, which is speech and complaint to the land of Qais, to pass through it to the addressee's notice - of the misfortunes that happened to other tribes as a matter of imagination, exploiting the element of similarity between them in the ability to sweep small, weak things, that is, the similarity is domination, power and domination, then he deleted the simile and left one of his requisites, which is grinding, and made it necessary for this world.

As for the poet Dhul-Rama, he depicted the winds in a composite image, as he says: *(Diwan poetry of Dhul-Rama: 212)*

It sweetens the souls even as if

The darkness enters in the cold of her fragrant breath

We find the diagnostic image in the above part of poetry in making (dark) a person wading in a sea of perfume, as well as the simulated simile (wind, dusk) that was given to the diagnostic image. The graphic depiction of tangible things, in the style of suggestion, the poet conveys true vision to the imaginary vision full of movement and musical rhythm, so the expression is in a diagnostic image in which life and movement pulsate, as it included all the elements of imagination.(*Artistic Photography in the Qur'an,: 36)* so we produce pictorial dimensions concerned with the rhetoric dimensions of photography is able to influence the hearing of the recipients and his ideas, the poet was inspired by it in a composite image of words and meanings to form speaking image in which sadness and pain indicate the metaphor in all its meanings, It made the recipient enter the battlefield of analysis and search for aspects of the diagnostic metaphor.

And another diagnostic image that we pick up from his poem Al-Ra'i, he says*:(Diwan of Dhul-Rama: 214)*

And confused, as if its stars Behind the dark, capricious eyes Khazars

We note that the poet, with his acumen and intelligence, was able to combine in one line verse for graphic elements in which man and the night are involved. He imagined the night with a hesitant, bewildered person who could not do anything, as he was stabilized in his place, through a diagnostic metaphor, and he likened the stars of the night with fixed eyes that were buzzing, for the sake of the simile image with a tool as if, as well as representing a sound and significance by repetition of the letter (Nun), repeated four times, on the dominance of the audio image on the construction of the diagnostic image, the sound mixes with meaning, and thus Dhul-Rama perfected the graphic sound structures to give the rhythm an influential hormonal dimension, as if those sounds mentioned by the poet had a symbolic dimension expressing the contents of his environment and living conditions. His expression was sincere and influential in the hearts of the recipients, Which contributed to the animated and lively musical photography, in gathering the elements of musical photography, both graphic and rhythmic, granted the poet to express "a complex idea on the one hand and create through it on the other hand, an internal state of order between the images characterized by blending, integration and overlap(*the poetic image in Modern Arab* Criticism, 136)

In another poem, Dhul-Rama draws another diagnostic image , saying: (Diwan Tho al-Rama: 213)

I stood on a quarter of a lameh my camel I still cry over him and talk to him

And I watered it until I almost spread it Its stones and playgrounds speak to me

This ingenuity was represented by the intensification of the graphic elements of diagnostic imaging, by addressing the ruins as he stands in front of a human being and not in front of the remains of silent stones unable to speak and pronounce salutations, taking from the active diagnosis that drives photography, we find the act of watering and crying one, in a harmonious rhythm, as the text gave the characteristic of rhythmic acceleration, due to the disparity of movements and stillness, unleashing his imagination for his artistic depiction, and this close cohesion that stems from the sounds in the formation of the general visionary framework associated with the utterance is able to attract, or seize, the appropriate and harmonious with it musically, according to what the soul is confused and needs from the verbal rhythm in the conscience, as (the musical structure must perform its function when It rises with the text ... and when it plays an important role in the emotional experience, expressing and communicating). *(Poetry Ash: 308*)

And from what came in in lament of Kuthair for Abdul Aziz bin Marwan, when he says: (His Diwan: 316)

I will come to his grave as a Muslim

And if a hole does not speak to those who visit it

Here the poet diagnosed the hole with a person with the characteristics of articulation and speech, is the metaphor of a sensual side for a non-sensory side, and the combination between them is moral, because the poet cannot escape from the fear of death, as well as the appropriateness between the rhythm of expression and the intended meaning, which increases clarity and strength, and this convenience has gained special importance for the recipient through direct listening, with which the effectiveness of the acoustic characteristics of the speech and the impact of its effect on his ear, and his response and emotion to what he heard, become apparent, His figurative portrait made it more indicative in revealing his intentions in lamenting the Caliph.

The second source :embodiment

The embodiment is one of the elements of the metaphorical construction, and it shows the aesthetics of the literary fabric in the body of the text by attributing human qualities to abstract ideas, or to things not characterized by life. It is (giving morale parts of human, animal and inanimate*)(the artistic image a critical criterion: 419*) and another concept for it (presenting the meaning in the body of a thing or transferring the meaning from the scope of concepts to sensual materialism))(*the artistic image in Abi Tammam's poetry: 168*) so that

metaphor plays its role in embodying this transformation in artistic way, to arrive at the creation of aesthetic haste in drawing and constructing the rhetorical image, and in order for it to have a greater impact on the mind of the recipient in persuasion with that tangible thing. Among these images is the words of the poet Al-Nimr bin Tolab *(Al-Diwan: 378)*

So he recommended the boy to build Al-Ula And neither betray nor sin

And wears for eternity People will not build what they destroy

The poet combined the elements of graphic and rhythmic photography in these two verses. The poet likened reputation and glory with construction and wear for an eternity, giving life to moral connotations. However, the sound image represented by repeating letter (A) more than once, embodied musical rhythms in harmony and rhythmic harmony that corresponds to the psychological and emotional transformations of the poet, this is indicated by the artistic, rhythmic and semantic image, as the poet gave the mental meanings reputation , glory and eternity sensory connotations when he assigned them to confusion and construction, to embody the metaphorical image that expresses the imaginary sensual image of the mental meaning, and the psychological state, and then raises the artistic image that he drew of the mental meaning in it life and movement through dialogue to produce pictorial scenes that reflect the emotional state of the creator capable of influencing the hearing of the recipients.

As for Amr bin Ahmar Al-Bahili, he gave the wind an unsound mind, so it is insane, as he says:((Diwan: 87)

And every storm hit her She has no cock

Our poet drew an embodied image when he combined the sensual material and the abstract and moral and matches between them. As the first party is worn by the other party in that each of them has been taken from the other and has been linked to a common and indissoluble link with it, as it is an important means of persuasion and photography through metaphor that makes the moral thing a sensual image of it, and this metaphor increased in its style the beauty of the rhythmic sound of (Ha). Which was repeated more than and which contributed to the transfer of meanings to sensory images so that the recipient perceives the images of things. and similarly, the image of Maan bin Aws al-Muzani he says(*Maan bin Aws al-Muzani says: 78)*

The one that, as soon as I remembered me

And I wormed it for eternity, except for Lakmada

I got bored when a boy came to her

The fangs of my life and ashes have stuck together

These verses contained many beautiful images built on strong anthropomorphic images that lay in the existence of a relationship between the simile and simile with , when he made the teeth of time for metaphor and imagination, as the combination between eternity and the animal with fangs, is the ability to harm and kill souls. He deleted the simile with (which is the predatory animal) and left from his supplies, which are the fangs, and carried them out for eternity, to bring his embodied image closer to the mind of the listener and recipient. These images that the poet relied on in his verses to explain his idea briefly recall, the poet was able with a clear skill and imagination to link the divergent meanings in these images that contain both sensory and mental things, as the power of photography lies in linking distant things. A tremor occurs in both the mind and the senses, *(Modern Literary Criticism: 462),* as images are generated from the comparison between two things that are a little or a lot apart. The strong one is that it is generated from the poet's approximation – almost automatically – between two very different facts on which he stands with his thought and imagination (*Modern Literary Criticism: 424*), by creating similar images between these two matters, and thus the poet gives to these images strength in expression, splendor in performance and clarity in ideas, by filling it with multiple descriptions of exaggerated photography.(*The artistic structure of virgin love poetry in the Umayyad era: 233),* as he says: (*His Diwan: 221-222)*

Don't go away, every boy will come death knocks or leaves

And every repertory is a day And if stay, it will run out

The poet likened death to a person who knocks or leaves, so he deleted the simile with (the human being), and mentioned something of its requirements (the act of knocking, leaving) as an embodiment metaphor, in order to show his sad feelings, expressing the inevitability of death and the absurdity of life, in addition to the rhythmic sounds the repetition of the letters (waw, lam, yaa, baa and faa) are all sound images that gave a musical interaction to the duality of life and death with an indication of the harmony and calm harmony of music, in order to convey the significance of the graphic metaphor photography that attracts the reader and draws him to him in a sad tone that combines sadness and sorrow, realizing the right of realization of inevitability death to increase the impact of the catastrophe and its horror.

Anthropomorphism

It is the other color in the construction of their metaphorical anthropomorphic images, through which the poet aims to make the tangible spirits by giving movement to the spirits after giving them the characteristics of moving creatures. So the moral will have from the behavior what a person, animal and inanimate have, so it turns into sensory hearing, touching, smelling, or tasting(The *artistic image. Critical Criterion: 428).* This can be clarified in a more precise sense that the poet seeks through embodiment to convey the abstract meaning of the person's rank in his abilities and power, so his images are more beautiful and splendid. among the images of diagnosis due to its accuracy and concealment *(The artistic image in Abi Tammam's poetry: 170-17*1), and thus the anthropomorphism plays its role in highlighting the mental meanings that are far from the world of sensation and perception in the mind of the recipient to a tangible and visible world so that those meanings that come from the human mind have been embodied and seen by eyes *(Asrar Al-Balaghah: 33*), and it is possible to enter the vast imagination and exaggeration in employing ideas so that the poet embodies the feelings and sensations of inanimate things and breathes life into them, as if he interacts with them in that universe. (*The Science of Methods of Statement: 188*), as one of the scholars believes that speech includes imagination is more wonderful and more influential on souls than speech that is all true. (*The foundations of literary criticism among the Arabs: 474),* and through our extrapolation of the poetry of these poets, we find that there are images in which mental meanings have been embodied in various ways, and among those metaphorical images is the saying of Nafi' bin Al-Aswad (Al-Diwan: 99.:)From Al-Taweel)

Whoever lowers your hands, then I If she bares her tusk, it is not inactive

Here we see this embodiment pulsing with movement and turmoil, so he carried the mental meanings in a graphic form, attributed to the tooth the human qualities in strength, steadfastness, and patience over adversity, but he described the cowardly person who is afraid of carrying arms as (low hands), and the strong and courageous person with readiness and not idleness to the enemy, making from the character of grins and anger (for the human being) tangible something for the outbreak of war and preparing for it by observing the enemy, to improve the word and give it beauty, its actions become (Mutafaeln, Mutafaeln,Falatun), achieving a musical diversity that attracts the listeners' hearing.

Al-Nimr bin Tawlab also excelled in drawing the attention of the recipient's mind when he made a human being to speak and respond to the invitation in his saying (Al-Diwan: 330)

But my concern called me when I reached

To you and free from your sustenance

The elements of musical photography resulted from a set of relationships based on functional interdependence between the elements of the graphic and rhythmic elements within that poetic text, in a unique way, represented by the metaphorical depiction (my mission called me), as well as the musical structure that had an effective role in showing the characteristics of the musical structure for the long sea(Al Baher Al taweel) has its characteristics, and this reveals the extent of the interaction of the accidental sea (Al Baher Al Uroodi) with the poetic purpose, through the achieved harmony between the figurative significance of the poetic purpose and the rhythmic movement of musical weight , this harmony expresses the act of weight in poetic photography that fused within the elements of the poetic text, and thus the process of fusion performed its aesthetic function, from the weight being a wide template for the long sea to an element that works to suggest the semantics of the text, and transfer the aesthetics of the poetic experience to the recipient (*the effectiveness of rhythm in poetic photography. 2012: 84*), the relationship between the features of the weight of the long sea and the purpose of praise, we see it existing between the signifier and the signified, after (the determination) was a mental meaning, it became a tangible thing that has the ability to speak and move, as it takes the activities of the long sea, it takes various forms in order to reach the figurative and suggestive purpose of the semantic meaning expressing the poet's psychological and emotional state.

And we take another metaphorical picture, in which the element of anthropomorphism is present, in the words of Al-Makhabal Al-Saadi (Al-Diwan: 34)

And when you saw glory in the house of his family,

I wished, after graying, that you were the carrier of it

Here he diagnosed of glory, which is a moral thing, and making a tangible, material thing a home, i.e. making glory a person with a home, and this transition from an abstract meaning to a embodied expression without resorting to tools of analogy or comparison, carrying photography in its construction to condensation, which gave surprise and excitement in the mind of the recipient, due to its artistic accuracy, power of photography and after imagination, and this lies in the poet's abilities to create this kind of imaginary images, through the blending of those sensory and mental relationships and what is mental and sensory and transferring them to suggestive figurative evidence, as well as the interaction between the structure of the musical activation and the structure of the semantic depiction of the metaphorical image, the process of fusion generated within that structure, has produced a pictorial musical framework, which has the ability to contain psychological emotions, as the poet has succeeded to choose appropriate musical weights for his pictorial and suggestive abilities that he wanted to deliver to the recipient.

Conclusion

After this journey in the search for the literary heritage in two of the most fertile Islamic eras for the growth and prosperity of poetry, which expressed the nation's political, intellectual and ideological orientations, it was possible to draw conclusions that can be summarized as follows;

1-Diagnostic metaphor has a great and effective role in the pictorial suggestion, as it affected its repercussions on the poetic contents, and poets have invested this art as a graphic tool for conveying an artistic image and pictorial scenes about their emotional conditions and states.

2-It is evident from some metaphors of a anthropomorphic nature that bear the character of freedom of expression and photography, with an imaginary intensity.

3-`The clarity and depth of the Qur'anic influence in the art of Islamic metaphor and Umayyad in language, style, ideas and meanings, which led to the refinement of the language of poets and its distance from the brutal stranger and rude Bedouin, and the expansion of the linguistic dictionary of poets based on

what was mentioned in the Holy Qur'an of new connotations of well-known words, as the Qur'anic style was clear impact on the poetry of Islamic and Umayyad poets, as poets invested in their poetic images, especially in drawing graphic images.

4-The impact of the environment was great on their poetic images, especially metaphorical images such as diagnosis, embodiment and anthropomorphism.

5-The Islamic and Umayyad poets have the ability to accurately describe the wrestlers of their dead in the battlefield, and employ those painful scenes to serve their political goals and to show the cruelty of the killers.

6-The privilege of images of the poetry of Islamic and Umayyad poets by exaggerating their depictions, especially those that they throw to the ears of the Caliphs to convince the addressees of their ideas, as well as their keenness to evaluate the Caliphs who are Rashdian l and Umayyad and to suggest the specifications of the desired Caliph.

7-Underestimating death and longing to meet enemies and obtain martyrdom appears in metaphorical images, as they are depicted as considering death as killing on the battlefield as their ultimate goal; So we find with them diagnostic and embodied images that express their longing for death, and the issue of martyrdom in the battlefield with open arms.

8-The dominance of the idea of death and annihilation and the futility of the world over most of their metaphorical images, especially those in which sublimation is an element of their composition.

9-The political purposes were among the most artistic contents because they contained the most rhetorical and graphic features that were considered a feature of the poetry of the Islamic and Umayyad era.

10-The decoration of their metaphors with verbal and moral improvements came in a pinch and was not intentionally motivated by dumping in the improvements, so it fell into a good and influential position in the same addressee.

11-The dependence of the Islamic and Umayyad poet on the balance of linguistic and rhythmic performance in constructing their metaphorical images, with the predominance of the structural style and the abundance of phrasal verbs.

12-The clarity and integrity of the language in the poetry of the Islamic and Umayyad poets, with the abundance and strength of the expression, and the poets do not resorting to strangeness and the use of abandoned words, so their

metaphorical images did not descend to the level of vulgarity and did not rise to the level of strangeness and opacity. It was clearly understood, and the mix and environment had an impact on the refinement, freshness and transparency of the language for the recipient to understand.

Sources and References

-Deeb, the dialectic of invisibility and manifestation (a structural study in poetry): Kamal Abu Deeb, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut - Lebanon, 2nd edition, 1979 AD. (No date))

- A.Richard, Principles of Literary Criticism, A. Richard, translated by Dr. Mustafa Badawi, reviewed. Louis Awad, The Egyptian Institution for Authoring, Translation, Printing and Publishing, Cairo. (No date)

-Ismail, Psychological Interpretation of Literature: Dr. Izzat al-Din Ismail, Dar al-Awda, Beirut, 4th edition, 1981 AD. (No date)

-Al-Bahili, the poetry of Amr bin Ahmar Al-Bahili (d. 65 AH), Achieved by Dr. Hussein Atwan, Dar Al-Hayat, Damascus,. (No date)

-Al-Bayati, The Artistic Structure in the Poetry of Virgin Love in the Umayyad Era, Sana Hamid Al-Bayati, PhD thesis, College of Arts - University of Baghdad, 1989. (No date)

-Al-Jahid, Al Haiwan , Abu Othman Amr bin Bahr Al-Jahid (d. 255 AH), achieved and explanation by Abd al-Salam Mohammad Harun, 2nd edition, Mustafa al-Babi al-Halabi and Sons Company and Press, Egypt 1385 AH - 1965 AD. . (No date)

-Al-Jubouri, Veteran Poetry and the Impact of Islam on it, Yahya Al-Jubouri, 1st edition , Al-Nahda Library, Baghdad 1384 AH - 1964 AD. (No date)

-Al-Jurjani, Asrar al-Balaghah in the science of eloquence, Abu Bakr Abd al-Qaher ibn Abd al-Rahman, al-Jurjani (d. 471 AH), Dar al-Maarifa, 1401 AH - 1981 AD (d. i). (No date)

-Al-Du'ali, Diwan of Abi Al-Aswad Al-Du'ali (d. 69 A.H.), achieved by Mohammad Hassan Al-Yassin, 2nd Edition, Al-Maaref Press, Baghdad 1384 A.H. 1964 A.D. . (No date)

-Al-Rubai, The Artistic Image in Abi Tammam's Poetry, Dr. Abdul Qadir Al-Rubai, 1st Edition, Yarmouk University Publishing, Irbid 1400 AH - 1981 AD. (No date)

-Al-Sayegh, artistic image as a critical criterion, Dr.. Abdul Ilah Al-Sayegh, House of General Cultural Affairs, Baghdad 1st edition , 1987. (No date)

Al-Ta'i, Diwan of Zaid Al-Khail Al-Ta'i (d. 10 AH), achieved by Dr. Nuri Hamoudi Al-Qaisi, Al-Nu'man Press, Baghdad, 1388 AH - 1968 AD. (No date)

-Al-Alawi, The Measure of Poetry, by Mohammad bin Ahmed Tabataba Al-Alawi (d. 322 AH), achieved by Dr. Taha Al-Hajri and Dr. Mohammad Zagloul Salam, Great Commercial Library, Cairo 1956 AD. . (No date))

-Al-Fahham, artistic photography in the sermons of Imam Ali, Dr. Abbas Ali Al-Fahham, published by Dar Al-Sadiq Cultural Foundation, 1st edition , 1433 AH - 2012AD. (No date)

-Al-Qirtagni, Muhaj Al Bulgaa and Siraj of the Writers, the work of Abi Al-Hassan Hazem Al-Qirtagni, achieved by Mohammad Al-Habib Ibn Al-Khoja, Tunisia 1966 AD. . (No date)

-Al-Muzni, Diwan of Maan bin Aws Al-Muzni (d. 64 AH), achieved , by Dr. Nuri Hamoudi Al-Qaisi and Hatim Al-Dhamin, 1st edition, Al-Jahid Press, Baghdad 1977 AD. . (No date)

-Badawi, the foundations of literary criticism among the Arabs: Dr. Ahmed Badawy, Al-Nahda Library, Egypt, Cairo, 3rd edition, 1964 AD. (No date)

-Bakkar, The Construction of the Arabic Poem in Ancient and Contemporary Arabic Criticism: Dr. Yousif Hussein Bakkar, House of Culture, Cairo, 1979. (No date)

-Bakkar, the construction of the poem in literary criticism, Dr.. Yousif Hassan Bakkar, Dar Al-Andalus for Printing and Publishing, Beirut, 2nd Edition, 1983 AD. (No date)

-Tulp, the poetry of Al-Nimr Ibn Tulp (d. 14 AH), achieved , by Dr. Nuri Hamoudi Al-Qaisi, Al-Maaref Press, Baghdad 1388 AH - 1968 AD. (No date)

Jarir, Explanation of Jarir's Diwan (d. 110 AH), achieved by Mohammad Ismail Abdullah Al-Sawy and Abi Jaafar Muhammad bin Habib, Dar Al-Andus for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon. . (No date)

-Azza, Diwan Katheer Azza (died 105 AH), achieved , Dr. Ihsan Abbas, Dar Al-Thaqafa, Beirut - Lebanon 1391 AH - 1971 AD. . (No date)

-Lewis, poetic image, CD Lewis, translation, by Dr. Ahmad Nassif Al-Jinani and Malik Meri, Gulf Corporation for Printing and Publishing, Kuwait 1982. . (No date)

-Naji, the psychological foundations of the methods of Arabic rhetoric, Dr.. Majid Abdel Hamid Naji, University Foundation for Studies and Publishing, Lebanon, 1st edition , 1969 AD. (No date)

-Hilal, Modern Literary Criticism, Dr. Muhammad Ghunaimi Hilal, 1st edition , Dar Al-Awda, Beirut, 1982 . (No date)

-Walek, Theory of Literature, Austin Warren, Renee Walek, translated by: Mohieddin Sobhi, The Supreme Council for Culture and Arts, Damascus, 1972. (No date)

Yamout , the science of statement methods: Dr. Ghazi Yamout, Dar Al-Asala for printing, publishing and distribution, Lebanon, 1, 1403 AH - 1983 AD. (No date)

The Archetypal Symbolism in Modern English Poetry: A Psychological Approach of Imagism

Dr. Nessma Abdel Tawab Salim

A Lecturer of English Literature in the Faculty of Education, October 6 University, Egypt

dr.nessmasalim@gmail.com
00201140442138

Abstract

This research aims at exploring the relation between archetypal patterns and literature; especially modern poetry. Carl Jung understood archetypes as universal archaic patterns and images derived from the collective unconscious and are the psychic counterpart of instinct. The term "archetype" means original pattern in Ancient Greek. Jung used this concept in his theory of human psyche. Jung describes these archetypes as innate, inborn in collective unconscious. For Jung these archetypes are most reflected in poetry; as they are timeless primordial processes. According to the great Swiss psychiatrist Carl Gustav Jung, Archetypes are specific modes of perception and comprehension, based on inherited psychical images influenced human consciousness on a personal collective scale. Maud Bodkin's Archetypal Patterns in Poetry (1934) has planted the seed of archetypal criticism in the soil of literary analysis. (Enani, Psychoanalysis of Carl Jung)

True modern poetry of English literature is said to begin in the middle of the 19th century. When Walt Whitman published Leaves of Grass in 1855, it caused an outrage amongst the authorities because it dealt with personal subjects like sex, war, and the physical body; comprehended by the innate inherited archetype. His book has not only opened the door for more adventurous American poets to experiment with language and look for things in new eyes and vision, leaving behind the traditional vision, but it also opened a new gate for an emotional pattern; an archetypal pattern that is common with readers of past and modern generations.

Keywords: Archetypes, primordial images, symbolism, collective unconscious, human experiences, and emotions.

الانماط الفطرية والرموز في الشعر الانكليزي الحديث

دراسة تحليلية نفسية للصور الشعرية

د.نسمة عبد التواب سالم الدرس

جامعة السادس من اكتوبر

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى استكشاف العلاقة بين الأنماط البدائية والأدب خاصة الشعر الحديث فهم كارل يونج النماذج البدائية على أنها أنماط وصور قديمة مستمدة من اللاوعي الجماعي وهي النظير النفسي للغريزة. مصطلح "النموذج الأصلي" يعني النمط الأصلي في اليونانية القديمة. استخدم يونغ هذا المفهوم في نظريته عن النفس البشرية. يصف يونغ هذه النماذج الأصلية بأنها فطرية ، فطرية في اللاوعي الجماعي. بالنسبة ليونغ ، تنعكس هذه النماذج البدائية في الشعر ؛ لأنها عمليات بدائية خالدة. وفقًا للطبيب النفسي السويسري العظيم كارل جوستاف يونج ، فإن النماذج الأصلية هي أنماط محددة من الإدراك والفهم ، بناءً على الصور النفسية الموروثة التي أثرت على الوعي البشري على نطاق شخصي جماعي. زرع Maud Bodkin's Archetypal Patterns in Poetry (1934) بذرة النقد البدائي في تربة التحليل الأدبي. (محمد عناني ، التحليل النفسي لكارل يونغ)

يقال إن الشعر الحديث الحقيقي للأدب الإنجليزي بدأ في منتصف القرن التاسع عشر. عندما نشر والت ويتمان كتاب Leaves of Grass في عام 1855 ، أثار غضب السلطات لأنه تعامل مع مواضيع شخصية مثل الجنس والحرب والجسد المادي ؛ يفهمها النموذج الأصلي الموروث. لم يفتح كتابه الباب أمام المزيد من الشعراء الأمريكيين المغامرين لتجربة اللغة والبحث عن الأشياء في عيون ورؤية جديدة ، تاركًا وراءه الرؤية التقليدية ، ولكنه فتح أيضًا بابًا جديدًا لنمط عاطفي ؛ نمط أصلي مشترك مع قراء الأجيال الماضية والحديثة.

الكلمات المفتاحية:

النماذج البدائية ، الصور البدائية ، الرمزية ، اللاوعي الجماعي ، الخبرات البشرية ، والعواطف.

The Archetypal Symbolism in Modern English Poetry: A Psychological Approach of Imagism

Carl Jung understood archetypes as universal archaic patterns and images derived from the collective unconscious and are the psychic counterpart of instinct. The term "archetype" means original pattern in Ancient Greek. Jung used this concept in his theory of human psyche. Jung describes these archetypes as innate, inborn in collective unconscious. For Jung these archetypes are most reflected in poetry; as they are timeless primordial processes. According to the great Swiss psychiatrist Carl Gustav Jung, Archetypes are specific modes of perception and comprehension, based on inherited psychical images influenced human consciousness on a personal collective scale. Maud Bodkin's *Archetypal Patterns in Poetry* (1934) has planted the seed of archetypal criticism in the soil of literary analysis (Enani).

In their book *Modern Criticism: Theory and Practice*, Walter Sutton and Richard Foster review Maud Bodkin's theory of the relation of analytical psychology to poetic art, saying that Maud establishes her theory on Jung's hypothesis of the psychological significance of poetry. For Jung, the special emotional significance possessed by certain poems, beyond common meaning, is stirred in the reader's mind within or beneath his conscious response, by unconscious forces which Jung calls "primordial images" or archetypes. These archetypes are a numberless series of experiences of the same type. Enani asserts that these experiences have happened, not necessarily to the individual himself, but to his ancestors. Consequently the results are inherited in the structure of the brain.

In his book *Romanticism and Postmodernism*, Edward Larrissy defines postmodernism in English poetry as a "shift from the description of a range of aesthetic practices involving playful irony, parody, parataxis, self-consciousness, fragmentation, to a use which encompasses a more general shift in thought and seems to register a pervasive cynicism about the progressivist ideals of modernity. (1) Larrissy adds that it is the death of grand narratives; it is an intellectual, artistic cultural outlook that is suspicious of hierarchy and objective knowledge adopting complexity, contradiction, and ambiguity.

Archetypal literary criticism moves in several directions at the same time: textual, inter-textual and psychological. Borklund, in his book *Contemporary*

Literary Critics, explains this saying that a reader may identify archetypes of the plot, characters, imagery, and settings of the literary work of art. Archetypal criticism of literature became most widespread among modern literary critics. For Borklund, Maud Bodkin has greatly changed the vision of poetry with her theory.

True modern poetry of English literature is said to begin in the middle of the 19th century. When Walt Whitman published *Leaves of Grass* in 1855, it caused an outrage amongst the authorities because it dealt with personal subjects like sex, war, and the physical body; comprehended by the innate inherited archetype. His book has not only opened the door for more adventurous American poets to experiment with language and look for things in new eyes and vision, leaving behind the traditional vision, but it also opened a new gate for an emotional pattern; an archetypal pattern that is common with readers of past and modern generations.

Archetypal criticism, according to Carl Jung, is a critical theory studies the recurring narrative structures, character types, themes, and images that are commonly shared by people of different cultures and traditions. In his book *English Language and Literary Criticism*, Kharbe describes archetypal criticism's origins as "rooted in two other academic disciplines, social anthropology and psychoanalysis; each contributes to literary criticism in separate ways, with the latter being a sub-branch of the critical theory" (327). This enhances very much Enani's view of archetypal criticism in his book Carl *Gustav Jung's Analytical Psychology*, where he affirms that archetype as a concept is a way of categorizing and exploring human experiences manifesting in a variety of intellectual contexts, ranging from Plato's concept of forms to Kant's classifications of human cognition and beyond. Enani believes that archetypes are rooted in depth, according to Jung, in human psychology; "for Jung, archetypes are visible manifestations of something rooted in the deepest soil of human experience" (3) Larsen.

In his book *Contributions to Analytical Psychology*, Carl Jung defines archetype as

> A figure, whether it be a daemon, man, or process, that repeats itself in the course of history wherever creative phantasy is freely manifested. Essentially, therefore, it is a mythological figure. If we subject t these images to a closer investigation, we discover them to be the formulated resultants of countless typical experiences of our ancestors. They are, as it were, the psychic residua of numberless experiences of the same type…Each of these images contains a piece of human psychology

> and human destiny, a relic of suffering or delight that has happened countless times in our ancestral story (247).

Kharbe declares that "the advent of post-modern theory initially dampened the interest and influence of archetype theory, but in recent years many writers and scholars have responded to the misconceptions and misrepresentation often found in post-modern critiques of archetypal theory" (327). Applying this to modern poetry, archetypal images are realized as examples of symbolism. They have the ability to symbolize, thanks to their pictorial vivid nature. Cengage Learning in *A Study Guide for Imagism,* describes imagism as

> flourished in Britain and in the United states for a brief period that is generally considered to be somewhere between 1909 and 1917. As part of modernist movement, away from the sentimentality and moralizing tone of nineteenth- century Victorian poetry, imagist poets looked to many sources to help them create a new poetic expression (2).

Creating a new poetic expression is extremely tied to archetypal patterns since this new poetic expression is a concrete presentation of a fragmented vision of human brain. This fragmented incomplete vision is a technique symbolizes modern mind, the incoherent universal experiences; that is simply the inherited archetypal experience latent in human deep memory. According to Ezra Pound and T.S. Eliot the world is coherent, but our perception of it, is always incomplete and fragmented. Therefore since modern poetry explores fragmentation and incomplete vision of human beings, it the best mold that reflects archetypal theory, David Perkins (224).

In his book *An Introduction to Poetry*, Tiempo says:

> The liberation of contemporary poetry from the traditional rigidity in rhyme and scansion was anticipated by Walt Whitman in his collection of poems Leaves of Grass, published 1855. However, Whitman's lines are long, diffuse, and rhetorical, whereas as mentioned, the usual imagist lines are short and packed. Another difference is the fact that the idea in an imagist poem is resident in the image rather than stated in outright statements such as we find in

Whitman's Leaves of Grass (121).

The fourth edition of *Whitman's Leaves of Grass,* 1867 is the first edition to appear with accumulation; he adds sheets from other works, more experiences that enrich the fourth edition, (29) Charles M. Oliver. In *Leaves of Grass* fourth edition, Whitman adds "Abroad at a Ship's Helm" part in which he echoes Coleridge's ship of the Ancient Mariner, saying:

ABOARD at a ship's helm,
A young steersman steering with care.

Through fog on a sea-coast dolefully ringing,
An ocean-bell—O a warning bell, rock'd by the waves.

O you give good notice indeed, you bell by the sea-reefs ringing,
Ringing, ringing, to warn the ship from its wreck-place.

For as on the alert O steersman, you mind the loud admonition,
The bows turn, the freighted ship tacking speeds away under her gray sails,
The beautiful and noble ship with all her precious wealth speeds away gayly and safe.

But O the ship, the immortal ship! O ship aboard the ship!
Ship of the body, ship of the soul, voyaging, voyaging, voyaging (1867)

Whitman alludes to the life-death journey of human beings. He hints at the human soul that travels from birth to death. All human beings share the experience of descending to earth and having an endless timeless number of experiences and adventures. All this has made an innate, inherited mark upon our souls, as living beings. It is through this voyage that Whitman mentions, readers discover that ancient records and archetypal patterns are part of our personal cosmic history. Cosmic history is a mixture of abstract experiences, feelings, spiritual material and human existence. The ship in Whitman's poem is an echo of Coleridge's ship of the *Rime of the Ancient Mariner.* Both ships do represent the journey of life and death for human brains. In other words, the first impression that occurs to the minds of readers or listeners of the word "ship or voyage" is the journey from life to death. This is the archetype that is inherited and engraved in the minds and psychology of all human beings. As Enani asserts, the voyage is the symbol of the mariner's life: his path to sin and his subsequent repentance. This is the same in Whitman's *Leaves of Grass.* The voyage is the journey from sin to repentance or from life to death. It is the

archetypal pattern of the changing pattern of human nature; either from sin to repentance, life to death, damnation to salvation and so on.

The ship may be the symbol of human body that sails through the sea of sins. In "through fog on a sea-coast dolefully ringing, an ocean bell-O a warning bell rocked by the waves", the image is veiled by the foreboding threatening "warning" bell which is indicative of an evil presence that destroys the goodness and calmness of the ocean. The ocean itself is a symbol of insecurity and danger for human beings; "the frightened ship tacking speeds away under her gray sails", is another foreboding image of a sterile future that is gray like ashes. Towards the end of this part of the poem, the ship turns out to be a prison that holds the human soul. Stuck in the wide frightening ocean, it is a source of punishment for sinners; all human beings.

In William Carlos William's *Danse Russe,* he creates an image of loneliness. Loneliness as an archetypal emotion evokes sadness, gloom and nostalgia for all human beings. This is a recurrent controlling theme in almost all of Williams works. In the first line of *Danse Russe* he says:

If I when my wife is sleeping

and the baby and Kathleen
are sleeping
and the sun is a flame-white disc
in silken mists
above shining trees,—

where he creates many symbols and archetypes. The image of a wife and a "baby sleeping" is an archetypal image of death, loneliness, and potential life cease; as sleep is a form of temporary death. This scene of temporary death is enlightened by the presence of sun and flame-white disc; which is the symbol of God that evokes the emotion of forgiveness, grace and redemption. The archetypal pattern here is common to all human beings since sun and light are the symbols of a new beginning, clarity, vision, and divine power. Williams continues saying:

if I in my north room
dance naked, grotesquely
before my mirror
waving my shirt round my head
and singing softly to myself:
“I am lonely, lonely.
I was born to be lonely,
I am best so!”
If I admire my arms, my face,
my shoulders, flanks, buttocks
against the yellow drawn shades,—

Who shall say I am not
the happy genius of my household?

He sings softly to himself. The poem ends with the universal feeling of loneliness, at least experienced and lived once at a lifetime.

The feeling of loneliness is detected in T.S. Eliot's the Wasteland as well. Richard Gray in his book *A Brief History of American Literature,* states that

> in a very real sense, the wasteland continues this lonely drama of the self. Of course, any genuinely imaginative reading of Eliot's most famous poem is likely to yield larger cultural inferences. Like the Cantos, The Wasteland uses a form of the ideogrammic method, dense patterns of imagery and a disjunctive narrative sequence, a radical juxtaposition of different perspectives and languages to solicit an active response, a collaboration in the creation of meanings…The Wasteland was a cry from the lonely self (29).

The primordial image, the psychic residue of loneliness is an archetypal pattern in the collective unconscious of all human beings that is expressed and experienced in Eliot's *The Wasteland*. The great despair of modern existence does not only felt out of a sense of meaninglessness, but also from a very strong loneliness. Eliot makes this feeling of loneliness universal by admitting that it is a feeling we create for ourselves by constantly pursuing our own selfish interests;

> Sighs, short and infrequent, were exhaled,
>
> And each man fixed his eyes before his feet (64-65)

These people described in the poem are flowing on London Bridge like dead bodies; a reminder of Pound's apparitions of the *Metro Station.* They seem so selfish; nobody cares even to look at another, since "each man fixed his eyes before his feet" (65). This is an archetypal image of the daily routine of modern life. Eliot wants to give the impression of the emotional sadness caused by modern civilization; which consequently leads people to forget the presence of each other. This is an archetypal impression felt by all human souls that are preoccupied with their own living. As the central image of the Wasteland is sterility of modern western civilization, it is simply a death rebirth archetype.

Maud Bodkin in her book *Archetypal Pattern in Poetry*, comments on the Wasteland saying that

> The aspect of the poem which I which I wish to consider here is its character as exemplifying the pattern I have termed a rebirth. Notably the poem accomplishes—in Jung's phrase— a translation of the primordial image into the language of the present, through its gathering into simultaneity of impression images from the remote past with incidents and phrases of everyday present. (308)

According to Nidhi Tiwari in his book *Imagery and symbolism in T. S Eliot's Poetry*,

> Maud Bodkin relates the rebirth archetype with the Night Journey in the Book of Jonah. She remarks 'before a renewal of life can come about, Jung urges, there must be an acceptance of the possibilities that lie in the unconscious contents activated through regression…and disfigured by the slime of the deep'. The principle with he thus expounds Jung recognizes as reflected in the myth of the night journey under the sea (14-15).

Actually each reader of Death by Water (IV), finds himself voyaging on the sea where he starts the journey of death and rebirth. The archetype of death by water is associated with renewal, rebirth and regeneration. Phlebas dies by drowning, forgetting his worldly issues, problems and cares. Here Eliot addresses the hearts of his readers to consider Phlebas and recall his or her mortality; an archetypal pattern of life and death.

The poem is divided into five parts I) The Burial of the Dead, II) A Game of Chess, III) The Fire Sermon , IV) Death by Water and V) What the Thunder Said. The title of the first part is an archetype. The Burial of the dead is an allusion of the burial service of the Christian Church; the Book of Common Prayer.

In

April is the cruellest month, breeding
Lilacs out of the dead land, mixing
Memory and desire, stirring
Dull roots with spring rain.
Winter kept us warm, covering
Earth in forgetful snow, feeding

A little life with dried tubers. (1-7)

"Eliot has placed to contrasting archetypal images alternately, that is, the images of rebirth and death-in-life. We have archetypal images of rebirth in 'breeding lilacs' out of the dead land and stirring dull roots with spring rain. The archetypal images of death in life is expressed in 'winter kept us warm, covering earth in forgetful snow' and 'little life with dried tubers" (Tiwari 177).

In the second part of *The Wasteland*, A Game of Chess, Eliot creates an archetype of the social hierarchal system that contains kings, queens, pawns, knights, rooks, and Bishops. It is automatically aroused in readers' minds that the universe is not but a game of chess, based on positions and social status. This hierarchy is not innocent of treachery. Ackerley comments on this, in his book T.S. Eliot: *The love Song of Alfred Prufrock, and The Wasteland,* saying "the later title suggests the monotony of an existence broken only by such diversions as chess, and hints at sexual tension and betrayal" (43). Tiwari supports this interpretation confirming, "imagery and symbolism related to escape archetype and betrayal archetype lead to the dominant archetypal imagery and symbolism of death-in-life" (199). That is why Eliot depicts human life as shallow and meaningless where people are partly dead while alive.

The Fire Sermon section is an archetype of the Buddhist fire sermon. Since a reader hears this title, it soon occurs to his mind the sermon of purgation of the human soul, heart and body. It is through burning the body with its sins, as believed by some people, that the soul is shifted from damnation to salvation. However, it is still a gloomy hint about the sinful life of human beings. The river Thames in this section is an archetype of cleanliness, purity, and reincarnation, (Enani 21) as water is a life giver to all creatures. Bently and Brooker comment in their book *Reading the Wasteland: Modernism and the Limits of Interpretation*, saying that "the controlling allusion in The Fire Sermon, by force of Eliot's title, is to the fire sermon of Buddha… the Buddha's sermon delivered to a thousand priests, consists of three questions and three answers" (121). Actually the three questions and answers are related to the senses of human beings, their desires, and sins that are redeemed by fire. Fire is an archetype of both torture and purgation.

In his book *On Life's Journey: Always Becoming*, Daniel A. Lindley suggests that

> the term archetype invokes 'the mind of God' because it designates an aspect of underlying, eternal order. Such order is beyond ordinary folk-indeed, it is beyond all human beings. It may be described as ' The Mind of God' or it may be represented by Plato's conception of

ideal forms. Such things are not knowable, and something that is not knowable may as well not exist. But the archetypes do manifest themselves in our lives, in our daily round. Rather than continuing this abstract discussion, I turn instead to a concrete instance of the manifestation of a particular archetype in a tiny poem. It is a haiku by Ezra Pound:

in a Station of the Metro
The apparition of these faces in the crowd:
Petals on a wet, black bough (9).

The most famous archetype of a metro or a train is the image of the journey from birth to death. The image in Pound's poem is clear. The faces of the passengers in the metro station are transitory and temporary. Each train leaves the station soon, carrying a huge number of people; faces; a typical image of human life. A generation passes to deliver life to another. Human life is as short as those minutes the train waits on the station to collect its condemned people. Lindley continues saying, "the image of the petals reminds us of the transitoriness of spring, of generativity of beauty" (9). Actually the black colour in the poem corresponds to the gloomy melancholic atmosphere of inevitable death of these living faces. The black colour is an archetypal pattern of sadness, death, and vagueness. These archetypes do prepare readers to accept their mortality; since the apparition of these faces is another archetype of hollowness, barrenness, and sterility. These faces are ghosts. As archetypes are universals,(Enani 63-65), this poem echoes Eliot's *Wasteland* and Whitman's *Leaves of Grass*. It faces readers with the fact that in the midst of life, death is encountered and rooted. The archetype of the journey is almost encountered in most of modern poems. Lindley affirms that "archetypes can not be described concretely in themselves, because they are abstractions, generalizations, ideas, but they are represented in experiences all the time" (10). Enani enhances this viewpoint adding that the idea of archetype is linked to the collective unconscious, in which appear archaic primordial types, with universal images that have existed before. In studying the implications of motifs, it is discovered that the same object may hold vastly different meanings in different cultures; but still it is a motif with a symbolic archetypal implication (152).

The same journey is encountered in Alfred Tennyson's Lotus Eaters. The journey is a symbolic archetypal one, taken from Homer's Odyssey. After the fall of Troy, Odysseus' sailors, Odysseus himself is an archetypal man of a brave mission, are forced to land in a strange country. This land is that of the "mild-eyed melancholy Lotus eaters". These inhabitants are sustained only on the fruit of Lotus. This fruit has the effect of a drug which makes human beings

unconscious. According to Rajni Singh the fruit may also be the archetype of the forbidden apple of Eden. He says:

> The poem is to be read, keeping in mind the story of Hercules who steals the fruit for the sake of humanity. The body of the poem is the story of the three sisters. The Hesperides maidens, introduced by a blank verse prologue that fuses historical allusion with myth. Discussing its sources, Ricks suggests the religious mythologizing of G.S. Faber, Milton's Paradise Lost…The East and West had a special significance for Tennyson. The golden apple has the virtue of being the treasure of the west. Tennyson connects the West with images of the sea, of growth and paradoxically of death…The garden—isle of the Hesperides is an archetypal image and though it has a private significance for him, Tennyson preserves its mythological character. His garden of Hesperides is the garden of wisdom.. while describing the nature pictures, Tennyson shows extreme sensitiveness. The creation of art, of poetry is symbolized as the creation of golden apples (30-32).

The sailors also lose their desire to go back home and get back to their families, after eating from this fruit. This lost desire is an archetype of the lost desire of modern man to continue his life journey in these hardships.

Lioyd Austin in his book *Poetic Principles and Practice*, says

> But these are the traditional hopes and longings for the life to come. The last two quatrains introduce an entirely new and original note, although the imagery is derived from Tennyson's Ulysses, and ultimately from Dante, who invented the story of Ulysses' last fatal voyage beyond the baths of all the western stars. Dante leads the ship to its destruction; Tennyson suggests that the gulfs may wash them down: but Bandelaire makes this last voyage the symbol of the passage from life to death, and in this conclusion he sweeps away all that is known or imagined of the world beyond the grave (16).

All things have rest: why should we toil alone,
We only toil, who are the first of things,
And make perpetual moan, (II Lotus Eaters)

The life of toil and hard work is the ghost that the lotus eaters would like to abandon. They decided to quit their journey of hardships, and stay idly in the land of lotus eaters; the forbidden garden. This is an archetype of modern man's longing for a calm life free of responsibilities.

Another basic archetype in the poem is the recurrent image of the waves:

"Courage!" he said, and pointed toward the land,

"This mounting wave will roll us shoreward soon."
In the afternoon they came unto a land
In which it seemed always afternoon (I).

The mounting wave is a recurrent image that runs all through the poem. These waves are the archetype of changing conditions of human beings. Waves represent vagueness, hard work, and unknown future. Some lines later in the poem, sailors declare that their home is beyond the waves:

Then some one said, "We will return no more";
And all at once they sang, "Our island home
Is far beyond the wave; we will no longer roam" (45).

The wave here is a symbol of the ocean; the whole life of human beings. According to Tiwari "images and symbols have always been the soul of poetry. Poets in all ages, in all countries and in all languages have employed these devices to enhance their expression and create an impact on the reader" (1); this quotation ties imagery and symbols to poetry. Since imagery is part of archetype as Schaverien defines archetype in his book *The Revealing Image: Analytical Art Psychotherapy in Theory and Practice*, saying "it is a psychosomatic concept, liking body and psyche, instinct and image. Archetypes underlie the impact of fairy tales, myths, certain rituals and traditions. They are also recognizable in the dream and images which are created by the individual human psyche" (21). Enani in *Carl Gustav Jung Analytical Psychology* agrees with Schaverien, adding that these archetypal images do not take a specific form; they are however latent in collective unconscious. He believes they are evident in actions and feelings. There is always a special stimulus that activates certain archetypes at a particular occasion in the life of an individual. Although the source is universal, there is still an individual dimension. It is noticed that many different people with different cultures and backgrounds, in similar psychic situations, do produce very similar archetypal reactions, due to having a

similar mental storage of the same implication of images in innate memory. Enani confirms it was essential for Jung to state that it is not the content of an image which is archetypal rather than the unconscious and un-representable outline or pattern that is fundamental (20-25).

In his book *Singing the Chaos: Madness and Wisdom in Modern Poetry*, William Pratt sums up the relation between imagism and archetype as follows:

> The aims of the imagist movement in poetry provide the archetype of a modern creative procedure, and since imagism was the metamorphosis in another language of French symbolism, modernism may be regarded as a continuation from the symbolists to the imagists (17).

The relationship between literature and psychology has deep implications. The greatness of a literary work of art arises from its psychological universal dimension, represented in images and consequently archetype (Enani 23). In the 20th century, archetypal criticism is commonly used specially with the mixture of literature and psychology. Archetypal criticism actually breaks the boundaries between different cultures, backgrounds, traditions and religions. Archetypal criticism elevates the literary text into a higher status of a universal humanistic enterprise.

References

The Book of Common Prayer and Administration the Sacraments and Other Rites and Ceremonies of the Church. London, 1681

Ackerely, C,J. T.*S. (2007) . Eliot The Love Song of Alfred Prufrock and the Wasteland.* Humanities- E books.co.uk.

Austin, Lioyd. (1987). *Poetic principles and Practice.* Cambridge University Press.

Bently, Joseph and Brooker, Jewel. (1990) *Reading The Wasteland: Modernism and the Limits of Interpretation*. University of Massachusetts.

Bodkin, Maud. (1963). *Archetypal Patterns in Poetry*. London, Oxford University Press.

Borklurd, Elmer. (1977). *Contemporary Literary Critics.* Palgrave Macmillian.

Enani, M. (2019). *Carl Gustav Jung's Analytical Psychology*. Roueya publishing, Egypt.

Gray, Richard. (2010). *A Brief History of American Literature*. London

Jung, Carl. (1928). *Contributions to Analytical Psychology*. Trans. H. G. Baynes and C.F. Baynes, London.

Kharbe, Ambreen Safder. (2009). *English Language and Literary Criticism*. Discovery publishing House PVT. LTD. New Delhi.

Larriss, Edward. (1999). *Romanticism and Post Modernism.* Cambridge University Press.

Larsen, Brian. (1928). *Archetypes and the Fourth Gospel: Literature and Theology in Conversation*. Bloomsbury publishing PLC, London.

Lindley, A. Daniel.(2006). *On Life's Journey: Always Becoming*. Library of Congress Publication.

Learning, Cengage. (2016). *A Study Guide for Imagism*. United States.

Oliver, M. Charles. (2006). *Critical Companion to Walt Whitman: A Literary Reference to His Life and Work*. Library of Congress.

Pratt, William. (1996). *Singing The Chaos: Madness and Wisdom in Modern Poetry*. University of Missouri press.

Perkins, David. (1987). *A History of Modern Poetry: Modernism and After*. The Belknap Press, Harvard University, United States Of America.

Schaverien, Joy. (1999). *The Revealing Image: Analytical Art Psychotherapy in Theory and Practice*. Jessica Kingsley Publishing.

Singh, Rajni. (2005). *Tennyson and T.S. Eliot: A Comparative Study*. Sarup and Sons, New Delhi.

Tiempo, Edith. (1993). *An Introduction to Poetry: Poetry through Image and Statement*. Rex Book store.

Tiwari, Nidhi. (2001). *Imagery and Symbolism in T.S. Eliot's Poetry*. Atlantic publishing and distributors, New Delhi.

The Role Of Governance In Improving Efficiency Performance In Jordanian Government Institutions

Ahmad Ershaid Nusair

PHD Student in the Faculty of Economics and Muamalat, University Science Islam Malaysia

ORCID: https://orcid.org/0000-0002-6781-4266

ahmad_nusair@yahoo.com

00962799455028

Dr.Nur Hidayah

Faculty of Economics and Muamalat, University Science Islam Malaysia

hidayah@usim.edu.

006122331203

Abstract

Governance is one of the controls that regulate the behavior and ethics of all organizations and their employees, the aim is to move forward towards the right path to lead these organizations to achieve all their goals without the presence of any deviations, which will reflect positively on the performance of these organizations, governance in government institutions has become a prominent place in all countries of the world, especially after the global financial crises, where this study aimed to know the role of governance in improving the efficiency of performance in Jordanian government institutions and to work on building a framework of knowledge surrounding the issues of governance and performance in government institutions, the importance of this study stems from the fact that it discusses a very important topic, which is governance, as it is a cornerstone in the performance of institutions and individuals alike, where the researchers used the

theoretical approach in this study by referring to the literature and studies that discussed such a topic, and then extract the desired results, the most important of which were: Governance is an ethical system to improve the performance of individuals and institutions, as it affects the improvement of all economic, political and social dimensions in government institutions, it also defines scientific and sound frameworks for all efforts made in performance, as it is a reference in making policies, laws and regulations, governance in government institutions also contributes to improving the efficiency and effectiveness of performance for individuals and institutions, which has a positive impact on providing better services to auditors, the researchers in this study recommended the necessity of keeping pace with all global developments and working to amend some laws and regulations that would move forward towards the advancement of these institutions, and increasing training programs for employees on how to apply governance properly in order to contribute to raising the performance of government institutions, and conducting other similar studies concerned with studying the principles and standards of governance and their impact on financial and administrative performance in government institutions.

Key words: Governance, Performance, government institutions

دور الحوكمة في تحسين كفاءة الاداء في المؤسسات الحكومية الاردنيو

الباحث / أحمد أرشيد نصير

طالب دكتوراه / كلية الاقتصاد والمعاملات / جامعة العلوم الاسلامية الماليزية

د.نور هداية ليلي

كلية الاقتصاد والمعاملات / جامعة العلوم الاسلامية الماليزية

الملخص

1. تُعد الحوكمة من الضوابط التي تنظم سلوك وأخلاقيات كافة المنظمات والعاملين فيها، والهدف من ذلك هو المضي قدماً نحو الطريق الصحيح ليوصل هذه المنظمات إلى تحقيق كافة أهدافها دون وجود أي انحرافات مما ينعكس ايجاباً على أداء هذه المنظمات، وقد أصبحت الحوكمة في المؤسسات الحكومية تحتل مكانة مرموقة في كافة دول العالم خصوصاً بعد الأزمات المالية العالمية، حيث هدفت هذه الدراسة لمعرفة دور الحوكمة في تحسين كفاءة الأداء في المؤسسات الحكومية الأردنية والعمل على بناء إطار معرفي يحيط بموضوعات الحوكمة والأداء في المؤسسات الحكومية، وتنبع أهمية هذه الدرسة لكونها تبحث وتناقش موضوع حديث في غاية الأهمية الا وهو الحوكمة بإعتباره حجر أساس في أداء المؤسسات والأفراد على حد سواء، حيث قام الباحثان بإستخدام المنهج النظري في هذه الدراسة من خلال الرجوع إلى الأدبيات والدراسات التي ناقشت مثل هذه الموضوع, و من ثم استخلاص النتائج المرجوة التي كان من أهمها: أن الحوكمة نظام أخلاقي لتحسين أداء الأفراد والمؤسسات, كما أنها تؤثر على تحسين كافة الأبعاد الإقتصادية والسياسية والاجتماعية في المؤسسات الحكومية ، كما وأنها تحدد أُطر علمية وسليمة لكافة الجهود المبذولة في الأداء، كما وانها مرجع في صنع السياسات والقوانين والأنظمة ، كما تساهم الحوكمة في المؤسسات الحكومية في تحسن كفاءة وفعالية الأداء للافراد والمؤسسات مما له أثر ايجابي على تقديم خدمات أفضل للمراجعين، وقد أوصى الباحثون في هذه الدراسة بضرورة مواكبة كافة التطورات العالمية والعمل على تعديل بعض القوانين والأنظمة التي من شأنها المضي قدماً نحو النهوض بهذه المؤسسات، كما أوصت هذه الدراسة بزيادة البرامج التدريبية للعاملين على كيفية تطبيق الحوكمة بالشكل السليم من أجل المساهم في رفع أداء المؤسسات الحكومية، كما اوصت هذه الدراسة أيضاً بالقيام بدراسات أخرى مشابهه تهتم بدراسة مبادئ ومعايير الحوكمة تأثيرها على الاداء المالي والاداء الاداري في المؤسسات الحكومية.

1. Introduction

Governance is one of the modern terms that have emerged recently, especially after the collapses that occurred in the economies of different countries in the world, Until it became one of the institutions adopted by institutions in all countries of the world, governmental institutions or private institutions, In order to bring about changes that positively affect the development strategies in these institutions, as governance has become of great importance in these institutions for the concerned authorities, decision-makers at all levels, as its importance has increased a lot in government institutions in countries that are striving to improve their performance and make them an important tool in achieving economic development .

In 2005 the Organization for Economic Co-operation and Development (OCDE) adopted a large and important set of guiding principles for public sector governance, In 2015 organization updated these principles and directives by keeping pace with the recent developments of the year at the international and local levels, Although these principles and guidelines, accompanied by the public forum, However these principles, directives and guidelines are not binding on any public sector institution. That is, these institutions must formulate mechanisms that are commensurate with the context of their work. where government and private institutions work to improve the performance of their employees because the process of improving the performance of employees is a key factor in improving the performance of the institution as a whole. (Colquitt et al.2015:32), Where it has become necessary to take care of employees and most organizations go to good policies that take care of

employees in order to improve performance.(Storey et al. 2009:4), Institutions work on defining broad lines that organize their work through which they aim to improve their level of performance(Armstrong & Stephen.2014:58).

Governance is of great importance in government institutions because of their key and effective role in economic, social and political policies, because these institutions are affected by the management style used in them, governance plays a prominent role in government institutions and works to gain the confidence of those dealing with these institutions by achieving outstanding performance, performance is a concern of any government institution and is built because it depends on the means and tools through which it relates to the external environment. given the critical importance of the role of governance in the field of governance in the field of research and governance, research and scientific research, research and international institutions on the study of governance and performance in government, this study came to present the role of governance in improving performance efficiency in Jordanian government institutions.

2. The study methodology

2.1 Problem of the study

Governance is one of the modern organizational methods that many institutions use in order to organize their work, it is also considered an important entry point and basis that has a prominent role in improving the performance of individuals and institutions, the implementation of good and proper governance leads us to good performance for the individual and the institution as a whole, And government institutions in Jordan, like many institutions in all countries of the world, are obligated to ensure good and sound governance to achieve the best levels of performance at all levels in order to create trust between these institutions and the parties dealing with them, therefore the researchers believe that the role played by governance in improving performance in government institutions should be studied. this study came to answer the following question:

- What is the role of governance in improving performance efficiency in Jordanian government institutions?

2.2 Goals of the study

This study aims to know the role of governance in improving performance efficiency in Jordanian government institutions and to work on building a framework of knowledge surrounding the issues of governance and performance in government institutions, and then coming up with conclusions and recommendations that will contribute to improving performance efficiency in government institutions.

2.3 Importance of the study

The importance of this study stems from the fact that it examines and discusses a very important topic that has proven its worth in solving many problems, which is governance as a cornerstone that affects the performance of institutions and individuals alike.

2.4Approach of the study

In order to answer the problem of the study and achieve the objectives of the study, the researchers followed the descriptive-analytical approach, by referring to references, books, periodicals, previous study and Internet sites, in order to reach conclusions and provide the necessary recommendations

3. Literature reviews

- **The study of al-wakeel (2021) entitled the effect of judgment on job performance (Applied study on East Nasr City neighborhood)**

This study aimed to orientalize the relationship, principles of governance and job performance improvement in East Nasr City district, and to identify the relationship and impact of leaders' adoption of governance as a mediating variable for the relationship between governance and job performance improvement, The study relied on the descriptive analytical approach, and the development of a questionnaire to comply with the objectives and hypotheses of the study in terms of examining the relationship, the impact of the principles of governance and the adoption of leaders on job performance and improvement, The results of the study showed that there is a direct relationship between the application of governance principles and the improvement of job performance, and there is a direct relationship between the adoption of administrative leaders to apply the principles of governance and improve job performance, and that governance contributes positively to improving the institutional performance of administrative bodies, The study recommended adopting and activating the principles of governance in public organizations, analyzing the internal environment in public governmental organizations to try to study the extent of their commitment to applying the principles of governance and identifying the difficulties that limit their application

- **The study of hijazi (2021)The Impact of Applying Good Governance Principles on Job Satisfaction among Public Sector Employees in Jordan**

This study aimed to know the effect of applying the principles of good governance on job satisfaction among Jordanian public sector employees, the study population consisted of all public sector employees who are subject to the civil service law and their number is 219,000 employees, where a questionnaire was developed in order to achieve the goal of the study, and the questionnaire was distributed to the study sample, which numbered (384, the number of

questionnaires recovered and valid for analysis reached (308), the results of the study showed a statistically significant effect of applying the principles of good governance (transparency, justice, equality, accountability, participation, integrity) in each of the dimensions of job satisfaction separately (salaries, compensation, direct supervision, training programs, promotions, performance, evaluation) to varying degrees, the results showed statistically the significant impact of applying the principles of good governance on job satisfaction among workers in the public sector in Jordan, the study recommended a set of recommendations, the most prominent of which was raising awareness of the concept of good governance and its importance through holding awareness programs, seminars and training courses for all public sector employees in Jordan, Strengthening the role of government agencies that contribute to promoting the principles of good governance in the public sector (the Audit Bureau, the Anti-Corruption Integrity Commission, the Civil Service Bureau, the Ministry of Justice, developing and activating the (civil service law), especially with regard to employee training, development, promotion and evaluation of their performance.

- **The study of Akkar and Sultan (2020) entitled The Role of Governance Principles and Mechanisms in Improving Financial Performance (An Applied Study in the National Insurance Company)**

This study aimed to identify the conceptual framework of governance, and the extent to which corporate governance contributes to improving the financial performance of insurance companies, and the extent of the possibility of linking corporate governance and improving the financial performance of insurance companies, and arriving at the governance mechanisms that insurance companies can use to improve their financial performance, the study relied on the descriptive analytical method, develop a questionnaire to comply with the objectives and hypotheses of the study, the study reached a set of conclusions, the most important of which is that governance is a reference for making policies that adopt the legal and regulatory frameworks for the corporate governance system by contributing to attracting investors, the insurance companies have an actuarial expert independent of the various parties and is concerned with controlling the financial position of the insurance companies, the study recommended the need to emphasize the role of the state in activating corporate governance through laws and legislation, and the need to pay attention to the application of corporate governance in insurance companies because of its impact on improving financial performance.

3.2 Commenting on literature reviews

The researchers reviewed a set of previous studies related to the subject of the study, they reached a set of results that helped them to enrich their current studies and develop their studies, the following is a summary of the most

important and prominent comments of the researchers on these studies, the researchers believe that all previous studies discussed the issue of governance, as it was found that they agree with the researchers' study on governance, which included the study of both Al-Wakeel (2021) and Hijazi (2021). governance in the public sector, as for the study of Akkar and Sultan (2020), it was in the private sector, as for the dependent variable, the study included Al-Wakeel (2021), Akkar, and Sultan (2020), which focused on performance, Al-Wakeel's study (2021) examined job performance. As for Akkar and Sultan (2020), they examined financial performance with different study locations, environments and results, after extensive research by researchers and their use of the descriptive analytical approach, this study came as a continuation of previous studies that dealt with the issue of governance in Jordanian government institutions, where the current study is different from previous studies, as no similar study has been conducted to the current study - within the researcher's knowledge - in the field of the role of governance in improving performance efficiency in Jordanian government institutions.

4.Theoretical Framework

4.1 Definition of Governance

There are many definitions of the term governance, so that each term indicates the point of view adopted by the owner of this definition, the International Finance Corporation (IFC) has defined governance, "A system through which the company is managed and its business is controlled, and the relationship between all parties is organized within the laws, regulations, and laws", As defined by the Organization for Economic Co-operation and Development (OECD) (2015) as: "The set of relations between those in charge of its management, its board of directors and its shareholders." "

That is governance means organization arrangement, and the existence of legislation and regulations governing the relationships between the main parties that have an impact on performance in the institution, and it also includes elements that support the institution in the short and long term, and determine the responsibility and responsibility (Machado & Davim, 2019).

4.2 Types of Governance

Governance is divided into several types:

1- Effective governance: It applies the principle of transparency and accountability to institutions, through rules and legislation that include equality, justice and the public interest.
2- Good governance: It applies the principle of participation, transparency and consensus, in addition to carrying out experiments and obligating them to rules while ensuring inclusiveness and justice.
3- Institutional Governance: Through it, corporate oversight and direction are established, in order to achieve goals by keeping away from deviations.

4.3 Defining the governance of government institutions

Governance in government institutions, as mentioned in the Guide to the Practice of Governance in the Public Sector (2014), has been defined as a set of laws, legislation, policies, organizational structures, procedures, and controls by which all government institutions are managed in order to achieve sustainable development goals efficiently and effectively and in the best professional and ethical ways and methods with integrity and transparency, according to Follow-up, evaluation and accountability mechanisms in order to provide services to citizens to the fullest.

4.4 Basic requirements for implementing governance in government institutions

The Guide to Evaluating and Improving Governance Practices in the Public Sector, issued by the Jordanian Ministry of Public Sector Development in (2017), stated the most important basic requirements for implementing governance in government institutions, which are the commitment to integrity, moral values and the rule of law, and determining priorities for the application of indicators of integrity and transparency, establishing a professional code of honor and an ethical charter for all employees of government institutions, participation of all relevant parties and being open to them, and the establishment of a professional code of honor and a code of ethics for all employees of government institutions, participation of all relevant parties and openness to them, and to identify the targeted results to achieve sustainable development, and put in place all necessary measures to achieve the results identified, building institutional and leadership capacities for employees of government institutions, managing performance and managing risks through effective internal control, working to apply good practices in the field of transparency and reporting to activate real accountability.

4.5 Objectives of governance in government institutions

Governance in government institutions aims at a set of objectives that were mentioned in the Guide to Governance Practices in the Public Sector (2017), the most important of which are

• Preserving public money

• Providing and improving the quality of all services provided to citizens, and ensuring their rights

• Achieving citizens' satisfaction with the services provided

Planning and reviewing decisions and determining performance measurement methods

• Improvement and development, defining stable and fair standards and laws characterized by transparency and clarity

• Work to avoid overlapping powers and responsibilities and the absence of accountability, and to support and develop

• The control system as a whole, raising the level of disclosure and transparency and achieving the principle of integrity

• Eliminate financial and administrative corruption

• Improving the capabilities and performance of government institutions
• Establishing an effective system for managing risks and confronting crises.
• Achieving sustainable development goals.

4.6 Principles of Governance in Government Institutions

Governance in government institutions is based on several principles, which we summarize as follows (Dagomir, 2019)

• Efficiency and effectiveness in managing state resources to ensure the preservation of public money, the effective use of available resources, the provision of services, and the improvement of the quality of providing these services and their development in accordance with the best practices in this field, to be reflected in a fair distribution of development revenues, while defining the role of supreme policy in following up on all executive departments. In order to ensure that the objectives of government institutions are achieved efficiently and effectively.

• Ensuring the rights of stakeholders that have relations with government institutions within the framework of standards and laws characterized by integrity, transparency, justice and clarity to enhance trust between them, which makes preserving and protecting the rights of stakeholders a goal for all parties.

4.7 The performance

Performance is one of the multi-dimensional concepts that include all aspects related to the success of the institution, and it is an indicator that measures the extent to which this institution achieves its goals (Valmohammadi, 2012), performance is affected by the environment and the goals to be achieved, as performance is a construction with multiple dimensions, and its measurement varies depending on a variety of factors (Wenxiang& Lucy Lu, 2016), (Jarad et al, 2010) stated that performance is the ability of institutions to achieve their desired goals by using all available resources efficiently and effectively, That is, the capabilities and capabilities that institutions possess contribute to achieving their goals (Jarad et al, 2010). (Al-Arajy and Al-Samman, 2021) mentioned that performance is an entrance to management with a complex, multi-dimensional and future-oriented strategic structure that determines the capabilities and capabilities of institutions for the successful implementation of their future strategies in order to reach the desired goals, Based on what was mentioned previously, the concept of performance differs from one institution to another, according to the work and activity of each institution and its objectives.

4.8 Performance levels in government institutions

Performance in government institutions can be classified into several levels, which have a focus on the strengths and weaknesses of government institutions, through which the sustainability of performance in these institutions is determined on the one hand and the status of their financial position on the other hand, and this classification helps institutions identify At the level that you present, it is as follows (Muhalal, 2017):

• Exceptional performance of institutions: It is the superior performance of institutions in the long run, as these institutions possess strengths in all axes until they almost end their weaknesses, and these institutions are characterized by a prosperous situation, an abundance of liquidity, and a commitment by the human resources in these institutions.
• Outstanding performance of institutions: It is the high performance of institutions in the long run, as these institutions possess strengths and overcome their weaknesses, in addition to having a distinguished financial position.
• Very good performance of institutions: These institutions are characterized by solid performance, and they have a clear future vision and strategy, with strengths of these institutions that have the ability to face weaknesses, in addition to that, they enjoy a very good financial position.
• The good performance of the institutions: The institutions at this level are characterized by balanced performance with the prevailing rates in the same industry with a fluctuating financial position.
• Moderate performance of institutions: Institutions at this level are characterized by low performance below the required rate, as the institutions overcome weaknesses over strengths, with a hardship in the financial position that threatens the growth and survival of such institutions.
• Poor performance of institutions: in these institutions the performance is much below the required level, and weaknesses would have dominated all axes, in addition to the existence
of problems in the financial position that threatens the existence of such institutions.

4.9 Dimensions of performance in government institutions

Performance usually highlights four dimensions, which are the financial position, innovation, customers, and internal processes in the organization. Indicating that internal processes imply efficiency and effectiveness in all systems (Damilola et al, 2015), In the government sector, there are dimensions of performance in government institutions that are in line with business requirements in the government sector, and they are as follows (Al-Arajy and Al-Samman, 2021):

1- Creativity and innovation

Creativity and innovation are complex and multi-level phenomena, and they are two phenomena that increase over time and require skilled leadership in order to maximize benefits at work. And better products, where creativity and innovation can be stimulated at the level of the individual, a group of individuals, or the level of the organization as a whole, and this leads to gaining benefits that can be identified at one or more levels of analysis. (Zhou, Hirst, & Shipton 2012).

2- Efficiency and effectiveness

They are considered among the common measures of performance in organizations, as most organizations evaluate their performance in terms of

effectiveness, as their main focus is on achieving the main goals of the organization, and where these institutions measure their performance in terms of efficiency, which relates to the optimal use of available resources in order to achieve the desired (Chavan, 2009).

3- Improving services

The concept of service improvement stems from a term frequently used in service design, as it is defined as the way in which the organization wants customers, employees and service recipients to view the organization, and to make the organization efficient and effective and able to provide the required services to the public (Hamdani, 2016).

4.10 Barriers to improving performance

There are many obstacles facing the performance improvement process, which we summarize as follows (Arif, 2008):

1- Difficulty in determining the variables to be measured and the relationships between them.
2- The difficulty in determining the beginning of the diagnosis and study of achievement analysis in order to evaluate it.
3- The difficulty of developing quantitative and qualitative criteria to measure quantitative and qualitative outputs to measure performance in institutions.
4- The shortage of administrative human resources to carry out performance measurement and evaluation, because this requires expertise and skills.

4.11 The role of governance in improving performance efficiency

There is agreement among many researchers on the role of governance in advancing development and improving performance efficiency, that is, the commitment of government institutions to the application of governance is reflected in the performance of these institutions in all its dimensions, the application of governance helps to create a clear and comprehensive concept for the performance of institutions and their ability to continue, which contributes to achieving the interests of people dealing with these institutions, governance carries with it several dimensions such as compliance with all laws and administrative requirements, and good performance in order to exploit the available resources to upgrade these institutions, Governance also limits conflict of interest between all parties, and this in turn positively affects the work and performance of these institutions.

Jordan has realized the role of governance in improving performance. In 2014, the Ministry of Public Sector Development issued a guide to practicing governance in the public sector, It aims to define the guiding principles that help government institutions apply the practices of the rule of law and governance in

government institutions to enhance the values of transparency and accountability, which in turn contribute to preserving public money and achieving quality and performance excellence(Guide to Governance Practices in the Public Sector, 2014), in the same year, a special unit was established to develop performance in government institutions, due to an urgent need to be a unified reference for all government institutions in the field of performance development, it works to provide a clear institutional framework for organizational units to enable them to achieve the goals for which they were established, It also works to unify all practices used in the field of improving the performance of government institutions. (The Regulatory and Procedural Guide for the Organizational Units Concerned with the Development of Institutional Performance, 2014).

5. Conclusions

In this study, the researchers drew several conclusions, the most important of which are the following:

1- Governance is considered an ethical system of great importance in improving performance, whether at the individual level or at the level of the institution as a whole.
2- Governance has a significant impact on improving all economic, political and social dimensions in government institutions
3- Governance has scientific and sound frameworks for all efforts made in the process of improving performance in government institutions.
4- Governance is a basic reference in making policies, laws and regulations in government institutions, commitment to integrity and ethical values, and setting priorities for implementing these indicators, which contribute significantly to improving performance.
5- Governance in government institutions contributes to improving the efficiency and effectiveness of performance for individuals and institutions, which has a positive impact on providing better services to auditors.
6- The process of improving performance in government institutions requires efficiency and effectiveness in all activities and operations carried out by these institutions and setting specific dimensions of performance in line with government institutions in order to contribute to the process of improving performance.

6. Recommendations

In this study, the researchers recommended the following:

1- The necessity of keeping pace with all global developments and working to amend some laws and regulations that would move forward towards the advancement of government institutions.

2- Increasing training programs for employees on how to apply governance properly in order to contribute to raising the performance of government institutions.
3- Carrying out other similar studies concerned with studying the principles and standards of governance and their impact on financial and administrative performance in government institutions.

References

- Colquitt , J. A. , Lepine , J. A. and Wesson , M. J. , (2015), Organizational Behavior Improving performance and commitment in the workplace. Fourth ed.
- Armstrong , M. and Taylor , S. , (2014), " Armstrong is handbook of human resource management practice " .13th ed. , Ashford colour press Ltd , UK.
- Storey , J. , Wright , P. and Ulrich , D. (2009). " The Rout ledge Companion to Strategic Human Resource Management . London & New York.
- OECD.(2015). OECD Guidelines on Corporate Governance of State-Owned Enterprise. Paris: Edition OECD.
- Dragomir, V. D., (2019), Accountability in the Name of Global Corporate Governance. A Historical Perspective, The Bucharest Academy of Economic Studies, Romania) www.asecu. gr/files/RomaniaProceedings/20. pdf, accessed, 7
- Machado, C., &Davim, J. P. (Eds.). (2019). Management Science: Foundations and Innovations. Springer.
- Wenxiang (Lucy) Lu; Taylor, Martin E. (2016). Which Factors Moderate the Relationship between Sustainability Performance and inancial Performance? A Meta Analysis Study. Journal of International Accounting Research.2016, Vol. 15 Issue 1, p1-15.
- Hijazi, Haitham Ali,(2021), The Impact of Applying Good Governance Principles on Job Satisfaction among Public Sector

Employees in Jordan, Open Journal of Business and Management, 2021, 9, 1-31.

- Machado, C., &Davim, J. P. (Eds.). (2019). Management Science: Foundations and Innovations. Springer.
- Hamdani, Abdel Razzaq (2016), “Improving Public Service in Municipal Administration in Algerian Legislation - Tebessa Municipality as a Model”, Master Thesis, Faculty of Law and Political Science, Al-Arabi Tebessa University - Tebessa - Algeria.
- Chavan M.,(2009) The balanced scorecard: a new challenge// Journal of Management Development, vol. 28, issue 5, p. 393-406. www.emeraldinsight.com/0262-1711.htm [žiūrėta 2011-02-24].
- Jarad, I. Yusof., N. & Nibkin, D. (2010), A Review Paper on Organizational Culture and Organizational Performance. International Journal of Business and Social Science. 1(3), 26-46.
- Damilola, W., Adekunle, M., Ola, O. & Oloruntoyin, R.(2015),'' Impact Of Strategic Management On Competitive Advantage And Organisational Performance–Evidence From Nigerian Bottling Company'', Journal of Policy and Development Studies Vol. 9, No. 2, ISSN: 157-9385, Website: www.arabianjbmr.com/JPDS_index.php
- Muhalal, Manal, Hanad, Hala Nasreen (2017), “The Role of Technological Change in Improving Institutional Performance, Case Study of Omar Bin Omar Mills Corporation MAB - Guelma -”, Master Thesis, College of Economic,
- Zhou, Q., Hirst, G., & Shipton, H. (2012), "Context matters: Combined influence of participation and intellectual stimulation on the promotion focus–employee creativity relationship", Journal of Organizational Behavior, 33: 894-909.
- Valmohammadi, Ch. (2012).Investigating innovation management practices in Iranian organizations, Innovation: Management, Policy and practice, 14 (5), 247-255.

- l-Wakeel, Manal Muhammad (2021), The Impact of Governance Principles on Job Performance: An Applied Study on the East Neighborhood of Nasr City, published research, The Arab Journal of Management, Volume (41), Issue (4),p107-127.

- Akkar, Zainab,& Sultan, Wafaa (2020), The Role of Governance Principles and Mechanisms in Improving Financial Performance (An Applied Study in the National Insurance Company), Anbar University Journal of Economic and Administrative Sciences Volume 12, Issue (29), p174-204.

- Al-Arajy, Abdullah, and Al-Samman, Thaeir (2021), The Role of E-Government Readiness in Enhancing Institutional Performance: A Case Study in Nineveh Governorate Diwan, Rafidain Development Journal, Volume (40), Issue (132), p9-36.

- Arif, Abdel Razzaq (2008), The Importance of Financial Analysis in Evaluating the Performance of Economic Institutions, Unpublished Master's Thesis, University of Biskra, Algeria.

- https://www.mop.gov.jo/ Guide to Evaluating Governance Practices in the Public Sector, 2017.

- https://www.mop.gov.jo/ Guide to Evaluating Governance Practices in the Public Sector, 2014.

- https://www.mop.gov.jo/ The organizational and procedural guide for the organizational units concerned with the development of institutional performance, 2014.

Eleven issue - Part I - April 2022 - Second Year Refereed Quarterly Scientific Journal

American International Journal of Humanities and Social Sciences

ISSUED BY AMERICAN INTERNATIONAL ACADEMY FOR HIGHER EDUCATION AND TRAINING

QUARTERLY JOURNAL ON HUMANITARIAN AND SOCIAL AFFAIRS

ISSN - 2710 - 4834

Deposit number in the Iraqi National Library and Archires: 2460

Special Issue of Articles